جون كنيدي تول

تحالف الأغبياء



ترجمة: عدنان بغجاتي

رواية



جون كنيدي تول

تحالف الأغبياء

ترجمة

عدنان بغجاتي

تنويه:

ترجمت الفصلين، الثالث عشر والرابع عشر من هذه الرواية، ودققت ترجمتها الأستاذة هالة النابلسي.

اسم الكتاب: تحالف الأغبياء

تأليف: جون كنيدي تول

ترجمة: عدنان بغجاتي

عدد الصفحات: 408

القياس: 14.5 × 21.5

1000 / 2014 م - 1435 هـ



سورية . دمشق . ص ب 4650

تلفاكس: 2314511 11 963+

هاتف: 2326985 11 963+

E-mail: info@ninawa.org

www.ninawa.org

العمليات الفنية:

التنضيد والإخراج والطباعة

القسم الفني - دار نينوى

ولد جون كنيدي تول عام ١٩٣٧ وتوفي عام ١٩٦٩ حصل على شهادته الجامعية من كولومبيا ودرس في جامعة لويزيانا. كتب «تحالف الأغبياء» في أوائل الستينات وحاول نشرها وأخفق فدفعه الإحباط إلى الانتحار. إلا أن إصرار والدته التي لم يهتز إيمانها بعمل ابنها أوصل هذا الكتاب إلى قرائه الجديرين به

حصلت رواية تحالف الأغبياء على جائزة بوليتزر للقصة عام ١٩٨١.

«تعرف العبقري الأصيل لحظة ظهوره في العالم بهذه العلامة: الأغبياء جميعاً يتحالفون ضده».

جوناثان سويفت

- ١ -

قبعة صيد خضراء حشرت فيها باقة بالون من اللحم تشكل رأساً، وجنحت من طرفيها واقيتان للأذنين خضراوان كعلامات الطرق، تدلان على جهتين في آن واحد، وقد امتلأتا بأذنين كبيرتين وشعر أشعث والأشواك الدقيقة النابتة في الأذنين ذاتهما. وشفتان غليظتان مزمومتان تحت الشارب الكث الأسود غطست زاويتاهما تحت ثنيات خفيفة تطفح بالامتعاض وبقايا شرائح البطاطا المقلية. وفي ظل المقدمة الخضراء لقبعة أغناطيوس جـ. رايلي أخذت عيناه الزرقاوان الصفراوان تنظران شزراً إلى الآخرين وهو ينتظر تحت ساعة إدارة مخزن د. هـ. هولمز ويتفحص جموع الناس بحثاً عن أمارات قلة الذوق في الملابس. لاحظ أغناطيوس أن عدداً من البذلات كان جديداً مرتفع الثمن بما يكفي أن يعد تعدياً على الذوق والحشمة. فامتلاك أي شيء جديد أو غالٍ إنما يعكس افتقار صاحبه إلى اللاهوت والهندسة، بل إنه ليلقي ظلال الشك على روحه.

أغناطيوس نفسه يرتدي ثياباً مريحة ومعقولة، قبعة الصيد تمنع عنه الزكام. والبنطال الفضفاض من الجوخ الخشن متين ويسمح بشكل فذ بحركة حرة، وثنياته ومكامنه تحتوي على جيوب هواء ساخن ساكن تحمل أغناطيوس على الاسترخاء. والقميص الصوفي يغني عن السترة في حين يقي الشال جلد رايلي المكشوف ما بين واقية الأذن والياقة. كان هندامه مقبولاً في أي معيار لاهوتي أو هندسي، مهما كان عويصاً، ويكشف عن حياة داخلية غنية.

أمضى أغناطيوس وقت انتظاره لأمه في حالة تأمل، مناوباً ما بين ورك وآخر في هندامه الثقيل المشوش، كان يدفع بموجات لحم تضطرب تحت الجوخ والصوف، موجات تكسرت فوق الأزرار ودرزات القماش. بشكل خاص

فكر في الانزعاج الذي بدأ يشعر به. بدا وكأن كيانه كله يتهيأ للانفجار من حذائه المنتفخ المهمل وكي يؤكد صحة ذلك أدار أغناطيوس عينيه الفريدتين نحو قدميه. كانت القدمان تبدوان حقاً متورمتين. تهيأ لعرض منظر ذلك الحذاء المنتفخ على أمه كدليل على إهمالها. رأى، وهو ينظر إلى أعلى، الشمس قد بدأت تهبط فوق الميسيسبي عند أسفل شارع القنال. أشارت الساعة هولمز إلى الخامسة تقريباً. كان ينمق سلفاً بعض الاتهامات التي انتقيت مفرداتها بعناية والمصممة من أجل أن تجبر أمه على الندم، أو على الأقل الوقوع في الحيرة. عليه دائماً أن يلزمها حدودها.

لقد جاءت به إلى وسط المدينة في البليموث العتيقة، وبينما كانت عند الطبيب للكشف على مفاصلها، اشترى أغناطيوس بضعة ملازم موسيقية من عند فيرلن من أجل بوقه، ووتراً جديداً لعوده. ومن ثم تجول في بني أركيد في رويال ستريت ليرى فيما إذا قد وضعت ألعاب جديدة للعرض. خاب أمله حين رأى أن النموذج الآلي المصغر للعبة البيسبول قد اختفى. لعله قيد الإصلاح. ففي آخر مرة لعب به لم تعمل بطاريته، وبعد بعض الجدال أعادت له الإدارة قطعة نقوده، ومع ذلك فإن أهل البني أركيد كانوا من الدناءة بما يكفي لأن يقولوا إن أغناطيوس نفسه هو الذي كسر آلة البيسبول برفسه لها.

أثناء تأمله مصير النموذج الآلي للعبة البيسبول، فصل أغناطيوس كيانه عن حقيقة شارع القنال الطبيعية والناس من حوله ولذلك لم يلحظ العينين اللتين كانتا تراقبانه بنهم من خلف أحد أعمدة د. هـ. هولمز، عينان حزينتان تبرقان بالأمل والرغبة.

أكان من الممكن إصلاح الآلة في نيو أورلينز؟ ربما. على كل حال، لا بد أنها أرسلت إلى مكان مثل ميلووكي أو شيكاغو أو مدينة أخرى مرتبط اسمها عند أغناطيوس بدكاكين الإصلاح ذات الكفاءة والمصانع ذات الدخان الدائم. أمل أغناطيوس أن تكون لعبة البيسبول قد نقلت بعناية أثناء الشحن، وأن لا يكون أحد من لاعبيها الصغار قد قشط أو تشوه على أيدي عمال سكة الحديد الذين صمموا على تخريب السكة إلى الأبد بمطالب الشاحنين للتعويض،

عمال سكة الحديد الذين سيقومون نتيجة ذلك بالإضراب وتدمير المحطة المركزية في إيلينوي.

وبينما كان أغناطيوس يفكر بالمتعة التي تقدمها تلك اللعبة الصغيرة للإنسانية تحركت العينان الحزينتان من خلال الزحام نحوه مثل طوربيدين مسددين على سفينة من الصوف. أحكم الشرطي قبضته على حقيبة أوراق أغناطيوس الموسيقية.

وسأله: «أمعك بطاقة تعريف يا سيد؟» كان يأمل أن يكون أغناطيوس نكرة رسمياً.

«ماذا؟» نظر أغناطيوس إلى الشارة التي على القبعة الزرقاء شزراً. سائلاً: «من أنت؟».

«أرني شهادة السواقة».

«أنا لا أسوق. هلا تلطفت بالانصراف؟ أنا في انتظار أمي».

«ما الذي يتدلى من حقيبتك؟»

«ماذا تظنه يا أحمق؟ إنه وتر لعودي».

«ماذا؟» وتراجع الشرطي قليلاً إلى الخلف «أأنت من هنا؟»

«أليس لسلك الشرطة دور سوى التحرش بي في حين أن هذه المدينة هي عاصمة الرذيلة الفاضحة للعالم المتحضر؟» وتوجه أغناطيوس بصرخته هذه نحو الجمع المحتشد أمام المخزن. «هذه المدينة مشهورة بمقامريها، وعاهراتها، وعارضي العورات، وأعداء المسيح، والكحوليين، واللواطيين، ومدمني المخدرات، وهواة ملابس النساء الداخلية، والإباحيين، والنصابين، والغواني، وحشرات القمامة، والسحاقيات، كل أولئك المحميين بالفساد. إن كان لديك وقت فسأحاول مناقشة مسألة الجريمة معك، لكن إياك أن تقع في خطأ مضايقتي».

أمسك الشرطي بذراع أغناطيوس، وتلقى ضربة على قبعته برزمة الأوراق الموسيقية. وساطه وتر العود المتدلي على أذنه.

صاح الشرطي: «انتبه!»

وصاح أغناطيوس: «خذ هذه» ملاحظاً أن دائرة رواد السوق الفضوليين قد أخذت تتشكل.

في داخل د. هـ. هولمز كانت السيدة رايلي في جناح المعجنات تضغط صدرها الأمومي فوق زجاج صندوق للمعكرونة للمكارون، وبواحد من أصابعها، التي تجعدت طوال السنين التي قضتها في فرك وتنظيف سراويل ابنها الضخمة المائلة للصفرة، نقرت على زجاج الصندوق كي تلفت انتباه البائعة.

نادت السيدة رايلي: «آه مس اينز» بتلك اللهجة التي تبدو من جنوب نيوجرسي فقط في نيو أورلينز، والتي ترطن قرب خليج المكسيك «هنا يا حبابة».

«أهلاً. كيف حالك؟» سألتها المس اينز «كيف تشعرين يا عزيزتي؟».

«لست على ما يرام» أجابت السيدة رايلي بصدق.

«بسيطة» وانحنت المس اينز فوق زجاج الصندوق ناسية أمر كعكاتها «أنا نفسي لست على ما يرام. إنهما قدماي».

«يا إلهي ليت لي مثل هذا الحظ. أنا عندي داء المفاصل في كوعي».

«أوه. لا.» قالت المس اينز بعاطفة أصيلة: «أبي الشيخ المسكين عنده ذلك. نجعله يغطس في حوض ملآن بالماء المغلي».

«ابني دائماً يطفو في حوضنا طيلة اليوم من العسير علي دخول حمامي أبداً».

«ظننت أنه متزوج، يا غاليتي».

«أغناطيوس؟ يا ليت» قالت السيدة رايلي بحزن «ممكن يا حبابة تعطيني دزينة متنوعة من هذه؟»

«لكن ظننت أنك قلت لي أنه متزوج» قالت المس اينز ذلك وهي تضع الكعك في علبة:

«حتى أنه لا يأمل في ذلك، صديقته الصغيرة هربت من القن».

«حسناً، لديه وقت».

«أظن ذلك.» قال السيدة رايلي بلا مبالاة: «تذكرت. هل يمكن أن تعطيني نصف دزينة من كعك النبيذ أيضاً؟ أغناطيوس يتواقح إذا نفد الكعك».

«ابنك يحب الكعك ها؟».

«آه يا إلهي كوعي يقتلني» أجابتها السيدة رايلي.

في وسط الزحام الذي تشكل أمام إدارة المخزن كانت القبعة الخضراء، القطب الأخضر لدائرة الناس، تصعد وتهبط بعنف.

كان أغناطيوس يصيح: «سأتصل بالمحافظ» وقال صوت من الزحام:

«دع الولد وحده» وأضاف رجل شيخ: «رح وامسك بالمتعرين في شارع بوربون، إنه ولد طيب. ينتظر أمه».

قال أغناطيوس بتعالٍ: «شكراً. آمل أن تكونوا جميعاً شهوداً على هذا التعدي».

«تعال معي» قال الشرطي لأغناطيوس وهو أقل ثقة بنفسه.

كان الحشد يتحول إلى نوع من الغوغاء، دون شرطي مرور. «نحن ذاهبان إلى المخفر».

«ولد طيب لا يستطيع أن ينتظر أمه عند د. هـ. هولمز» كان ذلك الرجل الشيخ مرة أخرى: «أقول لكم إن المدينة لم تكن هكذا أبداً. إنهم الشيوعيون».

«هل تدعوني شيوعياً؟» سأل الشرطي الشيخ وهو يحاول تجنب سوط وتر العود: «سأقبض عليك أيضاً. عليك أن تعرف من تسميه شيوعياً».

صاح الشيخ: «لا يمكنك إيقافي. أنا عضو في نادي العمر الذهبي الذي ترعاه إدارة النزهات».

وصرخت امرأة: «دع الشيخ وشأنه يا شرطي إنه قذر لعله جد لشخص ما».

«أنا كذلك» قال الشيخ: «عندي ست حفيدات وكلهن يدرسن عند الراهبات وذكيات أيضاً».

رأى أغناطيوس من فوق رؤوس الناس أمه تخرج ببطء من بهو إدارة المخزن حاملة علبتي المعجنات وكأنهما علبتان من اسمنت.

صاح: «أماه. لو تأخرت لحظة لكنت مقبوضاً عليّ».

قالت السيدة رايلي وهي تندفع خلال الجمع: «أغناطيوس ماذا يجري هنا؟ ماذا فعلت الآن؟ ارفع يديك عن ولدي يا هذا».

قال الشرطي: «لم أمسه يا سيدتي.. أهذا ولدك؟».

انتزعت السيدة رايلي وتر العود الطنان من أغناطيوس. وقال أغناطيوس: «طبعاً أنا ولدها. ألا ترى لهفتها عليّ؟» وقال الشيخ: «تحب ولدها».

وسألت السيدة رايلي الشرطي: «ماذا تفعل بولدي المسكين» وربت أغناطيوس على شعر أمه المصبوغ بالحناء بأحد كفيه الضخمتين.

«لم تجد عملاً سوى التقاط الأطفال المنتشرين في هذه المدينة. ينتظر أمه ويحاولون القبض عليه».

قال أغناطيوس: «هذه بوضوح قضية تخص اتحاد الحريات المدنية» وهو يعتصر كتف أمه المقوس بكفه «يجب أن نتصل بميرنا منيكوف، حبي الضائع، تعرف كيف تعالج هذه الأمور»؟

وقاطع الشيخ: «إنهم الشيوعيون».

سأل الشرطي السيدة رايلي: «كم عمره؟» فردّ أغناطيوس بتباه: «أنا في الثلاثين».

«أعندك عمل؟».

أجابت السيدة رايلي: «أغناطيوس يساعدني في البيت.» وأخذت شجاعتها المبادحة تخذلها وبدأت تلف وتر العود مع رزمة الورق على علبة الكعك: «عندي ألم مفاصل مزعج».

قال أغناطيوس للشرطي: «أنا أكنس أحياناً. وبالإضافة إلى أني أعد في الوقت هذا لائحة اتهام مطولة لقرننا. وحين يتعب دماغي نتيجة جهودي الأدبية، أصنع صلصة الجبن بين حين وآخر».

قالت السيدة رايلي: «أغناطيوس يصنع صلصلة جبن شهية».

قال الشيخ: «خيراً يفعل. معظم الأولاد يتسكعون خارج بيوتهم طوال الوقت».

قال الشرطي: «لم لا تخرس؟»

وسألت السيدة رايلي بصوت متهدج «أغناطيوس ماذا فعلت يا ولد؟»

«في الواقع يا أمي أظن أنه هو الذي بدأ كل ما حدث» وأشار أغناطيوس بحقيبة أوراق النوتة إلى الشيخ «كنت ببساطة واقفاً في انتظارك، أصلي أن تكون أنباء الطبيب مشجعة» فقالت السيدة رايلي للشرطي:

«أبعد هذا الشيخ من هنا. إنه يثير المشاكل. من العار أن يسير أمثاله في الشوارع».

قال الشيخ: «كل الشرطة شيوعيون».

قل الشرطي بغضب: «ألم أقل لك اخرس».

وخاطبت السيدة رايلي الجمهور: «إني أركع كل ليلة شكراً لله على أننا نتلقى الحماية. لولا الشرطة لمتنا جميعاً، لكنا في أسرتنا نائمين وقد قطعت أعناقنا من الوريد إلى الوريد».

أجابت إحدى النساء من بين الحشد: «صحيح».

عادت السيدة رايلي توجه خطابها للجمهور: «أنشدوا ترنيمة لقوات الشرطة» بينما كان أغناطيوس يمسد كتفها بعنف وهو يهمس مشجعاً «هل تنشدون ترنيمة لشيوعي؟»

تعالت أصوات: «لا» ودفع أحدهم الشيخ.

قال الشيخ: «إنها الحقيقة يا سيدتي، لقد حاول أن يلقي القبض على ولدك كما في روسيا. إنهم جميعاً شيوعيون».

«هكذا إذن» قال الشرطي للشيخ وأمسك بياقة معطفه من الخلف بعنف قال أغناطيوس وهو يراقب الشرطي الهزيل الشاحب يحاول السيطرة على الشيخ: «يا إلهي أعصابي تلفت نهائياً».

وصاح الشيخ بالجمهور متوسلاً: «النجدة. هذا تعد. هذا خرق للدستور».

قالت السيدة رايلي: «أغناطيوس. إنه مجنون. الأفضل أن نبتعد من هنا يا صغيري» والتفتت إلى الجمع: «اهربوا يا شبان. قد يقتلنا جميعاً. أنا شخصياً أظن بأنه هو الشيوعي».

«لا ضرورة للمبالغة يا أمي» قال أغناطيوس ذلك وهما يندفعان خارجين من بين الحشد المنصرف وشرعا في السير مسرعين باتجاه شارع القنال. نظر

خلفه ورأى الشيخ والشرطي الضامر يتعاركان تحت ساعة إدارة المخزن وقال: «من فضلك على مهلك أظن أني أعاني من اضطراب في القلب».

«آه. اخرس. ما تظن بأني أشعر؟ ما كان علي أن أركض وأنا في هذه السن».

«القلب مهم في كل سن على ما أظن».

«قلبك سليم».

«سيحدث له شيئاً إن لم نتمهل قليلاً» وتماوج بنطال الجوخ حول مؤخرة أغناطيوس الضخمة وهو يكرج إلى الأمام: «هل وتر عودي معك؟»

جرته السيدة رايلي وانعطفت به عند الزاوية نحو شارع بوربون ودخلا الحي الفرنسي.

«كيف حصل أن تعقبك هذا الشرطي يا ولد؟»

«لن أعرف أبداً. لكن يمكن أن يتعقبنا الآن خلال دقائق، حالما يتغلب على ذلك الشيخ الفاشي». فسألته السيدة رايلي بعصبية:

«أتظن ذلك؟»

«يخيل إلي أنه بدا مصمماً على اعتقالي. ربما كان مطلوباً منه عدد محدد أو ما شابه. أشك في أنه سيسمح لي بالزوغان منه بسهولة».

«ألن يكون هذا بشعاً؟ ستظهر على صفحات كل الجرائد. أغناطيوس، العار! لا بد أنك فعلت شيئاً وأنت تنتظرني. أغناطيوس. أنا أعرفك يا ولدي».

«إن كان هناك من لا يهتم إلا بشأنه فهو أنا» قالها أغناطيوس لاهثاً: «من فضلك. يجب أن تتوقف. أظن أني سأنزف».

«حسناً» نظرت السيدة رايلي إلى وجه ابنها المحمر وتيقنت أنه سيسعده أن يسقط عند قدميها لمجرد إثبات وجهة نظره. ففي آخر مرة أجبرته على مصاحبتها إلى قداس الأحد خرّ مرتين في الطريق إلى الكنيسة وسقط مرة أخرى أثناء قداس عن الكسل، من على المقعد محدثاً اضطراباً مربكاً.

«لندخل هنا ونجلس» دفعت به بإحدى علبتي الكعك عبر باب ملهى ليل الحبور. وتسلق في الظلمة العابقة برائحة البوربون وأعقاب السجائر على كرسيين من كراسي البار. وحين رتبت السيدة رايلي وضع علبتي الكعك فوق

البار وسّع أغناطيوس منخريه الضخمين قائلاً: «يا إلهي. ما أبشع هذه الرائحة. معدتي بدأت تزيد».

«أتريد العودة إلى الشارع؟ أتريد أن يقبض عليك الشرطي؟»

لم يجب أغناطيوس. كان يتنشق من منخريه بصوت عال مقطباً.

«نعم؟!» سأل عامل البار الذي كان يرقب الاثنين باستخفاف عبر الظلال.

قال أغناطيوس متشامخاً: «قهوة أريد قهوة شيكوري مع الحليب المغلي».

قال العامل: «قهوة فورية فقط».

قال أغناطيوس لأمه: «لا أستسيغ ذلك. إنها مقرفة».

«حسناً أغناطيوس. خذ بيرة. لن تقتلك».

«قد انتفخ».

قالت السيدة رايلي لعامل البار: «سآخذ بيرة ديكسي ٤٥».

فسأل العامل بصوت غني زائف: «والسيد؟ بماذا يرغب؟»

«هات له بيرة أيضاً».

قال أغناطيوس حين انصرف العامل لفتح زجاجي البيرة: «قد لا أشربها».

«أغناطيوس لا يمكننا الجلوس هنا مجاناً».

«ولِم لا. نحن الزبونان الوحيدان. يجب أن يسعدوا بوجودنا».

قالت السيدة رايلي وهي تلكزه بكوعها: «عندهم متعريات في الليل، أليس كذلك؟»

«أتصور ذلك» أجاب أغناطيوس ببرود ثم بدا شديد الألم وأردف بصوت عال: «كان يمكن أن نجلس في مكان آخر أظن أن الشرطة ستداهم المكان في أية لحظة».

وتنحنح: «شكراً لله على أن شاربي يصفي بعض الروائح النتنة.. جميع أعصاب الشم لديّ أخذت تبث إشارات الخطر».

بعد ما بدا أنه قد مر وقت طويل سمع فيه كثير من قرقعة الكؤوس وإغلاق البرادات في مكان ما في الظل، ظهر العامل ثانية ووضع البيرة أمامها متظاهراً أنه سيسكب بيرة أغناطيوس في حضنه.

لقد كان آل رايلي يتلقون أسوأ خدمة في ليل الحبور، الخدمة التي تقدم عادة للزبائن غير المرغوب فيهم.

سأل أغناطيوس: «أيحتمل أن يكون لديكم شراب دكتورنات بارد؟»

«لا».

ووضحت السيدة رايلي: «ابني يحب الدكتورنات. اشتريه صناديق الصناديق. أحياناً يجلس ويكرع زجاجتين أو ثلاث من دكتورنات دفعة واحدة».

قال أغناطيوس: «أنا متأكد أن هذا الرجل لا يتأثر بالدوافع الشخصية».

سأله عامل البار: «ألا تود أن ترفع هذه القبعة؟»

فأرعد أغناطيوس: «لا. لا أورد. هنا نسمة باردة».

«براحتك» قال عامل البار واختفى في الظل في الطرف الآخر من البار.

«حقاً؟»

وقالت أمه: «اهدأ».

فرفع أغناطيوس واقية الأذن القريبة من أمه وقال:

«حسناً سأرفع هذه حتى لا تبحي صوتك. ماذا قال لك الطبيب عن كوعك أو هذا الذي يؤلمك؟»

«يجب أن يدلّك».

«آمل أن لا تطلبي مني ذلك. تعرفين شعوري لدى ملامسة الآخرين».

«طلب مني أن أتجنب البرد ما أمكن».

«لو أنني أسوق لكان من الممكن أن أساعدك. أظن».

«آه. بسيطة. يا حبيبي».

«في الواقع حتى ركوب السيارة يؤثر فيّ كثيراً. طبعاً أسوأ أمر هو ركوب باصات غري هاوند السياحية شاهقة العلو. أتذكرين يوم ذهبت في أحدها إلى باتون روج؟ لقد تقيأت عدة مرات مما اضطر السائق إلى الوقوف في مكان ما عند المستنقعات كي أنزل وأتمشى. بدا على الركاب الغضب. لا بد أن لهم معداً من الحديد كي يركبوا هذه الآلة البشعة. مغادرة نيو أورلينز أيضاً تخيفني جداً، خارج حدود المدينة يبدأ قلب الظلمة والأرض اليباب».

قالت السيدة رايلي متغافلة وهي ترشف البيرة الرشفة تلو الأخرى:

«أتذكر ذلك يا أغناطيوس. كنت مريضاً حقاً حين عدت إلى البيت».

«حين عدت كنت في حالة أفضل. أسوأ لحظة كانت عند وصولي إلى باتون روج. أدركت أنني قطعت تذكرة ذهاب وإياب وان علي أن أعود بالباص».

«حدثتني عن ذلك يا حبيبي».

«كلفتني أجرة العودة بالتاكسي أربعين دولاراً. على الأقل لم أمرض في التاكسي. رغم أنني شعرت بالغثيان عدة مرات. طلبت من السائق أن يقود سيارته ببطء. مما جلب له سوء الحظ. أوقفته شرطة الولاية مرتين لأنه كان يسوق بسرعة أقل من الحد الأدنى المطلوب على الطرق العامة. وحين أوقفوه للمرة الثالثة حجزوا رخصة القيادة، لقد كانوا يراقبوننا على الرادار طيلة الوقت كما تعلمين».

وراح اهتمام السيدة رايلي ما بين ابنها وبين البيرة. أنها تستمع لهذه القصة منذ ثلاث سنين.

تابع أغناطيوس ظاناً أن نظرة أمه العميقة اهتماماً: «طبعاً كانت تلك المرة الوحيدة التي خرجت فيها من نيو أورلينز في حياتي. أظن أن ما أقلقني هو الافتقار إلى مركز التوجه. كان المضي بسرعة في ذلك الباص كالسقوط إلى الهاوية. مع مرور الوقت غادرنا المستنقعات ووصلنا إلى تلك التلال المتلوية في باتون روج. وبدأ الخوف يساورني من أولئك المزارعين الذين يمكن أن يلقوا قنابل على الباص. هم يحبون مهاجمة المركبات لأنها رمز التقدم على ما أظن».

«حسناً. أنا سعيدة بأنك لم تقبل بتلك الوظيفة» قالت السيدة رايلي ذلك بشكل آلي وكأن كلمة «أظن» هي المشعرة بأن دورها في الكلام قد حان.

«ما كان يمكن أن أقبل بها. حين رأيت رئيس قسم حضارة العصور الوسطى طفحت يداي بحبوب بيضاء. كان على الإجمال شخصاً عديم الحيوية. ثم علق على أنني لا أضع ربطة عنق، وأبدى ملاحظة بليدة حول سترة الحطاب التي أرتديها. لقد أفزعني أن شخصاً تافهاً يمكن أن يتجرأ بمثل تلك الوقاحة. سترة الحطاب تلك واحدة من مسببات الراحة للكائن،

والتي لم أحصل عليها أبداً. إذا ما عثرت يوماً على ذلك المجنون الذي سرقها فسأبلغ عنه السلطات المختصة».

واستحضرت السيدة رايلي صورة سترة الحطاب المفزعة الملطخة بالقهوة التي طالما رغبت في أن تتبرع بها لـ(متطوعي أمريكا) مع عدد من قطع الثياب المفضلة لدى أغناطيوس.

«ترين. لقد كنت شديد التأثر من بذاءة رئيس القسم المزيف هذا. ذاك أني خرجت راكضاً من مكتبه وسط هذيانه المريض واندفعت إلى أول دورة مياه، والتي تبين أنها مخصصة لأساتذة الكلية. على أية حال، دخلت أحد المراحيض واضعاً سترة التحطيب فوق باب المرحاض. فجأة رأيت السترة تسحب من على الباب، وسمعت وقع أقدام. ثم أغلق باب دورة المياه. في تلك اللحظة كنت عاجزاً عن ملاحقة ذلك اللص الوقح. وبدأت أصرخ. دخل أحدهم دورة المياه ونقر على باب المرحاض. تبين أنه واحد من رجال أمن الجامعة أو هكذا قال. ومن خلف الباب شرحت له ما حدث. وعدني أن يعثر لي على السترة ومضى. وبالطبع ساورني الاعتقاد كما سبق أن ذكرت لك أنه هو ورئيس القسم شخص واحد. صوتاهما متشابهان».

«مؤكد أنك لا تستطيع أن تثق بأي شخص هذه الأيام يا حبيبي».

«وحالما استطعت هربت من دورة المياه راغباً فقط في مغادرة ذلك المكان الرهيب. طبعاً كدت أتجمد من البرد، وأنا واقف في ساحة الجامعة المهجورة أحاول أن أنادي تكسي. أخيراً حصلت على سائق واحد وافق أن يأخذني إلى نيو أورلينز بأربعين دولاراً. وكان السائق من الأثرة أن أعارني سترته. مع مضي الوقت وصلنا إلى هنا. على كل حال كان شديد الاكتئاب لأنه فقد رخصة القيادة وصار عدوانياً. بدا كأنه أخذ يعاني من البرد. حكمت على ذلك من تواتر عطساته بعد كل ذلك. قضينا على الطريق العام ساعتين تقريباً».

«أغناطيوس. أظن أني سآخذ زجاجة بيرة أخرى».

«أماه. أو في هذا المكان المهجور؟»

«واحد فقط يا حبيبي. هيا أريد واحدة أخرى».

«أخشى أن نلتقط عدوى ما من هذه الكؤوس. على كل حال، إذا كنت مصممة فاطلبي لي براندي».

أشارت السيدة رايلي لعامل البار الذي خرج من الظلام وسأل: «ماذا حدث لك على ذلك الباص؟ لم التقط بقية القصة».

«هل تسمح في أن تدير عمل البار حسب الأصول.» طلب أغناطيوس منه ذلك غاضباً. وأردف: «واجبك أن تخدم بصمت حين نناديك. لو كنا نرغب في أن نشركك حديثنا لأشرنا عليك أن تفعل. في الواقع نحن نبحث مسائل شخصية ملحة».

«الرجل يحاول أن يكون لطيفاً معك يا أغناطيوس. هذا عيب».

«هذا مناقض للظروف المحيطة. لا يمكن لأحد أن يكون لطيفاً في وكر كهذا».

«نريد اثنتين بيرة أيضاً» فصحح أغناطيوس:

«واحد بيرة، وواحد براندي» فقال العامل:

«لم يعد لدينا كؤوس نظيفة» فقالت السيدة رايلي:

«أليس هذا مشيناً؟ حسناً يمكننا أن نستكمل الكأسين اللتين معنا».

هز العامل كتفيه وغاب في الظلال.



في المخفر، جلس الشيخ على مقعد مع آخرين. جلهم كانوا من لصوص الحوانيت ويؤلفون حصيلة ما بعد الظهر. رب الشيخ على فخذه بعناية، بطاقة الضمان الاجتماعي وبطاقة عضوية جمعية القديس أودو كلوني هولي نيم، وقصاصة ورق تعرف به على أنه عضو في الفرقة الأمريكية. وكان فتى أسود، تختفي عيناه وراء نظارة شمسية من عصر الفضاء، يدرس الملف المفتوح على الفخذ المجاور له.

قال الفتى الأسود مبتسماً: «أنت تنتمي لكل شيء».

رتب الشيخ بطاقاته باهتمام بالغ، ولم يقل شيئاً.

«كيف يجرجرون شخصاً مثلك إلى هنا؟» ونفثت النظارة الشمسية دخاناً أزرق فوق بطاقات الشيخ جميعاً: «لا بد أن الشرطة أصبحوا يائسين».

قال الشيخ بغضب مفاجئ: «أنا هنا بسبب خرق لحقوقي الدستورية».

«طيب. لن يصدقوا ذلك. فكر بشيء آخر» وامتدت يد سوداء إلى إحدى البطاقات «.. ماذا يعني العمر الذهبي؟»

شدَّ الشيخ البطاقة وأعادها إلى فخذه.

«هذه البطاقات الصغيرة لن تفيدك. سيرمونك في السجن على أية حال. يرمون أياً كان في السجن».

«أتظن ذلك؟» سأل الشيخ سحابة الدخان الزرقاء.

«أكيد». وارتفعت سحابة جديدة: «كيف صار أن أصبحت هنا، يا رجل؟»

«لا أدري».

«لا تدري! هذا جنون. لا بد أن تكون هنا لسبب ما. كثيراً ما يوقفون الملونين للاشيء. لكن يا سيد يجب أن تكون هنا لأمر ما».

«حقاً، لا أدري». قال الشيخ بأسى وتابع: «كنت واقفاً في الزحام أمام د. هـ. هولمز»..

«ونشلت محفظة أحدهم».

«لا. نعت شرطياً بصفة».

«بماذا وصفته؟»

«شيوعي».

«شيوعي! لو وصفت شرطياً بأنه شيوعي لصارت مؤخرتي في أنغولا فورا. مع ذلك أود لو أنعت أحدهم بأنه شيوعي. بعد الظهر كنت أتسكع في وولزوورث. وسرقت إحدى القطط كيس لوز (كاجو) من ركن المكسرات. فأخذت المسؤولة بالصياح كأنها طعنت بسكين.. تمسك بي بعد ذلك أحد المارة ثم جاء شرطي ليجرجرني.. ليس لأحد مفر» وامتصت شفتاه السيجارة: «لم يعثر أي منهم على كيس الكاجو معي. ومع ذلك ظل الشرطي يجرجرني. أظن أن ذلك المارّ شيوعي. سافل. يضاجع أمه».

تنحنح الشيخ وتلهى ببطاقاته. فقالت النظارة:

«ربما يطلقون سراحك. أما أنا فسأسمع منهم ما يخيفني. مع أنهم يعرفون أنني لم أسرق الكاجو فسيحاولون أن يثبتوا أني سارق. ربما يشترون كيساً ويدسونه في جيبي. يمكن أن يحاول وولزورث أن يسجنني مدى الحياة».

بدا الزنجي كامل الاستسلام ونفث سحابة جديدة من الدخان الأزرق غلفته هو والشيخ والبطاقات ثم قال لنفسه: «من يا ترى سرق كيس الكاجو ربما ذلك المار نفسه».

أمر شرطي الشيخ بالمثول أمام مكتب في وسط الغرفة يجلس خلفه رقيب وكان الشرطي الذي أوقفه هناك.

سأل الرقيب الشيخ: «ما اسمك؟»

أجاب: «كلود روبيشو» ووضع بطاقاته الصغيرة على المكتب أمام الرقيب.

نظر الرقيب إلى البطاقات وقال: «الشرطي مانكوزو هنا يقول أنك قاومته ودعوته شيوعياً».

«لم أكن أعني ذلك» قال الشيخ بحزن وهو يلاحظ أن الرقيب يتعامل مع البطاقات بفظاظة.

«مانكوزو يقول إنك قلت أن كل الشرطة شيوعيون».

«يا سلام!» صاح الزنجي من طرف الغرفة. فصرخ به الرقيب:

«هلا خرست يا جونز؟» وأجاب جونز:

«أوكي. طيب».

«سأتفرغ لك بعد قليل».

«لم أدع أحداً شيوعياً» قال جونز «لقد حاصرني ذلك الماشي في وولزروث أنا أصلاً لا أحب الكاجو».

«سد حلقك».

«أوكي» قال جونز. ونفث غيمة راعدة هائلة من الدخان.

«لم أعن أي شيء بما قلت» قال السيد روبيشو للرقيب: «استثيرت أعصابي. ولم أتمالك نفسي. كان هذا الشرطي يحاول توقيف ولد مسكين ينتظر أمه قرب هولمز».

«ماذا؟» والتفت الرقيب إلى الشرطي الصغير الهزيل: «ماذا كنت تحاول أن تفعل؟»

«لم يكن ولداً» قال مانكوزو «كان رجلاً سميناً ضخماً يرتدي ثياباً مضحكة. بدا شخصية مشبوهة. كنت أحاول القيام بتفتيش عادي. ثم بدأ بالمقاومة. أقول لك الحق لقد بدا عليه أنه منحرف كبير».

فسأله الرقيب بشراهة: «منحرف جنسياً ها؟»

وكرر مانكوزو بثقة متجددة: «نعم منحرف كبير ضخم!»

«ما ضخامته؟»

«أضخم ما رأيت طيلة حياتي» قال مانكوزو ذلك وباعد ما بين ذراعيه كأنه يصف صيد سمك. لمعت عينا الرقيب: «أول ما وقعت عيناي كانت قبعة الصيد الخضراء التي يضعها».

أنصت جونز بانتباه شديد وهو في داخل سحابته.

«حسناً مانكوزو. ماذا جرى؟ كيف صار أنه ليس هنا أمامي؟»

«لقد فرّ. خرجت تلك المرأة من المخزن وأفسدت كل شيء. ثم ركضت وإياه وانعطفا عند الزاوية نحو الحي».

«ها. شخصيتان من الحي» قال الرقيب وبدت عليه فجأة الاستنارة.

«لا يا سيدي» قال الشيخ «لقد كانت حقاً. سيدة جميلة لطيفة. رأيتهما من قبل في مركز المدينة. هذا الشرطي أصابها بالذعر».

«أوه. اسمع مانكوزو» صرخ الرقيب «أنت الوحيد في السلك من يعمل على توقيف أحد ويبعده عن أمه. ولماذا جئت بالجد؟ ناد على أهله بالهاتف واطلب منهم المجيء لأخذه».

«رجاء» توسل السيد روبيشو. «لا تفعل ذلك. ابنتي مشغولة ببناتها. لم يقبض علي طيلة حياتي. لن تستطيع المجيء لأخذي. ماذا ستظن حفيداتي بي؟ كلهن يدرسن عند الراهبات».

«خذ رقم هاتف ابنته يا مانكوزو. سيتعلم كيف يدعونا شيوعيين».

«رجاء» وأجهش السيد روبيشو بالبكاء «حفيداتي يحترمنني».

«أيها السيد المسيح» قال الرقيب: «تلقي القبض على ولد مع أمه وتحضر لي جد أحدهم. اخرج من هنا يا مانكوزو، وخذ الجد معك. تريد أن تلقي القبض على المشبوهين؟ سنرتب لك هذا الأمر».

«نعم سيدي». قال مانكوزو بضعف وهو يقود الشيخ خارج المخفر.

«يا عيني!» صاح جونز من مخبئه داخل سحابته.



بدأ الشفق يمتد حول ملهى ليل الحبور. وفي الخارج كان شارع بوربون يشرع في إضاءة أنواره. أخذت مصابيح النيون تضيء وتنطفئ منعكسة على الطرقات المبللة بضباب رقيقي غشيها منذ برهة. وراحت سيارات التكسي الحاملة زبائن المساء الأوائل وسياح الغرب الأوسط، ولاعبي القمار، تحدث هسيساً في وسط العتمة الباردة.

كان في ليل الحبور بضعة زبائن آخرين، رجل يمرر أصبعه فوق جدول سباق. وشقراء مكتئبة تبدو مرتبطة بالملهى وبصفة ما، وشاب متأنق يدخن بشكل متواصل سجائر سالم ويتجرع الدايكري المجمد الكأس تلو الأخرى دفعة واحدة.

تجشأت السيدة رايلي وقالت: «أغناطيوس من الأفضل أن نذهب».

«ماذا؟» صرخ أغناطيوس «يجب أن نبقى لنشهد الفساد. لقد بدأت مظاهره منذ قليل».

دلق الشاب المتأنق كأس الدايكري فوق سترته المخملية الخضراء الداكنة.

صاحت السيدة رايلي: «أيها .. البارمان. هات خرقة. دلق أحد الزبائن شرابه».

أجاب الشاب غاضباً: «بسيطة يا عزيزتي» وقوس أحد حاجبيه باتجاه أغناطيوس وأمه. «أظن أنني في الملهى الخطأ على أية حال».

«لا تزعل يا حبيبي» نصحته السيدة رايلي «ماذا تشرب؟ كأنها طابات أناناس مثلجة».

«حتى لو وضعته لك. أشك في أن تفهمي ما هو».

«كيف تجرؤ على مخاطبة أمي الغالية الحبيبة بهذا الشكل؟» فرد عليه الشاب بنزق:

«هس يا ضخم. انظر ما حدث لسترتي».

«إنها مضحكة تماماً» قالت السيدة رايلي وشفتاها مزيدتان:

«طيب الآن لنكن أصدقاء.. لدينا ما يكفي من التوتر».

«وولدك يبدو سعيداً بتفجير قنابله».

«كفى أنتما الاثنان. هنا يجب أن يبتهج الجميع» وتبسمت السيدة رايلي للشاب «هل أضيفك مشروباً آخر بدل الذي دلقت. أظن أني سآخذ ديكسي أخرى».

تنهد الشاب: «يجب أن أهرب. على كل حال شكراً».

تساءلت السيدة رايلي: «في ليلة كهذه؟ لا تبال بما يقوله أغناطيوس. لم لا تبقى وتشاهد العرض؟»

كسرت الشقراء صمتها: «نعم. تفرج على بعض الأثداء والأرداف».

قال أغناطيوس ببرود: «أماه. حقاً أنك تشجعين هؤلاء الحمقى».

«طيب. أنت الذي يرغب في البقاء. أغناطيوس».

«نعم. رغبت في البقاء كمراقب. ولست متلهفاً على الاختلاط».

«حبيبي. الحق أقول، لم أعد أحتمل الاستماع إلى قصة الباص أبداً. لقد أعدتها أربع مرات منذ وصولنا إلى هنا».

بدا على أغناطيوس أنه تأذى.

«ما كنت أظن أني أضجرتك. على كل حال سفرة الباص تلك كانت من التجارب المؤثرة في حياتي. وأنت كأم يجب أن تهتمي بالصدمات التي كونت رؤيتي للعالم».

انتقلت الشقراء إلى الكرسي المجاور لأغناطيوس وسألت: «وماذا عن الباص؟ اسمي دارلين. أحب الحكايات الجميلة. أعندك واحدة مفلفلة؟»

خبط عامل البار بالبيرة والدايكري فوق البار لحظة تأهب الباص للانطلاق في العاصفة. ثم نخر العامل في وجه السيدة رايلي: «خذي كأساً نظيفة».

«ظريف. أغناطيوس. صار عندي كأس نظيفة».

لكن ولدها كان مشغولاً عن سماعها بوصوله إلى باتون روج.

قالت السيدة رايلي للشاب: «تعرف، يا حبيبي. كنا أنا وولدي في ورطة اليوم. حاول شرطي إيقافه»؟

«يا لطيف. الشرطة قساة القلوب. أليس كذلك؟»

«نعم. وأغناطيوس حاصل على الماجستير وما إليها».

«لكن ماذا أفعل؟»

«لاشيء. فقط كان واقفاً في انتظار أمه الغالية المسكينة».

«ثيابه غريبة نوعاً ما. ظننته ممثلاً من نوع ما عند دخولي. رغم أني حاولت ألا أتخيل طبيعة تمثيله».

«دائماً أحدثه عن ثيابه. لكنه لا يسمع» ونظرت السيدة رايلي إلى ظهر قميص ابنها الصوفي وإلى الشعر المتجعد على نقرته. «سترتك هذه جميلة جداً».

أجابها الشاب وهو يتلمس المخمل فوق الكم: «آه. هذه؟ لا مانع لدي بأن أخبرك أنها كلفتني ثروة. عثرت عليها في دكان مرتفعة الأسعار في القرية».

«لا يبدو عليك أنك من الريف».

«أوه يا إلهي» تنهد الشاب وأشعل سيجارة سالم بطقة عالية من ولاعته. «عنيت قرية غرينوتش في نيويورك يا حلوة. بالمناسبة من أين أتيت بهذه القبعة؟ إنها رائعة».

«آه يا إلهي. هي عندي منذ أول مناولة لأغناطيوس».

«أتبيعينها؟»

«كيف؟»

«أنا أتعامل بالملابس المستعملة، أعطيك بها عشرة دولارات».

«أوه. كفى عشرة دولارات لهذه؟»

«خمسة عشر؟»

«حقاً؟» ونزعت السيدة رايلي القبة، «طبعاً، يا حبيبي».

فتح الشاب محفظته وأعطى السيدة ثلاث قطع من فئة الخمسة دولارات. ووقف وهو يفرغ كأس الدايكري وقال. «الآن حقاً، يجب أن أهرب».

«باكراً هكذا؟»

«كانت صحبتك ممتعة».

«حاذري من البرد والرطوبة».

ابتسم الشاب، ووضع القبعة تحت معطفه المطري وغادر الملهى.

كان أغناطيوس لا يزال يحدث دارلين: «دورية الرادار. تصوري ذلك».

قالت السيدة رايلي:

«أغناطيوس يجب أن نذهب الآن. أنا جائعة». والتفتت نحوه فارتمت زجاجة البيرة على الأرض وتحولت إلى نثار من الزجاج البني.

«أمي لا تفرجي الناس علينا؟» قال أغناطيوس بانزعاج «ألا ترين أني والآنسة دارلين نتحدث؟ معك بعض الكعك. كليه. أنت دائمة الشكوى لأنك لا تخرجين إلى أي مكان. ظننت أنك ستستمتعين بليلتك في المدينة».

عاد أغناطيوس إلى الرادار. ومدت السيدة رايلي يدها إلى الكعك وتناولت واحدة بنية. سألت عامل البار: «تأخذ واحدة؟ إنها جيدة معي بعض كعكات النبيذ أيضاً».

تظاهر عامل البار أنه يفتش عن شيء ما فوق الرفوف.

«أشم رائحة كعك النبيذ» صاحت دارلين وهي تنظر من خلف أغناطيوس.

قالت السيدة رايلي: خذي واحدة يا حبيبتي» وقال أغناطيوس: «أظن أني سآخذ واحدة أيضاً. لعل طعمها يتحسن مع البراندي».

نشرت السيدة رايلي علبة الكعك فوق البار. وحتى الرجل صاحب جدول السباق وافق أن يتناول واحدة من نوع (الماكارون).

سألت دارلين السيدة رايلي: «من أين اشتريت كعك النبيذ الشهي هذا؟ إنه جيد وطري».

«من عند هولمز، يا سكرة، عندهم تشكيلة جيدة ومنوعة جداً».

«إنها لذيذة» أقر بذلك أغناطيوس ماداً لسانه القرمزي الرخو إلى شاربيه ليلتقط النثرات. «أظن أني سآخذ واحدة من الماكارون أو اثنتين. تبين لي دائماً أن جوز الهند مفيد للأمعاء».

أخذ ينقب داخل العلبة باجتهاد:

قالت السيدة رايلي لعامل البار الذي أدار لها ظهره: «أحب دائماً كعكة جيدة بعد الأكل».

قالت دارلين متسائلة: «أراهن أنك طباخة ماهرة أليس كذلك؟»

قال أغناطيوس بغوغائية: «أمي لا تطبخ. بل تحرق».

قالت لهما دارلين: «حين كنت متزوجة كنت أطبخ وأستخدم أنواعاً من الأطعمة المعلبة أيضاً. أحب منها ذاك الأرز الإسباني، والسباغيتي مع رب البندورة».

قال أغناطيوس: «الطعام المعلب مفسدة. أظن أنه يدمر الروح تدميراً كاملاً».

تنهدت السيدة رايلي: «يا إلهي عاد كوعي يؤلمني».

قال لها ابنها: «رجاء أنا أتكلم. أنا لا آكل الطعام المعلب أكلت مرة فشعرت أن أمعائي الغليظة تهترئ».

«أنت حاصل على ثقافة عالية».

«أغناطيوس تخرج من الكلية. ثم لصق فيها أربع سنوات أخرى ليحصل على الماجستير. أغناطيوس خريج ذكي».

«خريج ذكي» كرر أغناطيوس العبارة بغلّ «رجاء حددي ألفاظك ماذا تعنين بالضبط بـ خريج ذكي؟».

قالت دارلين: «لا تكلم أمك بهذه اللهجة».

«أوه. إنه يعاملني بقسوة أحياناً». قالت السيدة رايلي ذلك بصوت عال وأجهشت بالبكاء:

«أنت لا تعرفين. حين أفكر بما فعلته من أجل هذا الولد».

«أمي، ماذا تقولين؟»

«أنت لا تقدرني».

«توقفي فوراً. أظن أنك شربت الكثير من البيرة».

«أنت تعاملني كأني قمامة. كنت طيبة» انتحبت السيدة رايلي والتفتت إلى دارلين: «صرفت كل مال تأمين جدته رايلي من أجل أن أبقيه في الكلية ثماني

سنوات. ومنذ ذلك الحين كل ما يفعله هو الاسترخاء في البيت ومشاهدة التلفزيون».

قالت دارلين لأغناطيوس: «يجب أن تخجل. رجل ضخم مثلك. انظر إلى أمك المسكينة».

هوت السيدة رايلي منتحبة على البار متشبثة بكأس البيرة بأحد كفيها.

«هذه مسخرة. توقفي يا أمي».

«لو عرفتك بهذه القسوة، يا سيد، لما أصغيت إلى قصتك المجنونة عن باص غري هاوند».

«أمي انهضي».

قالت دارلين: «تبدو على كل حال رجلاً ضخماً مجنوناً. كان علي أن أعرف ذلك. انظر كيف تبكي هذه المرأة المسكينة».

حاولت دارلين أن تدفعه عن كرسيه ولكنها دفعت به نحو أمه التي توقفت عن البكاء وفغرت فاها: «آه يا كوعي».

«ماذا يجري هنا؟» سألت امرأة من على باب الملهى المغلف بالجلد الصناعي. كانت امرأة كتمثال في أواسط العمر. جسدها جميل مغطى بمعطف جلدي أسود يلتمع في الضباب: «أترك هذا المكان بضع ساعات لأتبضع، وانظروا ما حدث يجب ألا أغيب دقيقة واحدة، لأمنعكم، يا ناس، من تدمير عملي».

قال عامل البار: «اثنان سكرانان. منذ دخولهما عاملتهما ببرود. لكنهما لصقا مثل الذباب».

قالت امرأة: «لكن أنت يا دارلين. أرى أنك صرت صديقة حميمة لهما؟ تتلهين فوق الكراسي مع هاتين الشخصيتين؟»

شرحت دارلين: «هذا الشخص كان يسيء معاملة أمه».

«أمهات؟ أصبح لدينا أمهات الآن؟ بدأ الشغل يفسد».

قال أغناطيوس: «أستميحك العذر».

تجاهلته المرأة ونظرت إلى علبة الكعك الفارغة والمحطمة فوق البار: «بعضهم كان في نزهة هنا. سبق وحذرتكم. يا ناس من النمل والفئران».

قال أغناطيوس ثانية: «أستميحك العذر. أمي هنا».

«حظي أن أجد هذه القذارة منتشرة في الوقت الذي أبحث فيه عمن ينظف». ونظرت المرأة إلى عامل البار: «اطردهما».

«حاضر آنسة لي».

«لا تقلقي، سنغادر». وأضاف أغناطيوس: «مؤكد نحن مغادران» ومشى متثاقلاً نحو الباب تاركاً أمه خلفه تتكبد مشقة النزول من على كرسي البار: «هيا بسرعة يا أمي هذه المرأة تشبه قائداً نازياً يمكن أن تضربنا».

«تمهلا» صرخت الآنسة لي قابضة على كم أغناطيوس. «كم حساب هاتين الشخصيتين؟»

قال عامل البار: «ثمانية دولارات».

أرعد أغناطيوس: «هذه لصوصية! ستبلغين عن طريق محامينا».

دفعت السيدة رايلي قطعتين مما قد أعطاها الشاب وقالت وهي تتمايل مجتازة الآنسة لي: «نعرف متى يكون مرغوباً فينا. يمكن أن نحصل على ما نريد في مكان آخر».

«جيد» أجابت الآنسة لي: «انقلعا. التعامل مع أمثالكما هو قبلة الموت».

بعد أن انغلق الباب المترنح خلف آل رايلي قالت الآنسة لي: «ما أحببت الأمهات أبداً. ولا حتى أمي».

قال صاحب جدول السباق دون أن يرفع عينيه عنه: «أمي كانت عاهرة». وقررت الآنسة لي: «الأمهات محشوات بالقذارات» وخلعت معطفها «تعالي الآن يا دارلين لنتحدث».

في الخارج أمسكت السيدة رايلي بذراع ابنها تستعين به. لكن مهما حاولا فقد كان تقدمهما بطيئاً جداً، على الرغم من أنه بدا عليهما أنهما يتحركان جانبياً بشكل أسهل. وتطور مشيهما إلى نمط، ثلاث خطوات سريعاً يساراً، توقف، ثلاث خطوات سريعة يميناً، توقف.

قالت السيدة رايلي: «كانت امرأة رهيبة» وأضاف أغناطيوس: «نقيض لكل الصفات الإنسانية. بالمناسبة كم تبعد السيارة؟ أنا تعب جداً».

«عند سانت آن. يا حبيبي، مسافة قصيرة».

«تركت قبعتك في الملهى».

«أوه. بعتها لذاك الشاب».

«بعتها؟ لماذا؟ هل سألتني إن كنت أريد أن تباع؟ كنت شديد التعلق بتلك القبعة».

«آسفة يا أغناطيوس. لم أكن أعلم أنك تحبها. لم تقل شيئاً من ذلك».

«كان تعلقي بها صامتاً. إنها صلة وصل بطفولتي، وسيلة اتصال بالماضي».

«لكنه أعطاني بها خمسة عشر دولاراً، أغناطيوس».

«رجاء. لا تتفوهي بشيء عن ذلك بعد الآن. الموضوع برمته تدنيس للمقدسات. الله يعلم أية استخدامات مشينة سيجدها لهذه القبعة. هل هي معك الدولارات الخمس عشرة؟»

«لا يزال معي سبعة».

«إذن لماذا لا نتوقف ونأكل شيئاً ما؟» وأشار أغناطيوس إلى عربة عند الزاوية. كانت على شكل قطعة نقانق على عجلات. أظن أنهم يبيعون القطعة بطول قدم».

«نقانق؟ يا عزيزي، في هذا البرد والمطر نقف ونأكل لقماً».

«هي فكرة».

«لا» قالت السيدة رايلي بشيء من الشجاعة البيرية «هيا إلى البيت. لن آكل شيئاً في الخارج من هذه العربات الوسخة على أية حال. يعمل عليها كلها عصابة من مشردين».

«على مزاجك كيفك» قال أغناطيوس ماطاً شفتيه «رغم أنني جائع. أنت بعت، على كل حال واحدة من لحظات طفولتي بثلاثين من الفضة، كما يقال».

تابعاً نمط خطواتهما على رصيف شارع بوربون. وعند سانت آن وجدا سيارة البليموث بسهولة. كان سقفها أعلى من جميع السيارات الأخرى، أفضل مزاياها. كان من السهل العثور على البليموث في مواقف السيارات الخاصة بالمخازن. تسلقت السيدة رايلي الرصيف مرتين محاولة قسر السيارة على الخروج من الموقف وخلفت أثراً مصدم البليموث ١٩٤٦ على غطاء سيارة الفولسفاغن من الخلف.

«أعصابي!» قال أغناطيوس وقد غاص في المقعد بحيث لم يظهر منه غير ياقة قبعة الصيد وكأنها بطيخة واعدة. ومن المقعد الخلفي، حيث يجلس دائماً، فقد قرأ في مكان ما أن المقعد المجاور للسائق أكثر الأمكنة خطراً، أخذ ينظر في مناورة أمه القاسية والغرة. «أظن أنك شوهت السيارة الصغيرة تشويهاً بالغاً والتي ركنها صاحبها ببراءة خلف هذا الباص، من الأفضل أن تفلحي في الخروج من هذه البقعة قبل أن يظهر صاحبها.

«اخرس أغناطيوس. هي تثير أعصابي» قالت السيدة رايلي وهي تنظر إلى قبعة الصيد من مرآة السائق.

نهض أغناطيوس فوق المقعد ونظر من النافذة الخلفية.

«تلك السيارة حطام كلي. شهادة السوق. إن كان لديك واحدة حقاً، ستسحب منك وأنا بالطبع لن ألومهم».

«تمدد ونم» قالت له أمه والسيارة تترنح راجعة ثانية.

«أتظنين أني أستطيع النوم الآن؟ أنا خائف على حياتي. أمتأكدة أنك تحركين المقود بشكل صحيح؟»

وفجأة قفزت السيارة من مكان الوقوف وانزلقت عبر الشارع المبلل نحو عارضة كانت تسند شرفة من الحديد المشغول. سقطت العارضة جانباً وطحنت البليموث البناء.

صرخ أغناطيوس من الخلف: «يا إلهي. ماذا فعلت الآن؟»

«استدع راهباً».

«لا أظن أنا جرحنا، يا أمي، على كل، أضررت بمعدتي لأيام».

انزل أغناطيوس نافذة خلفية ومحّص في المصدم المضغوط على الجدار:

«أظن أننا سنحتاج إلى ضوء أمامي من هذه الجهة. يخيل إلي..»

«ماذا سنفعل؟»

«لو كنت أسوق، لجعلت السيارة في وضع سليم وتراجعت برشاقة مغادراً المكان. لأن أحداً ما سيطالب بتعويض. لا بد أن مالكي هذا البناء ينتظرون فرصة كهذه منذ سنين. أو لعلهم رشوا الزيت على الشارع بعد حلول الليل أملاً في انحراف سائق نحو كوخهم». تجشأ «لقد ساء هضمي. أعتقد أني بدأت انتفخ».

عدلت السيدة رايلي وضع مسنن السرعة وتراجعت ببطء.

ومع تحرك السيارة تصاعدت أصوات شظايا الخشب فوق رأسيهما، شظايا حولت إلى ألواح ترتطم بالمعدن ثم انهارت الشرفة جزءاً تلو جزء مرعدة فوق السيارة التي كانت كأنها تقصف بقنابل يدوية. توقفت السيارة مثل كائن مرجوم وحطم الحديد المشغول نافذتها الخلفية.

«حبيبي هل أنت بخير؟» سألته السيدة رايلي بعد ما ظهر أنه القصف الأخير. ثم توسلت إليه: «قل شيئاً أغناطيوس» والتفتت في الوقت المناسب لترى أغناطيوس قد أخرج رأسه من النافذة وبدأ يتقيأ على طرف السيارة المحطمة.

كان الشرطي مانكوزو سائراً ببطء في شارع شارترز وقد ارتدى بنطال راقص باليه وسترة صفراء. الزي الذي قال عنه الرقيب أنه سيمكنه من القبض على شخصيات مشبوهة أصيلة، بدل الأجداد والأولاد المنتظرين أمهاتهم. كان هذا الزي عقاباً من الرقيب. وقد أخبر مانكوزو أنه منذ الآن سيوكل إليه بدقة مهمة القبض على الشخصيات المشبوهة، وأن لدى قيادة الشرطة مستودعاً للملابس يمكنه أن يكون شخصية جديدة كل يوم. ارتدى الشرطي مانكوزو بتعاسة البنطال الضيق أمام الرقيب الذي دفعه خارج المخفر وقال له إما أن ينصلح حاله أو يخرج من السلك.

مضت ساعتان على تجواله في الحي الفرنسي ولم يقبض على أحد. بدت الأمور مبشرة مرتين. استوقف رجلاً يرتدي قبعة وسأله سيجارة لكن الرجل هدده بالقبض عليه. ثم اعترض شاباً يرتدي معطفاً مطرياً ويضع على رأسه قبعة نسائية، لكن الشاب صفعه على خده وانطلق.

وبينما كان الشرطي مانكوزو سائراً في شارع شارترز يحك خده من أثر الصفعة، سمع ما خيل إليه أنه انفجار. وأمل أن تكون شخصية مشبوهة قد ألقت قنبلة أو أحداً أطلق النار على نفسه وركض باتجاه الزاوية عند سانت آن ورأى قبعة الصيد الخضراء تقذف القيء بين الخرائب.

- ٢ -

كان أغناطيوس يكتب على أحد دفاتره الرئيسية الكبيرة:

(مع سقوط نظام العصور الوسطى بسطت آلهة الفوضى والجنون والذوق الفاسدة هيمنتها.

بعد فترة تمتع فيها العالم الغربي بالنظام والسكينة والوحدة والتوحد مع إلهه الحق وثالوثه، هبت رياح تغيير سحرت أيام الشر القادمة. رياح لا تجلب الخير لأحد. سنوات أبيلارد، وتوماس أبيكيت، وإفري مان النورانية عميت بالخَبَث، دارت عجلة الحظ فورتونا على الإنسانية، محطمة تَرْقوتها، ساحقة جمجمتها، لاوية جذعها، ثاقبة حقويها، مبئسة روحها. ما إن بلغت الإنسانية العلاء حتى ارتدت إلى الحضيض. وما كان وقفاً على الروح أصبح الآن معروضاً للبيع).

حدث أغناطيوس نفسه: «هذا جميل!» وتابع كتابته العجلى:

(أحكم التجار والمحتالون سيطرتهم على أوروبا، مطلقين على أنجيلهم المغوي «التنوير». كان يوم الجراد على وشك القدوم، لكن من رماد الإنسانية لم تنبعث أية عنقاء. ارتحل الفلاح التقي المتواضع بيير بلاومان، إلى المدينة ليبيع أطفاله لسادة النظام الجديد، لأغراض يمكن أن نقول عنها في أحسن الأحوال إنها موضع شك. (انظر رايلي، أغناطيوس. ج. الدم على أيديهم، جريمتها كاملة، دراسة عن بعض شرور مختارة في أوروبا القرن السادس عشر، دراسة معمقة، صفحتان، ١٩٥٠، غرفة الكتب النادرة الدهليز الأيسر، الطابق الثالث. مكتبة هوارد تيلتون التذكارية، جامعة تيولين نيو أورلينز ١٨ لويزيانا. ملاحظة: أرسلت هذه الدراسة هدية بالبريد، وعلى كل حال لست متأكداً أنها قبلت، وقد تكون أهملت لأنها كتبت بالقلم الرصاص على ورق دفتر) الدوّامة اتسعت. أصفاد الوجود الهائلة تعض ككثير من مشبكات الورق جمعها إلى بعضها بعض مخبول مهذار، الموت، الدمار، الفوضى، التقدم، الطموح، وتقويم الذات. كل ذلك أصبح قدر بيير الجديد وإنه لقدر أثيم: والآن هو مواجه بضلالة أن عليه أنه يعمل).

تلاشت رؤياه التاريخية موقتاً، فرسم أنشوطة في أسفل الصفحة. ثم رسم مسدساً وصندوقاً كتب عليه بعناية وبحروف كبيرة (غرفة غاز). حك طرف القلم أعلى وأسفل الصفحة وعنون ذلك بالقيامة. حين فرغ من تزيين الورقة رمى بالدفتر على الأرض فوق الدفاتر الأخرى المتناثرة. فكر أن صباحه كان خصباً، فهو لم ينجز مثل هذا الإنجاز منذ أسابيع. نظر أغناطيوس إلى عشرات الدفاتر المبعثرة حول السرير كأنها دثار هندي، وفكر باعتداد بأن فوق أوراق هذه الدفاتر المصفرة وأسطرها العريضة بذور دراسة رائعة في التاريخ المقارن. هي مضطربة طبعاً. لكنه في يوم ما سيتولى مهمة صياغة هذه الأجزاء من ذهنه ويجعل منها أحجية صور مقطعة رائعة التصميم. وسترى الأحجية المكتملة المثقفين المجرى الكارثي الذي أخذه التاريخ في القرون الأربعة الماضية. لقد أنتج في السنوات الخمس التي ندب فيها نفسه لهذا العمل وسطياً ست فقرات في الشهر. إنه لا يستطيع حتى أن يتذكر ما قد كتب في بعض هذه الدفاتر. تبين أن عددا منها ملئ بصورة رئيسية برسوم عبثية.

لكن أغناطيوس قال لنفسه: إن روما، على كل حال، لم تبن في يوم واحد.

رفع أغناطيوس قميص نومه الصوفي إلى أعلى ونظر إلى بطنه المنتفخ. وهو غالباً ما ينتفخ عند الاستلقاء صباحاً في السرير متأملاً الانعطاف المشؤوم الذي أخذته الأحداث منذ حركة الإصلاح. خطرت بذهنه دوريس دي وباصات غري هاوند السياحية، فإنها تحدث مزيداً من التوسع في منطقته الوسطى. لكن منذ محاولة القبض عليه وحادثة السيارة فإنه ينتفخ بلا سبب على الإطلاق، انغلق بواب معدته بشدة وبلا تمييز مالئاً معدته بغاز محصور، غاز ذي شخصية وكيان استاء من ولادته. وتساءل، ربما كان هذا البواب على شاكلة كساندرا يحاول أن يخبره بشيء. مثلما اعتقد القرون الوسطى أن بروتا فورتونا، أو عجلة الحظ هي المفهوم المركزي (لدوكونسولاسيون فيلوسوفيا)، العمل الفلسفي الذي وضع أساس فكر العصور الوسطى. لقد قال بوتيس الفقيه، الذي كتب الكونسولاسيون، حين سجنه الإمبراطور ظلماً: إن آلهة عمياء تدور بنا على عجلة، مما يجعل خطنا في دوائر. هل كانت محاولة

القبض عليه بداية دائرة سيئة؟ أكانت عجلته تدور بسرعة نحو الأسفل؟ والحادثة أيضاً كانت إشارة سيئة، كان أغناطيوس قلقاً. فبوينيوس رغم كل فلسفته تعرض للتعذيب والقتل. انغلق بواب أغناطيوس مرة أخرى فاستدار على جنبه الأيسر ليضغط عليه كي ينفتح.

«آه. فورتونا، أيتها الآلهة الطائشة العمياء. أنا مشدود إلى عجلتك» ثم تجشأ «لا تسحقيني تحت عجلتك. ارتقي بي إلى العلاء والألوهية».

«ماذا تغمغم يا ولد؟» سألته أمه من خلف الباب المغلق.

رد أغناطيوس غاضباً: «أنا أصلي».

«الشرطي مانكوزو قادم اليوم ليراني بشأن الحادثة يستحسن أن تتلو من أجلي: السلام عليك يا مريم يا حبيبي».

غمغم متذمراً: «يا إلهي».

«جميل أن تصلي يا ولدي. كنت أتساءل ماذا تفعل وأنت مقفل على نفسك الباب كل هذا الوقت».

صرخ أغناطيوس: «اذهبي، رجاء. إنك تفسدين علي من نشوتي الدينية».

أحس وهو يتلوى إلى أعلى وأسفل وعلى جنبه بتجشؤه واثبة إلى حلقه لكنه حين فتح فمه مرتقباً صدرت تجشؤة ضئيلة فقط. كان للتلوي بعض الأثر الفيزيولوجي. لمس أغناطيوس الانتصاب الصغير الذي ظهر تحت ملاءة السرير. أمسك به واضطجع هادئاً بفكر ماذا يصنع؟. فكر، وهو في تلك الوضعية، وقميص نومه الأحمر حول صدره، وكتلة بطنه متدلية على الفراش، وبشيء من الحزن أنه بعد ثمانية عشر عاماً مع هوايته بأنها أصبحت فعلاً آلياً وفيزيائياً صرفاً خالياً من الابتكار أو الخيال المجنح اللذين كان قادراً في السابق على إسباغهما عليها. كان في إحدى المرات أن يحولها إلى شكل فني، وقد مارس تلك العادة بمهارة وحماسة فنان، وفيلسوف، وعالم، وجنتلمان، ولا يزال في غرفته مخبأً عدد من الأدوات المساعدة، التي كان قد استعملها مرة، قفاز مطاطي، قطعة من قماش مظلة حريرية، دورق نوكسيما. إلا أن إعادة تلك الأشياء إلى مكانها بعد انتهاء كل شيء أصبح مثيراً للكآبة أخيراً.

أعمل أغناطيوس يده وركز. أخيراً ظهرت له رؤيا. الشكل المألوف لكلبه الضخم الأمين الذي كان حيوانه المنزلي وهو في المدرسة الثانوية «ووف!». تخيل أغناطيوس أنه سمع ركس ينبح ثانية «ووف. ووف. آرف» لقد بدا ركس حياً جداً. إحدى أذنيه مرخية. ركض لاهثاً. قفز شبحه فوق سور وطارد عصا وقعت بشكل ما على وسط لحاف أغناطيوس. وعند اقتراب الفرو الأبيض والأسمر أكثر اتسعت عينا أغناطيوس، واقتربتا إحداهما من الأخرى، ثم أغمضتا. ورقد بخمول فوق وسائده الأربع آملاً أن يكون لديه في غرفته بعض المناديل الورقية.



«جئت من أجل وظيفة الأجير التي أعلنتم عنها في الجريدة».

«نعم؟» ونظرت لانالي إلى النظارة الشمسية: «ألديك شهادات تزكية؟»

«الشرطي زكاني. قال لي من الأفضل أن أجد لقفاي عملاً مربحاً» قال جونز ذلك ونفث دخانه في الملهى الخالي.

«آسفة لا أريد شخصيات لها علاقة بالشرطة. ليس في عمل كهذا. عندي شغل أحرص عليه».

«لست شخصية تماماً حتى الآن. لكني أضمن أنهم سيبدؤون معي بمسألة البطالة. قالوا لي ذلك». وتحول جونز إلى سحابة «ظننت أن ليل الحبور يود أن يساعد شخصاً ليصبح عضواً في المجتمع، يساعد على إبقاء ولد ملون مسكين خارج السجن. أنا أتجنب دوريات الشرطة وأرفع ليل الحبور إلى مستوى الحقوق المدنية».

«كفّ عن هذا الهراء».

«حاضر...»

«عندك خبرة بواب».

«ماذا؟ الكناسة واللف والدوران وكل هذا الهراء الزنجي؟»

«انتبه لما تقول. عندي شغل نظيف».

«الجحيم! أي إنسان يفعل ذلك وخصوصاً الملونون».

«أنا أبحث» بدأت لانالي وقد أصبحت كأي مسؤول حازم: «عن الولد المناسب لهذه الوظيفة منذ عدة أيام». وضعت يديها في جيبي معطفها الجلدي وحدقت بالنظارة. هذه صفقة حقيقية كأنها هدية وضعت على عتبة بابها. شخص ملون يمكن أن يقبض عليه بتهمة البطالة إذا لم يشتغل. سيكون عندها أجير أسير يمكن أن تشغله تقريباً بدون أجر. شيء جميل. شعرت لانا بالراحة لأول مرة منذ أن التقت بالشخصيتين اللتين أثارتا الفوضى في ملهاها. «أجرك عشرون دولاراً في الأسبوع».

«يا سلام! لا عجب أنك لم تجدي الشخص المناسب... قولي ماذا حصل للحد الأدنى للأجور؟»

«أنت تريد شغلاً. صح؟ وأنا أريد أجيراً. الشغل يزنخ. خذ المسألة من هنا».

«لا بد أن آخر شخص عمل هنا مات من الجوع».

«تعمل ستة أيام في الأسبوع من العاشرة حتى الثالثة. إذا حضرت بانتظام، من يدري؟ يمكن أن يرتفع أجرك».

«لا تخافي. أجئ بانتظام. أي شيء يبعد قفاي عن الشرطة بضع ساعات» قال جونز ذلك نافثاً بعض الدخان على لانالي: «أين تضعين المكنسة المضاجعة لأمها؟»

«شيء واحد يجب أن تفهم، يجب أن تحسن ألفاظك هنا».

«نعم يا ست، لا أريد أن أعطي انطباعاً سيئاً عن مكان جميل مثل ليل الحبور».

انفتح الباب ودخلت دارلين مرتدية فستان سهرة من الساتان وقبعة مزينة بالزهور تنورتها تترنح برشاقة وهي ماشية.

صرخت عليها لانا: «لماذا تأخرت كل هذا الوقت.. قلت لك أن تكوني هنا في الواحدة اليوم».

«ببغائي أصيب ببرد ليلة أمس يا لانا. كان الأمر مزعجاً ظل مستيقظاً طوال الوقت وهو يسعل في أذني».

«من أين تأتين بهذه الأعذار؟»

«طيب، هذه حقيقة» أجابتها دارلين بصوت مجروح. وضعت قبعتها الكبيرة على البار وتسلقت أحد كراسيه، داخل سحابة نفثها جونز «كان علي أن آخذه للبيطري هذا الصباح ليعطيه إبرة فيتامين. لا أريد أن يسعل هذا الطائر المسكين فوق كل أثاثي».

«ماذا دخل في رأسك لتشجعي هذين الشخصين ليلة البارحة؟ كل يوم كل يوم دارلين أحاول أن أشرح لك نوعية الزبائن التي نريدها هنا. ثم أدخل وأراك تأكلين البراز على باري مع سيدة عجوز وروث سمين. أتريدين أن تعطلي شغلي؟ ينظر الناس من الباب، يشاهدون تشكيلة مثل تلك، يمشون إلى ملهى آخر. ماذا أفعل لأجلك تفهمين يا دارلين؟ كيف يمكن لإنسان أن ينفذ إلى عقل مثل عقلك؟»

«سبق أن قلت أني شعرت بالأسف على هذه المرأة المسكينة. لانا، كان يجب أن ترى كيف يعاملها ولدها. كان يجب أن تسمعي الحكاية التي حكاها لي عن باص غري هاوند. وكانت تلك السيدة العجوز جالسة كل الوقت وتدفع ثمن مشروبه. كان عليّ أن آخذ واحدة من كعكاتها لأشعرها بالراحة».

«حسناً، مرة ثانية: إن رأيتك تشجعين أناساً مثلهم وتفسدين علي شغلي سأرفسك على مؤخرتك. هل هذا واضح؟»

«نعم يا ست».

«أمتأكدة أنك فهمت ما قلت؟»

«نعم يا ست».

«حسناً، أري هذا الولد أين نحتفظ بمكانسنا ووسخنا. نظفي الأرض من الزجاجة التي كسرتها تلك المرأة، أنت مسؤولة عن جعل هذا المكان الملعون نظيفاً مثل حلية، جزاء ما فعلته ليلة أمس، أنا ذاهبة أتبضع». بلغت لانا الباب والتفتت «لا أريد أن يعبث أحد بالخزانة التي تحت البار».

قالت دارلين لجونز بعد أن تخطت لانا الباب: «أقسم أن هذا المكان أسوأ من الجيش. هل استأجرتك اليوم؟»

أجاب جونز: «نعم. لم تستأجرني بالضبط. هي اشترتني تقريباً من على البسطة».

«ستنال أجراً على الأقل. أنا أعمل هنا لقاء عمولة عما يشربه الناس. أتظن ذلك سهلاً؟ حاول أن تجعل أحداً يشتري أكثر من كأس واحدة من الشراب الذي يقدمونه هنا. كله ماء. إنها وظيفة قاسية. يجب على الواحد أن يدفع عشراً أو خمسة عشر دولاراً ليكون للشراب تأثير. أقسم أنها وظيفة قاسية. حتى أن لانا تضخ الماء في الشمبانيا. يجب أن تذوقها. ثم هي دائمة الشكوى حول فساد الشغل. يجب أن تشتري شراباً من هذا البار لتكتشف أنه حتى لو كان عندها حوالي خمسة أشخاص في البار فقط لحققت ثروة، الماء لا يكلف شيئاً».

«ماذا راحت تشتري؟ كرباج؟».

«لا تسألني. لانا لا تخبرني بشيء. هذه اللانا طريفة» وتمخطت دارلين بأناقة: «كل ما أريده هو أن أكون نادرة المثال. أنا أتدرب يومياً في شقتي. وإذا استطعت إقناع لانا بأن أرقص هنا في الليل، أمكن أن يصبح لي راتب منتظم وأتخلص من الغش بالماء لأخذ العمولة. آه الآن تذكرت، يجب أن أحصل عمولتي عما شربه أولئك الناس أمس. لا بد أن تلك العجوز شربت الكثير من البيرة. لا أرى ما يدفع لانا للشكوى الشغل شغل. لم يكن ذلك السمين وأمه أسوأ من كثيرين من رواد المكان. أظن أن ما أثار لانا هو تلك القبعة الخضراء المضحكة التي كان يضعها على رأسه. وينزل واقيتي الأذنين حين يتكلم ثم يرفعهما كي يسمع وعندما جاءت لانا كان الجميع يتذمرون منه فترك الواقيتين مفرودتين مثل جناحين. كان المنظر مضحكاً».

«قلت إن هذا الهر السمين يتمشى مع أمه؟» سألها جونز وهو يجري تداعيات عقلية. طوت دارلين منديلها ودسته في صدرها قائلة: «آمل فعلاً ألا يقررا العودة إلى هنا ثانية. سأكون حقاً في ورطة» وبدا على دارلين القلق «اسمع علينا أن نفعل شيئاً لهذا المكان قبل أن ترجع لانا. لكن لا ترهق نفسك بتنظيف هذه المزبلة. لم أر هذا الملهى نظيفاً منذ أتيت. والظلمة شديدة هنا

كل الوقت لن يستطيع أحد أن يميز. حين تسمع كلام لانا تظن أن هذا الجحر فندق الريتز».

نفث جونز سحابة جديدة، ولم يعد يستطيع أن يرى شيئاً خلف النظارة.



استمتع الشرطي مانكوزو بامتطاء دراجته النارية في شارع سانت تشارلز. لقد استعار من المخفر دراجة ضخمة وصاخبة. لونها أزرق وفضي تتحول بلمسة لمفتاح محركها إلى لعبة الكرة والأوتاد وتلتمع أنوارها وتختلج غمازتها حمراء وبيضاء. ولها صافرة يعادل صوتها زعيق اثني عشر قطاً هائجاً. كفيلة بجعل الشخصيات المشبوهة في دائرة قطرها نصف ميل تتبرز ذعراً وتسارع إلى الاختفاء. كان حب الشرطي للدراجة النارية شديد الأفلاطونية.

ومع ذلك كانت قوى الشر - المستحيل كشفها كما يظهر - التي تولدها الشخصيات المشبوهة في أوكارها الخفية، تبدو نائية عنه أصيل ذلك اليوم. تقوست أشجار السرو الهرمة في شارع سانت تشارلز مثل مظلة تحميه من شمس الشتاء الناعمة التي انتشرت وتلألأت على الدراجة الفضية رغم أن الطقس كان بارداً ورطباً في الأيام الأخيرة فقد كان لعصر ذلك اليوم دفء مفاجئ ومدهش يلطف شتاءات نيو أورلينز. استحسن الشرطي مانكوزو ذلك الطقس لأنه لم يكن يرتدي قميص قطني (تي شيرت) وبنطال برمودا وهو الزي الذي اختاره الرقيب له ذلك اليوم. وكانت اللحية الحمراء المثبتة على أذنيه بسلك قد تدبرت أمر تدفئة صدره قليلاً. كان قد انتزع اللحية من الدرج على غفلة من الرقيب.

استنشق الشرطي مانكوزو عبير السرو الناعم، وفكر برومانسية بأن شارع سانت تشارلز يجب أن يكون أحب مكان في العالم. كان يتجاوز بين وقت وآخر عربات الترام البطيئة المتهادية والتي تدن وكأنها تسير متنزهة نحو هدف غير محدد. تتابع طريقها عبر القصور العتيقة الجاثمة على جانبي الشارع. بدا كل شيء هادئاً جداً ومزدهراً جداً، وغير مشبوه أبداً. كان خارج وقت دوامه الرسمي ذاهباً إلى الأرملة رايلي. بدت مثيرة للشفقة وهي تبكي وسط ذلك الحطام. أقل ما يمكن أن يفعله هو أن يحاول مساعدتها.

انعطف عند شارع القسطنطينية نحو النهر مقرقعاً هادراً عبر ذاك الحي المتداعي، حتى وصل إلى كتلة بيوت مبنية ما بين ١٨٨٠ - ٩٠ آثار خشبية قوطية الطراز متشابهة يفصل ما بينها أزقة ضيقة تكاد عصا بطول ياردة تصل بينها، ومسيجة بأعمدة حديدية مدببة وجدران خفيضة من الآجر المتغضن. أما البيوت الأكبر فقد أصبحت أبنية شقق مرتجلة، وتحولت شرفاتها إلى غرف إضافية وفي بعض الباحات الأمامية أنشئت مواقف للسيارات من الألمنيوم ووضعت على نوافذ بناية أو بنايتين ستائر من الألمنيوم اللامع. كانت حياً تفسخ من العصر الفيكتوري إلى لا شيء محدد، كتلة انتقلت إلى القرن العشرين بإهمال ولا مبالاة - وبتمويل محدود جداً.

كان العنوان الذي يبحث عنه مانكوزو البناء الأضأل في تلك الكتلة، إلى جانب مواقف السيارات، قزماً تجاوز الثمانين. تهالكت على مقدمة الشرفة شجرة موز بنية هرمة أصابها الصقيع فبدت مستعدة للسقوط كما فعل السور الحديدي منذ زمن طويل.

كان قرب الشجرة الميتة كومة من التراب وصليب مائل مصنوع من الخشب الرقيق المغرّى، وكانت سيارة البليموث ١٩٤٦ متوقفة عند الباحة الأمامية ومصدمها مضغوط على الشرفة وأضواؤها الخلفية تسد الممشى الآجري. لكن فيما عدا البليموث والصليب الذاوي وشجرة الموز المحنطة، فإن الباحة الصغيرة كانت عارية تماماً، ليس فيها شجيرات، ليس فيها عشب، ولا عصافير تغني.

نظر الشرطي مانكوزو إلى سيارة البليموث ورأى التغضنات العميقة على سقفها ورفرافها الذي امتلأ بدوائر مقعرة وانفصل عن جسم السيارة مبتعداً ثلاثة أو أربعة إنشات. وكانت عبارة فان كامب بورك أندبينز مطبوعة بحروف كبيرة على قطعة من لوح خشبي ثبتت على ما كان نافذة خلفية، وحيث توقف عند القبر قرأ: ركس بحروف باهتة على الصليب. ثم صعد الدرجات الآجرية المهترئة. وسمع عبر درفات النوافذ المغلقة أغنية هادرة:

الصبايا لا يبكين

الصبايا لا يبكين

الصبايا لا يبكين إي إي

لا يبكين

الصبايا لا يبكين إي

وأثناء انتظاره من يرد على جرس الباب قرأ ملصقاً باهتاً على زجاج الباب «زلة شفة تغرق سفينة» وتحت العبارة رسمت موجة تضع أصابعها على شفتين مائلتين إلى الصفرة.

كان بعض الناس على شرفاتهم ينظرون إليه وإلى دراجته وكانت الستائر الأخرى التي أخذت تعلو وتنزل لتتيح رؤية جيدة تشير إلى أن هناك حضوراً غير مرئيين. فوجود دراجة شرطي في الحي حدث، وخاصة إذا كان راكبها يرتدي بنطالاً قصيراً ويضع لحية حمراء.

كانت المنطقة فقيرة ولا شك، إلا أنها شريفة. وفجأة عاد الشرطي مانكوزو إلى نفسه وقرع الجرس مرة أخرى، واتخذ ما يعتقد أنه وقفة منتصبة رسمية. أتاح لمشاهديه رؤية جانب وجهه المتوسطي لكن مشاهديه لم يروا سوى شكل ضئيل شاحب يتدلى منه ببلادة بنطال قصير ذي رجلين مغزليتين ظهرتا شديدتي العري مقارنة مع أربطة الحذاء الرسمي وجوارب النايلون المهدّلة عند كاحلي القدمين.

ظل المشاهدون فضوليين، لكن غير متأثرين. وكان بعضهم غير محب للاستطلاع وهؤلاء القلة قد توقعوا مثل ذلك المنظر يزور أخيراً هذا البيت المصغر.

طرق الشرطي مانكوزو الباب بوحشية.

الصبايا لا يبكين

الصبايا لا يبكين

صرخت امرأة عبر مصراعي نافذة المنزل المجاور الذي يشكل رؤيا معمارية من رؤى جي فولد المنزلية: «هم في البيت، يحتمل أن تكون الآنسة رايلي في المطبخ. ادخل من الخلف. من أنت يا سيد؟ شرطي؟»

أجاب الشرطي المتخفي مانكوزو بتأكيد: «نعم» ومرت لحظة من الصمت.

«من تريد الولد أم الأم؟»

«الأم».

«حسناً، فالولد لن تراه أبداً. هو الآن يشاهد التلفزيون؟ أتسمع هذا؟ إنه يدفعني إلى الجنون. لقد تلفت أعصابي».

شكراً الشرطي مانكوزو صوت المرأة، ومشى في الممر شديد الرطوبة، ووجد في الباحة السيدة رايلي تنشر ملاءة ملطخة ومائلة للصفرة على حبل معلق بين شجرتي تين عاريتين.

«آه. هذا أنت» قالت السيدة رايلي بعد لحظة كادت قبلها أن تشرع بالصراخ حين رأت الرجل يظهر في الفناء بلحيته الحمراء. «كيف حالك سيد مانكوزو؟ ماذا قال أولئك الناس» وخطت بحذر فوق آجرات الممر المكسورة بحذائها البني الخفيف. «تفضل إلى المنزل لنشرب القهوة».

كان المطبخ واسعاً وذا سقف عال وكان أكبر ما في المنزل ويعبق برائحة القهوة والجرائد العتيقة، ومعتماً مثل كل غرف المنزل، كان ورق الجدران الكامد والتزيينات الخشبية كافية لتحويل أية بقعة ضوء إلى قتام، وبشكل ما تسلل ضوء هزيل إلى الداخل. ومع أن ما في داخل البيوت لا يثير اهتمام الشرطي مانكوزو إلا أنه لاحظ مع ذلك، كما يمكن لأي كان أي يلاحظ، الموقد الأثري ذا الفرن العالي والثلاجة ذات المحرك المثبت في أعلاها. وتساءل وهو يفكر بالمقلايات الكهربائية والمجففات الغازية والخلاطات والخفاقات الآلية، وصحون الكعك وآلات الشواء ذات المحرك والتي كانت دائمة الطنين والطحن تخفق، تبرد، تهسهس، وتشوي في مطبخ زوجته ريتا الفضي، تساءل ماذا تفعل السيدة رايلي بهذه الغرفة. فكلما أعلن في التلفزيون عن إنتاج جديد كانت السيدة مانكوزو تبادر إلى شرائه مهما كانت استخداماته غامضة.

«الآن قل لي، ماذا قال الرجل؟» وبدأت السيدة رايلي في غلي دورق من الحليب فوق موقد الغاز دواردي الطراز «كم يجب أن أدفع؟ هل قلت له أنني أرملة فقيرة عندها ولد يجب أن تعيله؟»

«نعم قلت له ذلك» قال الشرطي مانكوزو وهو جالس منتصب الظهر على كرسيه وناظراً يتأمل طاولة المطبخ المغطاة بقماش زيتي. «هل تسمحين أن أضع لحيتي على الطاولة؟ الجو هنا حار نوعاً ما وهي تخز وجهي».

«بالتأكيد، افعل، يا حبيب. هاك خذ قطعة جلي (دونات) لقد اشتريتها للتو طازجة هذا الصباح من شارع ماغازين. قال لي أغناطيوس هذا الصباح: ماما أنا متأكد أني أشتهي الجلي (دونات). وهكذا ذهبت إلى عند الألماني واشتريت دزينتين منها. انظر لم يبق منها إلى القليل».

قدمت للشرطي مانكوزو علبة ممزقة وملطخة بالزيت بدا كأنها كانت عرضة لإساءة استخدام غير عادية، أثناء محاولة أحدهم أخذ كل ما فيها من الكعك فوراً ودفعة واحدة. واكتشف الشرطي مانكوزو قطعتين ذاويتين من الدونات واستنتج، بسبب أطرافها المبللة أنها ممصوصة.

«شكراً على أية حال آنسة رايلي تغديت غداء ثقيلاً».

«أوه يا عيب الشوم» ملأت فنجانين حتى النصف بقهوة ثقيلة باردة وصبت الحليب المغلي حتى الحافة «أغناطيوس يحب الدونات. يقول لي: «ماما أحب الدونات».» رشفت السيدة رايلي قليلاً من فنجانها «هو الآن يشاهد التلفزيون في البهو. في عصر كل يوم، تماماً مثل المطر، يجلس ليشاهد عرض فرقة الأولاد الراقصة».

كانت الموسيقى في المطبخ أخفض إلى حد ما مما كانت عليه على الشرفة، ووقعت عينا الشرطي مانكوزو على قبعة الصيد الخضراء تستحم بالوهج الأزرق والأبيض لشاشة التلفزيون. «هو لا يحب العرض أبداً، ولكنه لا يدعه يفوته. يجب أن تسمع ما يقوله عن هؤلاء الأولاد المساكين».

«حدثت الرجل هذا الصباح» بدأ الشرطي مانكوزو آملاً أن تكون السيدة رايلي قد استنفذت موضوع ولدها.

«نعم؟» ووضعت ثلاث ملاعق سكر في قهوتها مثبتة الملعقة بإبهامها في الفنجان مما شكل تهديداً بأن تخرق الملعقة عينها، رشفت رشفة أخرى: «ماذا قال يا حبيب؟»

«قلت له: إني تفحصت الحادثة وإنك انزلقت على الشارع المبلل».

«هذا ظريف. ثم ماذا قال عند ذلك. يا حبيب؟»

«قال إنه لا يريد اللجوء إلى المحكمة ويرغب بتسوية الآن».

«آه يا إلهي» صاح أغناطيوس من مقدمة المنزل «أية إهانة فاضحة للذوق السليم».

«لا تبال به» نصحت السيدة رايلي الشرطي المرتبك. «إنه يفعل ذلك كلما نظر إلى التلفزيون. تسوية، هذا يعني أنه يريد بعض المال أليس كذلك؟»

«بل حتى أنه أتى بمتعهد لتخمين الخسائر. خذي، هذه هي التقديرات».

أخذت السيدة رايلي الورقة وقرأت العمود المطبوع بالآلة الكاتبة لمفردات الأرقام المبوبة والمدونة تحت اسم المتعهد.

«يا الله. ألف وعشرون دولاراً. هذا مريع كيف سأدفع ذلك؟» رمت التخمين فوق قماش الطاولة «أمتأكد أن هذا صحيح؟»

«نعم يا سيدتي وعنده محام يتابع المسألة وسيرتفع المبلغ أكثر وأكثر».

«من أين لي أن أحصل على ألف دولار؟ كل ما معي ومع أغناطيوس هو راتب الضمان الاجتماعي الهزيل، ومعاش تقاعدي ضئيل والمجموع ليس بالكثير».

«أمعقول هذا الضلال الذي أشاهد؟» صرخ أغناطيوس عبر البهو. كان للموسيقى إيقاع بدائي مسعور، وصدحت جوقة ذات أصوات عالية بالغناء عن الحب طيلة الليل.

«آسف» قال الشرطي مانكوزو، وقد كاد قلبه ينفطر على أزمة السيدة رايلي المالية.

«أوه. ليست غلطتك يا عزيزي» ثم تابعت مكتئبة: «قد أستطيع الحصول على قرض وأرهن البيت. ألا نستطيع أن تفعل شيئاً تجاه هذا الأمر؟»

«لا يا سيدتي» أجاب الشرطي مانكوزو وهو يستمع إلى ما يشبه وقع أقدام قطيع هائج.

«يجب أن يخنق أولاد هذا البرنامج بالغاز» قال أغناطيوس، موسعاً خطاه إلى المطبخ بقميص نومه. عندئذ لاحظ وجود الضيف وقال: «أوه».

«أغناطيوس أنت تعرف السيد مانكوزو. سلّم عليه».

«أظن أني رأيته في مكان ما» قال أغناطيوس ونظر إلى الخارج من الباب الخلفي.

كان الشرطي مانكوزو شديد الجفل من منظر قميص النوم الوحشي كيما يرد على مزحة أغناطيوس.

«أغناطيوس حبيبي. الرجل يريد ألف دولار لما فعلته ببنائه».

«ألف دولار؟ لن يحصل على سنت واحد. يجب أن نحيله إلى المحاكمة فوراً. أمي. اتصلي بمحامينا».

«محامينا؟ لقد حصل على تقديرات من متعهد يقول السيد مانكوزو هنا، ليس لدينا ما يمكن أن نفعله».

«حسناً إذن يجب أن تدفعني».

«يمكن أن نلجأ إلى المحكمة. أتظن أن ذلك أفضل».

«سوّاقة مخمورة» قال أغناطيوس بهدوء «لا فرصة لديك».

بدا على السيدة رايلي الاكتئاب.

«لكن يا أغناطيوس ألف وعشرون دولاراً!»

«أنا على يقين أنك قادرة على تدبير بعض المال. هل تبقى شيء من القهوة أم أنت قدمت آخرها لهذا المقنع الكرنفالي؟»

«يمكن أن نرهن البيت».

«نرهن البيت؟ طبعاً لا يمكن».

«ماذا يمكن أن نفعل إذن، أغناطيوس».

«هناك وسائل» قال أغناطيوس في غيبوبة «ليتك لا تزعجيني بهذا. ذاك البرنامج زاد من قلقي على كل حال» شم الحليب قبل أن يسكبه في الركوة «اقترح الاتصال بالبقالية بالهاتف فوراً. هذا الحليب ليس طازجاً».

«يمكن الحصول على ألف دولار على البيت» قالت السيدة رايلي بهدوء للشرطي الصامت «البيت ضمانة جيدة. عندي سمسار عرض علي سبعة آلاف السنة الماضية».

«المفارقة في ذلك البرنامج» قال أغناطيوس عند الموقد محافظاً على إحدى عينيه مفتوحة لكي يمسك بالإناء فور بدء الحليب بالغليان «أيفترض أن يكون ذلك قدوة لشباب أمتنا؟ إني تواق لمعرفة ماذا يمكن أن يقول آباؤنا المؤسسون لو رأوا هؤلاء الأولاد المدفوعين إلى الفسق. على كل حال كنت دائماً على يقين من أن الديموقراطية ستؤدي إلى هذا» صب الحليب في كوزه المرسوم عليه صورة شيرلي تمبل «يجب أن تُخضع أمتنا لقانون صارم قبل أن تدمر نفسها. الولايات المتحدة بحاجة إلى ألوهية وهندسة، إلى بعض الذوق واللياقة، أظن أننا نترنّح على شفير الهاوية».

«أغناطيوس يجب أن أسعى بمسألة الرهن غداً».

«لن نتعامل مع هؤلاء المستغلين». كان أغناطيوس يتلمس وعاء الكعك.

«سنجد طريقة ما».

«أغناطيوس. حبيبي يمكن أن يحبسوني».

«إذا كنت ستقومين بأحد أدوارك الهستيرية فعليّ أن أذهب إلى غرفة الجلوس. والواقع أني سأفعل».

صرخ ثانية باتجاه الموسيقى وأخذ يخبط بقدميه بقوة عند الحمام.

«ماذا أفعل مع ولد كهذا؟» سألت السيدة رايلي الشرطي مانكوزو «لا يهتم بأمه المسكينة. أحياناً أظن أن أغناطيوس لا يمانع إذا ألقوا بي في السجن، هذا الولد، له قلب من جليد».

«أنت أفسدته» قال مانكوزو «على المرأة أن تنتبه كي لا يفسد أبناؤها».

«كم طفلاً لديك يا سيد مانكوزو؟»

« ثلاثة، روزالي وأنطوانيت وأنجيلو الابن».

«أوه! أليس هذا جميلاً. أراهن أنهم لطفاء أليس كذلك ليسوا مثل أغناطيوس» هزت السيدة رايلي برأسها «كان أغناطيوس طفلاً نادراً، لا أدري ما غيّره اعتاد القول: ماما أحبك. لم يعد يقول ذلك أبداً».

«لا تبكي» قال الشرطي مانكوزو متأثراً بعمق «سأغلي لك بعض القهوة».

«إنه لا يهتم لو حبسوني» قالت السيدة رايلي وهي تتهدج. فتحت الفرن وأخرجت منه زجاجة خمر موسكات: «أترغب ببعض النبيذ الجيد سيد مانكوزو؟»

«لا شكراً، أنا في السلك. يجب أن أترك انطباعاً جيداً لدى الآخرين ويجب أن أكون منتبهاً دائماً».

«أعندك مانع؟» سألت السيدة رايلي بفصاحة. ورشفت رشفة طويلة من الزجاجة. أخذ الشرطي مانكوزو يغلي الحليب ويدور حول الموقد كأنه في دارة. «أحياناً أحس بالكآبة. الحياة صعبة. عملت بجد، وكنت طيبة».

«انظري إلى الجانب المضيء» قال الشرطي مانكوزو.

«أظن ذلك» قالت السيدة رايلي «بعض الناس تواجههم صعوبات أكثر مني، مثل بنت عمي المسكينة. امرأة رائعة. كانت تذهب إلى القداس كل يوم من أيام حياتها. دهستها حافلة ترام في شارع المخزن في الصباح الباكر في أحد الأيام وهي في طريقها إلى قداس فيشرمان، كان الظلام لا يزال مخيماً».

«شخصياً لا أسمح لنفسي بالانهيار» قال الشرطي مانكوزو كاذباً «يجب أن تنظري إلى أعلى. أتدركين ما أعني؟ أنا في عمل يعرضني للخطر».

«يمكن أن نتعرض للقتل».

«أحياناً لا أقبض على أحد طيلة اليوم. وأحياناً أقبض على الشخص الخطأ».

«مثل ذلك الشخص عند د. هـ. هولمز. كانت تلك غلطتي سيد مانكوزو. كان علي أن أقدر أن أغناطيوس كان على خطأ. هذه عادته. دائماً أقول له: أغناطيوس البس هذا القميص الجميل. ضع عليك هذه السترة الجميلة التي اشتريتها لك. لكنه لا يسمع. هذا الولد. له رأس مثل صخرة».

«أنا أيضاً تقع لي مشاكل في البيت أحياناً. مع ثلاثة أولاد. وزوجة عصبية».

«الأعصاب شيء مزعج، مسكينة الآنسة آني جارتنا، أعصابها متوترة باستمرار تصرخ لأن أغناطيوس يثير ضجة».

«تضطرني زوجتي أحياناً إلى الخروج من البيت. لو كنت صنفاً آخر من الرجال لاندفعت للسكر. الكلام بيننا».

«أنا أضطر لبعض الشراب. أحياناً؟ إنه يشفيني من الكآبة».

«أنا ألجأ للعبة البولنغ».

حاولت السيدة رايلي تصور الشرطي مانكوزو حاملاً كره البولنغ وقالت:

«أنت تحب البولنغ أليس كذلك؟»

«البولنغ رائعة يا آنسة رايلي. تشغلك عن كثير من الأمور».

«أوه. يا للسماء» صاح صوت من البهو «هاته البنات بغايا حتماً كيف يقدمن مثل هذه الأشياء المرعبة للجمهور؟»

«ليت لي هواية مثلها».

«يجب أن تجربي البولنغ».

«إي، إي. إي، أنا عندي داء المفاصل في كوعي. كبرت على اللعب بالكرات. كما أن ذلك قد يؤذي ظهري».

«لي عمة في الخامسة والستين. جدة. تلعب البولنغ. بل هي عضو في فريق».

«بعض النسوة كذلك. أما أنا فما هويت الرياضة».

«البولنغ أكثر من رياضة». قال الشرطي مانكوزو وبعدوانية «هناك تجتمعين بالناس في الحلبة، أناس طيبون يمكن أن تجعلي من بعضهم أصدقاء».

«لكن لحظي قد أوقع الكرة على قدمي. قدماي متعبتان سلفاً».

«المرة القادمة سأخبرك حين أذهب إلى الحلبة. سآتي بعمتي معي. سنذهب أنت وأنا وعمتي، جميعاً إلى الحلبة أوكي؟»

«أمي متى غليت هذه القهوة؟» سأل أغناطيوس هاجماً على المطبخ ثانية.

«منذ ساعة تقريباً لماذا؟»

«لابد أن طعمها كريه».

«وجدتها جيدة جداً» قال الشرطي مانكوزو. «جيدة تماماً مثل التي يقدمونها في السوق الفرنسي. أغلي الآن مزيداً. أتريد فنجاناً؟»

«أسألك الصفح» قال أغناطيوس «أمي. هل ستسامرين هذا السيد طيلة بعد الظهر؟ أود أن أذكرك بأني سأذهب إلى السينما هذا المساء وأنه يجب أن أكون هناك في السابعة تماماً لأشهد أفلام الكرتون. واقترح أن تبدئي بتحضير شيء ما للأكل».

«الأفضل أن أذهب» قال الشرطي مانكوزو.

«أغناطيوس أستح» قالت السيدة رايلي بصوت غاضب.

«أنا والسيد مانكوزو نشرب القهوة. كنت بذيئاً طيلة بعد الظهر. لا تهتم من أين أجيء بالمال. لا تهتم إذا حبسوني. لا تهتم بشيء».

«هل سأهاجم في عقر داري أمام غريب بلحية مزيفة؟»

«قلبي يتقطع!»

«آه حقاً!» والتفت أغناطيوس إلى الشرطي مانكوزو «هلا تلطفت وذهبت؟ أنت تحرض أمي».

«لم يفعل السيد مانكوزو شيئاً سوى أنه كان لطيفاً».

«من الأفضل أن أذهب» قال الشرطي مانكوزو معتذراً.

«سأحصل على المال» صرخت السيدة رايلي «سأبيع هذا البيت سأبيعه من تحتك يا ولد. وسأقيل في بيت المسنين».

شد طرف غطاء الطاولة ومسحت عينيها.

قال أغناطيوس للشرطي مانكوزو الذي كان يعلق لحيته على وجهه:

«إن لم تغادر فسأدعو الشرطة».

«إنه الشرطة يا غبي».

«هذا كله عبث. أنا ذاهب إلى غرفتي» وانطلق أغناطيوس.

صفق بابه والتقط دفتراً كبيراً من على الأرض وألقى بنفسه فوق السرير بين الوسائد وبدأ يعبث بقلم رصاص فوق صفحة آخذة بالاصفرار. وبعد ثلاثين دقيقة أمضاها في شد شعره ومضغ قلم الرصاص بدأ بتأليف فقرة:

(لو أن هروسويتا بيننا اليوم، للجأنا جميعاً إليها طلباً للمشورة والرشاد. من صرامة عالمها عالم القرون الوسطى وهدوئه، ستطرد هذه الأسطورية

سيبيل الراهبة المقدسة بنظرتها النافذة، الرعب الذي يتجسد أمام أعيننا تحت اسم التلفزيون. لو أننا وضعنا حدقة واحدة لهذه المرأة المقدسة إلى جانب قناة تلفزيون وكانتا كلتاهما من الشكل نفسه والتصميم نفسه فأي انبهار بصري يمكن أن ينبعث من قطبي الكهرباء ستتحلل صور هؤلاء الأولاد الشهوانيين الدائرين حول أنفسهم إلى كثير من الأيونات والجزيئات. وتعطي تلك الوسيلة مفعول التطهير الذي تتطلبه بإلحاح مأساة إغواء البريء).

وقفت السيدة رايلي في الصالة تنظر إلى لافتة «الرجاء عدم الازعاج» المكتوبة بأحرف كبيرة على ورقة دفتر والمثبتة على الباب بلاصق بلون اللحم. وصرخت:

«أغناطيوس. دعني أدخل. يا ولد» فقال أغناطيوس من خلف الباب:

«أدعك تدخلين إلى هنا؟ طبعاً لن أفعل. أنا مشغول في هذه اللحظة بمقطع رائع البلاغة».

«دعني أدخل».

«تعرفين أنه غير مسموح لك بالدخول إلى هنا».

خبطت السيدة رايلي الباب.

«لا أدري ما بك يا أمي لكني أشتم أنك في جنون مؤقت والآن وأنا أفكر في الأمر ينتابني خوف من أن أفتح الباب. قد يكون معك سكين أو زجاجة خمر مكسورة».

«افتح هذا الباب. أغناطيوس». وأنّ أغناطيوس عالياً:

«آه، بابي إنه ينغلق. أأنت راضية الآن خريتني حتى نهاية هذا المساء».

ألقت السيدة رايلي بنفسها فوق الخشب غير المدهون:

«طيب لا تكسري الباب» قال أخيراً. وبعد لحظات انسحب المزلاج. وفتح الباب.

«أغناطيوس ما كل هذه الزبالة على الأرض؟»

«ما ترينه هو رؤيتي للعالم. لا تزال بحاجة إلى تجميع في وحدة، لذا انتبهي عند كل خطوة».

«وكل هذه الستائر مسدلة! لا يزال الوقت نهاراً».

«وجودي ليس خالياً من عناصره البروستية» قال أغناطيوس من على السرير الذي عاد إليه بسرعة. «آه معدتي».

«الرائحة هنا مزعجة».

«حسناً ماذا تتوقعين؟ حين يكون الجسم البشري حبيساً تصدر عنه روائح خاصة نميل لنسيانها في عصر مزيلات الروائح وغيرها من الضلالات. في الواقع أجد جو هذه الغرفة مريحاً. كان شيللر بحاجة إلى رائحة التفاح المعفن على مكتبه ليكتب. أنا أيضاً لي احتياجاتي. ولعلك تتذكرين أن مارك توين كان يفضل أن يتمدد على السرير منبطحاً، وهو يؤلف هذه الأعمال المملة والعتيقة، التي يحاول العلماء المعاصرون أن يبرهنوا أنها ذات معنى. إن تبجيل مارك توين واحد من جذور مأزقنا الثقافي المعاصر».

«لو أني أعرف أن الحالة كذلك لكنت هنا منذ وقت طويل».

«في الواقع لا أدري لم أنت هنا الآن، أو ما الذي دفعك إلى غزو محرابي. أشك في أنه سيبقى على حاله بعد فوضى تدخل روح غريبة».

«جئت لأكلمك يا ولد. ارفع وجهك من بين هذه الوسائد».

«لا بد أن هذا تأثير ممثل القانون السخيف. يظهر أنه جعلك تنقلبين على فلذة كبدك. بالمناسبة لقد رحل ألم يرحل؟»

«نعم، واعتذرت له عن طريقتك في التصرف».

«أمي، أنت تنفين فوق دفاتري. هلا تفضلت وابتعدت قليلاً. ألا يكفيك أنك خربت هضمي لتخربي ثمرات دماغي أيضاً؟»

«أين سأقف أغناطيوس؟ أتريد أن أجلس على الفراش معك؟» سألت السيدة رايلي غاضبة.

«راقبي خطواتك من فضلك» أرعد أغناطيوس «يا إلهي لم يحدث أبداً أن هوجم أحد بشكل شامل وحربي وحوصر هكذا. على أية حالة ما الذي دفعك إلى هنا في هذه الحالة من الجنون المطلق؟ أيكون ذلك من نتن الخمرة الرخيصة التي تهاجم منخري؟»

«لقد قررت. سوف تخرج وتبحث لنفسك عن عمل».

أوه! أية دعابة سافلة تلعبين عجلة الحظ بها؟ التوقيف، الحادثة، العمل. أما لهذه الدائرة المفزعة من نهاية؟

«فهمت..» قال أغناطيوس بهدوء «بما أني أعرفك عاجزة بالفطرة عن الوصول إلى قرار بهذه الأهمية، فإني أتخيل أن ذاك المنغولي ضابط القانون، هو الذي وضع ذلك في رأسك».

«أنا والسيد مانكوزو تحدثنا كما تعودت أن أتحدث مع أبيك وبابا اعتاد أن يقول لي ما أفعل. ليته كان حياً اليوم».

«أبي والسيد مانكوزو متشابهان في أنهما يعطيان الانطباع بأنهما غير منطقيين، على كل حال، أعتقد أن ناصحك الحالي هو من النوع الذي يظن أن كل شيء سيكون على ما يرام، لو عمل كل فرد بشكل دائم».

«السيد مانكوزو يعمل بدأب. وعمله شاق جداً».

«أنا على يقين من أنه يعيل عدداً من الأطفال غير المرغوب فيهم، والذين يأملون أن يكبروا ليصبحوا شرطة حتى البنات فيهم».

«عنده ثلاثة أولاد رائعين».

«يمكن أن أتخيل ذلك» وبدأ أغناطيوس يثب في مكانه ببطء «أوه!».

«ماذا تفعل؟ أتعبث ثانية بهذه البوابة؟ لا أحد غيرك عنده بوابة. أنا ما عندي بوابة».

«لكل بوابة» صرخ أغناطيوس «وبوابتي ببساطة أكثر تطوراً. إني أحاول أن أفتح طريقاً نجحت أنت بسده. لا بد أنه سينسد بشكل دائم. هذا كل ما أعرف».

«يقول السيد مانكوزو إنك إن اشتغلت تمكنت من مساعدتي في الدفع لذاك الرجل. يقول إنه يظن أن الرجل يمكن أن يأخذ المال بالتقسيط».

«صديقك الشرطي يقول كثيراً. أنت تخرجين الناس من جلودهم، كما يقولون. ما ظننت أنه ثرثار هكذا أبداً، أو أنه قادر على تقديم رأي سديد كهذا. ألا تدركين أنه يحاول تدمير بيتنا؟ لقد بدأ بذلك لحظة محاولته

القبض علي أمام د. هـ. هولمز. بالرغم من أنك محدودة التفكير جداً لتعي ذلك، يا أمي، هذا الرجل هو خصمنا الرهيب. إنه يدير عجلتنا إلى أسفل».

«عجلة؟! السيد مانكوزو رجل طيب. يجب أن تسر لأنه لم يحبسك».

«في رؤيتي النبوئية الخاصة تكون هراوته هي خازوقة. على كل حال، أن أحصل على عمل مسألة لا يمكن تصورها. أنا مشغول جداً بعملي في هذا الوقت وأشعر أني داخل في موضوع خصب. لعل الحادثة أطلقت العنان وحررت فكري. مهما كانت الظروف فقد أنجزت كمية كبيرة اليوم».

«يجب أن ندفع لذاك الرجل أغناطيوس. أتريد أن تراني في السجن؟ ألن تخجل بأمك المسكينة وهي خلف القضبان؟»

«هلا تفضلت بالتوقف عن الحديث عن السجن؟ يبدو أن الفكرة استولت عليك. يظهر أنك تستمتعين بالتفكير فيها. الاستشهاد أمر بلا معنى في هذا العصر».

تجشأ بهدوء «يمكن أن أقترح بعض الإجراءات الاقتصادية في هذا البيت وسترين قريباً وبشكل ما أنه سيكون معك المبلغ المطلوب».

«كل المال أصرفه عليك، للطعام، وكل شيء».

«لقد عثرت على عدة زجاجات خمر مؤخراً من النوع الذي لا أتعاطاه بالتأكيد».

«أغناطيوس!»

«أخطأت وأشعلت الفرن يوم أمس قبل أن أتفحصه كما يجب. حين فتحته ووضعت فيه البتزا المجمدة، كدت أصاب بالعمى بسبب زجاجة خمر كانت تشوى بالفرن وتستعد للانفجار. أقترح أن تحولي بعض هذه الأموال التي تصبينها في صناعة الخمور».

«يا عيب الشؤم أغناطيوس. بضع زجاجات من خمرة غالو موسكانل، وأنت مع كل هذه التوافه؟»

«هل تفضلت بتحديد معنى توافه؟» ردّ أغناطيوس بحدة.

«كل كتبك هذه، هذا الغرامافون، والبوق الذي اشتريته لك الشهر الماضي».

«أعد البوق استثماراً جيداً، رغم أن جارتنا المس آني لا ترى ذلك. إن صرخت على نوافذي ثانية فسأصب عليها الماء».

«غداً سننظر في الإعلانات عن عمل في الجريدة. ستلبس ثياباً لائقة. وتبحث لنفسك عن عمل».

«أخاف أن أسألك عن فكرتك حول الثياب اللائقة. ربما سأتحول إلى مادة مضحكة».

«سأكوي لك قميصاً جميلاً أبيض. وستضع إحدى ربطات عنق والدك الجميلة».

«هل أصدق ما أسمع؟» سأل أغناطيوس وسادته.

«إما ذلك أغناطيوس، وإما أن أرهن البيت. لا تريد أن تخسر السقف الذي على رأسك».

«لا لن ترهني هذا البيت» وضرب بقبضته الغليظة على ملاءة السرير «سينهار كل مفهوم الأمان الذي أحاول أن أبنيه في هذا البيت. لن أقبل بشريك مهمل يتحكم بداري. لا أتحمل ذلك. مجرد التفكير فيه يجعل جلد يدي يطفح» ومد إحدى يديه ليمكّن أمه من تفحص الطفح، وتابع:

«هذا أمر غير قابل للمناقشة. إنه يثير كل دواعي قلقي وأخشى أن النتيجة ستكون بشعة حقاً. أنت لا تريدين أن تقضي بقية أيام عمرك ترعين مجنوناً محجوراً عليه في مكان ما في السقيفة. لن نرهن البيت. لابد أن لديك بعض المال في مكان ما».

«عندي مائة وخمسون في مصرف هايبيرفيا».

«يا إلهي. أهذا كل شيء؟ لم يخطر لي أبداً أننا نعيش في ظل هذا الخطر. على كل حال، من حسن الطالع أنك أخفيت عني ذلك لو أني عرفت مدى قربنا من حافة الإملاق لتلفت أعصابي منذ زمن طويل» حك أغناطيوس يده، «علي أن أقر مع ذلك، بأن البديل عندي مقيت. أشك بجدية، في أن يوظفني أحد.

«ماذا تعني، يا صبي؟ أنت ولد ظريف وثقافتك جيدة».

«أصحاب العمل يحسون في رفضاً لقيمهم» والتفت ثانية مديراً ظهره «إنهم يخشونني. ويخامرني شعور بأنهم يدركون أنني مجبر على العمل في قرن أنفر منه تلك حقيقة حتى حين عملت في مكتبة نيوادرلينز العامة».

«لكن أغناطيوس تلك المرة الوحيدة التي اشتغلت بها منذ تخرجت من الكلية. وبقيت فيها أسبوعين فقط».

«هذا ما أعنيه تماماً» أجاب أغناطيوس، وهو يرمي كرة ورقية على صحن الثريا الزجاجية البيضاء.

«كل ما فعلته هو لصق قصاصات على الكتب».

«نعم، لكن لي جمالياتي الخاصة في لصق القصاصات. في بعض الأيام ألصق ثلاثة أو أربعة قصاصات وفي الوقت نفسه أشعر بالاكتفاء بالنوعية في عملي. لقد استاء المسؤولون في المكتبة من الكمال في كل شيء. كانوا يريدون حيواناً آخر يدلق الصمغ فوق كتب القصص عالية الرواج».

«أتظن أنه يمكن أن تحصل على وظيفة هناك مرة أخرى؟»

«أشك في الأمر. في ذلك الوقت قلت كلاماً حول قصّ أشياء للمرأة المسؤولة عن قسم المعالجة. حتى إنهم أبطلوا بطاقتي الخاصة بالإعارة. يجب أن تدركي الذعر والكراهية اللذين تزرعهما فلسفتي الخاصة حول الغاية من العالم ككل في الشر». تجشأ أغناطيوس «لا أريد ذكر الرحلة المضللة إلى باتون روج. أعتقد أن تلك الواقعة قد أدت إلى سد عقلي ضد العمل».

« كانوا لطفاء معك في الكلية، أغناطيوس. الآن قل الصدق. تركوك تتسكع هناك زمناً طويلاً. حتى أنهم تركوك تعلم صفا ».

« أوه. من حيث الجوهر كان الأمر نفسه. أخبر أحد البيض المساكين من الميسيسبي العميد أنني داعية للبابا، الأمر الذي كان عارياً عن الصحة، أنا لا أدعم البابا الحالي. إنه لا يتناسب مطلقاً مع مفهومي عن البابا الصالح المؤهل للثقة. في الواقع أنا أعارض النسبية في الكاثوليكية الحديثة بشكل عنيف. على أية حال لقد قادت قحة أحمر الرقبة المعصوم ذاك. طلابي إلى تشكيل لجنة تطالب بأن أصحح وأعيد لهم موضوعاتهم وأوراق امتحاناتهم المكدسة. حتى إنه تجمعت مظاهرة صغيرة خارج نافذة مكتبي.

لقد كانت مؤثرة إلى حد ما. فقد نظمها هؤلاء الصبية الجهلاء الأغرار بشكل جيد. وفي ذروة التظاهرة رميت كل الأوراق العتيقة - غير مصححة طبعاً - من خارج النافذة على رؤوس الطلبة. كانت الكلية أصغر من أن تقبل هذا الفعل الدفاعي ضد جحيم الأكاديميا».

«أغناطيوس، لم تخبرني أبداً بذلك».

«لم أرغب في إثارتك في ذلك الحين. قلت أيضاً للطلاب إنه لمصلحة مستقبل الإنسانية أتمنى لو أنهم كانوا جميعاً عقيمين». رتب أغناطيوس الوسائد حول رأسه. «لم أستطع أن أتفهم الجهل والأمية اللذين تتضح بهما العقول السوداء لهؤلاء الطلاب».

«يمكن أن تحصل على عمل جيد. انتظر حتى يروا ولداً معه ماجستير».

تنهد أغناطيوس بعمق وقال: «لا أرى بديلاً» وحوّل وجهه إلى قناع من المعاناة. لا فائدة من مقارعة عجلة الحظ حتى تتوقف للدائرة «أنت تدركين طبعاً، أن ذلك كله خطؤك. سيتأخر تقدم عملي بشكل كبير. أقترح أن تذهبي إلى كاهن الاعتراف: يا أمي، وتكفري عن ذنوبك. اقطعي له عهداً أن تتجنبي درب الخطيئة والسكر في المستقبل. حدثيه عن عاقبة سقوطك الأخلاقي. أخبريه بأنك أخرت إتمام لائحة هامة ضد مجتمعنا. لعله يدرك شدة ضعفك. لو كان من نوعية الرهبان التي أفضل. فلا بد أن تكون الكفارة صارمة ولا شك. على كل حال تعلمت أن أتوقع القليل من رجال دين هذه الأيام».

« سأصير صالحة أغناطيوس، سترى».

«طيب، طيب، سأجد وظيفة ما، بالرغم من أنها لن تكون بالضرورة ما يمكن أن تسميه عملاً جيداً. لعل لدي من نفاذ البصيرة ما يعود على صاحب العمل بالفائدة. ولعل التجربة تُكسب كتابتي بعداً جديداً. فانخراطي بفاعلية في النظام الذي أنتقد سيكون بحد ذاته سخرية مسلية». تجشأ أغناطيوس بصوت عال «لو أن ميرنا مينكوف ترى إلى أية درجة انحططت».

«ماذا تفعل هذه الفتاة الآن؟» سألت السيدة رايلي مرتابة.

«صرفت عليك المال الكثير لتذهب إلى الكلية. فتتعرف على شخص مثلها».

«لا تزال ميرنا في نيويورك مسقط رأسها. لاشك في أنها تهين الشرطة لتدفعهم إلى اعتقالها في مظاهرة ما في هذه اللحظة».

«صحيح أنها كانت تثير أعصابي بعزفها على غيتارها في كل أنحاء البيت ولكن لو كان لديها مال كما قلت كان يمكن أن تتزوجها. كنتما استقررتما وصار عندكما طفل أو شيء ما».

«هل أصدق أن هذا الفحش وهذه القذارة صادران من بين شفتي أمي أنا؟» صرخ أغناطيوس «أسرعي وحضري لي عشاء. يجب أن أكون في السينما في الوقت المحدد. هناك عرض لموسيقى السيرك، فيلم أعلن عنه طالما انتظرت رؤيته. غداً سندرس إعلانات طلب عمال».

«أنا فخورة جداً أنك ستعمل أخيراً» قالت السيدة رايلي بتأثر وقبلت ابنها في مكان ما من شاربيه الرطبين.



حدث جونز نفسه حين اهتز الباص وألقى به أمام المرأة الجالسة أمامه «طبعاً تظن أني سأغتصبها لأني ملون. تكاد تلقي بمؤخرتها خارج النافذة. لن أغتصب أحداً».

ابتعد عنها بحذر، وصالب رجليه متمنياً لو كان بإمكانه أن يدخن في الباص. تساءل من يا ترى ذاك القط السمين في القبعة الخضراء الذي ملأ المدينة فجأة: أين يا ترى ستظهر تلك الأم السمينة مرة ثانية؟ كان هناك شيء غامض يلف القبعة الخضراء الشاذة.

«حسناً، سأذهب إلى ذاك الشرطي لأخبره أني حصلت على عمل، وأنحيه عن ظهري سأخبره أني التقيت بإنسانة خيرة تدفع لي عشرين دولاراً في الأسبوع. سيقول: ظريف يا ولد أنا مسرور بأنك استقمت، وسأقول: طبعاً، وسيقول: ربما ستصبح عضواً في المجتمع: أنا الآن زنجي حقيقي. لا عاطل عن العمل. زنجي فقط. أي تغيير حدث؟»

شدت العجوز حبل الجرس ونهضت من المقعد جاهزة في ألا تكون على احتكاك بجسم جونز الذي كان يراها تتموج من خلال فاصل عدستيه الخضراوين.

«انظر إليها. تظن أني مريض بالسفلس والسل وأني عنيف سأقطعها بالموسى وأسرق محفظتها».

راقبت النظارة الشمسية المرأة النازلة من الباص لتخترق الجمع الواقف على موقف الباص. كانت مشاحنة تدور في مكان ما في آخر الجمع. رجل لف صحيفة على شكل عصا يضرب رجلاً آخر ذا لحية طويلة حمراء يرتدي بنطال برمودا قصيراً. بدا له ذو اللحية مألوفاً. أحس جونز بالقلق. أولاً كان هناك شبح القبعة الخضراء والآن هذا الشخص الذي لم يميزه.

ابتعد جونز عن النافذة حين فرّ ذو اللحية الحمراء وفتح مجلة لايف التي قدمتها له دارلين. كانت دارلين على الأقل مبهجة له في ليل الحبور. وقد اشتركت بمجلة لايف لغايات تحسين الذات. وهي في إعطائها المجلة لجونز كانت توحي له بأنه قد يجدها عوناً له أيضاً. حاول جونز أن يشق عباب مقالة حول التورط الأميريكي في الشرق الأقصى لكنه توقف في منتصف الطريق، كيف يمكن لشيء كهذا أن يكون عوناً لدارلين في أن تصبح فريدة، الهدف الذي كانت تكرره، دائماً، عاد إلى صفحة الإعلانات، ففيها الأشياء التي تروقه في المجلات. كانت مجموعات الإعلانات في هذه المجلة فاخرة. استظرف إعلان التأمين على الحياة وصورة البيت الجميل الذي اشتراه زوجان على التو. ومستحضر ياردلي للحلاقة الذي يجعل الرجال يبدون منتعشين ومرفهين. هكذا تستطيع المجلة أن تكون عوناً له. أراد أن يبدو كهؤلاء الرجال.



حين تدور عجلة الحظ بك نحو الأسفل، فعليك بالذهاب إلى السينما والاستمتاع بالحياة. هذا ما كان سيحدث أغناطيوس نفسه به، إلا أنه تذكر أنه يذهب إلى السينما كل مساء تقريباً، أياً كانت الجهة التي تدور نحوها عجلة الحظ.

جلس في ظلمة صالة براتيانيا بانتباه في صف قريب من الشاشة، يملأ جسمه المقعد ويفيض على المقعدين المجاورين. ركز معطفه على المقعد الأيمن

وثلاثة أكياس من البوشار واثنين مساعدين وكانت الأكياس مغلقة ببراعة في أعلاها لتحافظ على حرارة البوشار ونضارته، أكل أغناطيوس بشاره المتدفق وتفرس جذلاً بملخصات العروض القادمة. بدا له أحد هذه الأفلام من السوء بما يكفي أن يبعده عن براتيانيا بضعة أيام. ثم توهجت الشاشة بألوان براقة. وزأر الليث وبرق اسم الفيلم على الشاشة أمام عينيه المعجزتين الصفراوين. تجمد وجهه وأخذ كيس البشار يهتز. كان عند دخوله الصالة قد زرّر واقيتي الأذنين أعلى القبعة والآن تهاجم موسيقى الفيلم الحادة أذنيه العاريتين من مجموعة من المكبرات. أصغى إلى الموسيقى مكتشفاً أغنيتين شعبيتين كان يكرهما بصفة خاصة، وأعمل نظره في أسماء العاملين في الفيلم ليكتشف أية أسماء من العاملين تسبب له الغثيان عادة.

حين انتهى عرض الأسماء، لاحظ أغناطيوس أن عدداً من الممثلين، ومؤلف الموسيقى والمخرج ومصفف الشعر ومساعد المنتج كانوا جميعاً ممن آذته جهودهم مرات عديدة في الماضي، ثم ظهر بالألوان منظر عدد من الممثلين الثانويين يدورون حول خيمة سيرك. درس بشغف الجمع ووجد البطلة واقفة قرب مشهد استعراض.

صاح أغناطيوس: «يا إلهي ها هي ذي».

التفت الأطفال في الصفوف التي أمامه وتفرسوا في وجهه، لكن أغناطيوس لم يلاحظهم. كانت العينان الزرقاوان الصفراوان تتابعان البطلة، التي كانت تحمل بمرح سطل ماء إلى ما بدا أنه فيل.

حين رأى أغناطيوس الفيل قال: «هذا سيكون أسوأ مما قدّرت».

قرب كيس البشار الفارغ من شفتيه المكتنزتين ونفخه وانتظر، عيناه تلمعان بالألوان المنعكسة عليهما. الكيس المنفوخ وشريط الفيلم الممتلئ بالمفاجآت بالكمانات. كانت البطلة وأغناطيوس يفتح كل منهما فمه في وقت واحد، هي في أغنية وهو في أنين. والتقت في الظلمة يدان مرتعشتان بعنف. انفجر كيس البشار وأحدث دوياً. وصرخ الأطفال.

«ما هذه الضجة؟» سألت امرأة ركن الحلوى المدير.

«هو هنا الليلة» أخبرها المدير مشيراً عبر الصالة إلى الظل الثقيل عند أسفل الشاشة. مشى المدير في المعبر بين المقاعد نحو الصفوف الأمامية حيث كان الأطفال الضاجون يزدادون ضراوة. ذلك أن خوفهم تبدد فأخذوا يتنافسون في الصراخ. أصغى أغناطيوس إلى تلك الأصوات والقهقهات المريعة محدقاً بارتياح من وجاره المظلم. استطاع المدير ببعض التهديدات الخفيفة تهدئة الصفوف الأمامية ثم نظر خلفهم إلى الصف الذي برز فيه شكل أغناطيوس المعتزل مثل وحش عظيم بين الرؤوس الصغيرة. وكانت العينان المشعتان تحت مقدمة القبعة الخضراء تتابعان البطلة وفيلها عبر الشاشة العريضة وإلى داخل خيمة السيرك.

كان أغناطيوس هادئاً نسبياً لبرهة ويتجاوب مع الحبكة المكتشفة بالشخير المكتوم المعتاد. كانت البطلة في المقدمة على أرجوحة السيرك. تتأرجح إلى الأمام والخلف على أنغام الفالس. ضحكت وقد ملأ وجهها الشاشة. فأخذ أغناطيوس يتفحص أسنانها بحثاً عن الفجوات والحشوات. مدت إحدى ساقيها. فمسح أغناطيوس بسرعة بعينيه الساق ليرى ما فيها من عيوب. أخذت تغني عن المحاولة وتكرار المحاولة حتى النجاح وارتعش أغناطيوس بعد أن اتضحت فلسفة الأغنية درس قبضتها على الأرجوحة على أمل أن تسجل آلة التصوير سقوطها المميت فوق نثارة الخشب في القاع.

ومع المقطع الثاني للأغنية شارك جميع الطاقم بالغناء بشبق بتسمين النجاح المطلق وهم يتأرجحون ويتدلون ويحلقون.

« يا إله السموات!» صاح أغناطيوس غير قادر على ضبط نفسه أبعد من ذلك. تساقط البشار على قميصه نحو ثنيات بنطاله «أي انحلال أنتج هذا الإجهاض؟»

«اخرس» قال أحدهم من خلفه.

«انظر فقط إلى هؤلاء الحمقى الضاحكين لو أن هذه الأسلاك تنقطع» وخشخش أغناطيوس بالحبات المتبقية من البشار في آخر كيس معه. «حمداً لله أن هذا المشهد انتهى».

بدأ مشهد عاطفي يتطور فنهض من مقعده وترنح في الممشى نحو ركن الحلوى ليشتري مزيداً من البشار، لكن حين عاد إلى مقعده، كان الكيانان القرمزيان الضخمان يتهيآن لقبلة. أعلن أغناطيوس من فوق رؤوس الأطفال:

«لابد أن رائحة فمهما كريهة، أكره أن أفكر بالأمكنة الداعرة التي كان بها هذان الفمان من قبل» فقالت امرأة الحلوى للمدير باقتضاب: «يجب أن تفعل شيئاً. إنه في أسوأ حالاته».

تنهد المدير واتجه في الممشى نحو أغناطيوس الذي كان يتمتم: «آه، يا إلهي لا بد أن لسان كل منهما فوق أسنان الآخر النخرة».



- ٣ -

ترنح أغناطيوس فوق آخر الممر نحو البيت، وصعد الدرجات بألم، وقرع الجرس. ذوى أحد أغصان شجيرة الموز وسقط متيبساً فوق غطاء سيارة البليموث.

حين فتحت السيدة رايلي الباب صرخت: «أغناطيوس حبيبي ما الأمر؟ تبدو على وشك الموت».

«بوابي معدتي انسد في الترام».

«يا إلهي ادخل بسرعة من البرد».

جرجر أغناطيوس نفسه ببؤس نحو المطبخ وسقط على كرسي.

«عاملني مدير العاملين في شركة التأمين بكثير من المهانة».

«لم تحصل على الوظيفة؟»

«طبعاً لم أحصل على الوظيفة».

«ماذا حدث؟!»

«لا أريد أن أناقش هذه المسألة».

«هل ذهبت إلى الأمكنة الأخرى؟»

«بالتأكيد لا. هل أبدو في حالة يمكن أن تعجب أصحاب العمل؟ كان لدي من نفاذ البصيرة لآتي إلى البيت بأسرع ما يمكن».

«لا تحزن يا غالي».

«أحزن؟ أظن أني لا أشعر أبداً بالحزن».

«لا تكن سمجاً لا تتغالظ. ستحصل على وظيفة لطيفة، ليس لك إلا أيام قليلة في البحث». قالت أمه ذلك ونظرت إليه «أغناطيوس هل كنت ترتدي هذه القبعة حيت تكلمت مع رجل التأمين؟»

«طبعاً كنت أرتديها. كان ذلك المكتب رديء التدفئة. لا أدري كيف يتمكن موظفو تلك الشركة من البقاء أحياء وهم يعرضون أنفسهم لذلك البرد يوماً بعد يوم. ثم كانت هناك أنابيب الإنارة تشوي أدمغتهم وتعميهم. لم أحب المكتب أبداً. حاولت أن أشرح عيوب المكان لمدير العاملين لكنه بدا غير مهتم.

الخلاصة كان شديد العدوانية». وأصدر تجشؤة عالية «على كل حال. قلت لك أن الأمر سيكون كذلك. أنا مفارقة تاريخية يدرك الناس ذلك ويكرهونه».

«يا إلهي، يا حبيبي يجب أن تتعالى».

«أتعالى؟» كرر أغناطيوس بوحشية «من ذا الذي زرع بذور هذه الزبالة غير الطبيعية في ذهنك».

«السيد مانكوزو».

«آه، يا إلهي! كان علي أن أعرف ذلك. أليس هو مثالاً للتعالي!».

«يجب أن تسمع قصة حياة ذلك المسكين كلها . يجب أن تسمع ماذا يحاول الرقيب في المخفر أن يفعل...»

«توقفي» وغطى أغناطيوس إحدى أذنيه وضرب بقبضته على الطاولة «لن أسمع كلمة واحدة عن ذاك الرجل. لقد كان المانكوزيون عبر القرون أسباب نشوب الحروب وانتشار الأوبئة. فجأة تسكن روح هذا الرجل الشريرة هذا البيت. لقد أصبح لك مثل أسطورة سفينغالي».

«أغناطيوس تمالك نفسك».

«أرفض أن أتعالى. التعالي يدعوني إلى الغثيان. إنه ضلال. منذ سقوط الإنسان، كان وضعه المناسب وضعاً بائساً».

«أنا لست بائسة».

«بل بائسة».

«أنا لا».

«بل أنت».

«أغناطيوس، أنا غير بائسة ولو كنت كذلك لقلت لك».

«لو أني خربت أملاكاً خاصة وأنا مخمور وألقيت بولدي إلى الذئاب، لكنت أضرب على صدري وأعول. لكنت ركعت على ركبتي حتى تدميا تكفيراً. بالمناسبة ما الكفارة التي فرضها عليك الكاهن لذنوبك؟»

«ثلاثة من (السلام عليك يا مريم) وأربعة من (أبانا)».

«أهذا كل شيء» صرخ أغناطيوس «هل أخبرته بما صنعت، هل قلت له إنك أوقفت عملاً نقدياً ذا ألمعية عظيمة؟»

«ذهبت للاعتراف. أغناطيوس، أخبرت الأب بكل شيء. قال، لا تبدو لي أنها غلطتك. يبدو لي أنك انزلقت قليلاً فوق شارع مبلل. فحدثته عنك. قلت: «ولدي يقول إني أمنعه عن الكتابة في دفاتره. ظل يكتب في هذه القصة حوالي خمس سنين» فقال الأب: ماذا؟ لا تبدو لي مسألة هامة. قولي له أن يخرج من البيت ويذهب إلى العمل.

«لا عجب أني لا أقدر على دعم الكنيسة».

صرخ أغناطيوس «كان يجب أن تجلدي هناك على كرسي الاعتراف».

«غداً، أغناطيوس تجرب أمكنة أخرى، عندهم كثير من الوظائف في المدينة، كنت أحدث المس ماري لويز، السيدة العجوز التي تعمل عند الألمان. عندها أخ مشلول بسماعة، أطرش تقريباً. حصل على وظيفة جيدة في مصانع الإرادة الطيبة».

«ربما يجب أن أحاول هناك».

«أغناطيوس. يستأجرون هناك العميل والبله ليصنعوا المكانس وأشياء أخرى».

«أنا على يقين أنهم ظرفاء كزملاء في العمل».

«دعنا نر جريدة المساء. لعل لديهم وظيفة جيدة».

«إن كان عليّ أن أخرج غداً، فلن أغادر البيت مبكراً. شعرت بالارتباك طيلة الوقت الذي قضيته في المدينة».

«لم تخرج من هنا حتى بعد الغداء».

«مع ذلك. لم أكن أؤدي وظائف بشكل مناسب. عانيت من عدة أحلام سيئة البارحة. أفقت محطماً أتمتم».

«آه. اسع هذه، شاهدت هذا الإعلان في الجريدة كل يوم» قالت السيدة رايلي وهي تحمل الجريدة قريباً من عينيها «عمل نشيط ونظيف»...

«عامل نشيط ونظيف».

«مطلوب عامل نشيط. يعتمد عليه. طبع هادئ»...

«طبع هادئ هاتي الجريدة» قال أغناطيوس ذلك وشد الجريدة من أمه «من سوء الحظ أنك لم تنمي تعليمك».

«أبي كان فقيراً جداً».

«رجاءً! لا أستطيع تحمل تلك القصة الكئيبة مرة أخرى في هذا الوقت. مطلوب عامل نشيط ونظيف. طبع هادئ. يا الله أي نوع من الوحوش يريدون. أظن أني لن أستطيع أن أعمل لدى مؤسسة لها هذه النظرة إلى العالم».

«اقرأ البقية يا حبيبي».

«عمل مكتبي السن ٢٥ - ٣٥ سنة. تقدم الطلبات إلى بناطيل ليفي، اندستريالي كاتال أند ريفر، ما بين ٨ و٩ يومياً، حسناً هذه غير واردة. لا يمكنني أبداً أن أقطع كل هذا الطريق قبل الساعة التاسعة».

«حبيبي إذا كنت تريد أن تعمل يجب أن تفيق باكراً».

«لا يا أمي» وألقى أغناطيوس الجريدة على ظهر الفرن «إني أنظر إلى أعلى. لن أبقى على قيد الحياة في عمل من هذا النوع. أخمن أن شيئاً مثل توزيع الجرائد يمكن أن يكون مقبولاً».

«أغناطيوس. رجل ضخم مثلك لا يمكنه أن يتجول بدون دراجة ويوزع الجرائد».

«يمكن أن تسوقي لي السيارة وأرمي بالجرائد من النافذة الخلفية».

«اسمع يا ولد» قالت السيدة رايلي غاضبة «ستجرب غداً بعض الأمكنة. أنا جادة. أول ما سنفعل هو الرد على هذا الإعلان. أنت تلف وتدور. أنا أعرفك».

تثاءب أغناطيوس عارضاً حمرة لسانه المسطح «تبدو بناطيل ليفي أسوأ إن لم تكن الأسوأ من أسماء المؤسسات الأخرى التي تعاقدت معها. أرى أني بالتأكيد بدأت في شق طريقي في قاع سوق العمل منذ الآن».

«انتظر فقط، يا حبيبي، وستنجح».

«أوه يا إلهي».

صار لدى الشرطي مانكوزو فكرة جيدة أعطاها له دون جميع الناس أغناطيوس رايلي لقد هتف إلى منزل آل رايلي ليسأل السيدة رايلي متى

يمكنها الذهاب، إلى البولنغ معه ومع عمته، لكن أغناطيوس أجاب الهاتف وصرخ: «كفاك تحرشاً بنا أيها المنغولي. لو أن لديك شيئاً من حسن التقدير لكنت فتشت أوكاراً مثل ملهى الحبور الذي عوملت فيه وأمي الحبيبة معاملة سيئة وسرقنا. كنت لسوء الحظ فريسة فتاة من الدرجة الثانية شريرة ومفسدة. بالإضافة إلى أن صاحبة المحل نازية. نجونا بأنفسنا بشق النفس. اذهب واستقص عن تلك العصابة ودعنا وشأننا يا مخرب البيوت».

عندئذ صارعت السيدة رايلي وانتزعت الهاتف من ابنها.

سيسر الرقيب بمعرفة ما يدور في ذلك المكان. ويمكن أن يثني على مانكوزو للحصول على ترقية. وقف الشرطي مانكوزو أمام الرقيب وبعد أن تنحنح، قال: «جاءتني إخبارية عن مكان فيه بنات من الدرجة الثانية». سأله الرقيب:

«إخبارية؟ من قدم لك هذه الإخبارية؟»

قرر الشرطي مانكوزو عدم جر أغناطيوس إلى المسألة لأسباب عدة. واستقر عند السيدة رايلي. فأجاب:

«سيدة أعرفها».

«كيف صار لهذه السيدة أن علمت عن هذا المكان؟» سأله الرقيب. «من أخذها إليه؟»

لم يكن بمقدور الشرطي مانكوزو أن يقول «ابنها» فقد ينكأ هذا بعض الجراح. لم لا تسير الحوارات مع الرقيب بسلامة وأبداً دائماً؟

«كانت وحدها» قال أخيراً الشرطي مانكوزو محاولاً أن ينقذ المقابلة قبل أن تنقلب إلى مجزرة. صرخ الرقيب.

«سيدة كانت وحدها في مثل ذاك المكان. أي نوع من السيدات تكون! من المحتمل أن تكون هي نفسها بنتاً من الدرجة الثانية أخرج من هنا مانكوزو وأحضر لي شخصية مشبوهة. لم تحضر لي أحداً بعد. أنت مجند اليوم. انقلع».

انساق الشرطي مانكوزو نحو الخزائن بحزن متعجباً لم لم يستطع أبداً أن يفعل شيئاً بشكل صحيح للرقيب. وحين خرج التفت الرقيب إلى أحد الشرطة

السريين وقال «أرسل اثنين في إحدى الليالي لليل لحبور هذا. لا بد أن أحداً من البله بما فيه الكفاية ليتحدث مع مانكوزو. لكن لا تخبره لا أريد لهذا الأحمق أن يسجل أية نقطة. سيظل في زيه حتى يأتيني بشخص» قال الشرطي السري:

«أتعرف، وردتنا شكوى أخرى على مانكوزو اليوم من واحدة تقول إن شخصاً ضئيلاً يرتدي قبعة مكسيكية تحرش بها في الباص ليلة أمس».

«لا تمزح» قال الرقيب مفكراً «عال شكاوى أخرى من هذا النوع ونقبض على مانكوزو».

أضاء السيد غونزالز أنوار المكتب الضيق وأشعل مدفأة الغاز بجانب طاولته. لقد كان طيلة عشرين سنة التي عمل بها لدى بناطيل ليفي أول الواصلين كل صباح.

«كان الظلام سائداً حين وصلت إلى هنا هذا الصباح» كان السيد غونزاليز يرغب في أن يقول ذلك للسيد ليفي في إحدى المناسبات النادرة التي كان السيد ليفي يجبر فيها على زيارة بناطيل ليفي.

«لا بد أنك غادرت المنزل مبكراً» كان سيقول له السيد ليفي.

«كنت واقفاً على عتبة المكتب هذا الصباح أحادث موزع الحليب».

«أوه، اخرس، غونزالز هل أحضرت بطاقة لطائرة إلى شيكاغو للعبة البيرز مع الباكرز؟»

«دفّأت المكتب بينما كان الآخرون يأتون إلى العمل».

«أنت تبذر غازي. اقعد البرد، أنفع لك».

«أنجزت صفحتين من دفتر الأستاذ هذا الصباح حين كنت وحدي. انظر ضبطت فأراً قرب مبرد الماء. لم يكن يظن أن أحداً حوله، فضربته بثقالة الورق».

«أبعد هذا الفأر الملعون عني. أكتئب في هذا المكان بما يكفي. امسك الهاتف وقم بالحجوزات الفندقية لسباق الخيل».

كانت السوية لدى بناطيل ليفي هابطة. وكانت العجلة مبرراً كافياً للترفيه. أصبح السيد غونزالز مدير المكتب على رأس بضعة كتبة خاملين. لم يكن أبداً

قادراً على تذكر أسماء كتبته وطابعي الآلة الكاتبة. يتراءى له أحياناً أنهم يأتون ويذهبون يومياً، ما عدا المس تريكسي، المحاسبة المساعدة الثمانينية، التي كانت تطبع أرقاماً غير دقيقة في دفاتر ليفي المحاسبية منذ حوالي نصف قرن. وهي أيضاً تضع على رأسها ما يشبه مقدمة القبعة المصنوع من السيلولويد في طريقها من وإلى العمل مما رأى فيه السيد غونزالز تعبيراً عن ولائها لبناطيل ليفي. وفي الآحاد تضع قطعة السيلولويد على رأسها في طريقها إلى الكنيسة ظانة أنها قبعة. حتى لقد وضعتها في طريقها إلى جنازة أخيها ولكن نزعتها عن رأسها زوج أخيها الأكثر يقظة والأصغر منها سناً بقليل. ومع ذلك فإن السيدة ليفي قد أصدرت قراراً يحتفظ بالمس تركسي مهما كان الأمر.

مسح السيد غونزالز طاولته بخرقة وفكر، كما يفعل كل صباح في هذا الوقت حين يكون المكتب لا يزال بارداً ومهجوراً وحيث تلعب فئران المرفأ ألعابها المسعورة مع بعضها بعضاً داخل الجدران، فكر بالسعادة التي حققها له ذلك الارتباط مع بناطيل ليفي. كانت سفن الشحن المنسابة في النهر عبر الضباب المتصاعد تزأر الواحدة للأخرى. وكان صدى صوتها يتردد بين خزائن الملفات المهترئة في المكتب. وبجانبه أخذت المدفأة الصغيرة تفرقع وتقرقع مع تمدد أجزائها الآخذة بالسخونة. أصغى بلا وعي إلى كل تلك الأصوات التي كانت تفتتح يومه طوال عشرين سنة وأشعل أول سيجارة من العشر التي يدخنها كل يوم. وحين دخن سيجارته إلى آخرها أطفأها وأفرغ صحن الرماد في سلة المهملات. لقد كان دائماً يحب أن يثير إعجاب السيد ليفي بنظافة طاولته.

كان يلي طاولته طاولة المس تريكسي ذات الغطاء القلاب. ملأت الصحف القديمة كل الدروج المفتوحة إلى نصها. وما بين التكوينات الكروية من الكتان تحت الطاولة وضعت قطعة من الورق المقوى تحت إحدى زوايا الطاولة لتجعلها مستوية. وفي مكان المس تريكسي كان كيس ورقي بني مملوء بقطع من مواد عتيقة وكرة خيطان مصيص يحتلان المقعد. أعقاب السجائر تناثرت خارج صحن الرماد فوق الطاولة. وهذا سر لم يستطع السيد غونزالز حله

أبداً، لأن المس تريكسي لم تكن تدخن. لقد سألها عن ذلك عدة مرات ولكنه لم يتلق أبداً جواباً منطقياً. كان هناك شيء مغناطيسي في منطقة المس تريكسي. يجذب كل ما هو مرفوض في المكتب. وحينما تفقد أقلام أو نظارات أو محافظ نقود أو ولاعات فإنها عادة توجد في مكان ما من طاولتها. كما ادخرت المس تريكسي أيضاً كل أدلة الهاتف التي خزنت في درج مشوش من أدراج طاولتها.

كان السيد غونزالز على وشك أن يفتش منطقة الآنسة تريكسي بحثاً عن ختم المكتب. حين فتح باب المكتب ودلفت منه جارة نعليها المطاطيين على الأرضية الخشبية. كانت تحمل كيساً ورقياً آخر يبدو أنه يحتوي المجموعة نفسها من المواد والخيطان، إلى جانب الختم الذي كان يبرز في أعلى الكيس. لازالت المس تريكسي تحمل هذه الأكياس معها مدة سنتين أو ثلاث: وأحياناً تكدس ثلاثة أو أربعة إلى جانب طاولتها. دون أن تفضي لأحد بغرضها أو وجهتها.

«صباح الخير مس تريكسي» صاح بها السيد غونزالز بصوته الصادح المنفعل «كيف حالنا اليوم؟»

«أوه، من، مرحبا، غومز» قالت المس تريكسي بصوت خافت وانطلقت نحو دورة مياه السيدات كسفينة حولت العاصفة مجراها. لم تكن المس تريكسي شاقولية تماماً أبداً، تلتقي مع الأرض دائماً في زاوية أقل من تسعين درجة.

انتهز السيد غونزالز فرصة غيابها ليسترد ختمه من الكيس واكتشف أنه مغطى بما يشبه في ملمسه أو رائحته شحم الخنزير. وبينما كان يمسح الختم تساءل عن عدد العاقلين الذين سيحضرون اليوم لأنه في أحد الأيام منذ سنة خلت لم يقدم إلى العمل إلا هو والمس تريكسي، لكن ذلك حدث قبل أن تمنح الشركة زيادة خمسة دولارات شهرياً. ولا يزال العمال في بناطيل ليفي يتركون العمل غالباً حتى دون إشعار السيد غونزالز بالهاتف.

كان السيد غونزالز دائم القلق، وظل بعد وصول المس تريكسي يراقب الباب آملاً، خاصة الآن حيث يفترض في الشركة أن تبدأ الشحن لموسم الربيع والصيف حقيقة الأمر أنه كان متلهفاً.

رأى السيد غونزالز مقدمة قبعة خضراء خارج الباب. هل خرجت المس تريكسي من باب المصنع وقررت أن تعود للدخول من الباب الأمامي؟ هذه عادتها. ذهبت مرة إلى دورة مياه النساء في الصباح ووجدها السيد غونزالز بعد الظهر نائمة على كومة من بقايا القماش في سقيفة المصنع. ثم انفتح الباب ودخل المكتب واحد من أضخم الرجال الذين رآهم السيد غونزالز في حياته. نزع القبعة وكشف عن شعر كث ملصوق بجمجمته بالفازلين بتسريحة العشرينات، وحين انزاح المعطف رأى السيد غونزالز دوائر من الشحم مضغوطة تحت القميص الأبيض الضيق والمشطور عمودياً بربطة عنق مزهّرة. بدا أن الفازلين انتشر على الشاربين لأنهما كانا شديدي اللمعان. ثم كان هناك العينان الزرقاوان الصفراوان العجيبتان تتحلق حولهما أوردة وردية رقيقة. صلى السيد غونزالز بشكل مسموع تقريباً أن يكون هذا البوهيمي طالب عمل. لقد كان شديد التأثر والارتباك.

وجد أغناطيوس نفسه في أزرى مكتب دخله في حياته. كانت مصابيح الإضاءة العارية المتدلية بشكل غير منتظم من السقف المبقع تنشر ضوءاً ضعيفاً أصفر فوق الأرضية الخشبية. وقسمت خزائن الملفات العتيقة الغرفة إلى عدة أجزاء صغيرة، وعند كل واحدة منها طاولة مطلية بطلاء برتقالي غريب، ومن خلال نوافذ المكتب المغبرة كان هناك منظر رمادي لرصيف شارع بولندا ومحطة الجيش والميسيسبي وفي أقصى المنظر كان هناك أصفة الجيرز الجافة وأسطحها عبر النهر. دخلت عجوز طاعنة في السن من هنا إلى الغرفة وهي تعرج وانحسرت بين صف من خزائن الملفات. ذكر جو هذه الغرفة أغناطيوس بجو غرفته، ووافق بوابه معدته على ذلك بأن انفتح مبتهجاً. وصلى أغناطيوس بصوت مسموع تقريباً أن يقبل بالعمل. لقد كان شديد التأثر والارتباك.

«نعم؟» سأل الرجل النشيط عند الطاولة النظيفة مبتهجاً.

«أوه ظننت أن السيدة هي المسؤولة» قال أغناطيوس بصوته الجهير، وقد رأى في الرجل الآفة الوحيدة في المكتب «جئت استجابة لإعلانكم».

«أوه، رائع. أي منهما؟» صاح الرجل متحمساً «نشرنا اثنين في الصحيفة واحد لامرأة وواحد لرجل».

«أياً منها تظنني أجيب؟» سأل أغناطيوس متذمراً.

«أوه» قال السيد غونزالز بارتباك عظيم «آسف جداً، لم أكن أظن. أعني الجنس لا يهم. يمكن أن تتسلم أياً من العملين. أعني لا أضع الجنس في الاعتبار».

«من فضلك إنسَ الموضوع» قال أغناطيوس. ولاحظ باهتمام أن السيدة العجوز آخذة بالإغفاء على طاولتها. وبدت له ظروف العمل رائعة.

«تفضل، اجلس. ستأخذ المس تريكسي معطفك وقبعتك وتضعهما في خزانة الموظفين. نريدك أن تشعر أنك في بيتك في بناطيل ليفي».

«لكني لم أتحدث معك بعد».

«لا بأس. أنا متأكد أننا سنتفق في وجهات النظر. مس تريكسي. مس تريكسي!»

«من؟» صاحت المس تريكسي رامية منفضة السجائر الملأى على الأرض.

«سآخذ أغراضك» ضرب أغناطيوس السيد غونزالز على يده حين مدها إلى القبعة. إلا أنه سمح له. بأخذ المعطف «ما أجمل ربطة العنق هذه. لم نعد نرى إلا قليلاً منها».

«إنها لوالدي الراحل».

«آسف لسماع هذا» قال السيد غونزالز ووضع المعطف في خزانة معدنية رأى فيها أغناطيوس كيساً مثل الكيسين اللذين بجانب طاولة العجوز.

«بالمناسبة هذه المس تريكسي واحدة من أقدم موظفينا. ستسر بمعرفتها».

كانت المس تريكسي قد غرقت في النوم ورأسها الأبيض بين الصحف العتيقة على الطاولة.

«نعم». تنهدت المس تريكسي أخيراً «هذا أنت يا غوبيز. هل حان موعد الانصراف؟»

«مس تريكسي هذا واحد من عمالنا الجدد».

«ولد كبير ظريف» قالت المس تريكسي رافعة عينيها الدامعتين إلى أغناطيوس «حسن التغذية».

«المس تريكسي معنا أكثر من خمسين سنة. هذا سيعطيك فكرة حول الارتياح الذي يحس به عمالنا في علاقتهم ببناطيل ليفي. عملت المس تريكسي مع المرحوم والد السيد ليفي. شيخ لطيف جداً».

«نعم. شيخ لطيف جداً» قالت المس تريكسي غير قادرة على تذكر السيد ليفي الأكبر أبداً «عاملني معاملة حسنة، كان دائماً لطيف الكلام».

«شكرا مس تريكسي» قال السيد غونزالز بسرعة مثل عريف حفل يحاول أن ينهي فصل منوعات أخفق إخفاقاً ذريعاً.

«تقول الشركة أنها ستعطيني قطعة خنزير مسلوقة للفصح». أخبرت المس تريكسي أغناطيوس «طبعاً أنا أنتظر ذلك. نسوا كل ما يتعلق بالديك الرومي في عيد الشكر».

«وقفت المس تريكسي إلى جانب بناطيل ليفي على مدى السنين» شرح مدير المكتب بينما كانت مساعدة المحاسب الهرمة تدمدم شيئاً حول الديك الرومي.

«انتظرت سنين لأتقاعد، لكن في كل سنة يقولون عندي سنة أخرى. يشغلونك حتى تسقط» قالت المس تريكسي بصوت صافر. ثم أضافت وقد فقدت الاهتمام بالتقاعد: «كان يمكن أن أنتفع بالديك الرومي».

بدأت المس تريكسي التنقيب في أحد أكياسها.

«هل تستطيع أن تبد العمل اليوم؟» سأل السيد غونزالز أغناطيوس.

«لا إخالنا بحثنا في أمر الراتب وما شابه. أليس هذا هو الإجراء العادي في هذا الزمن؟» سأل أغناطيوس بتواضع متعال.

«حسناً، عمل التصنيف، وهو العمل الذي ستقوم به لأننا حقاً بحاجة إلى شخص للملفات، يدر ستين دولاراً في الأسبوع. والأيام التي تتغيب فيها بسبب المرض.. الخ تحسم من راتبك الأسبوعي».

«هذا أقل بكثير من الراتب الذي توقعت». وبدا أغناطيوس ذا أهمية غير اعتيادية. «عندي بواب معدة متقلبة مما يضطرني إلى ملازمة الفراش في بعض الأيام. عدة مؤسسات أكثر إغراء تتنافس على خدماتي في هذه الأيام. يجب أن أنظر أمرها أولاً».

«هه اسمع» قال مدير المكتب بسرية: «تكسب المس تريكسي أربعين دولاراً في الأسبوع فقط ولها أقدمية».

«تبدو لي مهترئة» قال أغناطيوس وهو يراقب المس تريكسي وقد نشرت محتويات كيسها على طاولتها وتبحث في النفايات «ألم تتجاوز سن التقاعد؟»

«هس» همس السيد غونزالز «السيدة ليفي لا تسمح لنا بإحالتها للتقاعد. تظن أن الأفضل للمس تريكسي أن تستمر في النشاط. السيدة ليفي امرأة مثقفة رائعة. اتبعت بالمراسلة دورة في علم النفس»

ترك السيد غونزالز هذا الأمر يفهم جيداً «الآن، لنعد إلى مستقبلك أنت محظوظ بأن تبدأ بالراتب الذي ذكرت لك. وهذا جزء من خطة بناطيل ليفي لتجذب دماً جديداً إلى الشركة. المس تريكسي لسوء الحظ استؤجرت قبل تنفيذ الخطة. وهي ليست ذات مفعول رجعي لذلك لم تشملها».

«أكره أن أخيب أملك، يا سيدي، لكني أظن أن الراتب غير ملائم. أحد كبار رجال النفط يطرح الآلاف أمامي في الوقت الحاضر في محاولة إغرائي بأن أصبح أمينه الخاص. في هذه اللحظة أحاول أن أقرر إذا كنت قادراً على تقبل نظرة هذا الرجل المادية للعالم. أشك في أنني سأقول له، نعم في النهاية».

«حسناً أضف عشرين سنتاً أجرة نقل» توسل السيد غونزالز.

«حسناً هذا يغير الأمور» وسلم أغناطيوس بالأمر «سأقبل بالعمل مؤقتاً. لابد أن أعترف أن خطة بناطيل ليفي تروقني».

«أوه هذا رائع» أعلن السيد غونزالز «سيحب العمل هنا أليس كذلك مس تريكسي؟»

كانت المس تريكسي منشغلة بنفاياتها بشكل تعذر معه الإجابة.

«أستغرب أنك لم تسأل عن اسمي» نخر أغناطيوس.

«أو يا إلهي لقد نسيت كلية هذا الأمر. من أنت؟»

في ذلك اليوم حضرت إحدى عاملات المكتب وهي كاتبة الاختزال. وهتفت امرأة لتقول إنها قررت أن تهجر العمل وتعيش على المعونة الاجتماعية. أما الآخرون فلم يتصلوا ببناطيل ليفي أبداً.



«انزع هذه النظارة. كيف تستطيع بحق الجحيم أن ترى كل هذه القذارة على الأرض؟»

«من يرغب في رؤية كل هذه القذارة؟»

«جونز قلت لك انزع هذه النظارة».

«النظارة باقية» قذف جونز بالمكنسة إلى تحت أحد كراسي البار «بعشرين دولار في الأسبوع، أنت لا تديرين مستعمرة هنا».

شرعت لانا لي تطوق حزمة من النقود الورقية برباط مطاطي وتنضد القطع المعدنية الصغيرة التي أخرجتها من عدادة النقود.

«توقف عن طرق هذه المكنسة بالبار» صرخت «لعنة الله عليك أثرت أعصابي».

«تريدين كناسة هادئة، ابحثي عن عجوز. كناستي شبابية».

قرقعت المكنسة على البار عدة مرات أخرى. ثم سرحت سحابة الدخان والمكنسة على الأرض.

«يجب أن تطلبي من زبائنك أن يستعملوا منافض السجاير، أخبريهم أنك تشغلين رجلاً هنا بأقل من الحد الأدنى للأجر. ربما راعوا المشاعر». فقالت لانا لي:

«يجب أن تكون مسروراً، يا ولد، إني أعطيك فرصة، هناك الكثير من الأولاد الملونين يبحثون عن عمل هذه الأيام».

«نعم، لكن هناك الكثيرين يعودون إلى البطالة، أيضاً، حين يرون مستوى الأجور التي يعرضها الناس. أحياناً أفكر إن كنت ملوناً فالأفضل أن تكون عاطلاً».

«يجب أن تسر لأنك تعمل».

«كل ليلة أخر على ركبتيّ».

فرقعت المكنسة على طاولة. فقالت له لانا لي:

«أخبرني حين تنتهي من الكناسة عندي رسالة صغيرة أريد أن تنقلها».

«رسالة؟ يا سلام! ظننت أنه شغل كناسة ومسح فقط» ونفث جونز تشكيلات دخانية «ما هذه الرسالة البراز؟»

«اسمع يا جونز» وضعت لانا لي النقود المنضدة في درج عدادة النقود، وسجلت رقماً على قطعة ورق «كل ما علي أن أفعله هو أن أهتف للشرطة وأبلغهم بأنك تركت العمل. أتفهمني».

«وأنا أقول للشرطة إن ليل الحبور يمجد قطط البيوت. وقعت في مصيدة حين جئت للعمل هنا. أنا بانتظار دليل ما وحين أحصل عليه سأفتح فمي للشرطة في المخفر».

«انتبه لما تقول».

«الأحوال تتغير» قال جونز وهو يركز وضع نظارته «ما عدت تخيفين الملونين أبداً. سأحضر بعض الناس ليشكلوا سلسلة بشرية أمام بابك، ويطيحون بعملك ويعرضونك في أخبار التلفزيون. لقد نال الناس الملونون كفايتهم من براز الأحصنة، وبعشرين دولاراً في الأسبوع لن تحمليني أكثر من ذلك. بدأت أتعب من كوني عاطلاً أو عاملاً بأقل من الحد الأدنى للأجر. دعي غيري يحمل رسالتك».

«أوه. خلّصنا وانته من الكنس. سأرسل دارلين».

استطلع جونز خزانة بالمكنسة «تلك الفتاة المسكينة.. الغش بالماء. حمل الرسائل يا عيني»..

«خبّر المخفر عنها. هي سكيرة من الدرجة الثانية».

«أنا أنتظر أن أخبر المخفر عنك. لا تريد دارلين أن تكون سكيرة من الدرجة الثانية. هي مجبورة على أن تكون كذلك. هي تقول إنها تريد أن تعمل بالاستعراض».

«نعم؟ طيب، بهذا العقل الذي لديها، هـي محظوظة أنهـم لم يـشحنوها إلى المزرعة الهزلية».

«قد يكون ذلك أفضل لها».

«ستكون أفضل إن ركزت عقلها على بيع مشروباتي وتخلت عن عمل الرقص. أتصور ماذا يمكن أن يفعله شخص مثل دارلين على مسرحي. دارلين من النوع الذي يفسد عملك إذا لم تراقبه».

انفتح الباب بعنف ودخل فتى الملهى يكشط الأرض بمهمازي حذائه الفلامنكو.

«حسن أتيت في الوقت المناسب» قالت له لانا:

«عندك أجير جديد؟» نظر الفتى إلى جونز من خلال حلقات شعره المزيت. «ماذا حصل للأجير الآخر؟ هل مات أم ماذا؟»

«حبّاب» قالت لانا برقة.

فتح الفتى محفظة يدوية لماعة وأعطى لانا عدداً من الأوراق النقدية.

«هل سار كل شيء على ما يرام، جورج؟ سألته «هل أعجبت الأيتام؟»

«أحبوا التي على الطاولة وتضع نظارة. فكروا بأنها معلمة مدرسة أو غيره. أريدها وحدها الآن».

«تظن أنهم يرغبون بأخرى مثلها؟» سألت لانا باهتمام.

«نعم. لم لا؟ ربما واحدة أمام لوح أسود وكتاب. مفهوم. تعمل شيئاً بقطعة الطبشور ابتسم الفتى ولانا أحدهما للآخر».

«فهمت القصد» قالت لانا وغمزت بعينها.

«أأنت مروج مخدرات؟» صاح الفتى على جونز «تبدو لي مثل مروّج».

«ستبدو تماماً مثل مروج مخدرات وقد دخلت عصا مكنسة ليل الحبور في قفاك». قال جونز ببطء شديد «مكانس ليل الحبور عتيقة وجيدة وتشق».

«أوكي، أوكي» صرخت لانا «لا أريد شجاراً عنصرياً هنا عندي عمل أخاف عليه».

«الأحسن أن تطلبي من صديقك الصغير الأبيض أن يذهب» ونفث جونز بعض الدخان على الاثنين «لا أقبل بالإهانة بهذا النوع من العمل».

«هيا جورج» قالت لانا. فتحت الخزانة تحت البار وأعطت جورج رزمة ملفوفة بورق بني. «هذه طلبك، الآن اذهب. انقلع».

غمز جورج لها وصفق الباب.

«هل مثل هذا مفروض أن يكون رسولاً للأيتام؟» سأل جونز «أود أن أرى الأيتام الذين يعمل معهم. أراهن أن ممولي الميتم لا يعرفون شيئاً عن أيتامهم».

«ماذا تقول بحق الجحيم؟» سألت لانا بغضب، درست وجه جونز، لكن النظارة منعتها من قراءة أي شيء فيه. «لا غضاضة في قليل من الإحسان. الآن ارجع لأرضي».

أخذت لانا تصدر أصواتاً، مثل لعنات الكهنة، على النقود التي أعطاها إياها الفتى. همست بأرقام وكلمات طافت من شفتيها المرجانيتين، ونسخت وهي مغلقة عينيها أرقاماً على طرحة ورق. انحنى جسدها الرقيق، الذي كاد بحد ذاته استثماراً رابحاً على مدى السنين، بوقار على خشب فورمايكا المذبح. ارتفع الدخان كالبخور من السيجارة في المنفضة، قرب مرفقها، يتلوى عالياً مع صلواتها، عالياً فوق القربان الذي ترفعه من أجل أن تدرس تاريخ سكّه، ذلك الدولار الفضي الوحيد الجاثم بين التقدمات. رن سوارها طالباً الاتصال بالمذبح، لكن الوحيد في المعبد والذي كان محروماً من الدين بسبب نسبه استمر في المسح. سقطت إحدى التقدمات على الأرض، القربان، وركعت لانا لتجلبه وتسترجعه.

«انتهى» صاح جونز منتهكاً حرمة الطقس «أنت تسقطين ربحك من الأيتام، بأصابعك الزلقة».

«هل رأيت أين وقعت، جونز؟» سألت «حاول أن تجدها».

أراح جونز المسحة فوق البار وراح يستكشف موقع قطعة النقد بعينين نصف مغمضتين عبر نظارته الشمسية والدخان.

«أين قطعة البراز هذه» تمتم لنفسه بينما كانا معاً يبحثان في الأرض».

«وجدتها» قالت لانا بتأثر «وجدتها».

«واوو! أنا سعيد حقاً أنك وجدته. من الأفضل أن تسقطي الدولارات الفضية على الأرض هكذا، سيفلس ليل الحبور، وتواجهين مشاكل دفع هذه الرواتب الكبيرة».

«لماذا لا تحاول أن تبقي فمك مغلقاً يا ولد؟»

«قولي، من تدعين ولداً؟» أمسك جونز بمقبض المكنسة ودفعه بقوة نحو المذبح «أنت لست سكارليت أو هارزاً».



استرخى أغناطيوس، وأعطى السائق عنوان شارع القسطنطينية. أخرج من جيب معطفه ورقة من قرطاسية بناطيل ليفي واستعار لوح السائق ذا المشبك بدل طاولة، وبدأ يكتب حين انضمت التاكسي إلى زحمة السير في شارع سان كلود.

[أنا حقاً متعب جداً مع انتهاء أول يوم لي في العمل، لا أريد أن أقول، على كل حال، إني مثبط الهمة أو مكتئب أو مهزوم. فللمرة الأولى في حياتي التقيت بالنظام وجهاً لوجه، كامل التصميم على أن آخذ في سياقه دور المراقب والناقد المتخفي، كما يقال. في أمريكا قد تآلفت مع أعمالها كلما وجد مزيد من المنشآت كبناطيل ليفي زاد تآلف القوة العاملة في أمريكا مع أعمالهم كما أعتقد.

فالعامل موضع الثقة لا يزعجه أحد. السيد غونزالز «رئيس» قميء بعض الشيء، لكنه مع ذلك مسلٍ جداً. يبدو متفهماً دائماً، لدرجة لا تسمح له أن ينتقد طريقة قيام أي عامل بواجبه. وفي الواقع إنه يقبل بأي شيء تقريباً، وهو لذلك ديموقراطي جذاب في أسلوبه المعاق. وكمثال على ذلك، فإن المس تريكسي، أمنا الفانية في عالم التجارة أشعلت عن غير قصد بعض الطلبات المهمة أثناء إشعالها المدفأة. كان السيد غونزالز متسامحاً جداً مع هذه الزلة. حين يأخذ المرء بعين الاعتبار أن الشركة منذ مدة تتلقى القليل فالأقل من الطلبات وأن تلك الطلبات كانت طلباً من مدينة كنساس بما يعادل خمس مئة دولاراً (٥٠٠) من منتجاتنا. يجب أن نتذكر أيضاً أن السيد غونزالز تحت

أوامر ملكة المال الغامضة السيدة ليفي الذكية المتعلمة بأن يحسن معاملة المس تريكسي ويشعرها بأنها فعالة ومرغوب فيها. غير أنه كان ودوداً معي، وسمح لي أن أضع وصيتي بين الملفات.

أنوي أن أغري المس تريكسي بالكلام قريباً، أظن أنه لدى مندوزا الرأسمالية هذه الكثير من الرؤى الداخلية القيمة والكثير من الملاحظات السديدة لتقدمها.

ولقد كانت الملاحظة الكريهة الوحيدة هي - وهنا انحط إلى العامية من أجل أن أبسط بشكل صحيح مزاج تلك المخلوقة التي أنا بصدد بحثها - غلوريا، كاتبة الاختزال، بغي شابة وقحة. كان عقلها يدور مع أفكار خاطئة وأحكام لا أهمية لها. وبعد أن أبدت ملاحظة أو اثنين عدائيتين حول شخصي وطريقة مشيتي، سحبت السيد غونزالز جانباً لأخبره أن غلوريا تخطط لأن تترك العمل دون إعلام مسبق في نهاية اليوم. عندئذ جن جنون السيد غونزالز وطرد غلوريا فوراً مقدماً لنفسه فرصة للسلطة التي، كما أرى، لا يتمتع بها إلا نادراً. وفي الواقع أن كعبي حذاء غلوريا الأشبه بالوتدين هما اللذان قاداني لفعل ما فعلت. إن يوماً آخر مع تلك الجلبة يمكن أن يغلق بوابي معدتي إلى الأبد. ثم هناك أيضاً (المسْكَرَة) وأحمر الشفاه وأشياء سوقية أخرى الأفضل ألا أقدم بياناً بها.

عندي خطط عديدة لدائرة التخطيط، دائرتي ولقد أخذت - بين الكثير من الملفات الفارغة - مقعداً قرب نافذة. هناك جلست مع مدفأة الغاز الصغيرة، وقد أوقدتها إلى آخر مدى طبلة ما بعد الظهر، أراقب السفن القادمة من الموانئ القريبة تنشر بخارها على مياه الميناء الباردة القاتمة. وقد ألف شخير المس تريكسي الخفيف وطباعة السيد غونزالز على الآلة الكاتبة ألحاناً مصاحبة لأفكاري.

الصغيرة الحمراء التي مالت على إحدى العينين فبدت مثل ممثلة سينمائية ناشئة لاجئة من سلسلة أفلام «المنقبين عن الذهب». لاحظ أغناطيوس يائساً أنها أضافت رشة لون بتدبيسها زهرة مكسيكية ذابلة على صدر معطفها. كان حذاؤها البني يَصِرُّ بتحد معلناً أنه من الرخصة، وهي

تمشي قرنفلية حمراء على الرصيف ذي الآجر المكسور. ورغم أنه كان قد رأى قيافتها لسنين فإن منظر أمه بكامل ملكيتها كان دائماً يروع بوابة معدته.

«أوه. حبيبي» قالت السيدة رايلي مبهورة الأنفاس حين التقيا عند مصدم سيارة البلايموث، التي تعرقل حركة السير على كامل الرصيف. حدث شيء خطيرة».

«أوه! يا إلهي ما هو الآن؟»

تصور أغناطيوس أنه أمر يتعلق بأسرة أمه، وهم زمرة من الناس يميلون إلى معاناة العنف والألم. كان هناك العمة العجوز التي سرق منها أحد قطاع الطرق خمسين سنتاً، وابنة العم التي صدمها ترام الماغازين، والعم الذي أكل قشدة فاسدة، والعراب الذي لمس سلك كهرباء ترك سائباً بعد إعصار.

«إنها المس آني جارتنا، حدثت لها هذا الصباح نوبة إغماء في الزقاق. الأعصاب يا ولدي. تقول إنك أيقظتها هذا الصباح بعزفك على البانجو».

«هذا عود وليس بانجو» أرعد أغناطيوس أتظنني واحداً من شخصيات مارك توين الضالة؟»

«جئت لتوي من زيارتها. تقيم الآن في بيت ابنها في شارع سانت ماري».

لم يظهر السيد ليفي هذا اليوم، قد أشعرت بأنه لا يزور عمله إلا نادراً، وأنه في الواقع «يحاول البيع بأقرب فرصة ممكنة» على حد تعبير السيد غونزالز. ربما استطعنا نحن الثلاثة (لأني سأسعى لأن أدفع السيد غونزالز لطرد العمال الآخرين إذا ما حضروا غداً، فكثرة الناس في ذلك المكتب قد توحي بالإهمال) ومن أجل أن نمنح العمل حياة جديدة، ونحافظ على إيمان السيد ليفي الشاب. فلدي سلفاً عدة أفكار ممتازة، وأعتقد أني في آخر الأمر سأجعل السيد ليفي يقرر أن يضع قلبه وروحه في المصنع.

عقدت، عرضاً، صفقة شديدة الذكاء مع السيد غونزالز. فقد أقنعته، بعد أن ساعدته في توفير كلفة راتب غلوريا بأن ينقلني من وإلى العمل بالتاكسي. كانت المساومة التي تلت لطخة من ناحية أخرى في يوم مسل، إلا أنني في النهاية ربحت نقطة بشرحي للرجل مخاطر معدتي وصحتي بشكل عام.

وهكذا نرى أنه حتى حين تدور بنا عجلة الحظ نحو الأسفل فإنها تتوقف أحياناً للحظة ونجد أنفسنا في دائرة صغيرة حسنة داخل الدائرة السيئة الأكبر. والعالم، طبعاً، مؤسس على مبدأ الدائرة ضمن الدائرة. أنا في هذه اللحظة في دائرة داخلية. وطبعاً من المحتمل أن تكون هناك دوائر أصغر ضمن هذه الدائرة].

أعطى أغناطيوس للسائق لوحة ذا المشبك وتشكيلة من التعليمات حول السرعة، والاتجاه والتبديل. ثم ساد التاكسي صمت عدائي حتى وصولهما إلى شارع القسطنطينية ولم يقطعه سوى طلب السائق أجره.

حين انتزع أغناطيوس نفسه من مقعد التاكسي غاضباً، رأى أمه هابطة الشارع. كانت ترتدي معطفها القصير القرنفلي والبقعة «أوه! هذا الولد المزعج» صعد أغناطيوس الدرجات متقدماً أمه حسناً شكراً لله لأن المس آني غادرت لفترة. الآن ربما أستطيع أن أعزف على عودي من دون أن تغير علي استنكاراتها الصارخة».

«اشتريت لها من عند ليني مسبحتين صغيرتين جميلتين خرزاتها مملوءة بماء الورد».

«يا لغضب الله. ليني. لم أر في حياتي دكاناً مليئاً بالتعاويذ الدينية بمثل هذا القدر. أظن أن دكان المجوهرات تلك ستصبح مسرح المعجزات قريباً وقد يصعد ليني نفسه إلى السماء».

«أحبت المس آني المسبحتين يا ولد. وقد بدأت فوراً بتلاوة الصلوات».

«لاشك، كان ذلك أفضل من التحدث معك».

«اجلس على كرسي يا حبيبي وسأحضر لك شيئاً تأكله».

«في فوضى انهيار المس آني، يبدو أنك نسيت أنك شحنتني إلى بناطيل ليفي هذا الصباح».

«أوه أغناطيوس ماذا حدث؟» سألت السيدة رايلي وهي تقرب عود ثقاب من أحد رؤوس الموقد كانت قد فتحته عدة ثوان. وحدث انفجار مركز فوق الموقد «يا إلهي كدت أحرق نفسي».

«أنا الآن موظف عند بناطيل ليفي».

«أغناطيوس!» صرخت أمه وهي تحيط الرأس المزيت بعناق قرنفلي صوبِ سحق أنفه. وانبجست الدموع من عينيها «أنا فخورة جداً بولدي».

«أنا شديد التعب. الجو في ذلك المكتب يرفع الضغط».

«عرفت أنك ستنجح».

«أشكرك على ثقتك».

«كم سيدفع لك بناطيل ليفي يا عزيزي؟»

«ستين دولاراً أميركياً في الأسبوع».

«أوه! هذا كل شيء؟ كان يجب أن تبحث عن أكثر».

«هناك فرص رائعة للتقدم، وخطط رائعة للشاب النابه. قد يتغير الراتب قريباً».

«تظن ذلك؟ حسن لا أزال فخورة بك، يا حبيبي. انزع معطفك» وفتحت السيدة رايلي علبة يخنة محفوظة من صنع ليبي وصبتها في الطنجرة: «هل لديهم بنات ظريفات يعملن هناك؟»

فكر أغناطيوس بالمس تريكسي وقال: «نعم هناك واحدة».

«عزباء؟»

«تظهر كذلك».

غمزت السيدة رايلي لأغناطيوس وألقت معطفه على ظهر الخزانة.

«انظر يا حبيبي، أشعلت النار تحت اليخنة. افتح علبة فاصوليا، وهناك الخبز في صندوق الثلج. اشتريت كعكة من محل الألماني، أيضاً، لكني لا أقدر أن أتذكر تماماً أين وضعتها. ألق نظرة في أنحاء المطبخ. يجب أن أذهب».

«أين ستذهبين الآن؟»

«سيأتي السيد مانكوزو وعمته ليأخذاني معهما خلال دقائق. سنذهب إلى حلبة فازيو لنلعب البولينغ».

«ماذا» صرخ أغناطيوس «أحق هذا؟!»

«سأرجع مبكرة. أخبرت السيد مانكوزو أني لا أستطيع التأخر خارج البيت. وعنه كذلك، وأظن أنها بحاجة إلى النوم أيضاً».

«هذا حقاً استقبال لطيف أتلقاه بعد أول يوم عمل لي» قال أغناطيوس بغضب «أنت لا تستطيعين لعب البولنغ. معك داء المفاصل أو ما شابه. هذا مضحك. أين ستأكلين؟»

«يمكن أن آخذ شيئاً ما من زقاق البولنغ». كانت السيدة رايلي قد ذهبت إلى غرفتها لتبدل ثيابها. «أوه! عزيزي، جاءتك رسالة من نيويورك اليوم وضعتها وراء دلة القهوة. يبدو أنها جاءت من البنت ميرنا، الظرف وسخ جداً ومبقع. كيف ترسل ميرنا مثل هذا البريد وهو على هذا الشكل؟ ظننت أنك قلت أن أباها غني».

«لا يمكن أن تلعبي البولنغ» صرخ أغناطيوس «هذا من أكثر ما فعلته عبثاً».

انغلق باب السيدة رايلي بعنف. وجد أغناطيوس الظرف وشقه طولانياً وهو يفتحه. سحب منه برنامج إحدى دور السينما مر على صدوره سنة عن مهرجان صيف سينمائي. كان على لوحة الخلفي للبرنامج المتجعد رسالة كتبت بخط خشن ومتقطع يميز فن الخط المينكوفي. كانت عادة ميرنا في الكتابة إلى المحررين أو بالأحرى إلى الأصدقاء تنعكس في استهلالاتها.

[سادتي:

ما هذه الرسالة المخيفة التي كتبتها لي مؤخراً، أغناطيوس؟ كيف لي أن أتصل باتحاد الحريات المدنية بهذا الدليل البسيط الذي أعطيتيه؟ لا أستطيع أن أتصور لم يحاول شرطي أن يوقفك. أنت تبقى في غرفتك كل الوقت. كان يمكن أن أصدق التوقيف لو أنك لم تكتب لي عن «حادثة السيارة». لو أن رسغيك مكسوران كيف استطعت أن تكتب لي رسالة؟

لنكن أمينين مع بعضنا . أغناطيوس. أنا لا أصدق كلمة مما قرأت. غير أني خائفة عليك. إن اختلاف قصة التوقيف تحمل كل صفات جنون الارتياب الكلاسيكية. أنت على علم، طبعاً، بأن فرويد يربط ما بين جنون الارتياب والميول اللواطية].

«قذارة» صاح أغناطيوس.

[على كل حال، لن ندخل في ظاهرة الاختلاق لأني أعرفك إلى أي مدى أنت مخلص في معارضتك للجنس من أي نوع. إلا أن مشكلتك العاطفية لا تزال واضحة جداً. منذ إخفاقك في تلك المقابلة من أجل وظيفة التعليم في باتون روج (التي تضع اللوم فيها أثناء ذلك على الباص وأمور أخرى - إبعاداً للذنب). وأنت تعاني ربما مشاعر الإخفاق. وحادثة السيارة عكاز جديد ليساعدك في خلق الأعذار لوجودك التافه العقيم. أغناطيوس، عليك أن تتطابق مع شيء ما. وكما قلت لك مراراً، يجب أن تلزم نفسك بمشاكل العصر العصيبة].

تثاءب أغناطيوس.

[أنت تشعر في عقلك الباطن أن عليك أن تحاول تبرير إخفاقك، كمثقف وكجندي أفكار، وأن تشارك بفاعلية في الحركات الاجتماعية النزاعة إلى النقد. وأعتقد أن مواجهة جنسية مرضية يمكن أن تصفي عقلك وجسدك. إنك بحاجة قصوى للمعالجة بواسطة الجنس. إلا أنني أخشى - مما أعرفه حول الحالات السريرية الشبيهة بحالتك - أنك ستنتهي إلى أن تصبح عاجزاً مضطرب العقل مثل اليزابيت ب. براوننغ].

«عدائية لا توصف!» غمغم أغناطيوس.

[أنا لا أتعاطف كثيراً معك. لقد أغلقت عقلك بوجه الحب والمجتمع. في هذا الوقت أنا أصرف كل ساعة من يقظتي في مساعدة أصدقاء خلّص في جمع المال من أجل فيلم سينمائي جريء مثير ينوون أن يصوروه عن الزواج بين العروق. وبالرغم من أن موازنته ستكون ذات أرقام ضئيلة، فإن المخطوط بحد ذاته صدمة ملأى بالحقائق المؤرقة ويتمتع بتناسق وسخرية رائعين. لقد كتبه شمرول، ولد عرفته من أيام تافت هاي. وهو سيلعب دور الزوج في الفيلم وقد عثرنا على فتاة من شوارع هارلم لتلعب دور الزوجة. إنها شخص حيوي وحقيقي جداً مما دفعني أن أجعل منها أقرب الأصدقاء. أناقش معها دائماً مشاكلها العرقية، وأجرها إلى ذلك حتى حين لا تكون لديها الرغبة في مناقشة ذلك - وأنا متأكدة من أنها تقدر بحماسة هذه الحوارات معي.

في المخطوط وغد رجعي مريض، ملاك ايرلندي يرفض أن يؤجر الزوجين. اللذين قد تزوجا في ذلك الوقت في ذلك الاحتفال الذي تفرضه الثقافة الأخلاقية. ويعيش الملاك في تلك الغرفة - الرحم والتي تغطت جدرانها بصورة البابا ومواد أخرى على تلك الشاكلة. وبكلمات أخرى فإن الحضور لن يجدوا مشقة في فهمه لخطة إلقائهم نظرة على تلك الغرفة. لم نحدد من يمثل دور الملاك حتى الآن. أنت، طبعاً، يمكن أن تكون رائعاً لهذا الدور. ترى، أغناطيوس إذا كنت عزمت على قطع ذلك الحبل السري الذي يربطك بتلك المدينة الراكدة وبأمك، وذلك السرير، فإنه يمكنك الصعود إلى هنا بانتهازك فرصاً كهذه. هل أعجبك الدور؟ لا نستطيع أن ندفع كثيراً، ولكن يمكنك الإقامة معي.

يمكن أن أعزف موسيقى غاضبة أو موسيقى احتجاجية على غيتاري كخلفية للفيلم. آمل أن نستطيع تصوير هذا المشروع الرائع قريباً لأن ليولا، الفتاة الخارقة من هارلم. قد بدأت تتذمر حول الراتب، سبق أن استنزفت من أبي - المتشكك (كالعادة) بالمغامرة كلها - ١٠٠٠ دولار.

أغناطيوس، لقد سايرتك فترة طويلة بما فيه الكفاية في تراسلنا. لا تكتب إلي ثانية ما لم يكن لك دور. أنا أكره الجبناء.

م مينكوف

ملاحظة: اكتب أيضاً إذا رغبت في لعب دور الملاك].

دمدم أغناطيوس: «سأري هذا المومس العدائية» ورمى ببرنامج فن السينما في النار تحت اليخنة.



كانت مؤسسة بناطيل ليفي مؤلفة من بنائين ملتئمين في وحدة مربعة. وكانت مقدمة المبنى بناء تجارياً من الآجر من القرن التاسع عشر ذا سطح هرمي بارز ونوافذ مزخرفة ناتئة من السقف المائل زجاج معظمها مكسر. احتلت الإدارة الطابق الثالث من هذا القسم، واستخدم الطابق الثاني مستودعاً، والأول للنفايات. وقد لحق بهذا البناء، الذي يشير إليه السيد غونزالز على أنه «مركز الدماغ» المصبغ مثال لهنغار الطائرات أشبه بالحظيرة. وارتفعت من سطح المصنع التنك مدخنتان مائلتان متعاكستان تشكلان هوائي تلفزيون على هيئة أذني أرنب فائقتي الحجم، هوائي لا يستقبل إشارات الكترونية موحية بالأمل من العالم الخارجي بل يبعث ما بين حين وآخر دخاناً ذا ظل ممرض جداً. وعلى طول جانب فواصل رصيف الميناء النظيفة الرمادية التي تحدد النهر والقنال عبر خطوط سكة الحديد، تجثم بناطيل ليفي نداء صامتاً ومدجناً من أجل التجديد المدني.

كان في داخل مركز الدماغ فعالية أشد من العادة. فأغناطيوس كان يثبت بمسمار على عمود قرب ملفاته لافتة عريضة من الورق المقوى تقول بأحرف قوطية جريئة:

دائرة الأبحاث والمراجع

القيّم ا. جـ رايلي

لقد أهمل عمل التصنيف الصباحي ليصنع اللافتة، طارحاً نفسه على الأرض مع الورق المقوى والدهان الأزرق اللاصق يرسم بدقة فائقة، أكثر من ساعة. خطت المس تريكسي على اللافتة خلال إحدى جولاتها الحمقاء في المكتب، إلا أن الضرر لم يتجاوز طبعة حذاء مطاطي على إحدى زوايا الكرتونة. مع ذلك وجد أغناطيوس تلك الدمغة الخفيفة مزعجة، فرسم فوقها صورة مؤثرة أنيقة لزهرة الزنبق.

«أليس هذا جميلاً؟» قال السيد غونزالز حين توقف الطرق «أنها تضفي على المكتب طابعاً ما».

سألت المس تريكسي وهي واقفة تحت اللافتة مباشرة تتفحصها باهتياج: «ماذا تعني» فأجابها أغناطيوس بفخر:

«إنها ببساطة لوحة إرشادية» فقالت المس تريكسي:

«أنا لا أفهم كل هذا. ماذا يجري هنا؟» واستدارت نحو أغناطيوس: «غوميز من هذا الشخص؟»

«مس تريكسي. تعرفين السيد رايلي يعمل معنا منذ أسبوع».

«رايلي؟ ظننته غلوريا».

«ارجعي واشتغلي بأرقامك» قال لها السيد غونزالز «يجب أن ترسل البيانات إلى المصرف قبل الظهر».

وافقت المس تريكسي وتوجهت مترنحة نحو دورة مياه السيدات.

«سيد رايلي. لا أريد أن أضغط عليك» قال السيد غونزالز بحذر «لكني ألاحظ أن كومة من المواد فوق طاولتك لم تصنف بعد».

«آه، هذه. أجل. حسناً، حين فتحت الدرج الأول هذا الصباح تلقيت تحية جرذ ضخم نوعاً ما كان كما بدا لي يلتهم ملف إيبل مان داري غود. فكرت أنه من السياسة أن أنتظر حين يتخم. كرهت أن أصاب بعدوى الطاعون وأن أضع اللوم على بناطيل ليفي».

«صحيح تماماً» قال السيد غونزالز بقلق. وشخصه الأنيق يرتعش من تخيل وقوع إصابة عمل.

«بالإضافة إلى أن بوابي معدتي كان سيء السلوك ومنعني من الانحناء للوصول إلى الدرج الأسفل».

«عندي ما يناسب هذا» قال السيد غونزالز ودخل إلى غرفة المستودع الصغير ليأتي، كما تصور أغناطيوس، بدواء ما. غير أنه عاد مع أصغر كرسي معدني رآه أغناطيوس في حياته دائري وبعجلات.

«الشخص الذي كان يعمل بالملفات اعتاد أن يكرج على هذا الكرسي إلى الأمام وإلى الخلف حين يستخدم الدروج السفلية، جرّبه».

«لا أظن أن بنية جسمي الخاصة تتوافق مع هذا النوع من الأجهزة» وسدد أغناطيوس نظره الثاقب إلى الكرسي الصدئ. كان أغناطيوس دائماً ضعيف

الحس بالتوازن، وقد عانى منذ طفولته البدنية من ميل للسقوط، والانزلاق، والتعثر وحين بلغ الخامسة من العمر وتدبر أخيراً أن يمشي بشكل عادي تقريباً، كان كتلة من الكدمات والقطب.

«على كل حال سأجرب إكراماً لبناطيل ليفي».

أقعى أغناطيوس شيئاً فشيئاً حتى لامس ردفاه الكرسي، ركبتاه قاربت كتفيه وحين ربض أخيراً فوق مقعده، بدا وكأنه باذنجانة متوازنة على طرف إبهام.

«هذا لن ينفع أبداً. أشعر بضيق شديد».

«جربه مرة» قال السيد غونزالز بمرح.

ارتحل أغناطيوس بحذر، دافعاً نفسه بقدميه، على طول خط الملفات إلى أن سكنت إحدى العجلات الصغيرة في شق على الأرض. مال الكرسي بخفة ثم انقلب ملقياً بأغناطيوس بثقل على الأرض.

«آوه يا إلهي» صاح «أظن أني كسرت ظهري».

«ها!» صرخ السيد غونزالز بجهيره المرعوب «سأعينك على الوقوف».

«لا! لا يجوز أن تحرك شخصاً ظهره مكسور ما لم يكن لديك نقالة. لا أريد أن أصاب بالشلل بسبب عدم أهليتك».

«رجاءً حاول أن تقف سيد رايلي» ونظر السيد غونزالز إلى الجبل عند قدميه. غاص قلبه «سأعينك، لا أظنك أوذيت أذى كبيراً».

«دعني وحدي» صرخ أغناطيوس «يا أحمق. أنا أرفض أن أقضي بقية عمري على كرسي ذي عجلات».

أحس السيد غونزالز ببوادر البرد والخدر في قدميه.

جذب صوت سقطة أغناطيوس المكتوم المس تريكسي من دورة المياه، فجاءت نحو الملفات، فتوقفت عند جبل اللحم الممدد.

«يا إلهي» قالت بوهن «هل غلوريا تموت، غومبزي؟»

«لا» قال السيد غونزالز بحدة.

«طيب. أنا مسرورة بذلك» قالت المس تريكسي، وهي تخطو فوق إحدى يدي أغناطيوس الممدودتين.

«يا غضب الله» أرعد أغناطيوس ونط إلى وضعية الجلوس «عظام يدي سحقت، لن أستطيع استخدامها ثانية أبداً».

«المس تريكسي خفيفة جداً» قال مدير المكتب لأغناطيوس «لا أظن أنها آذتك كثيراً».

«هل سبق أن مشت عليك أيها الأبله؟ كيف لك أن تعرف؟» وجلس أغناطيوس عند أقدام زميليه وتفحص يده:

«أظن أني لن أستطيع هذه اليد ثانية اليوم. من الأفضل أن أذهب إلى البيت حالاً وأغسلها».

«لكن التصنيف يجب أن ينتهي. انظر كم تأخرت حتى الآن».

«هل تتحدث عن التصنيف في وقت كهذا؟ أنا متهيء للاتصال بمحامي لأجعلهم يقاضونك لأنك جعلتني أجلس على هذا الكرسي الداعر».

«سنساعدك على النهوض. غلوريا» اتخذت المس تريكسي ما كان ظاهرياً وضعية رفع. وباعدت ما بين حذائيها المطاطيين واتجه شطا قدميها نحو الجهة الوحشية وربضت كراقصة باليه.

«انهضي» صاح بها السيد غونزالز بنزق «ستقعين فوقه».

«لا» أجابته من خلال شفتين حازمتين ذابلتين «سأساعد غلوريا. تعال إلى هذا الجانب غوميز. ستمسك غلوريا من الكوعين».

راقب أغناطيوس الأمر بسلبية في حين جثم السيد غونزالز عند جانبه الآخر.

«أنتما توزعان وزنكما خطأ» أخبرهما بأسلوب تعليمي «إذا أردتما محاولة رفعي، فإن هذه الوضعية لا تمنحكما قوة الرافعة. وأتوقع أن تتأذى ثلاثتنا. أقترح أن تجربا وضعية الوقوف. وبهذه الطريقة فإنكما تستطيعان الانحناء بسهولة لترفعاني».

«لا تكوني عصبية، غلوريا» قالت المس تريكسي وهي تترنح إلى الأمام وإلى الخلف على وركها، ثم سقطت إلى الأمام فوق أغناطيوس ملقية به مرة ثانية على ظهره. ارتطم طرف السيلولسويد الذي على رأسها بعنقه.

«أووف» قرقر صوت من مكان ما من أعماق عنق أغناطيوس.

«غلوريا!» صفرت المس تريكسي. نظرت مباشرة إلى كامل الوجه تحتها. «غوميز. ناد طبيباً».

«مس تريكسي قومي عن السيد رايلي» همس مدير المكتب من حيث جثم إلى جانب مرؤوسيه..

«ماذا تفعلون يا ناس هنا على الأرض؟» سأل رجل يقف عند الباب. وتصلب وجه السيد غونزالز المرح متحولاً إلى قناع رعب، ونبر: «صباح الخير سيد ليفي. نحن سعداء برؤيتك».

«جئت الآن لأرى إذا كان لي بريد شخصي. وسأعود إلى الساحل فوراً. لأي شيء هذه اللافتة الكبيرة؟ سيفقأ أحدهم عينه بها».

«أهذا السيد ليفي؟» صاح أغناطيوس من على الأرض. لم يكن يستطيع أن يرى الرجل من وراء خزائن الملفات «يا حسرة! كنت راغباً في لقائه».

جاهد أغناطيوس للوقوف على قدميه دافعاً عنه المس تريكسي التي انطرحت أرضاً ورأى رجلاً متوسط العمر في ملابس رياضية ممسكاً بقبضة باب المكتب ليتسنى له الهرب بسرعة كما دخل.

«مرحباً!» قال السيد ليفي بخفة «عامل جديد غونزالز؟»

«آه نعم سيدي. سيد ليفي أقدم لك السيد رايلي أنه كفؤ. بارع، والحقيقة أنه جعل العمل ممكناً دون مساعدة عمال آخرين».

«آه! نعم. الاسم على اللافتة» وألقى السيد ليفي نظرة استغراب على أغناطيوس.

«أنا بالغ الاهتمام بمؤسستك» قال أغناطيوس للسيد ليفي «وما اللافتة التي لاحظتها عند الدخول سوى ابتكار واحد من ابتكارات عدة أخطط لها. سأغير رأيك بهذه المؤسسة. سيدي. علِّمْ على كلامي».

«صحيح؟» درس السيد ليفي أغناطيوس بفضول خاص. «ماذا بشأن البريد غونزالز؟»

«ليس الكثير. تُلقيت بطاقات الاعتماد الجديدة. وأرسلت لك خطوط حول العالم للطيران شهادة تجعل منك طياراً فخرياً لطيرانك معهم مائة ساعة»

وفتح السيد غونزالز طاولته وقدم البريد للسيد ليفي. «هناك أيضاً كتيب إعلاني من فندق في ميامي».

«من الأفضل أن تبدأ بحجوزات نشاطي الربيعي. أعطيتك مخطط تجوالي في مخيمات النشاط. ألم أفعل؟»

«نعم سيدي. بالمناسبة لدي بعض الرسائل تحتاج إلى توقيعك. كان عليّ أن أكتب رسالة لايبلمان داري غودز، دائماً تلقى معهم المشاكل».

«أعرف. ماذا يريد هؤلاء المحتالون الآن؟»

«تدعي ايبلمان أن آخر كمية من البناطيل شحناها كانت بطول قدمين فقط للرجل. أحاول أن أسوي المسألة».

«نعم؟ حسناً أشياء غريبة حدثت في هذا المكان» قال السيد ليفي بسرعة. وكان المكتب قد بدأ في إثارة الكآبة في نفسه. كان عليه أن يخرج. «الأفضل أن تتحقق من رئيس العمال في المصنع. ما اسمه؟ اسمع لماذا لا توقع هذه الرسائل كما تفعل دائماً. يجب أن أذهب» فتح السيد ليفي الباب «لا تتعب هذين الولدين غونزالز. وداعاً مس تريكسي. زوجتي سألت عنك».

كانت المس تريكسي جالسة على الأرض تعيد ربط إحدى فردتي حذائها.

«مس تريكسي» صرخ بها غونزالز «السيد ليفي يكلمك».

«مَنْ؟» زمجرت المس تريكسي «ظننت أنك قلت أنه ميت».

«آمل أنك سترين تغييرات كبيرة في زيارتك القادمة لنا» قال أغناطيوس: «سنبعث الحياة، إذا جاز التعبير في عملك».

«أوكي. هوّن عليك» قال السيد ليفي وخبط الباب.

«رجل رائع!» قال السيد غونزالز لأغناطيوس بهياج. ومن النافذة راقب الاثنان السيد ليفي يدخل في سيارته الرياضية. زأر المحرك، وانطلق السيد ليفي بعيداً في ثوان مخلفاً سحابة زرقاء من الدخان.

«ينبغي أن أعود للتصنيف» قال أغناطيوس حين وجد نفسه يحدق من النافذة في شارع خال «هل تسمح أن توقع هذه المراسلة لأستطيع تصنيف النسخ الكربونية. لابد أننا في أمان لندنو مما أبقاه ذاك القارض من ملف ايبلمان».

تلصص أغناطيوس على السيد غونزالز وهو يزوّر بجهد اسم غاس ليفي على الرسائل.

«سيد رايلي» قال السيد غونزالز وهو يفتل بحرص غطاء قلم الحبر الذي اشتراه بدولارين «سأدخل إلى المصنع لأكلم رئيس العمال. رجاء انتبه على الأشياء».

تخيل أغناطيوس أن السيد غونزالز عنى بكلمة أشياء المس تريكسي، التي كانت تشخر بصوت عالٍ على الأرض أمام خزانة الملفات.

«سينيور» قال أغناطيوس وابتسم «شيء من الإسبانية على شرف تراثل النبيل».

لحظة عبر مدير المكتب الباب وضع أغناطيوس ورقة من قرطاسية ليفي في آلة السيد غونزالز الكاتبة. إذا كان لبناطيل ليفي أن تنجح فإن الخطوة الأولى يجب أن تكون بفرض يد جازية على من ينتقص من قيمتها. يجب أن تصبح بناطيل ليفي محاربة واستبدادية من أجل أن تبقى على قيد الحياة في غابة التجارة الحديثة. ويبدأ أغناطيوس بطبع الخطوة الأولى:

ايبلمانز دراي غودز

كانساس سيني ميسوري

الولايات المتحدة الأمريكية

السيد ي. ايبلمان المنغولي المبجل:

تلقينا بواسطة البريد ملاحظاتكم السخيفة عن بناطيلنا، إن هذه الملاحظات تكشف فعلاً عن افتقاركم الكلي إلى التواصل مع الواقع. لو أنكم على وعي أفضل، لعرفتم أو أدركتم فوراً أن البناطيل المزعجة قد بعث بها إليكم ونحن على كامل المحرفة بأنها غير ملائمة كما وأن المسألة مسألة طول.

لماذا؟ لماذا؟ أنتم في ثرثرتكم غير المفهومة عاجزون عن تمثل المفاهيم الحافزة للتجارة بنظرتكم المحدودة للعالم.

أرسلت البناطيل إليكم (١) كوسيلة لاختبار مبادرتكم (إن المهتم بالتجارة اليقظ واسع العقل يجب أن يكون قادراً على جعل البنطال بثلاثة أرباع طوله

موضة رجالية تتناقلها الأفواه. لاشك في أن برامج إعلاناتكم ومبيعاتكم خاطئة). و (٢) كوسيلة لاختيار قدرتكم على القيام بما تتطلبه مستوياتنا من الموزع لمنتجاتنا رفيعة المستوى. (إن منافذ بيعنا المعتمد عليها والمخلصة تستطيع بيع أي بنطال يحمل علامة ليفي مهما كان رديء التصميم أو الخياطة. إنكم على ما يبدو ناس بلا إيمان).

لا نريد أن تزعجنا في المستقبل مثل هذه الشكاوي الكريهة. رجاء فلتقتصر مراسلاتكم على الطلبات فقط. نحن منظمة لديها عمل وفاعلية وتعوق رسالتها الوقاحة والمضايقة غير المطلوبتين. إذا ما تحرشتم بنا، سيدي، ستشعرون بلسعة السوط على أكتافكم الحقيرة.

المخلص بالغضب

غاس ليفي، الرئيس

قلد أغناطيوس توقيع ليفي على الرسالة بقلم مدير المكتب وهو يتأمل سعيداً فكرة أن العالم لا يفهم سوى القوة والبأس، ومزق رسالة السيد غونزالز لايبلمان ودس رسالته في صندوق البريد الصادر. ثم مشى على رؤوس أصابع قدميه من حول بنية المس تريكسي الهامدة وعاد إلى دائرة التصنيف، والتقط كومة المواد غير المصنفة ورماها في سلة المهملات.



«هه، مس لي، الأم السمينة التي جاءت بالقبعة الخضراء لم تعد تأتي أبداً؟»

«لا شكراً لله. شخصيات بهذا الشكل تفسد الشغل».

«متى سيأتي صديق الأيتام الصغير مرة أخرى؟ أريد أن أكتشف ما يجري مع هؤلاء الأيتام. أراهن أنهم أول أيتام ستهتم بهم الشرطة».

«قلت لك أرسلت للأيتام أشياء، قليل من الإحسان لا يؤذي أحداً أبداً. يشعرك بالراحة».

«هذا فعلاً يبدو نوع إحسان ليل الحبور حين يدفع الأيتام الأموال الكثيرة لأي شيء يحصلون عليه».

«لا تقلق على الأيتام وابدأ بالقلق على أرضي. عندي من المشاكل ما يكفي. دارلين تريد أن ترقص. وأنت تريد زيارة مريت. وعندي مشاكل أسوأ فوق كل هذا» وفكرت بالرجلين اللذين يرتديان ملابس بسيطة واللذين أخذا يرتادان الملهى في آخر الليل «الشغل يفسد».

«نعم أستطيع استنتاج ذلك. أموت جوعاً في بيت القطط هذا».

«قل لي جونز هل كنت في المخفر مؤخراً؟» سألت لانا بحذر متسائلة فيما إذا حدث في الخارج ما قد يجر الشرطة إلى ذاك المكان. هذا الجونز تحول إلى صداع، على الرغم من ضآلة الراتب.

«لا لم أزر أحداً من أصدقائي الشرطة أنتظر حتى يكون لدي دليل جيد» وأطلق جونز هالة من الدخان «أنا في انتظار فرصة في قضية الأيتام!»

لوت لانا شفتيها المرجانيتين وحاولت أن تتخيل من سرب المعلومات إلى الشرطة.



لم تستطع السيدة رايلي أن تصدق أن ما حدث لها حقيقي. لم يعد هناك تلفزيون. لم يعد هناك شكاوى. الحمام خالٍ. حتى الصراصير انسحبت من الميدان. جلست إلى طاولة المطبخ ترشف قليلاً من الموسكاتل وتنفخ طاردة صرصوراً وحيداً صغيراً كان قد بدأ بعبور الطاولة. طار الجسم الضئيل من على الطاولة واختفى ومالت السيد رايلي: «وداعاً يا عزيزي» صبت إنشاً آخر من الخمر. مدركة لأول مرة أن رائحة البيت قد تغيرت أيضاً، كانت الرائحة قريبة مما كانت عليه إلا أن رائحة ابنها الشخصية العجيبة والتي كانت تذكرها برائحة أكياس الشاي العتيقة قد زالت كما يبدو. رفعت كأسها وتساءلت فيم إذا كانت بناطيل ليفي سترشح بشيء من الشاي الأسود المستعمل.

فجأة تذكرت السيدة رايلي الليلة المرعبة التي ذهبت فيها مع السيد رايلي إلى برايتانيا لمشاهدة كلارك غيبل وجين هارلو في (التراب الأحمر). وفي الحرارة والارتباك اللذين تليا عودتهما إلى البيت حاول السيد رايلي الظريف

واحدة من محاولات التقرب غير المباشرة وكان أن حملت بأغناطيوس. مسكين السيد رايلي. لم يذهب إلى السينما مرة أخرى طيلة حياته.

تنهدت السيدة رايلي وتطلعت إلى الأرض لترى فيما إذا كان الصرصار الصغير لا يزال هناك ولا يزال حياً. كانت في مزاج رائق لا يمكنها من إيذاء أي شيء. وبينما كانت تتفحص اللينوليوم من جرس الهاتف في البهو الضيق. سدت السيدة رايلي زجاجتها بالفلينة ووضعتها في الموقد البارد.

«آلو» أجابت الهاتف.

«هاي، ايرين؟» سأل صوت امرأة أجش «ماذا تفعلين يا بنت؟ أنا سانتا باتاغاليا».

«كيف حالك. حبيبتي؟»

«أنا متعبة. أنهيت تنظيف أربع دزينات لوبستر في باحة الدار». قالت سانتا بصوتها الجهير المترجرج «هذا عمل صعب صدقيني. ضرب اللوبستر بالسكين فوق القرميد».

«لا يمكن أن أحاول شيئاً من هذا» قالت السيدة رايلي صادقة.

«أنا لا أهتم. حين كنت بنتاً صغيرة اعتدت توظيف اللوبستر لأمي. كان لها ركن صغير لبيع السمك خارج سوق لاوتنشلاغر».

مسكينة ماما. رأساً من المركب وإليه لا تستطيع نطق كلمة إنكليزية. كنت بنتاً صغيرة أنظف اللوبستر. لم أذهب إلى المدرسة. كنت دائماً مع اللوبستر أضربه على المائدة. وكانت أمي كل حين تضربني لسبب أو لآخر كانت الاضطرابات مستمرة حول ركننا نحن».

«أمك كانت سريعة الغضب. هم.»

«المرأة المسكينة. كانت تقف هناك في المطر والبرد بطاقيتها العتيقة لا تفهم نصف ما يقوله الناس. كانت صعبة تلك الأيام، ايرين، الأمور كانت قاسية يا فتاة».

«الحال من بعضه» وافقت السيدة رايلي «تحملنا نحن أيضاً أياماً صعبة في شارع دوفين، بابا كان فقيراً جداً، وجد له عملاً على عربة ثم جاءت

السيارات، وعلقت يده بقشاط مروحة. أسابيع كثيرة عشنا فيها على الفاصوليا الحمرا والأرز».

«الفاصوليا الحمراء تسبب لي غازات».

«أنا أيضاً، اسمعي سانتا، لم اتصلت يا عزيزتي».

«آه نعم. كدت أنسى. تتذكرين حين كنا نلعب البولنغ في تلك الليلة؟»

«الثلاثاء؟».

«لا. الأربعاء أظن، على كل حال كانت الليلة التي قبض فيها على انجلو ولم يستطع أن يجيء».

«شيء مريع. الشرطة تقبض على واحد منها».

«نعم. انجلو المسكين. ما ألطفه، لاشك أنه يلاقي المشاكل في المخفر» وسعلت سانتا بشدة في الهاتف «على كل حال كانت تلك الليلة التي أتيتيني فيها بسيارتك ورحنا إلى الزقاق معاً. هذا الصباح كنت في سوق السمك أشتري اللوبتسر، وجاء شيخ مسن إلي وقال: «ألست أنت التي كنت تلعبين البولنغ ليلة البارحة؟ فقلت له: نعم يا سيد أنا أذهب كثيراً إلى هناك فقال: طيب أنا كنت هناك مع ابنتي وزوجها ورأيتك مع سيدة شعرها أحمر، قلت له: تقصد السيدة ذات الشعر المحنّى؟ هي صديقتي المس رايلي أنا أقوم بتعليمها البولنغ، هذا كل شيء ايرين، فقط أما لقبعته وخرج من السوق».

«أتساءل من يكون؟» قالت السيدة رايلي بكثير من الاهتمام.

«رجل لطيف. كبير السن. رأيته في الحي من قبل يصحب بعض الأولاد الصغار إلى القداس. أظن أنهم أحفاده».

«أليس أمراً غريباً؟ من سيسأل عني؟»

«لا أعرف فتاة لكن يجب أن تنتبهي. بعضهم عينه عليك».

«أوه! سانتا أنا امرأة عجوز».

«اسمعي. لا تزالين ظريفة، ايرين. رأيت رجالاً عديدين ينظرون إليك في حلبة البولينغ».

«أوه! كفيها».

«هي الحقيقة يا بنت. أنا لا أكذب. لقد لازمت ابنك فترة أطول من اللازم».

«يقول أغناطيوس إن حاله ماشي عند بناطيل ليفي» قالت السيدة رايلي مدافعة عن نفسها». «لا أريد الاختلاط بأي رجل مسن».

«ليس مسناً إلى هذه الدرجة» قالت سانتا وقد بدا عليها أنها تأذت «اسمعي ايرين، أنا وانجلو آتيان لعندك حوالي السابعة هذا المساء».

«لا أعرف يا عزيزتي. أغناطيوس يطلب مني البقاء في البيت أكثر».

«لمَ يحب أن تبقي في البيت يا بنت؟ انجلو يقول عنه أنه رجل كبير».

«يقول أغناطيوس إنه يخاف حين أتركه وحيداً في الليل. يقول إنه يخاف من اللصوص».

«هاتيه معك يمكن لأنجلو أن يعلمه البولينغ أيضاً».

«من؟ أغناطيوس ليس من النوع الرياضي» قالت السيدة رايلي بسرعة.

«على كل حال ستأتين هه؟»

«أوكي» قالت السيدة رايلي أخيراً «أظن أن التمرين أفاد كوعي. سأقول لأغناطيوس أن بإمكانه أن يقفل الغرفة على نفسه».

«بالتأكيد» قالت سانتا «لن يؤذيه أحد».

«ليس عندنا ما يستحق السرقة على كل حال. لا أعرف من أين يأتي أغناطيوس بأفكاره».

«أنا وانجلو سنكون عندك في السابعة».

«ابحثي واسمعي، يا غالية، حاولي واسألي في سوق السمك من جون هذا الرجل المسن».



كان منزل ليفي يقع بين أشجار السرو على تلة صغيرة مطلة على مياه خليج سانت لويس الرمادية. كان منظره الخارجي مثالاً للأناقة الريفية الساذجة، أما داخله فقد كان محاولة ناجحة في إبقاء كل ما هو ريفي خارجاً، رحمٌ درجة حرارته ثابته عند الخامسة والسبعين درجة مرتبط بوحدة تكييف

تعمل طيلة السنة بقلب ينبض عبر منافذ وأنابيب تقوم بصمت بملء الغرف بأنسام خليج المكسيك المعالجة والمصفاة وتزفر ثاني أوكسيد فحم آل ليفي ودخان سجائرهم وسأمهم. وكانت وحدة الآلات المركزية الواهبة للحياة تنبض في مكان ما في أحشاء المنزل المكسوة بمانع للصوت، مثل معلم في الصليب الأحمر يضرب إيقاعاً في صف تنفس اصطناعي «الهواء اللجيدي يدخل، الهواء الفاسد يخرج، الهواء الجيد يدخل».

كان المنزل مريحاً جسدياً مثلما يفترض أن يكون عليه الرحم البشري. كل كرسي يغوص عدة إنشات مع أخف لمسة، ويرغي ويتداعى مستسلماً لأي ضغط. وكانت هدلة السجاجيد النايلون الاكريليك تدغدغ أياً كان عنده من اللطف ما يكفي ليسير فوقها. وبجانب البار شيء يبدو مثل قرص الراديو يمكن، حين يدار، أن يجعل الإضاءة في كل البيت خافتة أو ساطعة حسب المزاج المطلوب. وتنتشر في كل أنحاء البيت، مع الإبقاء على مسافة مريحة للسير فيما بينها، كراسي زاوية، وطاولة رسائل. ولوح تدريبات رياضية مزود بمحرك تنخس أقسامه العديدة الجسم بحركة تكون في وقت واحد رقيقة ومثيرة. دارة ليفي - هذا ما كانت تقوله اللافتة على الطريق الساحلي - كانت مرتعاً للأحاسيس، كان فيما بين جدرانها المكسوة بعازل شيء ما قادر على إشاعة المسرة.

جلس السيد والسيدة ليفي، اللذان يعدان نفسيهما التعيسين الوحيدين في المنزل، أمام تلفزيونهما يرقبان الألوان تمتزج فيما بينها على الشاشة.

«وجه بيري كومو كله أخضر» قالت السيدة ليفي بعدائية شديدة «يبدو كجثة، من الأفضل أن تعيد هذا الجهاز إلى الدكان».

«لم يمض وقت طويل على إرجاعه من نيو أورلينز هذا الأسبوع» قال السيد ليفي وهو ينفخ على شعرات صدره السوداء التي كان يستطيع رؤيتها من خلال قبة برنس الحمام. كان قد أخذ حمام بخار ويريد أن يجفف نفسه بشكل كامل. على الرغم من التكييف والتدفئة المركزيين العاملين على مدار السنة فإن المرء لا يكون على تمام اليقين دائماً.

«طيب، خذه مرة ثانية. لا أريد أن أصبح عمياء من النظر إلى تلفزيون معطوب».

«أوه اسكتي. يبدو سليماً».

«لا يبدو سليماً. انظر إلى خضرة شفتيه».

«هذا الماكياج الذي يستعمله هؤلاء الناس».

«تريد أن تقول لي أنهم يضعون ماكياجاً أخضر على شفتي كومو؟»

«لا أعرف ماذا يفعلون».

«طبعاً لا تعرف» قالت السيدة ليفي وأدارت عينيها الزير جديتين المرتعشتين نحو زوجها الذي كان غارقاً في مكان ما بين وسائد الأريكة المكسوة بالنايلون الأصفر. رأت شيئاً من برنس الحمام وشحاطة مطاطية عند نهاية رجل كثيف الشعر.

«لا تزعجيني» قال لها «اذهبي العبي بلوح التمارين».

«لا أقدر الليلة. شعر مصفف اليوم» ولامست للقصصات البلاستيكية لشعرها البلاتيني «قال لي الحلاق إني بحاجة إلى بيروكة».

«ماذا تفعلين بالبيروكة؟ انظري إلى كل هذا الشعر الذي عندك».

«أريد بيروكة سوداء. بهذه الطريقة أقدر أن أغير شخصيتي».

«انظري. أنت بالأصل سمراء بشكل ما. صح! فلماذا لا تتركين شعرك ينمو بشكل طبيعي وتشترين بيروكة شقراء؟»

«ما فكرت بهذا».

«طيب فكري فيه قليلاً واهدئي. أنا تعبان. حين نزلت إلى المدينة اليوم مررت على الشركة. هذا دائماً يجعلني أكتئب».

«ماذا حصل هناك».

«لا شيء، لا شيء على الإطلاق».

«هذا ما ظننت. وتنهدت السيدة ليفي «لقد رميت بشغل أبيك في البالوعة. هذه مأساة حياتك».

«يا للمسيح، من يريد هذا المصنع العتيق؟ لم يعد أحد يشتري البناطيل التي يصنعونها أبداً. هذه كلها غلطة أبي. حين درجت موضة التنيات في

الثلاثينات، لم يقبل أن يغير وجه البناطيل البسيطة. كان هنري فورد صاحب صناعة الملابس. وحين عادت موضة الوجه البسيط للبناطيل في الخمسينات، بدأ يصنع بناطيل بثنيات. الآن يجب أن ترى ما يسميه السيد غونزالز «خط الصيف الجديد» إنها تبدو كالبالونات التي يرتديها المهرجون في السيرك. والقماش. لا يمكن أن أستعمله أنا لتجفيف الصحون..

«في بداية زواجنا، غاس كنت أؤلهك. ظننت أن عندك مبادرة. كان يمكن أن تجعل من بناطيل ليفي شيئاً عظيماً ربما حتى ولو مكتباً في نيويورك. لقد وضعت كلها بين يديك وأنت رميتها».

«أوه، توقفي عن هذا الهراء أنت مرتاحة».

«كان لأبيك شخصية. كنت أحترمه».

«أبي كان رجلاً حقيراً ورخيصاً، طاغية صغيراً، كان لي بعض الاهتمام بتلك الشركة حين كنت شاباً. كان لدي ولع، ثم حطم كل هذا بطغيانه. أنا أعتبر بناطيل ليفي شركته، فلتذهب في البالوعة. لقد أحبط كل فكرة جيدة عندي لهذه المؤسسة فقط ليبرهن أنه الأب وأنا الابن. إن قلت: ثنيات، قال لا ثنيات أبداً! وإذا قلت دعنا نجرب المواد التركيبية، قال: تركيبية؟ فوق جثتي».

«لقد بدأ عمله بائعاً جوالاً على عربة. انظر ماذا بنى منها. وببدايتك كان يمكن أن تجعل بناطيل ليفي تغزو البلاد».

«البلاد محظوظة صدقيني. أمضيت طفولتي بهذه البناطيل. على كل حال. تعبت من الاستماع انتهى».

«طيب. دعنا هادئين. انظر، شفتا كومو رجعتا حمراوين».

«لم تكن أبداً أبا قدوة لسوزان وساندرا».

«آخر مرة كانت فيها ساندرا في البيت فتحت محفظتها لتأخذ سيجارة وإذ بعلبة واقيات من الحمل تسقط على الأرض عند قدمي تماماً».

«هذا ما أحاول قوله لك. لم تعط بنتيك أية صورة. لا عجب أنهما مشوشتان. حاولت معهما».

«اسمعي دعينا لا نبحث موضوع سوزان وساندرا. هما بعيدتان في الكلية. نحن محظوظان أننا لا نعرف ماذا يجري. حين تتعبان سوف تتزوجان شخصاً مسكيناً وكل شيء ينصلح».

«عندئذ أي نوع من الأجداد ستكون»؟

«لا أعـرف. اتـركيني وحـدي اذهـبي للـوح التمـارين. اغطـسي بالحمـام الدوامة. أنا مستمتع بهذا العرض».

«كيف تستمتع به والوجوه كلها غير ملونة».

«لا ترجعينا إلى ذلك مرة أخرى».

«هل سنذهب إلى ميامي الشهر القادم».

«يمكن، يمكن أن نستقر هناك».

«ونتخلى عن كل شيء لدينا؟»

«نتخلى عن ماذا؟ يمكن أن يتدبروا لوح التمارين بسيارة نقالة»

«لكن الشركة».

«الشركة قدمت كل ما تستطيعه من مال. الآن وقت البيع».

«من الخير أن أباك ميت. كان يجب أن يعيش ليرى هذا» ورمت السيدة ليفي حذاء الحمام بنظرة مأساوية. «الآن ستقضي أوقاتك مع المسلسلات العالمية أو سباق الخيل. هذه مأساة حقيقية، غاس، مأساة حقيقية».

«لا تحاولي أن تجعلي من بناطيل ليفي مسرحية عظيمة لآرثر ميلر».

«الحمد لله أني موجودة لأنتبه لك. الحمد لله أن عندي اهتماماً بهذه الشركة. كيف المس تريكسي؟ آمل أنها لاتزال صافية الذهن وشغّالة جيداً».

«لا تزال حية، وهذا يعطيني فكرة كاملة عنها».

«على الأقل عندي اهتمام بها. كان يمكن أن ترميها خارجاً في الثلج منذ زمن طويل».

«كان يجب أن تتقاعد هذه المرأة منذ وقت طويل».

«قلت لك: التقاعد يقتلها. يجب أن تشعر بأنها مطلوبة ومحبوبة. هذه المرأة هي أمل تجديد الشباب النفسي. أريدك أن تأتي بها إلى هنا يوماً ما أحب أن أمارس تأثيري عليها».

«تأتي بهذه الحقيبة البالية إلى هنا؟ أأنت مخبولة؟ لا أريد مُذكّراً لي ببناطيل ليفي يشخر في عريني. ستبلل كل كنباتك. يمكن أن تلعبي معها من بعيد لبعيد».

«هكذا أنت دائماً» تنهدت السيدة ليفي «لا أعرف كيف تحملت قسوة القلب هذه عبر السنين».

«سبق وتركتك تبقين المس تريكسي في المكتب. حيث أعرف أنها ستثير جنون ذاك الغونزالز طول النهار. حين ذهبت إلى هناك هذا الصباح كان الجميع على الأرض. لا تسأليني ماذا كانوا يفعلون. يمكن أن يكون أي شيء» وصفر السيد ليفي من بين أسنانه. «غونزالز يحلم، كالعادة، لكن يجب أن تري الشخصية الأخرى الذي يعمل هناك. لا أعرف من أين أتوا به. لن تصدقي عينيك. صدقيني. أخاف أن أخمن ماذا يفعل هؤلاء المهرجون الثلاثة في المكتب طول النهار. أعجوبة أن شيئاً لم يحدث حتى الآن».



كان أغناطيوس قد قرر ألا يذهب إلى براتيانيا. فالفيلم الذي يعرض هناك لاقى كثيراً من المديح وهو من مسرحية سويدية حول رجل يخسر روحه، ولم يكن أغناطيوس مهتماً بشكل خاص بمشاهدته، ويرغب في أن يكلم مدير الصالة عن هذه الحالة البليدة.

تفقد مزلاج بابه وتساءل متى يمكن أن ترجع أمه إلى البيت. فجأة أصبحت تخرج كل ليلة تقريباً. لكن أغناطيوس لديه اعتبارات أخرى في هذا الوقت. نظر وهو يفتح طاولته، إلى كدسة من مقالات كان قد كتبها متطلعاً أن ينشرها في إحدى المجلات. كانت هناك يوميات رأي «تعليقات حول بوتيس» و «دفاعاً عن هورسوذا إلى أولئك الذين يدعون أنها لم توجد». ومن أجل مجلات الأسرة كان قد كتب «موت ركس» و«الأطفال، أمل العالم» وفي محاولة لاكتساح ملاحق الأحد كتب «تحدي سلامة الماء» «خطر السيارات ذات الثمانية سلندرات» «الامتناع أفضل أساليب ضبط النسل» و «نيو أورلينز، مدينة الخيال والثقافة» وتساءل، وهو ينظر في المخطوطات القديمة، لم أخفق في إرسال أي منها، لأن لكل واحدة منها روعتها الخاصة بها.

ومع ذلك كان لديه مشروع مريح جديد كل الجدة. أخلى أغناطيوس الطاولة بسرعة بإزاحته مقالات المجلات والدفاتر الكبيرة إلى الأرض بمسحة

واحدة من يده. ووضع أمامه حافظة أوراق وكتب على غطائها السميك بحروف كبيرة وببطء بقلم أحمر (يوميات ولد عامل، أو، نهوضاً من الكسل) وحين أنهى ذلك مزق الشرائط عن رزمة جديدة من الورق المسطر ووضعها في الحافظة. وبقلم رصاص أخذ يحدث ثقوباً في صحائف قرطاسية ليفي التي كان عليها بعض الملاحظات وأسقطها في القسم الأول من الحافظة. ثم أخذ يكتب، بعد أن تناول قلم حبر ناشف من أقلام بناطيل ليفي. على الصفحة الأولى من أوراق بلوهورس:

[قارئي العزيز

الكتب أبناء خالدون يؤلهون مؤلفهم.

- أفلاطون

وجدت، عزيزي القارئ أنني أخذت أعتاد الوقع المحموم لحياة الكتب، تأقلمّ شككت في أنني أقدر عليه. طبعاً، في هذه الفترة الوجيزة لعملي في بناطيل ليفي المحدودة، نجحت في ابتكار أساليب عدة في تخفيف الإنفاق في العمل. وأنتم أولاء الذين تعملون في المكاتب مع زملاء، وتجدون أنفسكم تقرؤون هذه اليوميات الحادة خلال استراحة القهوة أو ما شاكل يمكنكم أن تدونوا ملاحظة أو اثنتين من ابتكاراتي. إني أوجه هذه الملاحظات إلى الموظفين وإلى ملوك المال.

تعودت الوصول إلى المكتب متأخراً ساعة عن موعد العمل. ولذلك أكون أكثر ارتياحاً وانتعاشاً حين أصل، وأتجنب ساعة العمل اليومي الأولى الكئيبة تلك التي تكون فيها حواسي الساكنة الخاملة تقوم بكل أنواع التفكير وكذلك جسدي. أجد في الوصول متأخراً، أن العمل الذي أقوم به ذو مستوى عالٍ.

ابتكاري المتعلق بنظام التصنيف يجب أن يبقى سراً في الوقت الحاضر، لأنه ثوري إلى حد ما، وعليّ أن أرى مدى أهليته. الابتكار من الناحية النظرية رائع. على أية حال، سأقول أن الأوراق الهشة والمائلة للأضواء في الملفات تتضمن خطر الحريق. وظاهرة أخرى خاصة قد لا تنطبق مع كل الحالات هي أن ملفاتي كما يبدو مأوى لهوام متجانسة. إن الطاعون البابوني قدر العصور الوسطى المحتوم، ومع ذلك فإني أعتقد أن مواجهة الطاعون في هذا القرن المخيف ليست إلا أمراً يثير السخرية.

لقد تبارك مكتبنا أخيراً بحضور سيدنا ومولانا السيد جـ. ليفي، والحقيقة أني رأيته مهملاً ولا مبالياً. لقد لفت انتباهه إلى اللافتة (نعم أيها القارئ لقد انتهى طلاؤها أخيراً، وعلقت، تزينها زنبقة تضفي عليها عظمة إضافية). غير أن ذلك أيضاً لم يثر كبير اهتمام لديه. كانت إقامته وجيزة ولم تتعلق كلها بالعمل، لكن من نحن لنتساءل عن دوافع عمالقة التجارة هؤلاء الذين تتحكم نزواتهم بمجرى حياة أمتنا. مع الزمن سيعرف مدى إخلاصي لمؤسسته، وتفاني في سبيلها. وسيجدني بالتالي أنموذجاً قد يقوده مرة أخرى إلى الإيمان ببناطيل ليفي.

التريكسي لا تزال مستشارة نفسها، وبذلك تبرهن أنها أكثر حكمة مما ظننت. أظن أن هذه المرأة تعرف الكثير، وأن فتور مشاعرها ما هو إلا واجهة تخفي وراءها احتقارها لبناطيل ليفي. تبدو أكثر ترابطاً ومنطقية حين تتحدث عن التقاعد. وقد لاحظت أنها بحاجة إلى زوج جوارب أبيض، فالزوج الذي ترتديه هذه الأيام بدأ يصبح رمادياً. ربما أهديتها في المستقبل القريب زوجاً أبيض من الجوارب الرياضية الماصة للعرق، وربما تؤثر فيها تلك الإيماءة وتقودها إلى تبادل الحديث. يبدو أنها بدأت تتعلق بقبعتي، لأنها أخذت تعتاد ارتداءها أكثر من قطعة السيلولويد في المناسبات.

كما قلت لكم في حلقات سابقة، كنت أضاهي الشاعر ميلتون في قضاء شبابي في العزلة، والتأمل، والدراسة من أجل إتقان مهنتي في الكتابة كما فعل هو، ولكن إدمان أمي العنيف أقحمني في خضم العالم بطريقة شهمة، وما يزال كياني في حالة تغير متواصل. لذلك، لا أزال في عملية مواءمة نفسي مع توتر عالم العمل. ولحظة يصبح كياني متآلفاً مع المكتب فسأقوم بالخطوة العملاقة وهي زيارة المصنع، القلب النابض لبناطيل ليفي. لقد سمعت أكثر من الهسهسة والزمجرة من خلال باب المصنع، غير أن حالتي الواهنة تعوق الهبوط إلى هذا الجحيم الخاص في هذه الآونة. فبين الحين والحين يشرد عامل من عمال المصنع إلى المكتب ليترافع بجهل في قضية ما (عادة حول سكر رئيس العمال، وهي مسألة مزمنة). وحين أتمالك نفسي ثانية فسأزور أناس المصنع أولئك. فلدي قناعات عميقة وراسخة تتعلق بالنشاط

الاجتماعي. أنا على يقين أنني ربما أستطيع أن أفعل شيئاً لمساعدة أهل ذاك المصنع. لا أستطيع احتمال أولئك الذين يتصرفون بجبن في مواجهة الظلم الاجتماعي. إني أؤمن بالالتزام الجريء الساحق في معالجة مشاكل عصرنا.

ملاحظة اجتماعية: سعيت إلى الهرب إلى برايتانيا في أكثر من مناسبة. وانسقت وراء مفاتن رعب بالألوان بالتكنيكولر، الإجهاضات المصورة التي كانت تؤذي أي معيار من معايير الذوق والحشمة. بكراتها تدور وتدور عارضة الضلال والتجديف اللذين صعقا عيني غير المصدقتين وصدما عقلي العذري وسدا بوابي معدتي.

أمي في هذه الآونة تخالط بعض الأشخاص غير المرغوب فيهم الذين يحاولون أن يحولوها إلى رياضية رديئة، عيّنة فاسدة من البشر الذين يتدحرجون بانتظام في طريقهم إلى النسيان. أحياناً أجد استمراري في مهنة العمل المزهرة مؤلمة، وأعاني ما أعاني من هذا اللهو في البيت.

ملاحظة صحية: انغلق بوابي معدتي بشدة عصر هذا اليوم عندما سألني السيد غونزالز أن أجمع له عمود أرقام. وحين رأى الحالة التي رميت بها من جراء هذا الطلب، جمع الأرقام بنفسه مراعاة لي حاولت ألا أجعل من الأمر قضية، لكن بوابي معدتي نجح في الفوز علي، قد يتطور مدير المكتب هذا، عرضاً، إلى نوع ما من الغثيان.

إلى وقت آخر

داريل ولدكم العامل]

قرأ أغناطيوس ما قد كتبه بسرور. أمام هذه اليوميات كل الاحتمالات. يمكن أن تكون وثيقة معاصرة، حيوية، حقيقة لمشاكل شاب. أخيراً أغلق حافظة الأوراق وتأمل في رد على ميرنا، هجوم لاذع وقاس على كينونتها ونظرتها إلى العالم. لكن قد يكون من الأفضل الانتظار حتى يزور المصنع ويرى أي إمكانات للنشاط الاجتماعي هناك. وقاحة كهذه يجب أن تعالج بعناية، فقد يقدر على فعل شيء مع عمال المصنع مما يجعل ميرنا تبدو رجعية في ميدان النشاط الاجتماعي. عليه أن يثبت تفوقه على هذه السليطة العدوانية.

قرر أن يأخذ قسطاً من الراحة بأغنية لدقائق، متناولاً عوده. دارت كتلة لسانه على شاربه وداعب أوتار العود استعداداً، وبدأ يغني:

كفى تأخراً نحو تراثك / أسرع على طريقك ولا تبتئس

«سد حلقك» صاحت به المس آني من وراء نافذتها المغلقة.

«كيف تجرؤين» أجاب أغناطيوس واندفع فاتحاً نافذته ونظر إلى الزقاق البارد المعتم. «افتحي نافذتك هناك. كيف تجرؤين على الاختفاء خلف النافذة؟»

ركض بعنف إلى المطبخ، وملأ إناء بالماء وأسرع عائداً إلى غرفته. وفي لحظة تهيؤه لإلقاء الماء على نافذة المس آني التي لا تزال مغلقة، سمع خبطة باب سيارة في الشارع. كان بعض الناس قادمين في الزقاق. أغلق أغناطيوس النافذة وأطفأ النور، وأنصت إلى أمه تتحدث مع شخص ما. قال الشرطي مانكوزو شيئاً ما وهما يعبرون تحت النافذة، وقال صوت امرأة أجش «تبدو الدنيا أماناً، ايرين، ليس من أضواء. يبدو أنه ذهب إلى السينما».

ارتدى أغناطيوس معطفه بسرعة وركض نازلاً عبر البهو إلى الباب الأمامي بينما كانوا يفتحون باب المطبخ. نزل الدرجات الأمامية ورأى سيارة الرامبلر البيضاء الشرطي مانكوزو، واقفة أمام البيت. انحنى أغناطيوس بجهد كبير ودس إصبعاً في صمام إحدى عجلتي الدراجة حتى توقف الهسيس وحتى استوى الإطار على الأرض الأجرية. ثم سار في الزقاق، الذي كان عريضاً بما فيه الكفاية لعبور جسده الضخم نحو مؤخرة المنزل.

كانت أضواء مشعة تتألق في المطبخ، وكان يستطيع سماع صوت جهاز مذياع أمه الرخيص من خلال النافذة المغلقة. صعد أغناطيوس الدرجات الخلفية ونظر من خلال الزجاج الأغبر للباب الخلفي. كانت أمه والشرطي مانكوزو جالسين قرب الطاولة. كان الشرطي مانكوزو يبدو مضطهداً أكثر من أي وقت، لكن السيدة رايلي كانت تضرب بقدمها اللينوليوم وتضحك خجلة على ما كانت تراه في وسط الغرفة. كانت امرأة قصيرة بدينة ذات شعر رمادي مفتّل ترقص وحدها فوق اللينوليوم، تهز ثدييها الرقاصين الذين كانا

محوطين بقميص البولنغ. كان حذاء البولنغ يقرع الأرض قرعات هادفة حاملاً الثديين المتأرجحين والردفين المتماوجين إلى الأمام والخلف ما بين الموقد والطاولة.

وهكذا كانت تلك عمة الشرطي مانكوزو، وحده الشرطي مانكوزو يمكن أن يكون له عمة كهذه.. بهذا حدث أغناطيوس نفسه صاهلاً:

«اللّه!» صرخت السيدة رايلي بمرح «سانتا».

«انظروا لهذا يا أولاد» ردت المرأة ذات الشعر الرمادي صارخة كحكم في مباراة مصارعة وأخذت تهتز وتخفض جسدها شيئاً فشيئاً حتى قاربت الأرض.

«آه، يا إلهي» خاطب أغناطيوس الريح.

«فرطت يا بنت» قالت السيدة رايلي ضاحكة «ستخترقين أرضيتي».

«من الأفضل أن تتوقفي عمة سانتا» قال الشرطي مانكوزو بأسى.

«إلى الجحيم. لن أتوقف الآن. وصلت الآن» قالت المرأة وهي تنهض بإيقاع: «من قال أن الجدة لا تستطيع الرقص؟» وترنحت المرأة ناشرة ذراعيها على مدرج اللينوليوم.

«يا اللّه» قالت السيدة رايلي وهي تقلب زجاجة الويسكي على كأسها.

«ماذا لو جاء أغناطيوس ورأى هذا؟»

«طز بأغناطيوس».

«سانتا» شهقت السيدة رايلي مصدومة، لكن أغناطيوس لاحظ ذلك وانسرّ «كفى يا ناس» صاحت المس آني من خلف نافذتها.

«من هذه؟» سألت سانتا السيدة رايلي.

«كفى قبل أن أتصل بالشرطة» صرخ صوت المس آني المكظوم.

«أرجوكم توقفوا» توصل الشرطي مانكوزو بعصبية.



كانت دارلين تصب الماء خلف البار في زجاجات المشروب الممتلئة إلى النصف.

«اسمعي هذه النهفة يا دارلين» أمرت لانا وهي تفتح الجريدة وتثقلها بمنفضة السجائر. «ألقي القبض الليلة الماضية على كلوب وبيتي بمبر وليز ستيل وكلهن من شارع بيتر رقم ٧٩٦ ألقي القبض عليهن في استراحة الكابالو ٧٥٠ شارع بورغندي واحتجزن بتهمة الإخلال بالأمن وإقلاق الراحة العامة. وحسب مصادر الشرطة فإن الحادثة بدأت حين قام رجل مجهول بطلب يد واحدة من النساء. وقامت مرافقتنا المرأة بضرب الرجل، الذي هرب من الاستراحة. المرأة ستيل رمت عامل البار بكرسي البار، وتهددت الأخريان الزبائن في الاستراحة بالكراسي وزجاجات البيرة المكسورة. قال زبائن الاستراحة أن الرجل الفار الذي كان يرتدي حذاء خاصاً بالبولينغ» ما رأيك بهذا؟ أناس بهذا الشكل يخربون الحي. شاب شريف يحاول استمالة واحدة من السحاقيات فيلجأن إلى ضربه. سقا الله أيام كان هذا الحي آمناً. الآن هو ممتلئ بالسحاقيات والجنيات. لا عجب أن الشغل يفسد، لا أطيق السحاقيات أبداً».

«لم نعد نستقبل في الليل هنا سوى رجال الشرطة السرية» قالت دارلين «لماذا لا يرسلون الشرطة السرية في أعقاب نساء كهاته النساء؟»

«هذا المكان يتحول إلى مخفر. كل ما أفعله هو عرض لمساعدة رابطة الشرطة الخيرية» قالت لانا بقرف «فراغ كبير وشرطة قلائل يتبادلون الإشارات. نصف وقتي أقضيه بمراقبتك لأرى أنك لا تحاولين بيعهم الشراب».

«طيب لانا» قالت دارلين «كيف يمكنني أن أعرف الشرطي من سواه؟ كلهم مثل بعضهم بعضاً أمامي» تمخطت «أحاول كسب العيش».

«تعرفين الشُرطي من عينيه، دارلين. هم واثقون من أنفسهم. أنا لي زمن طويل في هذا الشغل، أعرف وجه كل شرطي قذر. النقود ذات العلامات،

الملابس المزيفة. إذا كنت لا تميزينهم من العينيين، انظري إلى النقود. فهي ملأى بعلامات قلم الرصاص وغيرها».

«كيف يمكن أن أرى النقود؟ هنا عتم، حتى أنني بصعوبة أرى العيون».

«طيب، يجب أن نجد لك طريقة، لا أريدك أن تجلسي هنا على كراسي البار، ستحاولين أن تبيعي كأس مارتيني مضاعف لرئيس الشرطة في إحدى الليالي».

«طيب دعيني أظهر على المسرح وأرقص، مللت من الروتين».

«اخرسي» صرخت لانا، لو أن جونز عرف أن الشرطة تؤم المكان في الليل لفقدنا البواب رخيص الأجر «اسمعي جين، لا تقولين لجونز أنه أصبح لدينا فجأة فصيل كامل في الليل. تعرفين كيف يشعر الملونون تجاه الشرطة. يمكن أن يخاف ويهجر العمل. أعني، أنا أحاول أن أساعد الولد وأبعده عن الشوارع».

«أوكي» قالت دارلين «لكني لا أكسب أي مال. أنا خائفة أن يكون هذا الذي على الكرسي القريب مني شرطياً. تعرفين ما نحتاجه هنا لكسب المال؟»

«ماذا؟» قالت لانا غاضبة.

«نحتاج هنا إلى حيوان».

«ماذا؟ يا للمسيح!»

«لن أنظف خلف أي حيوان» قال جونز وهو يقرع ممسحته بصخب أرجل كراسي البار.

«تعال هنا نظف تحت هذه الكراسي» صاحب به لانا.

«أوه! هل نسيت بقعة ما؟»

«انظري في الجريدة» قالت دارلين «كل الملاهي تقريباً في الشارع فيها حيوانات».

التفتت لانا إلى صفحات التسلية وأخذت تدرس إعلانات الملاهي الليلية عبر ضباب جونز.

«حسن. دارلين الصغيرة في قاعة الرقص. أخمن أنك تحبين أن تصبحي مديرة هذا الملهى هه؟»

«لا يا ست».

«إذن تذكري ذلك» قالت لانا ومررت إصبعها على الإعلانات «انظري. لديهم في ملهى جيري أفعى. وبعض الحمامات في الـ ١٠٤، ونمر صغير، وشيمبانزي»...

قالت دارلين: «هذه هي الأماكن التي يقصدها الناس. يجب أن تسايري الموضة».

«شكراً، ما دامت هذه فكرتك: هل عندك اقتراحات؟»

«اقترح أن نصوت بالإجماع ضد تحويل المكان إلى حديقة حيوان».

«اهتم بالأرض» قالت لانا.

«يمكن أن نستفيد من ببغائي» قالت دارلين «أنا أتدرب معه على رقصة رائعة، الطائر ذكي. يجب أن تسمعيه يتكلم».

«في بارات الملونين يبقي الناس الطيور خارجاً».

«اعط الطائر فرصة» توسلت دارلين.

«انظري» صاح جونز «صديقك صاحب اليتامى دخل. آن أوان الإنسانية».

كان جورج يدخل متثاقلاً من الباب بسترة ضخمة حمراء، وبنطال أبيض وحذاء رقص إسباني بيج ذي مقدمة ضيقة. وعلى كلتا يديه وشم خناجر مرسوم بقلم حبر ناشف.

«آسفة جورج ليس عندنا شيء للأيتام اليوم» قالت لانا بسرعة.

«أترى؟ على الأيتام أن يقدموا طلباً للتسالي المتحدة» قال جونز ذلك ونفخ بعض الدخان فوق الخناجر «عندنا مشاكل بالراتب على وضعه الحالي. الأقربون أولى بالمعروف».

«ماذا؟» سأل جورج.

«لاشك أن عندهم كثيراً من المجرمين في الميتم هذه الأيام».

لاحظت دارلين «لا يمكن أن أعطيه شيئاً، لانا، وإذا أردت رأيي فإن له يد مبتز إذا كان هذا الولد يتيماً فأنا ملكة انكلتره».

«تعال هنا» قالت لانا لجورج وقادته خارجاً إلى الشارع.

«ما الأمر؟» سأل جورج.

«لا أقدر أن أتكلم أمام هذين الأحمقين» قالت لانا «هذا الأجير ليس كالسابق. الحمار الذكي ظل يسألني عن هراء الأيتام منذ رآك لأول مرة. أنا لا أثق به عندي مشاكل مع الشرطة سلفاً».

«طيب. ابحثي عن دمية جديدة. هناك كثيرون».

«لا أستطيع استئجار اسكيمو أعمى بالراتب الذي أعطيه. حصلت عليه بما يشبه الصفقة مثل سعر الرخصة. وهو يظن أنه إذا حاول ترك العمل فسأجعل الشرطة تقبض عليه بتهمة البطالة. كل المسألة صفقة، جورج، أعني في العمل الذي أقوم به يجب أن تبقي عينيك مفتحتين ترقبا لصفقة، أتفهم؟»

«لكن ماذا عني؟»

«هذا الجونز يذهب للغداء من الثانية عشرة إلى الثانية عشرة والنصف. فتعال حوالي الواحدة إلا ربعاً».

«لكن ما المفروض أن أعمل بهذه الرزمة طيلة بعد الظهر؟ لا أستطيع أن أفعل شيئاً حتى بعد الثالثة. لا أريد أن تظل هذه الأغراض معي».

«أودعها في محطة الباصات. لا يهمني. فقط تأكد من أنها في مكان آمن. سأراك غداً».

دخلت لانا إلى البار.

«متأكدة أنك صرفت هذا الولد» قالت دارلين «على أحدهم أن يبلغ عنه مكتب العمل».

«واو»

«هيا، لانا، أعطيني فرصة مع الطائر».

«في الماضي كان الناس يأتون ليشاهدوا بنتاً ظريفة تهز. الآن صار يجب أن يرافقها حيوان ما. هل تعرفين ماذا أصاب الناس اليوم؟ إنهم مرضى. أصبح من الصعب على الشخص أن يحصل على دولار شريف». وأشعلت لانا سيجارة ونازلت جونز غيمة بغيمة «أوكي فلنجرب الطائر. قد يكون من الأسلم لك أن تكوني على مسرحي مع الطائر من أن تكوني على كراسي البار مع شرطي. هاتي معك الطائر الملعون».



جلس السيد غونزالز قرب مدفئته الصغيرة يصغي إلى أصوات النهر، وحلقت روحه في نيرفانا في مكان ما أعلى كثيراً من هوائي بناطيل ليفي. استمتع حسه الباطني بقرقعة الفئران ورائحة الورق العتيق والخشب والشعور بالهدوء الذي أعطاه إياه بنطال ليفي الفضفاض الذي كان يرتديه. عب سحبة دخان مصفى وألقى رماد سيجارته مثل رامٍ مباشرة في وسط منفضة السجائر. لقد حدث المستحيل: أصبحت الحياة في بناطيل ليفي أفضل بكثير. والفضل في ذلك للسيد رايلي: أية غرابة أسطورية ألقت بالسيد أغناطيوس ج. رايلي على عتبة بناطيل ليفي البالية المهترئة؟

كان أربعة عمال في واحد. بدأت الملفات على يدي السيد رايلي تختفي. كان أيضاً شديد اللطف مع المس تريكسي، لم يعد هناك أي خلافات في المكتب. ولقد تأثر السيد غونزالز بما رآه في عصر اليوم الماضي - السيد رايلي على ركبتيه يغير جوارب المس تريكسي. كان السيد رايلي كله قلباً. وطبعاً كان جزء منه بواباً معدته أيضاً. إلا أن الحديث المستمر عن البواب يمكن أن يكون مقبولاً. لأنه المهرب الوحيد.

لاحظ السيد غونزالز بسعادة نتائج أعمال السيد رايلي اليدوية في المكتب. كانت على طاولة المس تريكسي لافتة كبيرة مثبتة تقول بحروف كبيرة مس تريكسي مع باقة ورد صغيرة رسمت على الطريقة القديمة بقلم الرصاص على إحدى زواياها. وعلى طاولته ثبتت لافتة أخرى تقول: السيد غونزالز ومزينة بهلال الملك الفونسو. وكان هناك صليب غير مكتمل مسمراً على عمود في المكتب، بينما كانت صناديق عصير البندورة من صنع ليبيز وصناديق كرافت جيلي على الطرفين تنتظر أن تدهن بلون بني مع خطوط سوداء لتوحي بعروق الخشب. وفي عدة كرتونات أيس كريم فارغة فوق خزائن المصنفات كانت عرائش الفاصوليا آخذة بالانتشار. وقد خلقت الستائر الأرجوانية الأشبه بثياب الرهبان المتدلية على النافذة إلى جانب السيد رايلي مساحة تأملية في المكتب. وألقت هناك الشمس وهجاً أحمر قانياً فوق تمثال من الجص ارتفاعه ثلاثة أقدام للقديس أنطوان الذي كان واقفاً قرب سلة المهملات.

لم يكن للسيد رايلي مثيل أبداً. كان مكرساً نفسه للعمل وشديد الاهتمام به. وكان أيضاً يخطط لزيارة المصنع حين يتحسن بوابة معدته ليرى كيف يستطيع أن يحسن ظروف العمل هناك. وكان العمال الآخرون دائماً غير مبالين وشديدي الإهمال.

انفتح الباب ببطء حين دخلت المس تريكسي يتقدمها كيس كبير.

«مس تريكسي!» قال السيد غونزالز بلهجة بدت له حادة.

«من؟» صرخت المس تريكسي فزعة.

نظرت إلى أسمال قميص نومها وثوبها الصوفي.

«آه يا إلهي» أزّت «ظننت أني أحسست بالبرد في الخارج».

«اذهبي للبيت حالاً».

«برد في الخارج غومز!»

«لا يمكنك أن تبقي في بناطيل ليفي هكذا. أنا آسف».

«هل تقاعدت؟» سألت المس تريكسي مؤملة.

«لا!» صرّ السيد غونزالز «أريدك أن تذهبي إلى البيت لتغيري ثيابك. أنت تسكنين قريباً من هنا، أسرعي».

ترنحت المس تريكسي نحو الباب ثم أغلقته بخبطة. ثم عادت ثانية لتأخذ الكيس الذي كانت قد تركته على الأرض وخبطت الباب مرة أخرى وهي خارجة.

بعد ذلك وصل أغناطيوس متأخراً ساعة. ولم تكن المس تريكسي قد عادت. أصغى السيد غونزالز إلى وقع خطى أغناطيوس البطيئة والثقيلة على الدرج. انفتح الباب بعنف وظهر أغناطيوس ج. رايلي الرائع، ووشاح مخطط بحجم الشال حول رقبته. وقد اندس طرف منه داخل المعطف.

«صباح الخير يا سيدي» قالها بفخامة.

«صباح الخير» قال السيد غونزالز بابتهاج «هل كانت المواصلات سهلة إلى هنا؟».

«لا بأس، أظن أن السائق كان هاوياً من هواة السرعة متخفياً. كان عليّ أن أحذره باستمرار. وفي الواقع، لقد افترقنا ونحن على درجة من العدائية من كلا الجانبين. أين عنصرنا الأنثوي هذا الصباح؟»

«كان علي أن أرسلها إلى البيت. جاءت للعمل هذا الصباح بقميص نومها».

تجهم أغناطيوس وقال: «لا أفهم لماذا يجب إرسالها إلى البيت، على كل حال، نحن هنا لا نتعامل بالرسميات، أسرة كبيرة واحدة. آمل أنك لم تقوض معنوياتها» ملأ كأساً من مبرد الماء ليسقي فاصيولياه «لا تستغرب أن تراني أظهر في أحد الأصباح بقميص نومي. إني أجده مريحاً أكثر».

«مؤكد أنني لا أملي عليكم ما يجب أن ترتدوه». قال غونزالز بقلق.

«آمل ألا تفعل. أنا والمس تريكسي يكفينا ما نلقى».

تظاهر السيد غونزالز أنه يبحث عن شيء ما في طاولته ليتجنب العينين الرهيبتين اللتين صوبهما أغناطيوس نحوه.

«سأنهي الصليب» قال أغناطيوس أخيراً وهو يخرج من جيوبه الشبيهة بالجراب علبتي دهان.

«هذا رائع».

«للصليب أفضلية أولى في هذا الوقت. التصنيف والفهرسة - كل هذا يجب أن ينتظر حتى أنهي هذا المشروع. ثم، عندما أنهي الصليب سأقوم بزيارة للمصنع. أظن أن أولئك الناس يستصرخون أذناً رحيم، قائداً مخلصاً. أنا يمكن أن أعينهم».

«طبعاً لا تتركني أقول لك ما تفعل».

«لن أتركك» حدق أغناطيوس بمدير المكتب «أخيراً سمح لي بوابي معدتي بزيارة المصنع. يجب ألا أضيع هذه الفرصة. إن انتظرت فقد ينسد أسابيع عديدة».

«إذن يجب أن تزور المصنع اليوم» وافق مدير المكتب بحماسة.

نظر السيد غونزالز إلى أغناطيوس آملاً، غير أنه لم يتلق أي رد. صنّف أغناطيوس معطفه والشال والقبعة في أحد أدراج المصنفات وشرع يعمل في إنهاء الصليب. وفي الساعة الحادية عشرة كان يطلي الصليب الطلاء الأول بدقة وينشر الدهان بفرشاة ألوان مائية صغيرة. وكانت المس تريكسي لا تزال غائبة.

عند الظهيرة نظر السيد غونزالز إلى كومة الأوراق التي كان يعمل بها وقال: «أتساءل أين يمكن أن تكون المس تريكسي؟»

«لابد أنك حطمت معنوياتها» أجاب أغناطيوس ببرود. وكان يمرر الطلاء على أطراف الكرتونة الخشنة بالفرشاة «على كل حال يمكن أن تظهر وقت الغداء. قلت لها يوم أمس إنني سأجلب لها سندويشة لحم بقر. فقد اكتشفت أن المس تريكسي تعتبر لحم البقر شهياً ولذيذاً. كان بودي أن أقدم لك سندويشة، لكن أخشى أنه ليس هناك سوى ما يكفيني والمس تريكسي».

«بسيطة. بسيطة» قال السيد غونزالز راسماً ابتسامة باهتة ناظراً إلى أغناطيوس وهو يفتح كيساً ورقياً بنياً ملوثاً بالشحم «يجب أن أتابع العمل خلال الغداء على كل حال لأنهي هذه البيانات والفواتير».

«نعم. هذا أفضل. يجب علينا ألا نسمح لبناطيل ليفي أن تسقط في النضال من أجل البقاء للأصلح».

بدأ أغناطيوس ينهش سندويشته الأولى قاصاً إياها نصفين وأخذ يمضغ برضا للحظات.

«آمل فعلاً أن تظهر المس تريكسي» قال بعد أن أنهى السندويشة الأولى وتجشأ سلسلة تجشؤات بدت وكأنها تقضي على جهازه الهضمي «لن يحتمل بوابي معدتي لحم البقر، كما أظن».

حين كان ينتزع محتويات السندويشة الثانية من الخبز بأسنانه دخلت المس تريكسي وقطعة السيلوليد متجهة إلى الخلف.

«ها هي ذي» قال أغناطيوس لمدير المكتب من خلال ورقة الخس الرخوة المتدلية من فمه.

«آه نعم» قال السيد غونزالز واهناً «مس تريكسي».

«تصورت أن لحم البقر سينشط قدراتها. إلى هنا يا أم التجارة».

ارتطمت المس تريكسي بتمثال القديس انطوان:

«قلت لنفسي هناك شيء في بالي كل الصباح يا غلوريا». قالت المس تريكسي وهي تحمل السندويشة بين أصابعها وتعود إلى طاولتها. راقب

أغناطيوس بافتتان عملية المضغ المحكمة واللسان والشفتين التي أثارت كل قطعة من السندويشة فيها الحركة.

«أخذت وقتاً طويلاً لتغيير ثيابك» قال مدير المكتب للمس تريكسي، ولاحظ بمرارة أن طقمها ليس أفضل كثيراً من ثوبها وقميص النوم.

«من؟» سألت المس تريكسي مبرزة لساناً مملوءاً بلحم البقر والخبز المعلوكين.

«قلت إنك أخذت وقتاً طويلاً للتغيير».

«أنا؟ تركت المكتب من لحظة».

«هل تفضلت بالتوقف عن إزعاجها» أمر أغناطيوس بغضب.

«لم يكن التأخير ضرورياً وهي تقيم قريباً من هنا عند رصيف المرفأ». قال مدير المكتب وعاد إلى أوراقه.

«هل استمعت بها؟» سأل أغناطيوس المس تريكسي حين توقفت آخر لوّية من شفتيها.

أومأت المس تريكسي برأسها وبدأت تكد بالسندويشة الثانية. لكن حين أتت على نصفها. أسندت ظهرها على الكرسي.

«آه، امتلأت، شيء رائع يا غلوريا».

«سيد غونزالز هل ترغب في قطعة السندويش التي لا تستطيع المس تريكسي أكلها؟»

«لا، شكراً».

«أتمنى لو تأخذها وإلا هاجمتنا جيوش الفئران».

«نعم، غوميز خذها» قالت المس تريكسي ورمت نصف السندويشة المبلل غير المأكول فوق الأوراق على طاولة مدير المكتب.

«الآن انظري ما فعلت أيتها العجوز الحمقاء!» صرخ السيد غونزالز «اللعنة على السيدة ليفي. هذه بيانات خاصة بالمصرف».

«كيف تجرؤ على مهاجمة روح السيدة ليفي النبيلة؟» أرعد أغناطيوس، «سأكتب فيك تقريراً يا سيدي».

«قضيت ساعة في تحضير البيان. انظر ماذا فعلت».

«أريد لحم الفصح» نخرت المس تريكسي «أين ديك عيد الشكر؟ تركت وظيفة رائعة كصرافة في مسرح الخمس سنتات لأنني واشتغل في هذه الشركة. والآن أظن أني سأموت في هذا المكتب. يجب أن أقول أن العامل هنا يلقي معاملة مهينة. أنا متقاعدة منذ الآن».

«لم لا تغسلين يديك؟» قال لها السيد غونزالز.

«هذه فكرة حسنة» قالت المس تريكسي واتجهت نحو دورة المياه.

شعر أغناطيوس بأنه خدع. إذ كان يأمل أن يرى مشاجرة، وحين بدأ مدير المكتب في إعداد نسخة من البيان، عان أغناطيوس إلى الصليب. على كل حال كان عليه أولاً أن يرفع المس تريكسي التي عادت وركعت تحته لتصلي في المكان الذي كان أغناطيوس واقفاً فيه ليدهن. حامت الميس تريكسي حول السيد غونزالز وتركته يختم بعض الظروف وعادت لزيارة دورة المياه عدة مرات وإلى إغفاءتها.

كان مدير المكتب الوحيد الذي يحدث ضجة بآلته الكاتبة والآلة الحاسبة اللتين يرى أغناطيوس أنهما محيرتان إلى حد ما. في الواحدة والنصف قارب الصليب على الانتهاء. ينقصه فقط الأحرف الذهبية التي تؤلف كلمتي الله والتجارة والتي كان يتهيأ أغناطيوس للصقها في أسفل الصليب. وبعد أن أنجز الشعار تراجع أغناطيوس وقال للمس تريكسي:

«إنه كامل».

«آه يا غلوريا هذا جميل» قالت المس تريكسي مخلصة. «انظر إليه غويزا!»

«شيء جميل» قال السيد غونزالز وهو يدرس الصليب بعينين متعبتين.

«الآن إلى التصنيف» قال أغناطيوس منهمكاً «ثم إلى المصنع. أنا لا أحتمل الظلم الاجتماعي».

«نعم يجب أن تذهب إلى المصنع طالما أن بوابك شغال» قال مدير المكتب.

اتجه أغناطيوس إلى خلف خزائن الملفات. التقط الأوراق المكدسة وغير المصنفة ورمى بها في سلة المهملات. وحين لاحظ أغناطيوس أن مدير المكتب

جالس إلى طاولته وكفه على عينيه، سحب الدرج الأول للمصنفات وقلبه رأساً على عقب ملقياً بمحتوياته المفهرسة في سلة المهملات أيضاً.

ثم تحرك يتأمل نحو باب المصنع، هادرا واجتاز المس تريكسي التي خرت على ركبتيها ثانية أمام الصليب.



كان الشرطي مانكوزو قد حاول القيام بجولات ليلية قصيرة سعياً وراء اعتقال شخص ما، أياً كان من أجل إرضاء الرقيب. وبعد أن أوصل عمته إثر لعبة البولينغ توقف عند البار بمفرده ليرى ما يمكن أن يجد. وما جد كان تلك النسوة الثلاث المخيفات اللائي ضربنه. لامس الضماد فوق رأسه وهو يدخل المخفر ليرى الرقيب الذي كان قد استدعاه.

«ماذا حصل لك، مانكوزو؟» صرخ فيه الرقيب حين رأى الضماد.

«وقعت».

«هذا شأنك دائماً. لو كنت تعرف أي شيء عن مهنتك لكنت في الملاهي لتزودنا بالمعلومات عن الناس مثل تلك البنات الثلاث اللواتي أحضرناهن مساء أمس».

«نعم، سيدي».

«لا أدري أية عاهرة أعطتك المعلومات عن ليل الحبور، لكن جماعتنا كانوا هناك تقريباً كل ليلة ولم يعثروا على شيء».

«حسناً، ظننت».

«اخرس. قدمت لنا دليلاً زائفاً. هل تعرف ماذا نفعل بالناس الذين يقدمون لنا الدليل الزائف؟»

«لا».

«نضعهم في دورة مياه محطة الباصات».

«نعم، سيدي»..

«اجلس في المراحيض هناك ثماني ساعات في اليوم حتى تجلب لي شخصاً ما».

«أوكي».

«لاتقل. أوكي قل، نعم سيدي والآن اخرج من هنا وانظر في خزانتك. اليوم أنت مزارع».



فتح أغناطيوس «يوميات الولد العامل» على أول صفحة غير مستعملة من رزمة الأوراق المحشوة في حافظة بلوهورس، دفع رأس قلم الحبر إلى الأمام إلا أن رأس قلم بناطيل ليفي لم يستجب للدفعة الأولى وانزلق مرتداً داخل الإسطوانة البلاستيكية. دفع أغناطيوس بقوة أكبر إلا أن الرأس عصاه وانزلق داخلاً ولم يعد يرى. فالتقط واحداً من أقلام رصاص فينوس ميداليست الملقاة على الأرض وهشم قلم الحبر على طرف طاولته وبدأ يركز تفكيره، وهو يصغي إلى أصوات تحضيرات أمه لأمسية في حلبة البولينغ. كان في الحمام كثير من وقع الأقدام المتقطع ذهاباً وإياباً مما يعني أن أمه تحاول إنجاز أشكال زينتها المتعددة في الحال. ثم كان هناك الضجيج الذي ألفه منذ الصغر على مدى السنين كلما كانت أمه تتهيأ لمغادرة البيت: صوت سقوط فرشاة الشعر في حوض المرحاض، صوت علبة البودرة وهي تصطدم بالأرض، التعجب المفاجئ من الارتباك والتشوش.

«أوتش» صاحت أمه في إحدى اللحظات.

وجد أغناطيوس الضجيج المكتوم والموحش في الحمام مزعجاً وتمنى أن ينتهي. وأخيراً سمع صوت مفتاح نور الحمام. وقرعت أمه بابه.

«أغناطيوس، حبيبي، أنا ذاهبة».

«طيب» رد أغناطيوس ببرود شديد.

«افتح الباب يا ولد وقبلني قبلة وداع».

«أمي أنا مشغول جداً الآن».

«لا تكن هكذا أغناطيوس افتح الباب».

«انطلقي مع أصدقائك، من فضلك».

«أوه! أغناطيوس».

«أيجب أن تشتتيني على كل مستوى. أنا أعمل على إنجاز شيء ذي إمكانيات سينمائية. تجارى بمستوى رفيع».

رفست السيدة رايلي الباب بحذاء البولينغ.

«هل تمزقين هذا الحذاء العبثي الذي اشتريته بالرواتب التي أجنيها بمشقة؟»

انتزع أغناطيوس قلم الرصاص من أذنه وفتح الباب. كان شعر أمه الكستنائي يغطي جبينها. وعظمتا خديها حمراوين بأحمر الشفاه الذي انتشر بعصبية صاعداً حتى المحجرين. وقد اكتسى وجه السيدة رايلي وواجهة ثوبها وبعض الخصل الكستنائية السائبة بستار أبيض من البودرة (المسحوق).

«يا إلهي» قال أغناطيوس «نشرت البودرة على كل ثوبك، هل هذه إحدى نصائح السيدة باتاغاليا الجمالية».

«لماذا تنتقد سانتا دائماً أغناطيوس؟»

«يبدو أنها دائماً موضع نقد. الأفضل لها على كل حال ألا تتعرض إلي؟»

«أغناطيوس».

«كما أنها تجلب إلى الذهن الأشياء السوقية».

«سانتا جدّه، عيب عليك».

«شكراً لله على أن صرخات المس آني الجلفة أعادت السلام ليلة أمس. في حياتي كلها لم أر مثل هذه الحفلة الإباحية. وفي داخل مطبخي أنا. لو أن ذاك الرجل كان واحداً من موظفي قوة القانون، لقبض على تلك العمة بالجرم المشهود».

«لا تنتقد أنجلو أيضاً. أصبح وضعه صعباً يا ولد. سانتا تقول إنه كان في دورة المياه في محطة الباصات طول النهار».

«آه يا إلهي! هل أصدق ما أسمع؟ أرجوك اذهبي مع هذين الاثنين من جماعة المافيا واتركيني وحدي».

«لا تعامل أمك المسكينة هكذا».

«مسكينة؟ هل قلت مسكينة؟ حين تسيل الدولارات بشكل ملموس في هذا البيت بفضل جهودي؟ وتسيل بسرعة أكبر خارجة منه».

«لا تبدأ ذلك ثانية، أغناطيوس، لم آخذ منك هذا الأسبوع سوى عشرين دولاراً. وكان علي أن أركع على ركبتي واستجدي. انظر إلى الأشياء التي تشتريها. انظر إلى آلة التصوير السينمائية التي جلبتها للبيت اليوم».

«آلة التصوير ستوضع قيد الاستعمال قريباً، والهارمونية كانت رخيصة نوعاً ما».

«لن تستطيع أن تدفع لذاك الرجل بهذا المعدل».

«هذه ليست مشكلتي، أنا لا أسوق».

«لا، أنت لا تهتم. أنت لم تهتم بشيء أبداً يا ولد».

«كان علي أن أعرف أنني كلما فتحت باب غرفتي فإني في الحقيقة أفتح صندوق باندورا. ألم ترغب السيدة باتاغاليا أن تنتظريها مع ابن أختها الفاسق على الناصية حتى لا تضيع عليكم دقيقة غالية واحدة من وقت البولينغ؟» وتجشأ أغناطيوس غاز دزينة جنيات محبوسات ببوابه.

«امنحيني بعض السلام ألا يكفي أنني أساق طيلة النهار في العمل؟ ظننت أنني وصفت لك بدقة الأهوال التي يجب أن أواجهها كل يوم».

«تعرف أني أقدرك يا ولد» تنشقت السيدة رايلي: «تعال اعطيني قبلة صغيرة مثل ولد طيب».

انحنى أغناطيوس وقبلها قبلة خفيفة على خدها.

«يا إلهي» قال وهو يبصق البودرة «سيلازم الجفاف فمي طيلة الليل».

«بودرتي كثيرة؟»

«لا، إنها لطيفة. ألست مصابة بداء المفاصل أو غيره؟ كيف تلعبين البولينغ؟»

«أظن أن التدريب يساعدني. أحس أني أفضل».

سمع صوت بوق في الخارج كصوت الإوز.

«يظهر أن صديقك قد فر من دورة المياه» نخر أغناطيوس «يليق به أن يتسكع في محطة باص. ربما يحب مراقبة أهوال الباصات السياحية قادمة وراحلة. في نظرته للعالم يبدو له الباص شيئاً. وهذا يظهر شدة تخلفه».

«سأرجع مبكرة، يا حبيبي» قالت السيدة رايلي مغلقة الباب الأمامي الصغير.

«قد يعتدي عليّ أحد المتسللين!» صرخ أغناطيوس.

أغلق مزلاج باب غرفته وأمسك بزجاجة حبو فارغة وفتح مصراعي النافذة. مد رأسه من النافذة ونظر إلى أسفل الزقاق حيث تقف سيارة رامبلر بيضاء في الظلمة عند المنعطف. وبكامل قوته رمى بالزجاجة وسمعها ترتطم بسقف السيارة مع مؤثرات صوتية أكبر مما كان يتوقع.

«ما هذا!»

سمع سانتا باتاغاليا تصيح وهو يغلق بصمت مصراعي نافذته. وبارتياح شديد فتح حافظة الأوراق مرة أخرى والتقط قلم رصاص فينوس ميداليست.

[قارئي العزيز

الكاتب العظيم هو الصديق المحسن لقرائه.

- ماكولي

انتهى يوم عمل جديد، أيها القارئ اللطيف. كما قلت لك من قبل، لقد نجحت في وضع ما يشبه غشاء العتق على فوضى وجنون مكتبنا. جميع فعاليات مكتبنا غير الرئيسية تختصر شيئاً فشيئاً. في هذا الوقت أنا مشغول في تزيين خلية ذوي الياقات البيضاء من النحل (ثلاث) والتناظر الوظيفي لهذه النحلات الثلاث يجلب إلى الذهن ثلاث نوتات تصف إلى حد كبير مكتب: نفي، نفع، نقاء. هناك ثلاث نوتات تصف إلى حد كبير أفعال مهرجنا مدير المكتب: نهش، نكول، نزف، نفور نق.. (في هذه الحالة أخشى أن تطول القائمة) وقد وصلت إلى نتيجة أن مدير مكتبنا لا يخدم أي غرض سوى الإرباك والإعاقة. ولو لم يكن موجوداً لكنت أنا وعاملة المكتب الأخرى (سيدة

التجارة) في سلام ورضى وقمنا بواجباتنا في جو من الاعتبارات المشتركة. أنا على يقين أن أساليب الديكتاتورية. في جانب منها، تقع مسؤوليتها على رغبة المس ت في التقاعد.

يمكنني أخيراً أن أصف لك مصنعنا. ففي عصر هذا اليوم، وقد ملأني شعور بأنني حققت شيئاً بعد أن أكملت الصليب (نعم! لقد اكتمل ويهب مكتبنا بعداً روحياً تحتاج إليه) شرعت في زيارة المصنع فعقعته وأزيزه وهسيسه.

كان المشهد الذي طالع عيني منفراً ومرفوضاً في آن معاً ذلك المصنع الأصيل المستغل لعرق العمال كان حكراً على ذرية بناطيل ليفي. لو أن المؤسسة السميئونية، الحقيبة الملأى بما ترفضه أمتنا، تستطيع بشكل ما إخلاء وختم مصنع بناطيل ليفي وتصدرها إلى عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية، وكل عامل فيها مجمد على هيئة العمل، فإن زوار ذلك المتحف المريب سوف يتغوطون في ملابسهم المبهرجة السياسية. إنه المشهد الذي يجمع ما بين كوخ العم توم وحاضرة فريتز لانغ. إنه عبودية الزنود الآلية، تمثل التقدم الذي حققه الزنوج من قطف القطن إلى خياطته لو أنهم كانوا في مرحلة القطف من تطورهم لكانوا على الأقل في الهواء الطلق الصحي يغنون ويأكلون البطيخ [كما يبدون، حسب اعتقادي، في اللوحات الجدارية] لقد استفزت مشاعر الإيمان العميقة والراسخة لدى المتعلقة بالعدالة الاجتماعية. وأبدى بوابي معدتي استجابة حماسية.

(فيما يتعلق بالبطيخ، عليّ أن أقول، حتى لا يتضايق أحد ما من المختصين في منظمات الحقوق المدنية، إنني لم أكن على اطلاع تام على العادات الشعبية الأمريكية. قد أكون مخطئاً. وأتخيل أن الناس هذه الأيام يلتقطون القطن بيد في حين تضغط الأخرى جهاز ترانزستور على الصدغ، ليتمكن من صب النشرات عن السيارات المستعملة ومسبلات الشعر وحلاقة التاج الملكي وخمر غالّو، في طبلات آذانهم، في حين تتدلى سيجارة بالنعناع من شفاههم وتهدد بأن تشعل النار بحقل القطن كله. ومع أنهم يقطنون على

طول نهر الميسيسبي [هذا النهر اشتهر في شعر وغناء آفيمين، الموضوع السائد واحدة من المحاولات لجعل النهر نموذجاً بديلاً صنعياً .. والواقع أن نهر الميسيسبي جسم من الماء مخادع شرير تقضي تياراته ودوامته سنوياً على كثير من الأرواح، لا أعرف أحداً يمكن أن يجازف بغمس أصابع قدمه في مياهه البنية الملوثة التي تضطرب بفضلات الصناعة والمجاري، والمبيدات المميتة. حتى الأسماك تموت فيه. ولهذا فإن الميسيسبي، الذي تقول عنه الأغاني الشعبية إنه - إله - أب - موسى - هادٍ - قضيب طويل - كله موضوع زائف بدأ، كما أتصور، بذاك الدجال الكثيب مارك توين. إن هذا الإخفاق في التماس مع الواقع. على كل حال، هو من مزايا معظم الفن الأمريكي. وكل علاقة ما بين الفن الأمريكي والطبيعة الأمريكية هي محض مصادفة، إلا أن ذلك بسبب أن الأمة الأمريكية ككل ليست على تماس مع الواقع. وهذا أحد الأسباب التي أجبرتني على العيش على حواف مجتمعها، وقفاً على الأوساط المحفوظة لأولئك الذين يعرفون الحقيقة حين يشاهدونها]. لم أر في حياتي القطن ينمو وليست عندي الرغبة بذلك. فإن الرحلة الوحيدة خارج نيو أورلينز قادتني إلى دوامة اليأس وإعصاره. باتون روج. وفي حلقة قادمة، استرجاعية، قد أروي تلك الحجة عبر المستنقعات، الرحلة في الصحراء التي عدت منها مكسوراً جسدياً، وعقلياً، وروحياً، ونيو أورلينز من ناحية أخرى حاضرة مريحة تتمتع بلا مبالاة وركود لا أجدهما مزعجين. على الأقل مناخها معتدل، وأيضاً فإني متأكد بأني في هذه المدينة المتعاظمة أجد سقفاً فوق رأسي وشراب دنات في معدتي على الرغم من أن مناطق معينة من شمال أفريقيا (طنجة.. الخ) تستثير اهتمامي بين حين وآخر. السفر بالسفينة، على كل حال، يمكن أن يمرضني ومن المؤكد أنني لست من الضلال لدرجة محاولة السفر جوا حتى لو كنت قادراً على دفع أجرته. إن خط باصات غري هاوند تهديد كاف لي لكي أقبل بوضعي الراهن. أود لو أن هذه الباصات السياحية لا تستمر. يخيل إليّ أن ارتفاعها يخرق النظم الأساسية للطرق الواصلة بين الولايات والمتعلقة برسوم الأنفاق وما شاكل ذلك. لعل

أحدكم، أيها القراء الأعزاء، يمكن أن يلتقط الصورة الملائمة من الذاكرة بتقليب قانوني للرأي. حقاً يجب أن تُزال هذه الأشياء. وببساطة فإن مجرد معرفتي بأنها تندفع بسرعة في مكان ما في هذه الليلة المظلمة يجعلني أتوجس شراً).

المصنع مبنى كبير شبيه بالحظيرة يؤوي أثواباً وطاولات تفصيل وآلات خياطة ضخمة وأفراناً تؤمن البخار للكوي. المظهر العام أقرب إلى السوريالية، وخاصة حين يرى المرء الإفريقيين يتحركون هنا وهناك يقومون بأعمالهم في هذا الإطار الآلي، يجب أن أعترف بأن السخرية المتضمنة أسرت خيالي. قفز شيء من جوزيف كونراد إلى ذهني، مع أني لا أقدر أن أتذكر ما هو الآن. ربما شبهت نفسي بكبرتز في (قلب الظلمة) حين كان، بعيداً عن مكاتب الشركة التجارية في أوروبا، يواجه بالرعب المطلق. وإني لأتذكر كيف تخيلت نفسي في خوذة إسفنجية وبنطال ضيق من الكتان ووجهي يتخفى وراء غلالة ناموسية.

تبقي الأفران المكان دافئاً في هذه الأيام المقرورة، غير أنني أشك في أن يستمتع العمال مرة ثانية بطقس أسلافهم حين يحل الصيف. إن الحرارة المدارية مكبرة بهذه المخترعات المنتجة للبخار والتي تعمل على الفحم الحجري. أفهم أن المصنع لا يعمل بكامل طاقته في المرحلة الحاضرة، وقد لاحظت أن واحداً فقط من هذه الأجهزة يُشغّل، يحرق الفحم وشيئاً ما يشبه طاولات التفصيل. وأيضاً رأيت بنطالاً واحداً يكتمل صنعه، خلال الوقت الذي قضيته هناك، بالرغم من أن عمال المصنع كانوا يتباطؤون في نقل كل أنواع قصاصات القماش. لفتت انتباهي امرأة تكوي ثياب طفل، وأخرى بدت أنها تحقق تقدماً ملحوظاً في توصيل قطع من الساتان الأحمر على إحدى آلات الخياطة الضخمة. بدت بأنها تصمم ثوباً «خليعاً» للسهرة. يجب أن أقول إنني أعجبت بمهارتها في درز القماش إلى الأمام وإلى الخلف تحت الإبرة الكهربائية الضخمة. كانت تلك المرأة كما يظهر عاملة ماهرة. وفكرت في أنه من المؤسف بأنها لا تعير مواهبها لإبداع بنطال من بناطيل ليفي. كان هناك في المصنع مشكلة معنويات بالتأكيد.

بحثت عن السيد بالرمو، رئيس عمال المصنع، والذي كان عادة، أو عرضاً على بضع خطوات من الزجاجة، وتدل عليه الكدمات الكثيرة التي تكبدها من السقوط ما بين طاولات التفصيل وآلات الخياطة، غير أن البحث كان بلا جدوى. ولعله كان يعب غداء سائلاً في إحدى الحانات الكثيرة المجاورة لمنظمتنا، هناك بار عند كل زاوية في جوار بناطيل ليفي، وهذا إشارة إلى أن الرواتب في تلك المنطقة متدنية إلى الحضيض وفي كتل البناء البائسة جداً كان هناك ثلاثة أو أربعة بارات عند كل تقاطع.

لبراءتي ظننت أن الجاز الداعر الصادر عن مكبرات الصوت على جدران المصنع هو منشأ الفتور الذي كنت أشاهده بين العمال. لا يمكن أن تمطر النفس بالقنابل إلا بمثل هذه الإيقاعات قبل أن تبدأ بالتقوض والضمور. لذلك وجدت المفتاح الذي يضبط الموسيقى وأقفلته. وقد قاد هذا العمل الذي قمت به إلى زئير احتجاج جلف مُتحدٍ من جماعة العمال الذين أخذوا يجيلون النظر فيّ بأعين غاضبة. وهكذا أدرت المفتاح وأعدت الموسيقى، وأنا أبتسم ابتسامة عريضة وألوح لهم بمودة في محاولة للاعتراف بتصوري في الحكم ولأكسب ثقة العمال (كانت العيون البيضاء الكبيرة قد أطلقت علي سلفاً اسم «السيد تشارلي». وعليّ أن أناضل لأريهم تفانيّ المفرط من أجل مساعدتهم).

من المؤكد أن الاستجابة المستمرة للموسيقى قد طورت في داخلهم فعلاً منعكساً شرطياً بافلوفياً تجاه الضجة، الاستجابة التي يعتقدون أنها سرور. وبما أنني قضيت ساعات لا حصر لها أراقب أولئك الأولاد المفسدين على شاشة التلفزيون يرقصون على هذا النوع من الموسيقى، فقد عرفت النوبة الجسدية التي يفترض أن تظهر للعيان. فحاولت الرقص بطريقتي الخاصة المحافظة من أجل مزيد من التهدئة لهم. يجب أن أعترف أن جسدي تحرك برشاقة مفاجئة. لست عديم الحس الفطري بالإيقاع، لابد أن أسلافي كانوا رائعين في الرقص فوق المروج. واندفعت متجاهلاً عيون العمال إلى تحت هذه المكبرات أتلوى وأصدح «هيا ! هيا ! افعلها . حبيبي، افعلها ! اسمعني أتكلم معك!» أعرف أنني استرجعت مكانتي بينهم حين بدأ بعضهم يشيرون إليّ

ويضحكون. وضحكت بالمقابل لأظهر لهم أنني أشاركهم روحهم العالية. ذي كاسيبوس فيروروم الستريوم لو سقوط العظماء! سقوطي أنا عملياً! كياني الهائل، وقد أوهنه الدوران (خصوصاً في منطقة الركبتين) أخيراً ثار علي وانهد على الأرض عند محاولة عابثة لتقليد خطوات فاضحة فاسدة كنت قد شاهدتها على التلفزيون كثيراً. بدا على العمال الاهتمام أخذوا يساعدونني على الوقوف بكثير من الأدب والتهذيب، مبتسمين ابتسامات صدوقة. أدركت عندئذ أنه ليس علي أن أخاف شيئاً فيما يتعلق بغلطتي في إسكات موسيقاهم.

بالرغم من كل ما يتعرضون له، فإن الزنوج كانوا، مع ذلك، شعباً سعيداً في أكثريتهم. في الواقع أنا لا شأن لي بهم، لأنني إما أن أخالط أندادي أو لا أخالط، ومادام ليس لي أنداد فإني لا أخالط أحداً. وفي الحديث مع بعض العمال الذين أبدوا شوقاً للتحدث معي، اكتشفت أنهم يتلقون رواتب أقل حتى من المس تريكسي.

كنت دائماً أشعر بمعنى من المعاني، بشيء يقربني من العرق الملون لأن وضعهم هو وضعي نفسه كلانا موجود خارج المجتمع الأمريكي الداخلي. بالنسبة إليّ أنا نفيت نفسي طوعياً ولكن يتمنون أن يكونوا أعضاء فاعلين في الطبقة الأمريكية الوسطى. لا أستطيع تخيل لماذا. علي أن أعترف بأن هذه الرغبة من جانبهم تقودني إلى الشك في أحكامهم حول القيم. على كل حال، إذا كانوا يتمنون الالتحاق بالبورجوازيين فهذا ليس من شأني. يمكنهم أن يقرروا قدرهم. أما أنا شخصياً سأغضب بصرامة إذا ما شككت في أن أحداً ما يحاول مساعدتي للارتفاع إلى الطبقة الوسطى. سأغضب من ذلك الشخص المنشده الذي يحاول مساعدتي للارتفاع. وهذا الغضب يمكن أن يأخذ شكل كثير من مسيرات الاحتجاج المزودة بالرايات واللافتات التقليدية ويمكن أن تقول هذه اللافتات «اقضوا على الطبقة الوسطى». «على الطبقة الوسطى أن ترحل» وقد ألقي زجاجة مولوتوف صغيرة أو اثنتين، بالإضافة إلى أنني سأتجنب متعمداً الجلوس قرب الطبقة الوسطى على مناضد الغداء أو

في المواصلات العامة، لأحافظ على جوهر أمانة وجودي وفخامته. إذا كان رجل أبيض ذا طبيعة انتحارية كافية لتدفعه إلى الجلوس قربي إلى جانبي فإني أتخيل أنني سأضربه بإحكام على الرأس والكتفين بيد ضخمة واحدة وأرمي بأناقة واحدة من زجاجات مولوتوف في باص عابر مملوء ببيض الطبقة الوسطى باليد الأخرى. وإذا كان حصاري سيطول شهراً أو سنة فإني على يقين مطلق بأن الجميع سيتركونني وشأني بعد أن يكون قد انتهى إحصاء الأشلاء وتقدير ما أصاب الممتلكات من حطام ودمار بشكل كامل.

إني معجب جداً بالإرهاب الذي يقدر الزنوج على إثارته في قلوب بعض أعضاء البروليتاريا البيضاء، وكل ما أتمنى (هذا اعتراف شخصي إلى حد ما) هو أن أمتلك قدرة مماثلة على الإرهاب يرهب الزنجي ببساطة بكونه نفسه، أنا، على كل حال، يجب أن أرهب بالعبوس والصياح كي أصل إلى الغاية نفسها. ربما كان يجب أن أكون زنجياً. ضخماً، مرعباً أضغط باستمرار بفخذي العريض على أفخاذ العجائز البيض المترهلة في وسائط النقل العامة مثيراً لزمن صرخة واحدة من الفزع. ثم، أيضاً لو أنني كنت زنجياً. لما وقعت تحت ضغط أمي لأسعى وراء عمل جيد لأنه لا يمكن أن يتاح لي عمل جيد. وأمي نفسها ستكون زنجية عجوز مهترئة هصرتها سنو العمل ضئيل الأجر كخادمة ولن تستطيع أن تخرج ليلاً لتلعب البولينغ. يمكن لنا أنا وهي أن نعيش بهناءة كاملة في كوخ ما متصدع في حي من أحياء الفقراء في حال سلام بلا طموح، مدركين برضا بأننا غير مرغوب فينا، وأن الجهد بلا معنى.

على كل حال. لا أرغب في أن أرى المشهد القبيح لحركة الزنوج إلى أعلى باتجاه الطبقة الوسطى. إني أرى أن هذه الحركة إهانة كبيرة لصفائهم كشعب. لكن يبدو علي أنني أخذت أشابه البيروس والبارينغتونز وقريباً سأنسى كلية بناطيل ليفي، الوحي التجاري لهذا الجهد الخاص أكتب كمشروع للمستقبل، إذا ما لاقت (يوميات ولد عامل) نجاحاً ما في أكشاك الكتب فسوف أحفر، صورة لأمتنا بقلمي ربما أمتنا تتطلب النظرة العميقة لمراقب متحرر تماماً مثل ولدكم العامل، ولدي سلفاً في ملفاتي مجموعة رائعة من الملاحظات والمذكرات تقيّم المشهد المعاصر. وتعطيه بعداً.

يجب أن نسرع عائدين على أجنحة النثر إلى المصنع وأهله، الذين دفعوني إلى هذا الاستطراد الطويل. كنت أحدثكم، عن أنهم رفعوني عن الأرض وعن أدائي وما نجم عنه من سقوطي على كفلي كل ذلك كان مصدراً لشعور عظيم بالرفاقية. شكرتهم بود، وكانوا في الوقت ذاته يستفسرون، بلهجتهم الإنكليزية التي تعود للقرن السابع عشر، عن حالتي بقلق شديد. لم أصب بأذى، ولما كان الغرور خطيئة قاتلة أشعر عموماً بأنني أتحاشاها، فلم يصب أي شيء بأذى.

بعد ذلك، استفسرت منهم عن أحوال المصنع، لأن ذلك هو الهدف من وراء زيارتي. كانوا تقريباً شديدي التوق لمحادثتي وبدوا أكثر اهتماماً بي كشخص. ويبدو أن الساعات المملة التي يقضونها ما بين طاولات التفصيل تجعل الترحيب بالزائر مضاعفاً. تجاذبنا الحديث بغير ما كلفه، مع أن العمال لم يعبروا عن آرائهم في أعمالهم بشكل واضح لقد كانوا في الواقع أكثر اهتماماً بي من أي شيء آخر، لم أتضايق من لطفهم وكياستهم وتفاديت جميع أسئلتهم بمرح إلى أن أصبحت أخيراً أقرب إلى الأسئلة الشخصية. أحدهم وقد كان يشرد إلى المكتب بين حين وآخر سألني أسئلة محددة عن الصليب والتزيينات الملحقة به، وسيدة منتعلة طلبت الإذن (الذي منح لها طبعاً) في أن تجمع بعضاً من زملائها حول الصليب في المناسبات لإنشاد بعض الروحانيات. (أنا أمقت الروحانيات وتلك الترنيمات الكالفانية المميتة، التي تعود للقرن التاسع عشر، لكني كنت قد عقدت العزم على معاناة أن تخترق طبلتي أذني، إذا ما كانت جوقة أو اثنتان يمكن أن تسعد هؤلاء العمال) وحين سألتهم عن الرواتب، اكتشفت بأن معدل ما يحتويه ظرف الراتب أقل من ثلاثين (٣٠) دولاراً في الأسبوع. ورأيي بعد الدراسة أن المرء يستحق أكثر من ذلك راتباً ببساطة لقاء الجلوس في مكان مثل المصنع مدة خمسة أيام في الأسبوع، خصوصاً حين يكون المصنع مثل مصنع بناطيل ليفي، الذي يرشح سقفه ويهدد بالسقوط في أية لحظة، ومن يعلم؟ لعل لدى هؤلاء أعمالاً أخرى يقومون بها أفضل من التسكع في بناطيل ليفي، مثل تأليف الجاز أو ابتداع رقصات جديدة أو أي شيء يفعلونه بمثل هذه الوداعة. لا عجب أن يوجد مثل هذا الخمول في المصنع. ومع ذلك فإنه أمر لا يصدق بأن ذلك التفاوت ما بين

فتور الهمة على خط الإنتاج وما بين حمى النشاط في المكتب يمكن أن يلتئما في حضن (بناطيل ليفي) واحد. لو كنت واحداً من عمال المصنع (يمكن أن أكون واحداً كبيراً ومخيفاً، كما قلت آنفاً) لكنت عصفت منذ زمن طويل بالمكتب وطالبت براتب محترم.

هنا لابد لي من ملاحظة. حين كنت أحضر بشكل متقطع الدراسات العليا، التقيت في الندوة في أحد الأيام آنسة تدعى ميرنا مينكوف. آنسة من برونكس، عدوانية، وصاخبة ولم تتخرج بعد من الجامعة هذه الخبيرة بعالم الحشود جذبها تفردي وفتنتي إلى الطاولة التي كنت أجري عليها مناقشة. وما إن اتضحت رؤيتي للعالم الرائعة الأصيلة من خلال المحادثة، حتى بدأت مينكوف الوقحة بمهاجمتي على جميع المستويات، وعمدت حتى إلى رفسي من تحت الطاولة وبشيء من القوة عند نقطة معينة. لقد فتنتها وأربكتها في آن واحد، وباختصار، كنت أبرع من أن تتفوق علي. إن ضيق التفكير في غيت غوثام لم يهيئها لفرادة ولدكم العامل. لقد آمنت ميرنا، كما ترون، بأن كل البشر المقيمين جنوب نهر الهدسون وغربه، رعاة بقر أميون - أو أسوأ - بروتستانتيون بيض، طبقة من البشر، كجماعة مختصون بالجهل، والقسوة، والتعذيب (لا أريد بصفة خاصة أن أدافع عن البروتستانت البيض، أنا أيضاً لست مغرماً بهم).

وسرعان ما طرد سلوك ميرنا الاجتماعي المتوحش محادثي عن الطاولة، وتركنا وحدنا، مع القهوة الباردة والكلمات الحارة. وحين أخفقت في الموافقة على نهيقها وهذرها، قالت لي إني من الواضح من أعداء السامية. لقد كان منطقها مجموعة من أنصاف الحقائق والكليشهات. ورؤيتها للعالم مؤلفة من مفهومات خاطئة مستمدة من تاريخ أمتنا كما كتب من وجهة نظر نفق قطارات ما تحت الأرض. نقبت في حقيبتها السوداء الكبيرة وهاجمتي بنسخ ملوثة بالدهن من (رجال وفئران) و (الآن؟ والمتاريس المحطمة) و (الاندفاع) و (الثورة) وبيانات وكتيبات تتعلق بمنظمات كانت عضواً فاعلاً فيها: الطلاب من أجل الحرية، الشباب من أجل الجنس، المسلمون السود، أصدقاء لاتفيا، أطفال لاختلاط الأجناس، مجالس المواطنين البيض. كانت ميرنا كما ترون

شديدة الارتباط بمجتمعها، وأنا كنت من الناحية الثانية أكبر سناً وأكثر حكمة، وبعيداً عن أي ارتباط.

كانت قد اقتضت من أبيها بعض المال لتذهب إلى الكلية وترى كيف تكون الأمور. «هناك». ولسوء الحظ عثرت علي. لقد غذت صدمة لقائنا الأول مازوشية كل منا وقادتنا إلى علاقة (أفلاطونية) رديئة. (كانت ميرنا مازوشية باختيارها. كانت سعيدة فقط حين ينشب كلب بوليسي أنيابه في ملابس الرقص السوداء التي كانت تلبسها وحين تجرجر على الدرج الحجري لمجلس الشيوخ) يجب أن أعترف بأنني لم أشك مطلقاً في أن ميرنا ميالة إليّ جسدياً، كان يكيدها موقفي الصارم من الجنس، وبمعنى ما، أصبحت موضوعاً فريداً. لقد نجحت، على كل حال، في الحؤول دون أية محاولة للإغارة على قلعة جسدي وعقلي. منذ ذلك الحين أربكنا أنا وميرنا معظم الطلاب حين نكون منفصلين، وحين نكون معاً كنا إرباكاً مضاعفاً للجنوبيين المبتسمين الذين عقولهم عقول العصافير، والذين يشكلون أكبر جزء من الجسم الطلابي أعتقد بأن إشاعات أروقة الجامعة نسجت حولنا أبشع علاقة يمكن تصورها.

كان الجنس بالنسبة لميرنا هو العلاج الشافي لكل شيء من الأقواس المنهارة حتى الاكتئاب. وبشَّرت بهذه الفلسفة ذات التأثيرات الكارثية، حسناوين جنوبيتين كانت قد حضنتهما تحت جناحها من أجل أن تجدد عقلهما المتخلف. مشورة ميرنا مع مساعدة عدة شبان متلهفين جعلت إحدى الجميلتين البسيطتين تنهار عصبياً، أما الأخرى فحاولت أن تحز معصميها بزجاجة كوكا كولا مكسورة، وكان تفسير ميرنا لذلك أن الفتاتين كانتا رجعيتين جد أو غير صالحتين للبداية بهما، وبدأت تبشر بالجنس بحماسة متجددة في كل صف وفي كل مطعم بيتزا، حتى كاد بواب عمارة الدراسات الاجتماعية أن يغتصبها. في تلك الأثناء كنت أحاول هدايتها إلى طريق الحق.

وبعد عدة فصول دراسية اختفت ميرنا من الكلية، قائلة بلهجتها العدوانية «إن هذا المكان لن يعلمني شيئاً لا أعرفه». واختفى ثوب الرقص الأسود. وجديلة الشعر، وحقيبتها الرهيبة جميعاً، وعادت أرجاء الجامعة المحاطة بأشجار النخيل إلى سباتها وعناقها التقليديين. لقد رأيت تلك البغي المتحررة

عدة مرات منذ ذلك الحين، لأنها من وقت لآخر تقوم بجولة تفتيش للجنوب. وتتوقف في آخر الأمر في نيو أورلينز لتحاضر علي وتحاول إغوائي بأغاني السجن والقيد والعصابة المقيتة التي كانت ترتجلها على غيتارها، ميرنا وفيّة، إلا أنها لسوء الحظ، عدائية أيضاً.

حين رأيتها بعد آخر جولاتها التفقدية كانت ملطخة بالوحل. كانت قد توقفت في المزارع الجنوبية لتعلم الزنوج أغاني شعبية تعلمتها في مكتبة الكونغرس. يبدو أن الزنوج كانوا يفضلون موسيقى أكثر معاصرة وأخذوا يرفعون أصوات أجهزة الترانزستور بتحدّ كلما بدأت ميرنا إحدى ترنيماتها الجنائزية الحزينة. ومع أن الزنوج تجاهلوها فإن البيض أبدوا عظيم اهتمام بها. فقد طاردتها عصابات المهابيل والأوباش وطردوها من القرى. ومزقوا إطاراتها وجلدوها قليلاً على ذراعيها. طاردتها كلاب الأثر، وأفزعها رعاة الماشية. وعلكتها كلاب الشرطة ورشت بوابل من بنادق الخردق. لقد أحبت كل لحظة من تلك اللحظات وأرتني بافتخار شديد (ويمكنني أن أضيف وبغير احتشام) أثر ناب في أعلى فخذها. وقد لاحظت عيناي المصعوقتان غير المصدقتين أنها في تلك المناسبة كانت ترتدي جوارب غامقة ولا ترتدي ثياب رقص. على كل حال، دمي أخفق في أن يثور.

نتبادل الرسائل بانتظام، وموضوع ميرنا العادي في مراسلاتها يميل إلى حثي على ممارسة الاعتراض والتخويض والاعتصام وأشياء كهذه وبما أنني، على كل حال، لا آكل في المطاعم ولا أسبح فقد أهملت نصيحتها. أما الموضوع الثانوي في رسائلها فهو حثي على المجيء إلى مانهاتن وبذلك يمكن لنا أنا وهي أن نرفع رايتي الفوضى التوأمين في مركز الأهوال الممكنة. لو أنني في حالة جيدة، لقمت بهذه الرحلة. في هذه اللحظة من المحتمل أن تكون البغي مينكوف الصغيرة المعطرة في أحد الأنفاق عميقاً تحت شوارع برونكس مسرعة في قطار تحت أرضي من اجتماع للاحتجاج الاجتماعي إلى اجتماع عربدة وغناء أو أسوأ. يوماً ما ستقوم سلطات مجتمعنا بدون شك بإلقاء القبض عليها ببساطة لكونها نفسها. وسيعطي الاحتجاز أخيراً لحياتها معنى ويضع حداً لما تعانيه من إحباط.

كانت رسالتها الأخيرة أكثر وقاحة وعدوانية من العادة. ولابد أن تعامل على مستواها، وهكذا فكرت فيها وأنا أطلع على أوضاع المستويات المتردية في المصنع. لقد طالت مدة حبسي لنفسي في عزلة وتأمل ميلتونيين. ومن الواضح أنه آن الأوان لأخطو بجرأة داخل مجتمعنا، لا بأسلوب مدرسة ميرنا مينكوف السلبي المضجر في النشاط الاجتماعي، لكن بأسلوب راق وحماسة.

ستكونون شهوداً على قرار شجاع جريء وعدواني يتخذه المؤلف، قرار يكشف عن روح قتالية، وعمق، وقوة لا يمكن توقعها من طبيعة بهذا اللطف. غداً سأصف بالتفصيل جوابي على ميرنا مينكوفات العالم. والنتيجة قد تؤدي إلى الإطاحة (حرفياً) بالسيد غونزالز كسلطة في بناطيل ليفي. يجب أن تتصرف مع هذا الشيطان. لاشك أن واحدة من أقوى منظمات الحقوق المدنية ستغطينا بأغصان الغار.

يخز أصابعي ألم لا يحتمل نتيجة لهذه الكتابة المتعجلة الثّرة. يجب أن ألقي بقلمي، محرك الحقيقة، وأغسل يدي المشلولتين ببعض الماء الساخن. إن تفاني الشديد من أجل قضية العدالة هو الذي قاد إلى هذه الخطية، وأشعر أن دائرة ليفي داخل دائرة تتصاعد نحو الأعالي والنجاحات.

ملاحظة صحية: اليدان مشلولتان، البوب المعدة مفتوح مؤقتاً (نصف فتحة).

ملاحظة اجتماعية: لا شيء اليوم، ذهبت أمي ثانية، وتبدو كمحظية، وقد تحبون أن تعرفوا أن واحداً من عصبتها قد كشف عن يأسه بكشف عن تعلق شهواني بباصات غري هاوند.

سأصلي للقديس مارتان دوبوري، القديس الراعي للخلاسيين، من أجل قضيتنا في المصنع. وبما أنه تضرع أيضاً ضد الجرذان فإنه ربما يساعدنا كذلك في المكتب.

إلى وقت آخر

غاري ولدكم العامل المناضل



أشعل الدكتور تالك سيجارة بنسون أندهيدجز، وهو ينظر إلى الخارج من نافذة مكتبه في مبنى الدراسات الاجتماعية. رأى عبر باحة الجامعة بعض الأنوار المضاءة في الصفوف الليلية في المباني الأخرى قضى أمسيته كلها وهو ينقب في مكتبه بحثاً عن ملاحظاته حول ملكة الأساطير البريطانية، ملاحظات منسوخة بسرعة عن بحث من مائة صفحة في التاريخ البريطاني كان مرة قد قرأه في كتاب ورقي الغلاف. يجب أن تلقى المحاضرة غداً والوقت الآن الثامنة والنصف. وكمحاضر كان الدكتور تالك مشهوراً بالنباهة السطحية التهكمية والعموميات سهلة الهضم مما جعله شعبياً في أوساط الطالبات وساعد على حجب نقص المعرفة لديه بكل شيء عموماً. وبالتاريخ البريطاني على وجه الخصوص.

لكن حتى تالك أدرك أن خبرته في السفسطة والارتجال لن تحميه من كونه عاجزاً عن تذكر أي شيء على الإطلاق حول الملك لير أو أرثر أكثر من حقيقة أن الأول لديه بعض الأولاد، وضع سيجارته على المنفضة وراح ينقب ثانية في الدرج السفلي. كان هناك في مؤخرة الدرج كدسة من الأوراق القديمة التي لم يتفحصها بشكل كامل خلال بحثه الأول في المكتب، أخذ يقلب الأوراق بإبهامه وقد وضعها على حضنه واحدة واحدة وتبين أنها كانت، كما تصور، تتألف بشكل رئيسي من مقالات لم ترد لأصحابها وكان قد راكمها خلال مدة تتجاوز خمس سنوات. وقعت عينه وهو يقلب إحدى المقالات على ورقة دفتر خشنة مصفرة كتب عليها بأحرف كبيرة بقلم أحمر:

جهلك الشامل بما تزعم أنك تعلمه تستحق عليه عقوبة الموت. أشك في أنك تعرف أن القديس كاسيان أوف إيمولا قد طعن حتى الموت بأقلام طلابه. وموته، شهيداً، جعل منه قديساً راعياً للأساتذة.

صل له أيها الأحمق المخادع، أنت «أي شخص للتنس؟» أو لعب الغولف، أو عبّ الكوكتيل المتحذلق الزائف، لأنك حقاً بحاجة إلى راع سماوي. ومع أن أيامك معدودة فلن تموت شهيداً - أنت لا تدعم قضية مقدسة - بل ستموت حماراً كما أنت فعلاً.

زورو

وكان سيف قد رسم على السطر الأخير من الصفحة.

«أوه، ترى ما هي أخباره؟» قال تالك بصوت عالٍ.



- ٦ -

كانت حانة ماتي رامبل على زاوية من قسم كارولتون في المدينة حيث، يلتقي شارع سانت تشارلز بنهر الميسيبي بعد أن يسيرا متوازيين ستة أو سبعة أميال وبلقائهما ينتهي الشارع. هنا تتشكل زاوية، الشارع ومسارات الترام على جانب، والنهر ورصيف الميناء وسكة الحديد على الجانب الآخر. وضمن الزاوية هناك حارة صغيرة منفصلة. يحمل الهواء هناك دائماً رائحة معمل تقطير الكحول الكثيفة والثقيلة عند النهر، رائحة تصبح خانقة في آصال الصيف الحارة حين يهب النسيم من ناحية النهر، نشأت تلك الحارة بالمصادفة منذ قرن أو ما يقارب ولا تبدو اليوم أنها منتسبة إلى المدينة مطلقاً، فشوارع المدينة التي تتصالب مع شارع سانت تشارلز وتدخل تلك الحارة تتحول تدريجياً من الأسفلت إلى الحصباء. إنها مدينة زراعية قديمة حتى أن عدداً من الحظائر، قرية مبعدة عالم صغير داخل مدينة كبيرة.

بدت حانة ماتي رامبل مثل الأبنية الأخرى المجاورة، واطئة وغير مدهونة تقف بشكل مشوه. كانت ماتي تميل قليلاً نحو اليمين منحدرة باتجاه سكة الحديد والنهر. وكانت واجهتها حصينة تقريباً، مغطاة بإعلانات من تنك لتشكيلة من أنواع البيرة والسجائر والمشروبات غير الكحولية. وحتى الستارة التي على الباب كانت تعلن عن نوع من أنواع الخبز. كانت حانة ماتي مجموعة من بار وبقالية، وظاهرة البقالية محدودة بمجموعة متفرقة من البضائع، والمشروبات غير الكحولية، والخبز والطعام المعلب تحتل القسم الأكبر. وبجانب البار كان هناك صندوق جليد يبرد عدة أرطال من اللحم المملح والنقانق. ولم يكن هناك ماتي، فللسيد واتسون صاحب الحانة الهادئ، الأسمر بلون القهوة بالحليب، كامل السلطة على البضائع المحدودة.

«المشكلة أنه ليس عندي مهارة معينة، كان جونز يقول للسيد واتسون. كان جونز جاثماً على كرسي خشبي واطئ انثنت رجلاه تحته مثل ملقط الثلج جاهزتين لالتقاط الكرسي وحمله بعيداً أمام عيني السيد واتسون الهرمتين. «لو كان عندي بعض التدريب ما كنت أمسح أرض عاهرة».

«كن مليحاً» أجاب السيد واتسون بضبابية «حسّن سلوكك مع السيدة».

«ماذا؟ أنت لا تفهم أبداً يا رجل. أصبحت وظيفتي العمل مع طير. كيف تحب الشغل مع طير؟» وسدد جونز بعض الدخان على البار «أعني، أنا مسرور أن البنت وجدت فرصة. كانت تعمل مع (لي) الأم هذه من زمان. نحتاج إلى فرصة. لكني أراهن أن هذا الطير يكسب أكثر مني».

«كن لطيفاً، جونز».

«اسمع! أنت مغسول الدماغ» قال جونز «ليس عندك أحد يمسح لك الأرض كيف هذا؟ قل لي».

«لا توقع نفسك في مشاكل».

«أنت تتكلم مثل الأم (لي) مؤسف أنكما لم تلتقيا. ستحبك وتقول: يا ولد أنت الزنجي الذي كنت دائماً أبحث عنه. أنت لطيف جداً. ما رأيك بتشميع أرضي ودهان جداري؟ أنت عزيز علي ما رأيك بفرك مرحاضي وتلميع حذائي؟ وأنت ستقول: نعم يا ست نعم يا ست أنا حسن السلوك. وأنت تسقط مؤخرتك من على ثريا كنت تنظفها ويدخل صاحب لهذه العاهرة ويقارنان أسعارهما، وتبدأ (لي) بإلقاء بعض القروش عند رجليك وتقول: يا ولد. شغلك سيء هات النقود قبل أن أنادي الشرطة».

«أما قالت لك تلك السيدة إنها ستتصل بالشرطة إذا سببت لها مشاكل؟»

«هي وضعتني في المشاكل! أظن أن (لي) لها علاقة بالشرطة. طول الوقت تكلمني عن صديقها في السلك. وتقول إنها عالية المستوى لا يجرؤ أي شرطي على الاقتراب من بابها» وشكل جونز سحابة مرعدة فوق البار الصغير. «كما أنها تشغّل شيئاً ما مع وسيط الأيتام. حين تسمع شخصاً مثل (لي) يقول «إحسان» تعرف أن هناك مؤامرة في الجو. أعرف أن شيئاً ما يدور لأنه فجأة توقف رئيس الأيتام عن الظهور لأني أسأل كثيراً من الأسئلة. قذارة. أحب أن أعرف ما يدور. مللت من هذا المأزق مقابل عشرين دولاراً في الأسبوع وأعمل مع طائر بحجم النسر، أريد مكاناً آخر يا رجل! أريد مكيف هواء وتلفزيوناً ملوناً وأجلس أشرب شيئاً أفضل من البيرة».

«تريد بيرة ثانية؟»

نظر جونز إلى الرجل المسن من خلال نظارته الشمسية وقال: «تحاول أن تبيعني بيرة ثانية، أنا الولد الملون المسكين يتعب مؤخرته بعشرين دولاراً في الأسبوع؟ أظن حان الوقت لتقدم لي بيرة مجانية، مع كل هذا المال الذي تكسبه من بيع اللحم المملح والمشروبات الخفيفة للناس الملونين المساكين. أنت أرسلت ابنك للكلية بالمال الذي تكسبه هنا».

«صار الآن أستاذ مدرسة» قال السيد واتسون بافتخار وفتح بيرة.

«أليس هذا لطيفاً! أنا لم أذهب إلى المدرسة غير سنتين في حياتي. كانت أمي تخرج لتغسل ملابس الناس، وما تكلم أحد عن المدرسة! أمضيت كل وقتي على عجلة في الشارع أدور بالعجلة وأمي تغسل. ما علمني أحد شيئاً. قذارة. من يهتم بأصحاب العجلات ويوظفهم؟ وانتهيت موظفاً أعمل مع طائر. وعندي معلمة تبيع الذباب للأيتام!»

«طيب إذا كان الأمور بهذا السوء...»

«بهذا السوء؟ مهلك! هذا نوع من الرق المعاصر. إن تركت يبلغ عني بأني عاطل. وإن بقيت لا أكسب إلا عشرين دولاراً راتب لا يصل حتى للحد الأدنى».

«سأقول لك ما تقدر أن تعمله» قال السيد واتسون بثقة وهو ينحني على البار يناول جونز البيرة. فمال الرجل الآخر الذي في البار نحوهما ليصغي، لقد كان يتابع محادثتهما لعدة دقائق.

«حاول أن تقوم بعملية تخريب صغيرة هذه هي الوسيلة الوحيدة لمحاربة مأزق من هذا النوع».

«ماذا يعني تخريب؟»

«أنت تعرف يا رجل» همس السيد واتسون «مثل النادلة التي لا تأخذ أجراً مناسباً تكثر من الفلفل في الشوربة من دون قصد. مثل عامل موقف السيارات يصب زيتاً ويجعل السيارات تصطدم بالحاجز».

قال جونز «مثل الولد الذي يعمل بالسوبر ماركت تصير له أصابع زلقة. ويوقع دزينة بيض على الأرض لأنهم لا يدفعون أجر العمل الإضافي أليس كذلك».

«الآن فهمتها».

«نحن نخطط لتخريب كبير» قال الرجل الآخر الجالس على البار خارقاً صمته «سنقوم بتظاهرة كبيرة حيث أعمل».

«نعم؟» سأل جونز «أين؟»

«في بناطيل ليفي. جاءنا هذا الرجل الأبيض الضخم في المصنع وقال لنا إنه يحب أن يلقى قنبلة ذرية على رأس الشركة».

«يظهر أن عندكم شيئاً أكثر من التخريب» قال جونز «يظهر أن عندكم حرباً».

«كن لطيفاً. كن محترماً» قال السيد واتسون للغريب.

قهقه الرجل حتى اغرورقت عيناه بالدموع وقال: «يقول هذا الرجل إنه يصلي للخلاسيين والجرذان في جميع أرجاء العالم».

«جرذان؟ أنتم يا ناس عندكم واحد استثنائي مائة بالمائة».

«هو ذكي جداً» قال الرجل مدافعاً «وهو متدين جداً أيضاً. بنى لنفسه صليباً كبيراً في المكتب».

«صحيح!»

«هو يقول: أنتم يا ناس، كنتم سعداء في العصور الوسطى. يجب يا ناس أن تحصلوا على مدفع وبضعة سهام. ارموا قنبلة نووية على هذا المكان» وضحك الرجل مرة أخرى. «ليس عندنا أفضل من ذلك نعمله في ذلك المصنع. هو يحب بأن يسمع وهو يفتل شاربه. سيقودنا في تظاهرة كبيرة ستجعل كل التظاهرات الأخرى تبدو كما يقول مثل استقبالات السيدات».

«نعم. يبدو أنه سيقودكم يا ناس إلى السجن» قال جونز مغطياً البار بمزيد من الدخان. «يبدو مثل أم بيضاء مجنونة».

«هو غريب نوعاً ما» اعترف الرجل «لكنه يشتغل بشكل صحيح في المكتب، والمدير هناك، السيد غونزالز يرى أن هذا الرجل دقيق جداً. يتركه يفعل ما يريد. حتى إنه تركه يدخل إلى المصنع في أي وقت يشاء أيضاً. كثير من الناس مستعدون أن يتظاهروا معه. قال لنا إنه حصل على إذن من السيد ليفي

نفسه للقيام بتظاهرة. قال لنا إن السيد ليفي يريدنا أن نتظاهر ونتخلص من غونزالز. من يدري؟ يمكن أن يرفعوا أجورنا. وهذا ما يخشى منه السيد غونزالز».

«قل لي يا رجل كيف هل شكل هذا القط الأبيض المخلِّص؟ سأل جونز باهتمام».

«هو ضخم وسمين. يضع على رأسه قبعة صيد كل الوقت». اتسعت حدقتا جونز خلف نظارته.

«هل هي القبعة خضراء؟ هل قبعته خضراء؟»

«نعم. كيف عرفت؟»

قال جونز «أنتم يا ناس وقعتم في مشاكل كثيرة. الشرطة تبحث عن هذا الاستباحي. جاء إلى ليل الحبور مرة وراح يخبر هذه الدارلين عن باص».

«صحيح» قال الرجل «خبرنا أيضاً عن باص قال إنه رحل مرة إلى قلب الظلام في باص في أحد الأيام».

«هو نفسه. ابعدوا عن هذا الاستباحي. هو مطلوب من الشرطة. أنتم يا ملونين يا مساكين ستقذفون بمؤخراتكم في السجن!»

«طيب. يجب أن أسأله عن هذا» قال الرجل «أنا متأكد أني لا أرغب في أن يقودني محكوم في مظاهرة».



كان السيد غونزالز في بناطيل ليفي مبكراً كالعادة. أشعل بشكل رمزي مدفئته الصغيرة وسيجارة ذات فلتر بعود الكبريت نفسه. وإشعال مشعلين إشارة إلى بداية نهار عمل آخر. ثم هيأ ذهنه لتأملات الصباح الباكر. كان السيد رايلي قد أضاف لمسة جديدة على المكتب في اليوم السابق، بقصاصات طويلة من الورق البنفسجي والرمادي تحلق من مصباح كهربائي إلى آخر عبر السقف. ذكر الصليب واللافتات وقصاصات الورق في المكتب المدير بزينة عيد الميلاد وجعلته عاطفياً بعض الشيء. ولاحظ وهو ينظر بسعادة إلى منطقة السيد رايلي بأن عرائش الفاصوليا تنمو بشكل جيد، حتى أنها بدأت

تلتف نازلة ما بين مقابض دروج خزائن الملفات. وتساءل السيد غونزالز كيف دبر عامل التصنيف أمره في التصنيف من دون إزعاج هذه الفروع الطرية. وبينما كان يفكر في هذا اللغز المكتبي فوجئ برؤية السيد رايلي نفسه يندفع مثل طوربيد عبر الباب.

«صباح الخير، يا سيدي» قال أغناطيوس بفظاظة، ووشاحه يطير أفقياً في أعقابه مثل علم قبيلة سكوتلاندية متنقلة. كانت آلة تصوير سينمائية رخيصة على كتفه وتحت ذراعه لفافة ظهر أنها ملاءة سرير جمعت على بعضها.

«حسناً. أنت مبكر جداً هذا اليوم، سيد رايلي».

«ماذا تعني؟ أنا أصل في هذا الوقت دائماً».

«آه طبعاً» قال السيد غونزالز بخبث.

«هل تعتقد أنني هنا مبكر لغاية معينة؟»

«لا. أنا ...»

«أفصح يا سيدي. لم أنت شكّاك بشكل غريب؟ عيناك تبرقان بعقدة الشك».

«ماذا يا سيد رايلي؟»

«سمعت ما قلت» أجابه أغناطيوس واتجه متثاقلاً نحو باب المصنع.

حاول السيد غونزالز إعادة تكييف نفسه غير أنه انزعج مما بدا له كأصوات هتاف من المصنع. فكر ربما أصبح أحد العمال أباً أو ربح شيئاً ما في اليانصيب. مادام عمال المصنع يدعونه وشأنه فإنه سيمد لهم حبل المودة. كانوا بالنسبة إليه ببساطة جزءاً من منشأة بناطيل ليفي المادية ولا علاقة لهذا الجزء بمركز الدماغ، لم يكونوا تابعين له ليقلق عليهم. كانوا تحت أمرة السيد بالرمو السكرانة. وحين وجد الشجاعة الكافية قرر مدير المكتب أن يسأل السيد رايلي وبأسلوب سياسي جداً حول مدة الوقت الذي يقضيه في المصنع. على كل حال، فإن السيد رايلي أصبح مؤخراً بعيداً نوعاً ما وصعب الوصول إليه، وخاف السيد غونزالز من فكرة العراك معه. أخذت قدماه

تنملان عندما فكر بأن إحدى مخالب الدب تلك تحط على قمة رأسه منغرسة، ربما، مثل وتد على أرض المكتب التي لا يعلم بغورها أحد.

كان أربعة من عمال المصنع يطوقون أغناطيوس من فخذيه الضخمين وبجهد جهيد كانوا يرفعونه إلى إحدى طاولات التفصيل. ومن فوق أكتاف حامليه كان أغناطيوس ينبح بالتوجيهات كما لو كان يشرف على تحميل أندرو أغلى الحمولات.

«لفوق، على اليمين، هناك!» كان يصرخ بهم، «فوق، فوق، انتبهوا. على مهلكم. هل قبضاتكم محكمة؟»

«نعم» أجاب أحد الحاملين.

«أحس بأنها رخوة، رجاء! أنا أتردى إلى حالة من القلق الكامل». كان العمال يراقبون باهتمام الحاملين وهم يراوحون إلى الخلف وإلى الأمام تحت حملهم الثقيل.

«الآن إلى الخلف» صاح أغناطيوس بعصبية «إلى الخلف أن تكون الطاولة تحتي مباشرة».

«ولا يهمك سيد رايلي» لهث أحد العاملين «نحن نصوبك مباشرة على الطاولة».

«الظاهر أنكم لا تفعلون» رد أغناطيوس وقد ارتطم جسمه بعمود «آه! يا إلهي! كتفي انخلعت».

وارتفعت صرخة من العمال الآخرين.

«انتبهوا للسيد رايلي» صاح أحدهم «أنتم يا رجال ستفتحون رأسه».

«رجاء» صاح أغناطيوس «النجدة، لحظة وأصبح كومة محطمة».

«انظر سيد رايلي» قال أحد الحاملين مقطوع النفس «الطاولة تحتنا الآن».

«سأرمي ربما في أحد الأفران قبل أن تنتهي هذه البلية. أظن أنه كان أكثر حكمة أن أخطب في الجمع على مستوى الأرض».

«أنزل قدميك الآن، سيد رايلي. الطاولة تحتك مباشرة».

«على مهلكم» قال أغناطيوس ماذا مشط قدمه الكبير نحو الأسفل بحذر شديد. «عال. هكذا. طيب. حين أثبت نفسي يمكنكم أن تخففوا أحكامكم على جسمي».

أصبح أغناطيوس شاقولياً، أخيراً، على ظهر الطاولة، واضعاً لفافة ملاءة السرير عند حوضه ليخفى عن الحضور حقيقة أنه خلال عملية رفعه أثير.

«أيها الأصدقاء» قال أغناطيوس بعظمة ورفع اليد التي لم تكن تحمل الملاءة «أخيراً هذا اليوم يومنا، آمل أن تكونوا جميعاً قد تنبهتم لإحضار آلات الحرب». لم تظهر أية علامة من علامات الإثبات أو النفي من الجمع المتحلق حول طاولة التفصيل. «أعني العصي والسلاسل ومضارب الكرات وما إلى ذلك» فهقهت جوقة العمال ولوحوا بأوتاد وعصي مكانس، وجنازير دراجات وقطع آجر «يا الله! لقد جمّعتم حقاً أسلحة رائعة لألاءة. إن عنف هجومنا قد يتجاوز توقعاتي، على كل حال، إذا كانت الضربة دقيقة كانت النتائج حاسمة. وتفقدي السريع لأسلحتكم، إنما يؤكد إيماني بالنجاح المطلق لحملتنا اليوم. في صحوتنا اليوم يجب أن نخلف بناطيل ليفي منهوباً ومسلوباً، يجب أن نقاتل النار بالنار».

«ماذا يقول؟» سأل أحد العمال عاملاً آخر.

«سوف نعصف بالمكتب سريعاً بمفاجأة الخصم وحواسه لاتزال تحت تأثير ضبابات الصباح الباكر النفسية».

«سيد راء اعذرني» صاح رجل من بين الجمع «واحد قال لي أن عندك مشاكل مع الشرطة هل هذا صحيح؟»

وطفت موجة من القلق والترقب على العمال.

«ماذا؟» صرخ أغناطيوس «أين سمعت هذا الافتراء. هذا كله زائف. لابد أن سوبرمانيا أبيض أو أحد الأوباش الشماليين وربما غونزالز نفسه ولاشك هو الذي أشاع هذه الإشاعة الحقيرة. كيف تجرؤ يا سيد. يجب أن تدركوا جميعاً أن قضيتنا لها الكثير من الأعداء».

وبينما كان العمال يصفقون له هاتفين، تساءل أغناطيوس كيف عرف هذا العامل أن مانكوزو المنغولي حاول توقيفه. لعله كان بين الجمع عند دائرة

المخزن. كان الشرطي الذبابة العالقة بمرهم كل منهم. على كل حال، يبدو أنه قد كسب الجولة.

«الآن سنحمل معنا هذه في الطليعة» صاح أغناطيوس فوق التصفيق المتقطع. وبطريقة مسرحية امتشق من حوضه الملاءة ونشرها. وفوق اللطخ الصفراء كانت كلمة (إلى الأمام) مكتوبة بحروف كبيرة بقلم أحمر ومن تحتها (حملة في سبيل كرامة البرير) بخط متقد باللون الأزرق.

«من يا ترى كان ينام على هذا الشيء المهترئ؟» قالت المرأة الانفعالية ذات الميل الروحي، والتي كانت ستصبح قائدة الجوقة «يا إله!»

وعبر عدد آخر من المشاغبين المتطلعين إلى المستقبل عن الدهشة نفسها بمفردات جسدية مكشوفة أكثر.

«هدوءاً الآن» قال أغناطيوس ضارباً بقدم واحدة الطاولة بشكل مرعد.

«رجاء! ستحمل اثنتان من أكثر النساء مهابة هذه الراية بينهما ونحن في مسيرتنا إلى المكتب».

«لن أضع يدي على هذا» أجابت إحدى النساء.

«هدوءاً! جميعاً!» قال أغناطيوس بحدة «بدأت أشك، أيها الناس، بأنكم جديرون بهذه القضية. يظهر أنكم غير مهيئين لتقديم أي من التضحيات الكبرى».

«كيف صار أنه يجب أن نحمل هذه القماشة العتيقة معنا؟» سأل أحدهم «حسبت أنه من المفترض أن تكون مظاهرة من أجل الأجور».

«قماشة؟ أية قماشة» رد أغناطيوس «أحمل أمامكم أسمى الرايات هوية هدفنا، رمزاً مرئياً لكل ما نهدف» درس العمال البقع بإمعان أكثر «إذا رغبتم ببساطة الاندفاع نحو المكتب كقطيع فلن تكونوا شاركتم سوى بشغب. إن هذه الراية وحدها هي التي تهب الشكل والمصداقية للهياج. هناك شيء هندسي معين تتضمنه هذه الأشياء. شيء طقسي يجب أن يلقى الاعتبار. هنا أيتها السيدتان الواقفتان هناك خذا هذه بينكما ولوحا بها هكذا بكل فخر واعتزاز. فلترتفع الأيدي...الخ».

تهادت المرأتان اللتان أشار إليهما أغناطيوس ببطء نحو طاولة التفصيل وبحيوية أمسكتا الراية بإبهاميهما والسبابتين وحملتاها بينهما كما لو كانت كفن مجذوم.

«يبدو هذا أكثر تأثيراً مما تخيلت» قال أغناطيوس.

«لا تلوحي بهذا الشيء قربي يا امرأة» قال أحدهم للمرأة، خالقاً موجة أخرى من القهقهات بين الجمهور.

هيأ أغناطيوس آلة التصوير للتشغيل وصوبها على الراية والعمال. «رجاءً لوحوا بعصيكم وأحجاركم مرة أخرى» تراص العمال بمرح. لو رأت ميرنا هذا لغصت بقهوتها الاكسبرس «بعنف أشد الآن. أشهروا أسلحتكم بقسوة. كشّروا، اصرخوا. لعل بعضكم يقفز إلى الأعلى والأسفل إذا سمحتم».

نفذوا جميعاً تعليماته ضاحكين، ماعدا السيدتين اللتين تحملان الراية فقد كانتا متجهمتين.

في المكتب كان السيد غونزالز يراقب المس تريكسي ترتطم بإطار الباب وهي تفتح نهارها. وفي الوقت نفسه يتعجب، ماذا يعني الهيجان الجديد والعنيف الذي يحدث في المصنع.

صور أغناطيوس المشهد أمامه مدة دقيقة أو دقيقتين. ثم تابع عموداً نحو السقف من أجل ما تخيل أنه سيكون مشهداً ممتعاً ونادراً في فن السينما موحياً بالطموح. سيقضم الحسد أعضاء ميرنا الحيوية المسكينة. وعلى أعلى العمود ركزت عدسة الآلة على عدة أقدام مربعة من داخل سقف المصنع الصدئ. ثم ناول أغناطيوس أحد العمال الآلة وطلب أن يصور. وحين وجه العامل العدسة نحوه، قطب أغناطيوس جبينه وهز قبضته، مسلياً العمال تسلية عظيمة.

«هذا حسن الآن» قالها بكرم وهو يسترد آلة التصوير ويوقف حركة التشغيل. «دعونا نضبط نبضنا الشعبي قليلاً ونخطط استراتيجتنا. أولاً ستتقدمنا هاتان السيدتان بالراية. مباشرة خلف الراية تأتي الجوقة تنشد نغماً شعبياً أو دينياً. والسيدة المسؤولة عن الجوقة يمكن أن تختار اللحن.

لأني لا أعرف شيئاً من أساليبكم الموسيقية فسأترك الخيار لكم، على الرغم من أني أرغب لو كان هناك وقت كاف لأعلمكم جميعاً محاسن بعض القصائد. سأقترح فقط أن تختاروا لحناً قوياً نوعاً ما. وما تبقى منكم سيؤلف كتيبة المحاربين. وسأتبع الطاقم كله بآلة التصوير من أجل تسجيل هذه المناسبة الخالدة. وفي وقت لاحق سيحقق جميعاً دخلاً إضافياً من تأجير هذا الفيلم لمنظمات الطلبة والجمعيات المرعبة المماثلة».

«أرجوكم تذكروا هذا. سنقدم أولاً بشكل سلمي وعقلاني. وعند دخولنا المكتب ستحمل السيدتان الراية نحو مدير المكتب. وعندئذ تتحلق الجوقة حول الصليب. وتبقى الكتيبة في المؤخرة إلى حين الحاجة. ولأننا نتعامل مع غونزالز نفسه فأتوقع أن يُنادى على الكتيبة بأمر قصير. إذا لم يستجب غونزالز لتأثير هذا المشهد، فسأنادي «هجوم» هذه الإشارة لانقضاضكم. هل من سؤال؟»

قال أحدهم: «هذا روث كثير» لكن أغناطيوس تجاهل الصوت. ساد المصنع سكون سعيد، ومعظم العمال تواقون إلى تغيير الإيقاع. ظهر السيد بالرمو، رئيس العمال، ما بين اثنين من الأفران سكران، لحظة ومن ثم اختفى.

«يظهر أن خطة المعركة واضحة» قال أغناطيوس حين لم تطرح أية أسئلة. «هل للسيدتين صاحبتي الراية أن تتفضلا بأخذ موقعيهما هناك عند الباب؟ الآن الجوقة من فضلكم خلفهما وبعدئذ الكتيبة».

تشكل العمال بسرعة باسمين وناخسين بعضهم بعضاً بآلات حربهم. «جميل! يمكن للجوقة أن تبدأ الغناء».

نفخت السيدة ذات الميل الروحاني في مزمار وشرع أعضاء الجوقة يغنون بشبق «آه. يا مسيح، قف بجانبي / عندئذ دائماً، دائماً أكتفي».

«هذا حقاً مثير» لاحظ أغناطيوس ذلك. ثم صاح «هيا إلى الأمام».

أطاع التشكيل بسرعة قبل أن يصيح أغناطيوس بنداء آخر. كانت الراية قد تقدمت عبر المصنع وبدأت تصعد الدرج نحو المكتب.

«قفوا!» صرخ أغناطيوس «فليساعدني أحدكم على النزول عن الطاولة».

أوه، يا يسوع كن صديقي

وابق معي، أوه، ابق معي حتى النهاية

خذ يدي

أحس بالعظمة

أعرف أنك تمشي

تسمع ما أقول

أنا لا أشكو

حتى إذا أمطرت السماء

حين أكون مع يسوع

«قفوا» صاح أغناطيوس مسعوراً، وهو يرى الكتيبة تسير أرتالاً عبر الباب «عودوا إلى هنا حالاً».

ترنح الباب منغلقاً وهبط على اليدين والركبتين وزحف إلى حافة الطاولة ثم استدار حول نفسه، وبعد وقت طويل قضاه في مناورة أطرافه، تدبر أمر الجلوس على حافة الطاولة. وبعد أن لاحظ أن قدميه تتدليان بضعة إنشات من الأرض قرر أن يخاطر بالقفز. حين دفع بنفسه بعيداً عن الطاولة وحط على الأرض، انزلقت آلة التصوير من كتفه وضربت الأرض بصوت كسر أجوف. انتزعت أحشاؤها وانفرط الفيلم على الأرض. التقطها أغناطيوس وحرك لسان التشغيل لكن شيئاً لم يحدث.

أوه يا يسوع، ادفع كفالتي

حين يضعوني في ذاك السجن العتيق

أوه، أوه، أنت دوماً تعطي

سبباً للحياة

«ماذا يعني هؤلاء المجانين؟» سأل أغناطيوس المصنع الخالي وهو يحاول أن يدخل الفيلم قدماً قدماً في جيبه.

لم تؤذني أبداً

أبداً، أبداً، أبداً، لم تهجرني

لم أخطئ أبداً

انتصر دوماً

الآن بلغت المسيح.

شق أغناطيوس طريقه نحو الباب وهو يجر الفيلم السائب، ودخل المكتب. كانت المرأتان تنشران ظهر الملاءة المبقعة أمام السيد غونزالز المرتبك. عيونهما مغلقتان. وأعضاء الجوقة الذين يغنون مكرهين ضاعوا في لحنهم. اندفع أغناطيوس عبر الكتيبة ثم متأنياً على أطراف المشهد نحو طاولة مدير المكتب.

رأته المس تريكسي وسألت «ماذا يحدث، غلوريا؟ ماذا يفعل أهل المصنع كلهم هنا؟»

«اهربي ما دمت قادرة من تريكسي» قال لها بكثير من الجدية.

أوه، يسوع

امنحني السلام

حين تبعد عني الشرطة

«لا أستطيع سماعك» صاحت المس تريكسي وهي ممسكة ذراعه «أهذا عرض غنائي؟»

«روحي دلّي أطرافك الذابلة على المرحاض» صرخ أغناطيوس بوحشية.

ابتعدت المس تريكسي جارة قدميها.

«طيب؟» سأل أغناطيوس السيد غونزالز، معيداً ترتيب وقفة السيدتين ليتمكن السيد غونزالز من قراءة ما كتب على الوجه الآخر من الملاءة.

«ماذا يعني هذا؟» سأل السيد غونزالز وهو يقرأ الراية.

«هل ترفض أن تساعد هؤلاء الناس».

«أساعدهم؟» سأل مدير المكتب بصوت خائف.

«أتكلم عن الخطيئة ضد المجتمع والتي هي من فعلك».

«ماذا؟» وارتعشت شفة السيد غونزالز السفلى.

«هجوم» صاح أغناطيوس على الكتيبة «هذا الرجل عديم الرحمة».

«لم تمنحه فرصة ليقول شيئاً» لاحظت إحدى السيدتين المستاءتين الحاملتين الملاءة. «دع السيد غونزالز يتكلم».

«هجوم، هجوم» صاح أغناطيوس مرة أخرى بحدة أكبر. وبرقت وجحظت عيناه الزرقاوان الصفراوان.

ضرب أحدهم بغير حماسة بجنزير دراجة ظهر خزائن الملفات ورمى نبتات الفاصوليا أرضاً.

«الآن، انظر ما فعلت» قال أغناطيوس «من قال لك أن توقع هذه النبتات؟»

«أنت قلت: هجوم» أجابه صاحب جنزير الدراجة.

«توقف حالاً» صرخ أغناطيوس برجل يُحدث شقاً عامودياً في لوحة (إدارة البحوث والمراجع - إ. رايلي، المسؤول) بمطواة.

«ماذا تظنون أنكم تفعلون يا ناس؟»

«أنت قلت هجوم» أجابت عدة أصوات.

في هذا المكان الموحش

منحتني البركة

تعطي نورك

خلال الليل الطويل

أوه، يسوع أنت تسمع عويلي

وأنا لن أدعك أبداً تذهب، أبداً، أبداً، أبداً.

«أوقفوا هذه الأغنية الكريهة» صرخ أغناطيوس بالجوقة «لم يبلغ سمعي أبداً مثل هذا التجديف الفاضح»،.

توقفت الجوقة عن الغناء مكسورة الخاطر.

«لا أفهم ماذا تفعلون» قال مدير المكتب لأغناطيوس.

«أوه، أغلق فمك المتقيح يا منغولي».

«نحن عائدون إلى المصنع» قالت الناطقة باسم الجوقة المرأة الانفعالية لأغناطيوس غاضبة «أنت سيء أنا أصدق أن الشرطة وراءك».

«نعم» وافقت عدة أصوات.

«انتظروا لحظة الآن» توسل أغناطيوس. «شخص ما يجب أن يهاجم غونزالز».

ومرّ بنظره على محاربي الكتيبة «أنت يا حامل الآجرة. تعال هنا فوراً واضربه على رأسه قليلاً».

«لن أضرب أحداً بهذه» أجاب حامل الآجرة «لابد أن لك سجلاً في الشرطة طوله ميل».

رمت المرأتان الملاءة بقرف على الأرض وتبعتا الجوقة التي بدأت بالسير عبر الباب.

«أين تظنون أنفسكم ذاهبين يا ناس؟» صرخ أغناطيوس وصوته مخنوق باللعاب والغضب.

لم يقل المحاربون شيئاً وأخذوا يتبعون الجوقة والحاملتين النموذجيتين خارج المكتب. فتهادى أغناطيوس بسرعة خلف المحاربين المشتتين في المؤخرة وأمسك بقبضة ذراع أحدهم، لكن الرجل ضربه كما لو كان بعوضه وقال: «عندنا من المشاكل ما يكفي دون الدخول في السجن».

«عودوا إلى هنا! لم ننته بعد. بإمكانكم الحصول على المس تريكسي إذا أردتم» صاح أغناطيوس بالكتيبة المتلاشية، لكن المسير استمر بصمت وتصميم هبوطاً على الدرج نحو المصنع. أخيراً ترنح الباب وانغلق على آخر رجال حملة (من أجل كرامة البربر).



نظر الشرطي مانكوزو إلى ساعته. لقد كان في المرحاض ثماني ساعات كاملة. حان وقت إعادة بزته إلى المخفر والذهاب إلى البيت. لم يقبض على أحد طيلة النهار، إضافة إلى أنه بدا وكأنه يعاني من زكام. كان المرحاض بارداً ورطباً. عطس وحاول فتح الباب، إلا أنه عائد. هزه وعالج القفل الذي ظهر أنه معطل. وبعد دقيقة أو نحوها من الصليل والدفع صاح: «النجدة».



«أغناطيوس! أخيراً سعيت إلى طردك».

«رجاء، أمي، أنا في لحظة الانهيار»وضع أغناطيوس زجاجة شراب الدكتورنات تحت شاربه وشرب محدثاً أصواتاً شديدة للبلع والغرغرة. «إذا كنت تخططين أن تكوني امرأة مستهترة، فإني سأدفع إلى الهاوية».

«وظيفة صغيرة في مكتب لم تحافظ عليها بكل تعليمك».

«كنت محتقراً ومكروهاً» قال أغناطيوس ورمى تعبير استياء على جدران المطبخ البنية. سحب لسانه من عنق الزجاجة بإبهامه وتجشأ بعضاً من دكتورنات «مؤكداً أنها غلطة ميرنا مينكوف، تعرفين كيف تخلق المشاكل».

«ميرنا مينكوف؟ لا تتكلم بغباء، أغناطيوس، البنت في نيويورك. أنا أعرفك يا ولد، أكيد أنك سببت إزعاجاً في بناطيل ليفي».

«تفوقي أريكهم».

«هات الجريدة، أغناطيوس، دعنا نلق نظرة على إعلانات العمل».

«أهذا صحيح؟» أرعد أغناطيوس «هل سأرمي مرة أخرى في الهاوية؟ من الظاهر أنك استنزفت ما لديك من شفقة في البولنغ، أنا بحاجة لأسبوع في السرير على الأقل، مع الخدمة، قبل أن أتمالك نفسي».

«بمناسبة السرير ماذا حصل للملاءة يا ولد؟»

«أكيد لا أعرف، ربما سرقت. سبق وحذرتك من المتسللين».

«تعني أن أحداً اقتحم البيت فقط ليأخذ الملاءات الوسخة؟»

«لو كنت ذات ضمير وأنت تقومين بالغسيل لكان وصفك للملاءة اختلف».

«طيب ناولني هذه الجريدة، أغناطيوس».

«هل ستحاولين القراءة بصوت عال حقاً؟ أشك في قدرة نظامي البدني على تحمل هذه الصدمة الآن، على كل حال، أنا أقرأ الآن مقالة مهمة جداً في عمود العلم حول الرخويات».

سحبت السيدة رايلي الجريدة من ابنها، تاركة قصاصتين صغيرتين في يديه..

«أمي! هل هذا المسلك العدواني الذي يتبّدى منك إحدى نتائج اختلاطك بهؤلاء الصقليين لاعبي البولنغ؟»

«اصمت أغناطيوس» قالت أمه وهي تفتح الجريدة بإكراه على قسم الإعلانات «غداً صباحاً ستكون في حافلة شارع سانت تشارلز مع الطيور».

«هه؟» سأل أغناطيوس بذهول. كان يتساءل ما الذي يمكن أن يكتبه لميرنا الآن. الفيلم تخرب ما يبدو. وشرح كارثة الحملة برسالة أمر مستحيل «ماذا كنت تقولين يا أماه؟»

«ستكون في الحافلة مع الطيور» صرخت السيدة رايلي.

«يبدو هذا ملائماً».

«حين تعود إلى البيت يجب أن يكون عندك وظيفة».

«من الظاهر أن عجلة الحظ فورتونا قررت أن تدور نحو الأسفل».

«ماذا؟»

«لا شيء».



اضطجعت السيدة ليفي منبطحة على لوح التمارين الآلي. وأقسامه المتعددة تربت على جسدها العريض برفق، تطرق وتعجن لحمها الغض مثل خباز محب. لوت ذراعيها تحت الطاولة وتمسكت بها بقوة.

«أوه» أنت برقة وسعادة، وهي تعض على القسم الذي تحت وجهها.

«أوقفي هذا الشيء» قال صوت زوجها من مكان ما خلفها.

«ماذا؟» رفعت السيدة ليفي رأسها ونظرت حولها حالمة «ماذا تفعل هنا؟ ظننت أنك باق في المدينة لحضور السباق».

«غيرت رأيي، إذا كان هذا يناسبك».

«أكيد، يناسبني. افعل ما تشاء. لا تدعني أقول لك ما تفعل. العب بالطابة. وانظر إن كنت أهتم».

«المعذرة، آسف لأني انتزعتك من اللوح».

«دع اللوح بحاله، إذا لم يكن عندك مانع».

«أوه، أنا آسف إن كنت أهنته».

«فقط اترك لوحي بحاله. هذا كل ما قلت. أحاول أن أكون لطيفة. أنا لا أبدأ بالمجادلات هنا».

«شغلي هذا الشيء الملعون ثانية واسكتي. أنا ذاهب لاغتسل».

«ترى؟ دائماً أنت قلق على لا شيء. لا تسقط شعورك بالذنب علي».

«أي شعور بالذنب؟ ماذا فعلت؟»

«أنت تعرف ما هو، غاس، تعرف كيف ضيعت حياتك. كيف ألقيت بجرعة كاملة في البلوعة، وضيعت فرصة أن ينتشر على مستوى الأمة.. دم أبيك وعرقه والذي قدم إليك على طبق من فضة».

«آه؟»

«مؤسسة نامية تنهار».

«اسمعي. عندي صداع من محاولة إنقاذ تلك المؤسسة اليوم. لهذا لم أذهب إلى السباق».

بعد أن تقاتل مع أبيه حوالي خمس وثلاثين سنة، قرر السيد ليفي أنه سيمضي بقية حياته ساعياً ألا يزعجه بشيء. إلا أن زوجته تضايقه كل يوم يكون فيه في استراحة ليفي. ببساطة، لأنها تحتقر عدم رغبته في ألا يتضايق من بناطيل ليفي. وفي بقائه بعيداً عن بناطيل ليفي كانت الشركة تضايقه أكثر لأن شيئاً ما كان دائماً يسير بشكل خاطئ. كان يمكن أن يكون الأمر أكثر بساطة وأقل مضايقة لو أنه أدار بناطيل ليفي بشكل صحيح وأمضى فيها ثماني ساعات يومياً كمدير. لكن الاسم نفسه (بناطيل ليفي) كان يسبب له حرقة في المعدة. إذ كان يربطه بوالده.

«ماذا فعلت، غاس؟ وقعت بضع رسائل؟»

«طردت شخصاً».

«حقاً؟ شيء عظيم. من؟ أحد وقّادي الفرن؟»

«تتذكرين أني حدثتك عن ذاك الضخم، ذاك الذي استأجره الحمار غونزالز؟»

«أوه. هو؟» استدارت السيدة ليفي على لوح التمارين».

«كان يجب أن ترى ماذا فعل بذاك المكان. شرائط ورقية متدلية من السقف. صليب كبير مسمر في أعلى المكتب. ولحظة أن دخلت اليوم جاءني متشكياً أن شخصاً في المصنع قد أوقع نبتات فاصولياته على الأرض».

«نبتات فاصوليا؟ هل ظن أن بناطيل ليفي حديقة خضرة؟»

«من يعرف ماذا دار في رأسه. أرادني أن أطرد الشخص الذي أوقع نبتاته والآخر يقول إنه شق اللافتة. وقال إن عمال المصنع مجموعة من المشاكسين لا يكنون له احتراماً. وقال إنهم يتربصون به في الخارج. وهكذا عدت إلى المصنع لأبحث عن بالرمو الذي لم يكن موجوداً بالطبع، وماذا وجدت؟ كل هؤلاء العمال يحملون قطع الآجر والجنازير متحفزين هنا وهناك. مشاعرهم مستثارة. وقالوا لي إن هذا الشخص رايلي، ذاك الغائط الكبير، طلب منهم إحضار كل هذه الأدوات حتى يهاجموا غونزالز ويقضوا عليه».

«ماذا؟»

«كان يقول لهم إنهم يتلقون أجوراً قليلة ويُنهكون بالعمل».

«أظن أنه على حق» قالت السيدة ليفي «البارحة تماماً كتبت سوزان وساندرا شيئاً عن ذلك في رسالتهما أصدقاؤهما الصغار في الكلية أخبروهم بذلك. فقد تحدثتا عن أبيهما بشكل جعله يبدو مثل صاحب مزرعة يعيش على عمل الرقيق. اضطربت البنتان من ذلك كثيراً. قصدت أن أذكر لك ذلك، لكن لدي مشاكل كثيرة مع مصفف الشعر الجديد أبعد الموضوع عن ذهني. تريدان منك أن ترفع أجور أولئك الناس المساكين أو لن تعودا إلى البيت ثانية».

«من تظن هاتان الاثنتان نفسيهما؟»

«تظنان أنهما بنتاك، فيما إذا نسيت. كل ما تطلبانه هو أن تحترمانك. تقولان إن عليك أن تحسن أوضاع بناطيل ليفي إذا شئت أن تراهما ثانية».

«ما هذا الاهتمام المفاجئ بالملونين؟ ألم يعد هناك أي شبان؟»

«ها أنت تعاود الهجوم على البنتين. أرأيت ما أعني؟ لهذا أنا لا أحترمك أيضاً. لو كانت واحدة من بنتيك حصاناً والأخرى لاعب بيسبول لاحترت كيف تدللهما».

«لو أن واحدة منهما حصاناً والأخرى لاعب بيسبول لكنا في وضع أفضل، صدقيني. يمكن أن تدرا ربحاً».

«أنا آسفة» شغلت السيدة ليفي اللوح ثانية «لا أستطيع أن أستمع أكثر من هذا. لم أعد أقبض هذا الكلام. سيكون من الصعب علي أن أدفع نفسي للكتابة إليهما عن ذلك».

كان السيد ليفي قد رأى زوجته تكتب للبنتين، مقالات عاطفية غير عقلانية تغسل الدماغ يمكنها أن تجعل باتريك هنري ينتسب إلى حزب المحافظين، مما جعل البنتين تعودان إلى البيت أيام العطل محملتين بالعداء لولدهما بسبب آلاف المظالم التي أوقعها على أمهما السيدة ليفي تكتب حقاً نشرة لاهبة. فالمادة التي في متناولها جيدة جداً.

«ذاك الرجل مجنون رسمي» قال السيد ليفي.

«أنت ترى قوة الشخصية جنوناً والكمال عقدة. سمعت ذلك من قبل».

«انظري. كان من المحتمل ألا أطرده لو لم يقل واحد من المصنع إنه سمع أن هذا الأهبل مطلوب من الشرطة. هذا حقاً ما جعلني أقرر بسرعة. عندي من المشاكل مع هذه الشركة ما يكفي من دون أن يعمل فيها واحد مطلوب من الشرطة».

«كفى تبريراً. هذا أسلوبك تماماً. بالنسبة لواحد مثلك المقدامون والمثاليون دائماً وجوديون ومجرمون. هذا دفاعك ضدهم. لكن شكراً لأنك قلت هذا. لأنه سيقوي واقعية الرسالة».

«لم أطرد أحداً في حياتي أبداً» قال السيد ليفي «لكن لا أستطيع الإبقاء على شخص تبحث عنه الشرطة. يمكن أن نقع في مشاكل».

«رجاء» وعبست السيدة ليفي محذرة من على لوحها. «لابد أن هذا الشاب المثالي يتخبط في مكان ما في هذه اللحظة. وهذا سيمزق قلب البنتين كما يمزق قلبي. أنا امرأة ذات شخصية وكمال ورقة. لم تقدر ذلك أبداً. لقد هبط مستواي بارتباطي بك. جعلت كل شيء يبدو شديد الرخص بما في ذلك أنا. لقد أصبحت متحجرة».

«وهكذا أنا خربتك أيضاً، هه؟»

«كنت فتاة دافئة محبة في وقت ما ذات آمال عالية. البنتان عرفتا ذلك. ظننت أنك ستجعل بناطيل ليفي تنتشر على مستوى الأمة». أخذ رأس السيدة ليفي يرتفع إلى أعلى ثم يهبط إلى أسفل، «انظر. الآن لم تعد غير مؤسسة متوقفة عن العمل بمنافذ بيع قليلة، بنتاك متحررتان من الوهم أنا متحررة من الوهم. ذاك الشاب الذي طردته متحرر من الوهم».

«تريدين أن أقتل نفسي؟»

«اتخذ قراراتك الخاصة. أنت دائماً تفعل ذلك. لم أوجد إلا لمتعتك. ما أنا إلا سيارة رياضية قديمة أخرى. استعملني حين تشاء. لا يهمني».

«أوه، اسكتي، لا أحد يريد أن يستعملك لأي شيء».

«أرأيت؟ أنت دائماً تهاجم. إن الشعور بانعدام الأمن، عقدة الذنب. العدوانية. لو كنت فخوراً بنفسك وبالطريقة التي تعامل بها الناس الآخرين لكنت لطيفاً. فقط خذ المس تريكسي كمثال. انظر ماذا فعلت بها».

«لم أفعل أي شيء بهذه المرأة».

«هذا هو الأمر. إنها وحيدة، خائفة».

«هي تقريباً ميتة».

«منذ سفر سوزان وساندرا وأنا أشعر بعقدة الذنب. ماذا أفعل؟ أين مشروعي! أنا امرأة ذات اهتمامات، ومثل عليا» تنهدت السيدة ليفي «أشعر بأني بلا فائدة. لقد حاصرتني بمئات المشروعات المادية التي لا تلبي رغبة أناي الحقيقية». نظرت عيناها النشطتان ببرود إلى زوجها «جئني بالمس تريكسي ولن أكتب هذه الرسالة».

«ماذا؟ لا أريد هذا الكيس الخرف هنا. ماذا حصل لنادي البريدج، ناديك؟ آخر مرة لم تكتبي بها رسالة حصلت على ثوب، اثبتي على ذلك. سأشتري لك ثوب سهرة».

«لا يكفي أنني أبقيت هذه المرأة فعالة. إنها بحاجة إلى عون شخصي».

«سبق أن استخدمتها كحيوان اختبار لدورة المراسلة التي اتبعتها. لماذا لا تتركينها وشأنها. دعي غونزالز يحيلها على التقاعد».

«افعل ذلك وستقتلها. عندئذ ستشعر حقاً أنه غير مرغوب فيها. سيكتب موت إنسان على يديك».

«يا لطيف!»

«حين أفكر بأمي. على الشاطئ في سان خوان كل شتاء، سمرة شمس، بيكيني. رقص، سباحة، ضحك، أخلاّء».

«تصيبها نوبة قلبية كلما أوقعتها موجة. وما لم تستطع أن تضيعه في نوادي القمار تصرفه على زيارات الطبيب المنزلية في الكاريبي هيلتون».

«أنت لا تحب أمي لأنها لم تكن معك، كان معها حق. كان يجب أن أتزوج طبيباً، شخصاً ذا مثل» هزت السيدة ليفي رأسها بحزن «حقاً لم يعد للأمر أهمية عندي أبداً فالعناء أمدني بالقوة».

«كم ستعانين فيما لو سحب شخص ما الأسلاك من لوح التمارين الملعون هذا؟»

«فلست لك سابقاً» قالت السيدة ليفي غاضبة «دع اللوح بحاله، لقد سيطرت عليك عدوانيتك. اعمل بنصيحتي، غاس، اذهب وزر المحلل النفسي في مبنى الفنون الطبية، الذي ساعد ليفي على أن يجنب دكان الصاغة الخسارة. شفاه من عقدة بيع المسابح. ليني يحلف بذلك الطبيب. الآن عقد اتفاقاً ثميناً مع مجموعة من الراهبات اللواتي يسوقن مسابحه إلى أربعين مدرسة كاثوليكية في جميع أرجاء المدينة، المال يتدفق، ليني سعيد. الأخوات سعيدات والأولاد سعداء».

«هذا عظيم».

«يشغل ليني خطاً لصناعة التماثيل والقلائد الدينية».

«أراهن أنه سعيد».

«نعم سعيد يجب أن تكون مثله. اذهب وزر الطبيب قبل أن يفوت الأوان. من أجل خاطر البنتين يجب أن نتلقى المساعدة. من ناحيتي أنا لا أهتم».

«متأكد من أنك لا تهتمين».

«أنت شخص مشوش. ساندرا شخصياً أكثر سعادة منذ أن عولجت بالتحليل النفسي. أحد الأطباء في الكلية ساعدها على الشفاء».

«متأكد أنه فعل».

«ستحل بساندرا نكسة حين تسمع ما فعلت بهذا الشاب الناشط أعرف البنتين أخيراً ستنقلبان عليك كلية. هما دافئتان وشفوقتان، مثلي تماماً قبل أن أصير وحشاً».

«صُيِّرت وحشاً؟»

«رجاء ولا كلمة تهكم أخرى» ركزت عينيها الزبرجديتين من على اللوح المتموج الهزاز مهددة: «هل أحصل على المس تريكسي أم تحصل البنتان على الرسالة؟»

«فزت بالمس تريكسي» قال السيد ليفي أخيراً «لعلك ستحاولين هزها على هذا اللوح وتكسرين وركها».

«دع اللوح في حاله».



كان مقر (شركة باعة الجنة المحدودة) فيما كان سابقاً ورشة لإصلاح السيارات في الطابق الأرضي من مبنى تجاري غير مشغول في شارع بويدراس. كانت أبواب المرآب عادة مفتوحة، تملأ أنف العابر برائحة غلي نقانق (الهات دوغ) والخردل الحادة، وكذلك رائحة الإسمنت المنقوع عبر كثير من السنين بشحوم السيارات وزيوت المحركات التي سالت فوقه وجفت. وكان زنخ باعة الجنة المحدودة القوي يقود المتسكع المقهور الحيران لإلقاء نظرة من خلال الباب على الظلمة في داخل المرآب. وهناك تقع عيناه على أسطول من النقانق الكبيرة المزيفة ركبت على دواليب دراجات. من الصعب أن تعتبر مجموعة ناقلات مهيبة. كان عدد من حاملات النقانق مطعوجاً بشدة. ورقدت عربة نقانق مهشمة على جنبها ودولابها الوحيد يجثم فوقها أفقياً. فاجعة مرورية.

بين مشاة بعد الظهيرة الذين أسرعوا مجتازين باعة الجنة المحدودة، شكل بشري ضخم يتهاوى. لقد كان أغناطيوس. شم وهو واقف أمام المرآب الضيق الأبخرة المتصاعدة من الجنة بمتعة حسية عظيمة. وأخذت شعرات منخريه الناتئة تحلل، وتصنف، وتفهرس، وتبوب وتميز ما بين روائح النقانق، والخردل، والشحم. وتساءل فيما إذا التقط أيضاً الشذى الأرق والعطر الناعم لكعك الهات دوغ. نظر إلى عقربي ساعة معصمه المصممين على شكل يدين لميكي ماوس عليهما قفازان أبيضان، ولاحظ أنه تناول غداءه منذ ساعة فقط. إلا أن الرائحة الآسرة كانت تسيل لعابه.

خطا إلى داخل المرآب، ونظر حوله. كان في أحد الأركان رجل مسن يغلي الها تدوغ في قدر تقليدي كبير، قزم من حجم موقد الغاز الذي استراح عليه.

«المعذرة يا سيدي» نادى أغناطيوس «هل تبيعون بالمفرق هنا؟»

التفتت عينا الرجل الدامعتان نحو الزائر الضخم.

«ماذا تريد؟»

«أود أن أشتري واحدة من نقانقك. رائحتها تقول إنها لذيذة. كنت أتساءل إن كنت أستطيع شراء واحدة فقط».

«بالتأكيد».

«هل أستطيع انتقاءها بنفسي؟» سأل أغناطيوس منعماً النظر في أعلى القدر. كانت نقانق الفرامكفورتر تسلق وتهسهس مثل باراميسيا صناعية ملونة ومضخمة. ملأ أغناطيوس رئتيه بالرائحة الحامضة الواخزة «سأزعم أني في مطعم مترف وأن هذا بركة لوبستر».

«ها. خذ هذه الشوكة» قال الرجل وهو يناول أغناطيوس شيئاً ما يشبه الحربة ملوياً صدئاً. «حاول أن تبقي يديك بعيدتين عن الماء. إنه مثل الحمض. انظر ماذا فعل بالشوكة».

«يا إلهي!» قال أغناطيوس للرجل المسن بعد أن أخذ أول عضة. «إنها حريفة. ما هي العناصر التي تتألف منها».

«مطاط، حنطة، كرشة. من يدري؟ لا يمكن أن ألمس واحدة منها».

«إنها تثير الشهية بشكل عجيب» قال أغناطيوس وهو يتنحنح «فكرت في أن شعرات أنفي التقطت شيئاً ما فريداً حين كنت في الخارج».

أخذ أغناطيوس يمضغ بهمجية منتشية ويدرس الندبة التي على أنف الرجل ويستمع إلى صفيره.

«هل أسمع لحناً لسكارلاتي؟» سأل أغناطيوس أخيراً.

«ظننت أنني أصفر (ديك رومي في القش)».

«كان عندي أمل أن تكون على معرفة بأعمال سكارلاتي. كان آخر الموسيقيين» أبدى أغناطيوس ملاحظته وتابع هجومه العنيف على الهات دوغ «بإمكانك، بهذا الميل الموسيقي البادي بإمكانك أن تكرس نفسك لشيء مفيد».

تابع أغناطيوس المضغ بينما عاود الرجل صفيره. ثم قال: «أظن أنك تتصور أن (ديك رومي في القش) جزء ثمين من تراث أميركا. حسناً، إنها ليست كذلك. إنها كريهة ومتنافرة».

«لا أرى أن هذا يهم كثيراً».

«بل يهم كثيراً جداً يا سيدي» صرخ أغناطيوس «إن تبجيل أشياء مثل (ديك رومي في القش) هو أساس معضلتنا».

«من أين أتيت بحق الجحيم؟ ماذا تريد؟»

«ما رأيك بمجتمع يعتبر (ديك رومي في القش) واحدة من أعمدة ثقافته إذا جاز التعبير».

«من يظن ذلك؟» سأل المسن بقلق.

«الجميع، خاصة المغنون الشعبيون والأساتذة من الدرجة الثالثة. طلبة الجامعة الوسخون وأطفال المدارس الإعدادية، دائماً ينشدونها مثل المشعوذين»تجشأ أغناطيوس «أعتقد أني سآخذ واحدة أخرى من هذه المفتحات للشهية».

بعد الهوت دوغ الرابعة مرّر أغناطيوس لسانه الأحمر الرائع حول شفتيه ومن ثم على شاربه وقال للمسن «لا أتذكر أني شبعت مثل هذا الشبع. أنا محظوظ بأن أجد هذا المكان. أمامي يوم مشحون بما لا يعلم غير الله من الأهوال. أنا في الوقت الحاضر بلا عمل. وقد أطلقت للسؤال عن عمل. كأني أبحث عن الكأس المقدسة. لقد قضيت أسبوعاً في الانطلاق في مناطق الشغل. ويظهر أني أفتقر إلى الفساد الذي يتحلى به موظف هذه الأيام».

«لا يوجد حظ، هه».

«حسناً، خلال الأسبوع، أجبت عن إعلانين فقط. في بعض الأيام أكون في وهن تام حين أصل إلى شارع القنال. وفي هذه الأيام أكون مبتهجاً لدرجة كافية لأشرد إلى صالة سينما. في الواقع. لقد رأيت كل الأفلام التي تعرض في وسط المدينة، وبما أنها جميعاً كريهة بما فيه الكفاية ليمدد عرضها فإن الأسبوع القادم سيكون خاوياً».

نظر الرجل المسن إلى أغناطيوس ومن ثم إلى القدر الكبيرة. وموقد الغاز والعربات المعجونة وقال: «أستطيع أن أستأجرك هنا».

«شكراً جزيلاً» قال أغناطيوس بتلطف. «على كل حال» لا أستطيع العمل هنا. هذا المرآب شديد الرطوبة بشكل خاص وأنا عرضة لأمراض الجهاز التنفسي من بين أمراض أخرى».

«لن تعمل هنا يا ولدي أعني كبائع متجول».

«ماذا؟» صرخ أغناطيوس «في العراء تحت المطر والثلج طول النهار؟»

«لا تثلج هنا».

«بل تثلج في مناسبات نادرة. ولعلها تفعل ذلك ثانية فور تكبدي الخروج من إحدى هذه العربات. ومن المحتمل أن يعثر عليّ في أحد الزواريب وقد تجمد الماء على كل فتحاتي وقطط الأزقة تنشب مخالبها فوقي لتسحب الدفء من آخر أنفاسي. لا شكراً، سيدي، عليّ أن أذهب. أظن أن لدي موعداً مع شخص معهم».

نظر أغناطيوس بغيبوبة إلى ساعته الصغيرة ورأى أنها قد توقفت مرة أخرى.

«لفترة قصيرة» توسل الرجل «جربها ليوم واحد. ما رأيك؟ أنا بحاجة ماسة إلى باعة».

«يوم؟» كر أغناطيوس غير مصدق «يوم؟ لا أستطيع إنفاق يوم ثمين. عندي أمكنة يجب أن أذهب إليها وأناس يجب أن أراهم».

«أوكي» قال الرجل المسن «ادفع لي إذن الدولار ثمن هذه الشقف».

«أخشى أنها ستكون كلها على حساب المحل أو المرآب أو أي شيء. مس ماربل التي هي أمي اكتشفت عدداً من أرومات بطاقات السينما ليلة أمس وأعطتني فقط أجرة الركوب اليوم».

«سأنادي الشرطة».

«أوه، يا إلهي!»

«ادفع لي، ادفع لي، وإلا واجه القانون».

التقط الرجل الشوكة الطويلة ووضع شطلتيها الصدئتين برشاقة على عنق أغناطيوس.

«أنت تثقب وشاحي المستورد» صرخ أغناطيوس.

«أعطني أجرة الركوب».

«لا أقدر أن أمشي كل هذه المسافة إلى شارع القسطنطينية».

«خذ تاكسي أحد ما في بيتك يمكن أن يدفع للسائق حين تصل».

«هل تظن حقاً أن أمي ستصدقني إذا قلت لها إن رجلاً مسناً أوقفني ليسلبني بشوكة وأخذ النكلتين مني؟»

«لن أسمح بأن أسرق ثانية» قال الرجل وهو يرش أغناطيوس باللعاب. «هذا كل ما تحصل عليه في تجارة الهات دوغ. دائماً يقع باعة الهات دوغ وعمال الكازيات بمثل هذا السلب. الإغارة. لا أحد يحترم بائع هات دوغ متجول».

«هذا غير صحيح أبداً يا سيدي. لا أحد يحترم باعة الهات دوغ الجوالين أكثر مني. إنهم يمثلون واحدة من الخدمات القيمة القليلة في مجتمعنا. إن سرقة بائع هات دوغ هو فعل رمزي. لا تحدث السرقة بدافع حب المال بل هي أقرب ما تكون إلى رغبة في تصفير البائع».

«أغلق شفتيك السمينتين وادفع لي».

«لقد تصلب قلبك لكبرك في السن، على كل حال لن أجتاز خمسين تقاطعاً إلى بيتي مشيا. من الأفضل لي أن أواجه الموت بشوكة صدئة».

«طيب، يا صديقي، الآن اسمح لي. سأعقد معك صفقة. تذهب بإحدى هذه العربات مدة ساعة ونتصافى».

«ألا أحتاج إلى ترخيص من إدارة الصحة أو غيرها؟ أعني، أنه قد يكون شيء ما تحت أظافري شديد الضرر بالجسم الإنساني. بالمناسبة هل تحصل على باعتك الجوالين بهذه الطريقة؟ ممارساتك في الاستئجار تتماشى تماماً مع السياسة المعاصرة. أحس كما لو أني أسير مرغماً على العمل. أنا أيضاً متفهم لأسألك ماذا تفعل لطرد أجرائك».

«إياك أن تحاول سرقة بائع هات دوغ مرة أخرى».

«لقد بينت وجهة نظرك، في الواقع وجهتين واحدة في عنقي والأخرى في وشاحي. آمل أن تكون مهيأ أن تعوض عن الوشاح. لم يعد نوعه موجوداً. لقد صنع في مصنع صغير في انكلترة، دمرته طائرة لوفتواف. في ذلك الوقت أشيع أن اللوفتواف كانت موجهة لتضرب مباشرة المصنع من أجل أن تدمر المعنويات البريطانية، لأن الألمان رأوا تشرشل ملفحاً بوشاح من هذا النوع في فيلم

إخباري مستولى عليه. وكل ما أعرفه أن هذا الوشاح بالذات قد يكون هو الذي كان يرتديها تشرشل في ذلك الشريط السينمائي. قيمتها هذه الأيام في بعض البلدان تقدر بالآلاف. يمكن أن تُرتَدى أيضاً كشال. انظر».

«طيب» قال المسن أخيراً بعد أن راقب أغناطيوس وهو يوظف الوشاح كحزام خصر ونطاق وعباءة وزوج من تنانير اسكتلندية وحاملة يد مكسورة ومنديل «لن تصيب باعة الفردوس بضرر كبير خلال ساعة واحدة».

«إذا كان البديل السجن أو تفاحة آدم مثقوبة، فسأدفع بسعادة واحدة من عرياتك. رغم أني لا أستطيع أن أتنبأ إلى أي مدى أمشي».

«لا تتهمني خطأ، يا ابني، أنا لست سيئاً. لكن الواحد يأخذ نصيبه. قضيت عشر سنين أحاول أن أجعل باعة الفردوس منظمة ذات سمعة لكن ذلك صعب. الناس ينظرون باحتقار لباعة الهات دوغ. يظنون أني أدير عملاً للمشردين. عندي مشكلة في العثور على باعة لائقين. بعد ذلك أعثر على شاب لطيف يعرض نفسه لسلب السفاحين. كيف جرى أن الله صعّبها عليك».

«لا يجوز أن نناقش أساليبه» قال أغناطيوس.

«يمكن. إلا أنني مازلت لا أفهم».

«قد تمنحك كتابات بوتيس بعض البصيرة».

«أقرأ الأب كيلر وبيلي غراهام في الجريدة كل يوم».

«أوه، يا إلهي» جمجم أغناطيوس «لا عجب أنك ضائع هكذا».

«خذ» قال الرجل المسن وهو يفتح صندوقاً معدنياً قرب الموقد «ضع هذا عليك».

أخذ ما بدا وكأنه رداء خاص أبيض من الخزانة وناوله إلى أغناطيوس.

«ما هذا» سأل أغناطيوس بسعادة «يبدو كأنه رداء أكاديمي».

وانزلق أغناطيوس فيه بادئاً برأسه. مرتدياً إياه فوق معطفه فجعله الرداء يبدو وكأنه ديناصور على وشك التفقيس.

«اربطه عند الخصر بالحزام».

«طبعاً لا . يفترض في هذه الأشياء أن تنساب بحرية حول الشكل الإنساني، على الرغم من أن هذا يبدو لا يفسح كبير مجال. أمتأكد أنه ليس لديك واحد بحجم أكبر؟ بعد التمحيص الدقيق أرى أن هذا الرداء أقرب للصفرة عند أطرافه. وآمل أن تكون هذه البقع على الصدر رب بندورة لا دم. آخر من لبسه يمكن أن يكون قد طعنه السفاحون».

«خذ، ضع هذه القبعة» قدم الرجل لأغناطيوس مستطيلاً صغيراً من ورق أبيض.

«مؤكد أنني لن أرتدي قبعة سقيمة من ورق. التي معي جيدة تماماً وصحية أكثر!»

«لا يمكن أن تضع قبعة صيد . هذا هو اللباس الرسمي لباعة الفردوس».

«لن أرتدي قبعة من ورق! لن أموت بذات الرئة وأنا ألعب من أجلك هذه اللعبة الصغيرة. أغمد الشوكة في أعضائي الحيوية، إن شئت. لن أرتدي هذه القبعة. الموت ولا العار والمرض».

«طيب، دعها» تنهد الرجل «تعال وخذ هذه العربة».

«أتظن أني سأشاهد في الشوارع مع هذه المقيتة المحطمة؟» سأل أغناطيوس بغضب «أعطني هذه اللماعة ذات الدواليب البيضاء».

«طيب، طيب» قال الرجل بنزق. فتح الغطاء عن البئر الصغيرة في العربة وشرع ينقل ببطء نقانق الهات دوغ من القدر إلى اليد الصغيرة في العربة. «الآن أعطيتك دزينة هات دوغ» فتح غطاء آخر «والآن أضع علبة كعك الزبيب هنا . فهمت؟» أغلق الغطاء وسحب بابا جانبياً صغيراً على جانب العربة. «هنا يوجد تنكة صغيرة فيها سائل حار يحافظ على حرارة الهات دوغ».

«يا إلهي» قال أغناطيوس بشيء من الاحترام «هذه العربات مثل الألغاز الصينية. أعتقد أنني سأظل أخطئ في الفتحات».

فتح الرجل غطاء آخر في مؤخرة العربة.

«وماذا يوجد هنا؟ بندقية آلية؟»

«الخردل، ورب البندورة هنا».

«طيب، سأقوم بمحاولة شجاعة، على الرغم من أنه يمكمن أن أبيع أحداً ما تنكة السائل الحار قبل أن أبتعد كثيراً».

درّج الرجل العربة إلى الباب وقال: «أوكي يا صديقي انطلق».

«شكراً جزيلاً» أجاب أغناطيوس وكرج بعربة الهات دوغ فوق الرصيف «سأعود بعد ساعة من غير إبطاء».

«انزل العربة من على الرصيف».

«آمل أنك لا تظن أني سأمشي بها بين السيارات».

«جيد» قال أغناطيوس «إذا تبعتني الشرطة فقد يحمونني من سرقة».

دفع أغناطيوس بالعربة بعيداً عن المقر الرئيسي لباعة الفردوس عبر المشاة الذين كانوا يمرون من جانبي العربة كأمواج على مقدمة سفينة. كانت هذه وسيلة أفضل لتمضية الوقت من رؤية مديري العاملين، وكثير منهم يظن أغناطيوس أنهم عاملوه بقسوة في الأيام القليلة الأخيرة. ومنذ أن أصبحت دور السينما محظورة بسبب نقص التمويل كان عليه أن يتمشى، مالاً وبلا هدف حول منطقة العمل حتى الوقت الذي تصبح فيه العودة إلى البيت آمنة. نظر الناس في الشارع إلى أغناطيوس، لكن لم يشتر أحد. بعد أن اجتاز مسافة قصيرة أخذ ينادي «هات دوغ هات دوغ من الجنة!»

«انزل إلى الشارع يا شاب» صرخ به الرجل المسن من مكان ما خلفه.

انعطف أغناطيوس عند الزاوية وركن العربة في مواجهة عمارة. فتح الأغطية المختلفة وحضر لنفسه واحدة من الهات دوغ وأكلها بضراوة. كانت أمه في مزاج سيء طيلة الأسبوع، ترفض أن تشتري له شراب د.نات، تطرق على بابه حين يحاول الكتابة، تهدد ببيع البيت والعيش في مأوى المسنين. وصفت له شجاعة الشرطي مانكوزو الذي كان برغم كثير من الصعوبات يقاتل من أجل استعادة وظيفة. مانكوزو الذي أراد العمل والذي كان يقوم بأفضل ما لديه في عذابه ونفيه في مراحيض محطة الباصات. ذكرته حالة الشرطي مانكوزو بحالة بويتس حتى كان في السجن بأمر الامبراطور قبل أن يقتل. وكيما يهدئ أمه ويحسن الأوضاع في البيت أعطاها (عزاء الفلسفة)، ترجمة إنكليزية للعمل الذي كتبه بويتس أثناء سجنه ظلماً، وطلب منها أن

تعطيه للشرطي مانكوزو ليتمعن فيه وهو محجوز في المرحاض وقال لها أغناطيوس بحب: «يعلمنا الكتاب أن نتقبل ما لا نستطيع تغييره. ويصف مأزق العدالة في مجتمع ظالم. إنه الأساس الحقيقي لفكر العصور الوسطى. لاشك في أنه سيعين شرطيك في لحظات أزمته».

«نعم؟» سألت السيدة رايلي «أوه. هذا جميل، أغناطيوس سيفرح أنجلو المسكين بالحصول على هذا» وكانت تلك الهدية للشرطي مانكوزو مبشراً بسلام مؤقت مدة يوم على الأقل من حياته في شارع استانبول.

حين انتهى من الها تدوغ الأولى، حضر واستهلك أخرى وهو يفكر في تصرفات لطيفة أخرى يمكن أن تؤجل وجوب ذهابه للعمل مرة أخرى. بعد خمس عشرة دقيقة، لاحظ أن مخزون الهات دوغ قد بدأ يتلاشى من البئر الصغيرة فاتخذ قراراً لصالح التقشف في تلك اللحظة. بدأ يدفع بالعربة ببطء صائحاً مرة أخرى «هات دوغ!»

سمع جورج، الذي كان يتجول صاعداً شارع كاروديليت متأبطاً رزمة ملفوفة بورق بني، النداء فاتجه نحو البائع العملاق.

«هي، قف، اعطني واحدة من هذه».

نظر أغناطيوس إلى الولد الذي كان قد وقف في طريق للعربة، بصرامة. احتج بوابة معدته ضد البثور، والوجه الواثق الذي يبدو ناتئاً من الشعر الطويل المزيت جداً، والسيجارة وراء الأذن، والسترة الزرقاء، والحذاء الرقيق، والبنطال الضيق المنتفخ عند زاوية ما بين الساقين بعدائية خارقاً كل قواعد اللاهوت والهندسة.

«آسف» نخر أغناطيوس «بقي بعض الفرنكفورتر ويجب أن أحافظ عليها .. رجاء ابتعد عن طريقي»

«تحافظ عليها؟ لمن؟»

«هذا ليس شغلك يا مشرد. لماذا أنت خارج المدرسة؟ لطفاً توقف عن إزعاجي إلى جانب أني لا أحمل فراطة»

«عندي ربع» سخرت الشفتان البيضاوان.

«لن أستطيع بيعك نقنقه، سيدي، أهذا واضح؟»

«ما مشكلتك، ياصديق،؟»

«ما مشكلتي؟ ما مشكلتك؟ هل أنت شاذ بما فيه الكفاية لترغب بهات دوغ في هذا الوقت المبكر من بعد الظهر؟ ضميري لا يسمح لي ببيعك واحدة. انظر فقط إلى بشرتك الكريهة. أنت ولد في طور النمو وأجهزتك تحتاج أن تتخم بالخضراوات وعصير البرتقال وخبز الحنطة والسبانخ وما إلى ذلك. أنا، من جهتي لن أساهم في إغواء حدث».

«ما هذا الذي تقوله؟ يعني واحدة منها، أنا جوعان، لم أتغد».

«لا صرخ أغناطيوس بغضب جعل العابرين يحدقون. الآن ابتعد عني قبل أن أمشي فوقك بهذه العربة».

فتح جورج غطاء جناح الكعك وقال: «عندك الكثير منها هنا، حضر لي كعكة».

«النجدة» صرخ أغناطيوس، إذ تذكر فجأة تحذيرات الرجل المسن حول السرقات. «هناك من يسرق كعكاتي، الشرطة!»

دفع أغناطيوس العربة وصدم بها أسفل بطن جورج.

«آخ! انتبه يا أحمق».

«النجدة، حرامي».

«اسكت بحق المسيح» قال جورج وخبط الغطاء، يجب أن يقفل عليك أيها المخبول الكبير. تعرف هذا؟»

«ماذا؟» صرخ أغناطيوس «ما هذه الوقاحة؟»

«أنت مخبول ضخم ومجنون» صرخ جورج بصوت عال وانصرف بتباطؤ وكعب حذائه ينفر الرصيف «من يريد أن يأكل شيئاً لمسته يداك المخبولتان؟»

«كيف تجرؤ على الصياح بالفواحش في وجهي. ليمسك أحد بهذا الولد» قال أغناطيوس بوحشية بينما كان جورج يختفي في زحمة المشاة هابطاً الشارع. «فليمسك أحد محتشم هذا الحدث الجانح. هذا القاصر القذر. أين ما لديه من احترام؟ هذا الولد الزقاقي الصغير يجب أن يجلد حتى يفقد الوعي».

قالت امرأة ممن تجمعوا حول الها تدوغ المتحرك «أليس هذا قبيحاً؟ من أين يأتون بباعة الهات دوغ؟»

«سكيرون، كلهم سكيرون» أجابها أحدهم.

«الخمرة هي السبب. كلهم مجانين بسبب الخمرة إذا أردت رأيي يجب أن لا يسمح لناس أمثاله بالنزول إلى الشارع».

«هل بدأت عقدة الاضطهاد تفلت مني» سأل أغناطيوس الجمع «أم أنكم، أيها المنغوليون، حقاً تتكلمون عني؟»

«دعوه وحده» قال أحدهم «انظروا إلى عينيه».

«ما الخطأ في عيني؟» سأل أغناطيوس بضراوة.

«دعونا نبعد عن هنا».

«أرجوكم افعلوا» رد أغناطيوس وشفتاه ترتجفان، وحضر هات دوغ أخرى ليهدئ جهازه العصبي المرتعش. رفع بيديه الراعشتين ما طوله قدم من البلاستيك الأحمر والعجين إلى فمه وأخذت تنزلق فيه إنشاً إنشاً. ولكن ذلك المضغ الفعال نبض رأسه. وحين دفع بآخر ميلمتر منها شعر بهدوء أكثر.

أمسك بقبضة العربة مرة أخرى ومشى متمهلاً صاعداً شارع كارونډوليت، متهادياً، ولكي يكون صادقاً بوعده عند جدران صالة غاليير الغرانيتية العتيقة ليستهلك اثنتين أخريين من الهات دوغ قبل أن يتابع رحلته. وحين بلغ الزاوية الأخيرة ورأى لافتة باعة الفردوس المحدودة مرفوعة فوق رصيف شارع بدراس هرول برشاقة جعلته يدخل لاهثاً باب المرآب.

«النجدة» صرخ أغناطيوس وقد انقطع نفسه، صادماً تنكة الهات دوغ بعتبة المرآب الإسمنتية.

«ماذا حدث يا شاب؟ ظننت أنك ستمضي ساعة كاملة خارجاً».

«نحن كلانا محظوظان في أنني استطعت أن أعود، أخشى أنهم سيضربون مرة ثانية».

«من؟»

«العصابة. من غيرهم. انظر إلى يدي» وأقحم أغناطيوس كفه في وجه الرجل. «جهازي العصبي بكامله على حافة الثورة عليَّ لأني عرضته لمثل هذه الصدمة. تجاهلني إذا ما وقعت فجأة في حالة صدمة»

«ماذا حدث بحق الجحيم؟»

«أحد أعضاء عصابات المراهقين الكبيرة حاصرني وفي شارع كاروندوليت».

«هل سُرِقت؟» سأل الرجل المسن بقلق.

«بوحشية. ثبت على صدغيّ مسدس كبير وصدئ، في الواقع ضُغط عند نقطة الضغط، مما أوقف دورة الدم في القسم الأيسر من رأسي لمدة لا بأس بها».

«في شارع كاروندوليت وفي هذا الوقت من النهار؟ ألم يوقفه أحد!»

«طبعاً لم يوقفه أحد. الناس يشجعون هذا النوع. من المحتمل أنهم يستمدون نوعاً من السعادة من مشاهدة بائع جوال مناضل يهان علناً. من المحتمل أنهم احترموا مبادرة الولد».

«كيف كان شكله؟»

«مثل ألف غيره من الشباب بثور. تسريحة بومبادور، زائدة أنفية. معدات المراهق النموذجي. ربما كان هناك شيء آخر مثل شامة على الخد أو ركبة غدارة. في الحقيقة لا أتذكر. بعد أن اندفع المسدس في رأسي، أغمي علي من نقص دوران الدم في الدماغ ومن الخوف. وبينما كنت مكوماً على الرصيف، يظهر أنه نقّب في العربة».

«كم سرق من النقود؟»

«نقود؟ لم تسرق أية نقود. مع ذلك لم تكن هناك نقود لتسرق، لأنني لم أستطيع أن أبيع ولا واحدة من هذه المشهيات. لقد سرق الهات دوغ. نعم على كل حال يظهر أنه لم يأخذها كلها، حين عدت إلى وعيي تفقدت العربة. لايزال هناك واحدة أو اثنتان. أظن».

«لم أسمع بمثل هذا أبداً».

«ربما كان جائعاً جداً. لعل نقصاً في فيتامين ما في جسمه النامي كان يصرخ للتهدئة. إن الرغبة الإنسانية في الطعام والجنس متساويتان نسبياً. إذا كان هناك عمليات اغتصاب بقوة السلاح فلماذا لا تكون هناك سرقات هات دوغ بقوة السلاح». لا أرى في المسألة شيئاً غريباً.

«أن ملآن بروث البقر».

«أنا؟ الحادثة ثابتة اجتماعياً، واللوم يقع على مجتمعنا الشاب، وقد أصابه الجنون بالبرامج التلفزيونية المهيجة والدوريات الداعرة قد عاشر كما يبدو أنثى مراهقة تقليدية رفضت أن تشاركه برنامجه الجنسي الخيالي. لذلك تصعدت رغباته الجسدية المكبوتة وتحولت إلى الطعام. أنا للأسف كنت ضحية كل هذا. ويمكن أن نشكر الله بأن هذا الولد قد وجد في الطعام مخرجاً. ولو لم يكن، لكنت اغتصبت تماماً هناك».

«أخذها كلها ماعدا أربع» قال الرجل وهو يحدق في بئر الهات دوغ. «ابن الخنزيرة أتساءل كيف استطاع أن يذهب بكل هذه الكمية».

«حقاً لا أدري» قال أغناطيوس ثم أضاف ساخطاً «أفقت لأرى غطاء العربة مفتوحاً. طبعاً ما كان سيساعدني أحد على الوقوف. لقد دمغني ردائي الأبيض بصفة البائع الجوال، أي شخص منبوذ».

«ما رأيك بالقيام بمحاولة أخرى؟»

«ماذا؟» في حالتي الحاضرة. هل تتوقع جاداً مني أن أنزل إلى الشارع مرة أخرى للكد؟ عشرة السنتات التي معي ستوضع في يدي جابي حافلة شارع سان تشارلز. أترى أن أقضي بقية نهاري في حوض ساخن لأستعيد مظهر الحالة السوية.

«إذن ما رأيك أن تأتي غداً، يا شاب، وتحاول ثانية؟» سأل الرجل المسن بأمل. «أنا حقاً بحاجة إلى باعة».

فكر أغناطيوس ملياً بالعرض مدققاً النظر في الندبة التي على أنف الرجل وتجشأ غازاته.

على الأقل سيكون يعمل. هذا ما سيرضي والدته. وهذا العمل فيه قليل من الإشراف والمضايقات. تجشأ منهياً تأملاته بنحنحة «إذا كان جسدي يؤدي وظائفه في الصباح، فقد أرجع. لا يمكنني أن أتنبأ في أية ساعة أصل، لكن، تقريباً، أتخيل أن بإمكانك أن تتوقع رؤيتي».

«هذا حسن يا ابني» قال الرجل المسن «أدعني بالمستر كلايد».

«سأفعل» فإن أغناطيوس ولعق بقية طعام اكتشفها في زاوية فمه «بالمناسبة مستر كلايد سأذهب إلى البيت مرتدياً هذا الرداء لأثبت لوالدتي أنني وظفت. ترى، أنها تشرب بكثرة وهي بحاجة إلى تأكيد بأن المال الناتج عن سملي آت قريباً من أجل ألا تقطع مؤونتها الروحية. حياتي أقرب إلى البؤس. ربما سأصفها لك يوماً بالتفصيل. لكن الآن على كل حال يجب أن تعرف شيئاً أو اثنين حول معدتي».

«بواب؟»

«نعم»



كان جونز يمرّر اسفنجة على سطح الباب، فقد غادرت لانالي لتتبضع، وكانت تلك سفرتها الأولى منذ زمن طويل. وقد أقفلت آلة الحساب بضجة وتحذير قبل أن ترحل. بعد أن بلل البار قليلاً ألقى جونز الاسفنجة في الدلو. وجلس على أحد مقاعد البار وحاول أن ينظر في آخر عدد من مجلة لايف أعطته إياه دارلين. أشعل سيجارة، لكن سحابة الدخان جعلت المجلة غير مرئية أكثر. كان أفضل المصابيح للقراءة في ليل الحبور المصباح الصغير الذي على آلة الحساب، وهكذا نهض جونز إلى البار وأضاءه. ما كاد يبدأ دراسة مشهد حفلة كوكتيل في أحد الإعلانات دراسة معمقة حتى اندفعت لانالي إلى داخل الملهى.

«فكرت أنه لا يجب أن أتركك وحيداً» قالت وهي تفتح حقيبة وتخرج منها صندوق طباشير وضعته في الخزانة تحت البار. «ماذا تفعل بحق الجحيم بآلة حسابي؟ ارجع لأرضي».

«لقد انتهيت من أرضك منذ قليل، تحولت إلى خبير أراضٍ أعتقد أن الكنس المسح يجريان في دماء القطط الملونة فتؤديه بشكل طبيعي. عمار مثل الأكل والتنفس عند الناس الملونين. أراهن أنك إن أعطيت ولداً ملوناً عمره سنة مكنسة لأخذ يكنس مؤخرته».

عاد جونز إلى الإعلان بينما أقفلت لانا الخزانة ثانية. ثم نظرت إلى الخطوط الطويلة من الغبار على الأرض التي جعلتها تبدو وكأن جونز قد حرثها بدل أن يكنسها. كان هناك خطوط من الأرض النظيفة للأثلام وخطوط من الغبار لأطراف الأثلام. وبالرغم من أن لانا لا تعرف. فقد كانت هذه محاولة تخريبية ذكية من جونز. كان لديه خطط أكبر للمستقبل.

«أنت هناك! ألق نظرة على أرضي الملعونة»

«نظر جونز على مضض من خلال نظارته الشمسية ورأى عدماً»

«الله! عندك أرض جميلة كل شيء في ليل الحبور درجة أولى»

«ألا ترى هذه القذارة؟»

«بعشرين دولاراً في الأسبوع يجب أن تتوقعي الأقذار. وتبدأ الأقذار بالزوال حين يرتفع الأجر إلى خمسين أو ستين».

«أريد إنجازاً حين أصرف نقودي» قالت لانا بغضب.

«اسمعي حاولي أن تعيشي براتب مثل راتبي؟ هل تظنين أن الناس الملونين يحصلون على الطعام واللباس بسعر خاص؟ ماذا تفكرين وأنت تمضين نصف وقتك تلعبين بالمال؟ تعرفين كيف يشتري الناس السجائر حيث أعيش؟ هؤلاء الناس ليس بمقدورهم شراء علبة كاملة. يشترون السجائر مفرقة السيجارة بسنتين. تظنين الأمور سهلة على الأم الملونة؟ هراء. أنا لا أخدع. أنا تعبت من أن أصبح عاطلاً عن العمل أو تدبير مؤخرتي بالعيشة على مثل هذا الأجر».

«من آواك من الشوارع وأعطاك وظيفة حين كانت الشرطة ستحتجزك بسبب البطالة؟ يجب أن تفكر بذلك بعض الوقت حين تتهابل وراء هذه النظارة الملعونة».

«أتهابل؟ هراء الهبل هو تنظيف بيت القطط هذا السيء. عندك أحد هنا يمسح ويكنس كل هذه القذارة التي يرميها زبائنك المساكين، أنا أشعر بالأسف لهؤلاء الناس المساكين يأتون إلى هنا ويظنون أنهم سيلقون بعض المتعة، أو أنهم سيسكرون بشرابهم. يمسكون ملقط مكعبات الثلج. وتقولين إنك تعرفين، يبدو لي أنك تعرفين أقل بعد أن انقطع صديق الأيتام عن المجيء. وما دمت قطعت الإحسان سربي لي بعضاً من مال المتعة المتحدة».

لم تقل لانا شيئاً ثبتت بمشبك فاتورة صندوق الطباشير في دفتر حساباتها حتى تتمكن من درجه في قائمة الحسميات المفصلة والتي ترافق ضريبة عائدات دخلها. اشترت أيضاً نموذجاً لكرة أرضية مستعملاً وهذا أيضاً موضوع في الخزانة، وكل ما تحتاجه الآن هو كتاب وحين ترى جورج ستسأله أن يجلب لها واحداً. لابد أن عنده كتاباً ما من أيام قبل انقطاعه عن المدرسة الثانوية.

لقد احتاجت لانا إلى بعض الوقت لتؤلف المجموعة الصغيرة من وسائل التمويه. حين كانت الشرطة السرية تأتي ليلاً كانت قلقة جداً ومشغولة بشكل منعها من الاهتمام بالمشروع الذي هيأته لجورج.

كانت هناك المشكلة الرئيسية لدارلين، النقطة الضعيفة في جدار حمايتها من الشرطة المتخفين. لكن الآن اختفى الشرطة السريون فجأة كما ظهروا. كانت لانا تميز أياً منهم لحظة دخوله، وبما أن دارلين تغيبت عن مقاعد البار للتدرب مع طائرها، لم يعد للشرطة السريون ما يفعلونه. وقد حرصت لانا على أن يتجاهلهم الجميع بفاعلية. لابد من الخبرة لتمييز الشرطي. لكن المرء القادر على تمييز الشرطي قادر على تجنب كثير من المشاكل.

بقي أمران يجب أن يسويا. أحدهما الحصول على كتاب. إذا أراد جورج أن يكون عندها كتاب فسيجلبه من تلقاء ذاته. لم تكن لانا تنوي أن تشتري كتاباً حتى ولو كان مستعملاً والثاني إعادة دارلين إلى مقاعد البار طالما أن الشرطة السريون ابتعدوا. وأن يكون عندها شخص مثل دارلين يعمل على العمولة أفضل من أن يكون لها راتب. وهذا ما ستقوله لانا لدارلين حال رؤيتها تصل إلى المسرح مع طائرها، بأنه سيكون أفضل لليل الحبور إذا ما تقرر عدم الاشتراك في تجارة الحيوانات.

«أين درالين؟» سألت لانا جونز «عندي رسالة قصيرة لها وللطائر».

«تلفنت وقالت إنها ستحتاج إلى بعض الوقت لتقوم بمزيد من التدريبات» قال جونز للإعلان الذي كان يجري عليه بحثاً. «قالت إنها ستأخذ الطائر إلى الطبيب البيطري، هي تظن أن ريشه يسقط».

«صحيح؟»

شرعت لانا تدرس التوافق، مع الكرة الأرضية، والطباشير، والكتاب. إذا كان للأمر إمكانيات تجارية فيجب أن ينفذ بكثير من الرهافة والجودة. تخيلت ترتيبات متعددة يمكن أن تجمع ما بين الفضيلة والرذيلة. لا حاجة لأن تكون قليلة التجربة. مع ذلك كانت تروق للأولاد.

«ها قد جئنا» صاحت دارلين بسعادة من الباب، وتخطرت في الملهى بثوب فضفاض وسترة بلون البازلاء، حاملة قفص طائر مغطى.

«حسناً، لا تخططي أن تبقي طويلاً» أجابت لانا «عندي بعض الأخبار لك ولصديقك».

وضعت دارلين القفص فوق البار وكشفت الغطاء عن ببغاء وردي ضخم بدا مثل السيارة المستعملة، وكأنما تناقلته أيدي كثير من المالكين. كان عرفه مصبوغاً ويصرخ ببشاعة «أووك».

«أوكي. أخرجيه، دارلين. وعودي لعملك على مقاعد البار ابتداءً من الليلة».

«أوه، لانا» أنّت دارلين «ما الأمر؟ كنا ناجحين في التدريب انتظري قليلاً حتى نضبط الأمور. هذا الفصل سيكون رائعاً»..

«أقول لك الحقيقة، دارلين، أنا خائفة منك ومن الطائر».

«انظري، لانا» نزعت دارلين عنها السترة البازلائية وأرت المديرة الحلقات الصغيرة المثبتة على جانب ثوبها وقميصها بمشابك «ترين هذه الأشياء؟ هذا ما سيجعل المشهد سلساً. تدربت عليه في شقتي. إنه زاوية جديدة. هو يمسك بهذه الحلقات بمنقاره ويشق ثوبي أعني أن هذه الحلقات فقط للتدريب. وحين يضع لي ثوب فالحلقات ستخاط فوق عروة وقلاب وحين يمسك بها فإن الثوب ينفتح. صدقيني سيكون ضربة إثارة هائلة».

«اسمعي، دارلين. كان أسلم حين كان يطير حول رأسك أو يفعل أي شيء».

«لكن الآن سيكون جزءاً حقيقياً من الدور. سيسحب»..

«نعم ويمكن أن يسحب حلمتيك أيضاً. كل ما أحتاجه في هذا المكان حادث ملعون وعربة إسعاف لتطفيش زبائني وتدمير شغلي. ويمكن أن يطلع في رأس

هذا الطائر أن يطير فوق الزبائن ويقلع عين شخص ما .. لا، صراحة. لا أثق بك مع طائر دارلين السلامة أولاً».

«أوه. لانا» تمزق قلب دارلين «اعطينا فرصة. لقد بدأنا نتحسن».

«لا. عجّلي. خذي هذا الشيء قبل أن يتغوط وألقت لانا بالغطاء على القفص. «الذين تعرفين رحلوا وبإمكانك العودة إلى البار».

«أظن أنه أنا التي ستقول للذين في بالك عن ما في بالك وأجعل الذين في بالك يخافون ويهربون».

رفع جونز نظره عن إعلان وقال «إذا استمررتم بهذا الشكل من الكلام المغطى فلن أستطيع القراءة! ما هذا الذي في بالك ومن أولئك الذين في بالك؟»

«قم عن هذا المقعد يا طعم السجن والتفت لأرضي».

«كان هذا الطائر مسافراً إلى ليل الحبور يتدرب ويحاول». قال جونز من وسط غيمته باسماً «هراء. يجب أن تعطيه فرصة لا يجوز أن تعامليه مثل الناس الملونين».

«هذا صحيح» وافقت دارلين بإخلاص.

«ما دمنا قطعنا الإحسان عن اليتامى ولم نحوله إلى مساعد أجير، يمكن أن نعطي القليل لبنت مسكينة تعيش على العمولة!» كان جونز قد رأى الطائر يرفرف حول المسرح بينما كانت دارلين تحاول أن ترقص. لم ير في حياته عرضاً أسوأ. دارلين والطائر مؤهلان ليكونا تخريباً شرعياً. «ربما تحتاج إلى قليل من الصقل هنا وهناك شيء من الثني أو الهز شيء من السلاسة والانسياب لكني أعتقد أن هذا المشهد جيد».

«أترين هذا؟» قالت دارلين للانا «جونز يعرف. الملونون موهوبون في الإيقاع».

«لا أريد أن أضيف أحداً بقصة عن بعض الناس».

«أوه! اخرسي دارلين» صرخت لانا.

غطى جونز الاثنتين ببعض الدخان وقال «أظن أن دارلين وهذا الطائر غير عاديين. أظن أنك تجتذبين ناساً جداً لهذا المكان أي ملهى آخر عنده حفلة نسر على المسرح؟»

«هل تظنان أيها الأبلهان أننا نستطيع أن نكسب من وراء الطائر؟» سألت لانا.

«أنا متأكد من إمكانية استغلال الطير، الناس البيض عندهم دائماً بمغاوات صغيرة وطيور كنارى يُقبّلونها. انتظري حتى يكتشف الناس أي نوع من الطيور يقدمه ليل الحبور. سيكون على مدخل هذا المكان بواب. وسيكون لديك تجارة اجتماعية!». نفث جونز سحابة خطيرة تكاد تنفجر «دارلين والطير يحتاجان إلى بعض التحسن. البنت بدأت الآن شغل الاستعراض. تحتاج إلى فرصة».

«هذا صحيح» قالت دارلين «أنا بدأت الآن شغل الاستعراض. أحتاج إلى فرصة».

«اخرسي يا بلهاء. تظنين أنك تستطيعين جعل هذا الطائر يعريك؟»

«نعم ياست» قالت دارلين بحماسة «جاءتني الفكرة فجأة. كنت جالسة في شقتي أشاهده يلعب بالحلقات فقلت لنفسي لماذا يا دارلين لا تضعين بعض الحلقات على ثيابك؟»

«أغلقي فمك المغفل» قالت لانا «أوكي دعينا نرى ما يمكن أن يفعل».

«هذا هو الكلام الصحيح. كل الناس سيأتون ليروا هذا المشهد».



«سانتا، اضطررت أن أتصل بك يا عزيزتي».

«ماذا حصل حبيبتي ايرين؟» سألت السيدة باتا غاليا بصوتها الضفدعي الجهير بحنان.

«إنه أغناطيوس»

«ماذا فعل الآن يا حبيبتي؟ قولي لسانتا».

«انتظري لحظة. لأرى إذا كان لايزال في الحوض» أصغت السيدة رايلي إلى أصوات طرطشة الماء القادمة من الحمام وحلقت شخرة كشخرة الحوت خارجة من الحمام إلى الصالة من خلال باب الحمام المقشور. «عال. لايزال هناك، لا أستطيع الكذب عليك، سانتا، قلبي يتفطر».

«أوه!»

«أعاد أغناطيوس إلى البيت منذ ساعة برداء مثل لحّام».

«جيد، حصل على وظيفة أخرى، هذا المتبطل السمين».

«لكن لا في دكان لحام يا عزيزتي» قالت السيدة رايلي وصوتها يثقله الحزن «إنه بائع هات دوغ جوال».

«ماذا؟» نعبت سانتا «بائع هات دوغ جوال؟ تعنين جوالاً في الشوارع؟»

«جوال في الشوارع يا عزيزتي كالمشردين».

«مشرد صحيح، يا بنت، لكن من أسوأ الأنواع. اقرئي بيانات الشرطة في الجريدة يوماً ما. كلهم مجموعة من العاطلين».

«أليس هذا مخيفاً؟»

«يجب أن يضرب هذا الولد على أنفه».

«أول ما وصل إلى البيت، يا سانتا، طلب مني أن أحزر أي نوع من الأعمال حصل عليه. أولا حزرت «لحام» تعرفين؟»

«طبعاً».

«وبعد ذلك قال بوقاحة «احزري مرة ثانية لم تقتربي». بقيت أتحزر حوالي خمس دقائق حتى لم يعد بمقدوري أن أفكر بأعمال أخرى يرتدي فيها أصحابها بذلات بيضاء، ثم قال أخيراً «أخطأت في كل مرة. حصلت على وظيفة بائع نقانق». كاد يغمى عليّ سانتا، على أرض المطبخ. ألن يكون ظريفاً منظري ورأسي مفتوح على اللينوليوم؟»

«لن يهتم. ليس ممن يهتمون».

«لا .. لن يفعل»

«ولا في مليون سنة».

«لا يهتم بأمه المسكينة» قالت السيدة رايلي «تخيلي مع كل دراسته، يبيع النقانق في الشارع وفي وضح النهار».

«وماذا قلت له يا بنت؟»

«لم أقل له شيئاً . ما كدت أن أفتح فمي حتى أسرع للحمام. لايزال مقفلاً على نفسه يطرطش الماء على الأرض».

«انتظري لحظة ايرين، عندي واحدة من حفيداتي الصغيرات هذا اليوم». قالت سانتا وصرخت على إحداهن فوق سماعتها «ابعدي عن الموقد بحق جهنم، شارمين. واذهبي لتعلبي على الرصيف قبل أن أضربك على فمك».

رد صوت طفل بشيء ما .

«يا إلهي» تابعت سانتا بهدوء كلامها مع السيدة رايلي «هؤلاء الأولاد حلوين لكن أحياناً لا أعرف. شارمين أخرجي بره بحق جهنم، اذهبي والعبي بدراجتك قبل أن أضربك على وجهك. انتظري لحظة ايرين».

«سمعت السيدة رايلي سانتا تضع السماعة. ثم صرخت طفلة وخبطة باب وعادت سانتا ثانية إلى الخط».

«يا للمسيح. والله يا ايرين، هذه الطفلة لا تسمح لأحد، أحاول أن أطبخ لها بعض السباغيتي والصلصة ولكنها لا تكف عن العبث بالطنجرة. أتمنى لو أن راهبات مدرستها يضربنها قليلاً . تعرفين أنجلو. لو أنك رأيت كيف كانت الراهبات يضربنه عندما كان طفلاً . حتى أن إحداهن ألقته على اللوح، لهذا صار انجلو رجلاً لطيفاً جداً، يراعي مشاعر الآخرين».

«أحبت الراهبات أغناطيوس. كان ولداً ظريفاً . كان يربح دائماً صورهم المقدسة الصغيرة لحفظه كتاب الديانة».

«كان على الراهبات أن يكسرن رأسه».

«حين كان يأتي إلى البيت بهذه الصور المقدسة» تنشقت السيدة رايلي «لم أكن أفكر أبداً أنه سينتهي بائع نقانق في وضح النهار» سعلت السيدة رايلي بعصبية وبعنف في سماعة الهاتف. «لكن قولي لي يا حبيبتي كيف حال أنجلو؟»

«اتصلت بي ريتا زوجته منذ قليل لتقول إنها تظن بأنه مصاب بذات الرئة لجسه في ذاك المرحاض طول الوقت.. أقول لك الحقيقة، ايرين، هذا الأنجلو يصفّر مثل الشبح. الشرطة لا يعاملون هذا الولد بشكل صحيح. هو يحب السلك. حين تخرج من أكاديمية الشرطة كنت تظنين أنه تخرج من الجامعة العاجية، كان فخوراً حقاً».

«نعم أنجلو المسكين يبدو بحالة سيئة» وافقت السيدة رايلي «عنده سعلة سيئة، هذا الولد. حسناً ربما يتحسن قليلاً بعد أن يقرأ ما أعطاني أغناطيوس لأعطيه إياه، أغناطيوس يقول إنه أدب خلاّق».

«نعم؟ لا يمكن أن أثق بأدب خلاّق يأتي به أغناطيوس. إنه ملآن ربما بالقصص القذرة».

«افترضي أن أحداً شاهده مع إحدى هذه العربات».

«لا تخجلي، يا حبابة، المسألة ليست غلطتك أن بين يديك طفلاً»

نخرت سانتا «ما تحتاجينه يا بنت هو رجل في البيت، ليربي هذا الولد. أنا ذاهبة أبحث عن هذا الشيخ اللطيف الذي سأل عنك».

«أنا لا أريد شيخاً لطيفاً، كل ما أريده هو ولد لطيف».

«لا تقلقي دعي الأمر لسانتا. سأدبر الموضوع. الرجل الذي يدير سوق السمك يقول إنه لا يعرف اسم الرجل. لكن سأبحث. في الواقع أظن أني رأيته يمشي في شارع فرديناند البارحة».

«هل سأل عني؟»

«طيب، ايرين، أعني لم يتح لي أن أكلمه. حتى أني لا أعرف إذا كان هو الشخص نفسه».

«أترين؟ الشيخ لا يهتم أيضاً».

«لا تتكلمي هكذا، يا بنت، سأسأل عنه في مشرب البيرة، سأتجول حول قداس الأحد سأتعرف إلى اسمه».

«هذا الشيخ لا يهتم بي».

«ايرين، الاجتماع به لا يضر».

«عندي مشاكل تكفيني مع أغناطيوس. شيء مخز، سانتا، تصوري مس آني السيدة جارتنا. رأته مع إحدى هذه العربات. سلفاً هي على وشك وضعنا تحت الحجز. كل الوقت تتجسس في ذلك الزقاق من خلف نافذتها».

«لا تهتمي بالناس ايرين». نصحتها سانتا «الناس الذين في حارتنا لهم أفواه قذرة. إذا كنت قادرة على العيش هنا في سانت أود أوف كلوني باريش. يمكنك العيش في أي مكان. فاسدون هي الكلمة الصحيحة. صدقيني. عندي في الجوار واحدة سأرميها بآجرة على وجهها إن لم تسكت عني. أحدهم قال إنها تسميني الأرملة الطروب. لكن لا يهمك سأنال منها، أظن أنها تخرج مع رجل يعمل في المرفأ، على كل حال، أظن أني سأكتب لزوجها رسالة صغيرة بدون توقيع لكي تستقيم هذه البنت».

«أعرف هذه الحالة يا حبيبتي. تذكري أني كنت أسكن هناك في دوفين حيث كنت بنتاً. الرسائل التي بلا توقيع وتصيل لأبي... عني. فاسدة. كنت أفكر دائماً أن ابنة عمي، العانس المسكينة هي التي كانت تكتبها».

«أية ابنة عم هذه؟» سألت سانتا باهتمام. فأقارب ايرين لهم سير تجمد الدم في العروق وجديرة بالاستماع.

«تلك التي أوقعت دورق ماء بدرجة غليان على يدها حين كانت طفلة. كان لها شكل المحروقة. تعرفين ما أعني؟ كنت أراها دائماً تكتب على طاولة المطبخ في بيت أمها. من المحتمل أنها كانت تكتب عني. كانت غيورة جداً حين بدأ السيد رايلي يراني».

«هكذا تحصل الأمور» قالت سانتا. فقريبة محروقة هي شكل بليد في متحف ايرين الدرامي. ثم قالت بصوت أجش وبمرح «سنعمل حفلة صغيرة أنا وأنت وأنجلو وزوجته، إذا جاءت».

«أو، هذا لطيف، سانتا، لكني لا أحس بميل للحفلات هذه الأيام».

«سينفعك أن تهزي نفسك قليلاً، يا امرأة. إن استطعت العثور على ذاك الشيخ، فسأدعوه أيضاً أنت وهو يمكن أن ترقصا».

«طيب، إذا شاهدت الشيخ، حبيبتي، قولي له مس رايلي تسلّم عليك».

خلف باب الحمام كان أغناطيوس مستلقياً باسترخاء في الماء الفاتر. يدفع بصحن الصابون البلاستيكي إلى الأمام وإلى الخلف على سطح الماء بإصبع واحدة ويصغي بين حين وآخر إلى حديث أمه على الهاتف. ومرة تلو الأخرى كان يضغط على صحن الصابون حتى يملأ بالماء، ويغرق. ثم يتحسسه في قاع الحوض، ثم يفرغه ويبحر به مرة ثانية. وقعت عيناه الزرقاوان الصفراوان على مغلف بني غير مفتوح على ظهر المرحاض. ظل أغناطيوس فترة لا بأس بها يحاول أن يقرر فيما إذا كان سيحاول فتح المغلف أم لا. فلقد أثرت صدمة حصوله على عمل سلبياً على تقييمه، وكان ينتظر الماء، الذي كان يغطس فيه مثل فرس نهر أحمر، أن يقوم بمفعول تهدئة نظامه الجسدي. عندئذ قد يهاجم المغلف. على باعة الفردوس أن يبرهنوا أنهم سعداء. سيقضي وقته واقفاً بعربته في مكان ما عند النهر يكدس ملاحظاته من أجل اليوميات. وكان للمستر كلايد صفة أبوية أحبها أغناطيوس، الرجل المسن المغولي الذابل ذو الندبة صاحب الفرنكفورتر، يمكن أن يرحب به كشخصية جديدة في اليوميات.

أخيراً أحس أغناطيوس أنه استراح بما يكفي، وبتثاقل رفع جثته الضخمة التي تقطر بالماء من الحوض، والتقط المغلف.

«لماذا تستعمل هذا النوع من المغلفات؟» سأل بغضب وهو يدرس دائرة محطة البلانتوريوم، علامة بريد نيويورك على الورق السميك الأسمر. «من الممكن أن تكون المحتويات مكتوبة بقلم للرسم أو أسوأ».

مزق المغلف ليفتحه، مبللاً الورق وسحب منه إعلاناً كبيراً مطوياً يقول بأحرف كبيرة:

محاضرة! محاضرة!

م مينكوف تتكلم بجرأة حول

«الجنس في السياسة: حرية إثارة الشهوة

كسلاح ضد الرجعيين

٨ مساء الأربعاء. الثامن والعشرين

رسم الدخول: دولار واحد - أو - توقيع عريضة

مينكوف التي تطالب كفاحاً بجنس أكثر وأفضل للجميع وببرنامج ساحق للأقليات (سترسل العريضة بالبريد إلى واشنطن) وقع الآن وأنقذ أمريكا من الجهل الجنسي، والعفة، والخوف هل أنت ملتزم بالمساعدة في هذه الحركة الجريئة المصممة؟»

«يا إلهي» لفظ أغناطيوس الماء من شاربه المبلل «هل يسمحون لها الآن بالكلام علناً؟ ماذا يعني عنوان هذه المحاضرة السخيف؟ أعاد أغناطيوس قراءة الإعلان بوحشية. «مهما تكن الظروف، أعرف أنها ستتكلم بوقاحة وبطريقة ضارة، أتمنى لو أستطيع سماع هذه الوقحة الصغيرة تثرثر أمام جمهور. لقد تجاوزت الحدود في الإساءة للذوق والاحتشام».

تابع سهماً مرسوماً في أسفل الإعلان وكلمة (يتبع) فاستجاب ونظر في الوجه الآخر للإعلان حيث كانت ميرنا قد كتبت شيئاً ما:

[أيها السادة

ما الأمر، أغناطيوس؟ لم أعد أسمع منك، حسناً، لا ألومك على عدم الكتابة حقاً. وأظن أني قسوت نوعاً في رسالتي الأخيرة، لكن ذلك فقط بسبب خيالاتك الارتيابية التي أقلقتني. لقد ترسخت ربما بسبب موقفك غير الصحي من الجنس. تعرف أنه منذ أن التقيتك أول مرة ألقيت عليك أسئلة محددة ومباشرة من أجل أن أنقي ميولك الجنسية. وكل ما أرغب فيه كان مساعدتك على أن تجد التعبير الحقيقي عن نفسك والرضا من خلال جماع طبيعي مشبع للحاجة. إني أحترم عقلك وقد قبلت ميولك غريبة الأطوار دائماً وهذا هو سبب رغبتي في رؤيتك تبلغ مرحلة التوازن العقلي – الجنسي الكامل. (إن جماعاً جيداً مشحوناً بالانفعال يمكن أن ينقي كيانك وينقلك إلى خارج الظلال) فقط لا تغضب مني بسبب الرسالة.

سأشرح لك هذا الإعلان بعد قليل لأني أتخيل أنك مهتم بمعرفة كيف جاءت فكرة هذه المحاضرة الجريئة، والملتزمة. أولاً، مع ذلك، يجب أن أخبرك أن الفيلم توقف، فإذا كنت تخطط لتمثيل دور الملاّك فانس الموضوع. أساساً

واجهتنا مشاكل في التمويل لم أستطع أن ابتز دراخماً واحدة من أبي، لذلك أصبحت ليولا، لقية هارلم، شديدة العدوانية بسبب الراتب (أو ضآلته) وأخيراً أبدت ملاحظة أو اثنتين بدا لي فيهما عداء للسامية. من الذي يريد فتاة غير وفية الوفاء الكافي لتعمل مجاناً في مشروع يمكن أن ينفع عرقها؟ لقد قرر صاموئيل أن يصبح حارس غابة في مونتانا لأنه يخطط لمجموعة مسرحية رمزية في الغابات السوداء (الجهل، والتقاليد) ويريد أن يعيش إحساس الغابة. ومما أعرفه عن صاموئيل فإنه سيخفق إخفاقاً ذريعاً كحارس، لكن المجموعة الرمزية، أعتقد، ستكون متحدية ومثيرة للجدل، ملأى بالحقائق المزعجة. أتمنى له النجاح. إنه رائع.

نعود إلى المحاضرة. أخيراً يبدو على الأقل أنني وجدت منبراً لفلسفتي، الخ. حدث كل ذلك بطريقة غريبة. كنت منذ بضعة أسابيع في حفلة أقامها بعض الأصدقاء لذلك الولد الأصيل الذي عاد مؤخراً من إسرائيل. إنه فتى خارق. أعني ذلك].

أخرج أغناطيوس قليلاً من غاز الفردوس.

[غنى ساعات وساعات هذه الأغاني الشعبية التي التقطها هناك، أغان متميزة حقاً أثبتت نظريتي بأن الموسيقى يجب أن تكون أساساً أداة للاحتجاج الاجتماعي والتعبير. لقد أبقانا في تلك الشقة ساعات وساعات، نستمع ونطالب بالمزيد. بعد ذلك أخذنا بالحديث - على كل المستويات].

تثاءب أغناطيوس بعنف

[قال: «لماذا تحتفظين بكل هذا لنفسك ميرنا؟ لماذا لا تطلعين الناس عليه؟»

أخبرته أنني غالباً ما تكلمت في فرق المناقشة وفي فرقتي فرقة العلاج. وأخبرته أيضاً عن تلك الرسائل التي أرسلتها إلى المحرر والتي طبعت في (الديموقراطية الجديدة) و (الإنسان والجماهير) و(الآن)]

«اخرج من هذا الحوض يا ولد» سمع أغناطيوس أمه تصرخ خارج باب الحمام.

«لماذا؟» سألها «هل تريدين استعماله؟»

«لا.»

«إذن من فضلك انصرفي».

«مضى عليك هنا وقت طويل».

«رجاء. أنا أحاول أن أقرأ رسالة».

«رسالة؟ من كتب لك رسالة».

«صديقتي العزيزة مس مينكوف».

«آخر مرة قلت إنها السبب في طردك من بناطيل ليفي».

«حسناً، لقد فعلت. على كل حال، ربما كان ذلك معروفاً متنكراً. عملي الجديد يمكن أن يثبت أنه مقبول نوعاً ما».

«أليس هذا مخيفاً؟» قالت السيدة رايلي «طُردت من وظيفتين مكتبيتين في مصنع والآن تبيع النقانق في الشوارع. حسناً أقول لك، أغناطيوس، من الأفضل لك ألا يطردك صاحب النقانق. هل تعرف ماذا قالت سانتا؟»

«متأكد أنه كلام متبعة وقاطع أياً كان هذا الكلام. يمكن أن أتخيل أنه من الصعب تفهم تهجمها على اللغة الأم».

«قالت إن أحداً يجب أن يلكمك على أنفك».

«عندما يصدر هذا الكلام عنها فهو أقرب إلى الأدب».

«ماذا تفعل ميرنا الآن؟» سألت السيدة رايلي بارتياب. كيف جرى أنها تكتب كثيراً؟ لو أن هذه البنت كانت تستحم».

«روح ميرنا قادرة فقط على التعامل مع الماء في سياق شفوي».

«ماذا؟»

«هلا تفضلت بالتوقف عن الصراخ كتجار السمك والانصراف؟ أما عندك زجاجة موسكاتل تخبز في الفرن؟ دعيني وحيداً الآن. فأنا عصبي جداً».

«عصبي؟ أنت في هذا الماء الساخن منذ أكثر من ساعة».

«لم يعد ساخناً الآن».

«إذن اخرج من الحوض».

«لم كل هذه الأهمية التي تولينها لخروجي من الحوض؟ أمي، أنا حقاً لا أفهمكم أبداً. أليس لديك شيء ما، كربة منزل، تشعرين أن عليك القيام به في هذه اللحظة؟ لاحظت في الصباح أن القطن آخذ بالتشكل على هيئة كرات تضارع في حجمها كرات البيسبول. نظفي البيت. اسألي بالهاتف عن الوقت. افعلي شيئاً. استلقي وخذي غفوة. تبدين شاحبة قليلاً هذه الأيام».

«طبعاً أنا شاحبة، يا ولد، أنت تكسر قلب أمك. ماذا ستفعل لو وقعت ميتة؟»

«حسناً، لن أشارك بمناقشة بلهاء، تابعي هذا الحوار الفردي في الخارج إذا شئت. وبهدوء، يجب علي أن أركز على هذه الهجمات الجديدة التي شنتها م. مينكوف في هذه الرسالة».

«لم أعد أحتمل، أغناطيوس. ستجدني مرمية في المطبخ في يوم من الأيام وقد أصابتني أزمة قلبية. فقط انتظر. ستصبح وحيداً في هذا العالم. وستركع على ركبتيك وتصلي لله على هذه الطريقة التي عاملت بها أمك العزيزة المسكينة».

لم يأت من الحمام سوى الصمت. انتظرت السيدة رايلي صوت ماء مسفوح أو خشخشة ورقة على الأقل لكن باب الحمام أصبح كما لو أنه باب ضريح. بعد دقيقة أو دقيقتين من الانتظار العقيم، اتجهت نحو الموقد عبر البهو. وحين سمع أغناطيوس صوت باب الفرن يفتح عاد إلى الرسالة.

[قال «بهذا الصوت والشخصية لابد أن تظهري أمام الناس في السجن» هذا الرجل حقاً مذهل، فبالإضافة إلى عقله الراجح فقد كان منشقي حقيقي. لقد كان يتمتع بكياسة وذوق لا يصدقان. (خصوصاً بعد التعامل مع صموئيل الذي كان ملتزماً وغير هياب إلا أنه صخاب وجلف) لم ألتق أحداً بهذا الالتزام بمحاربة الأفكار الرجعية والتحيز مثل هذا المغني الشعبي. وقال إن من أفضل أصدقائه زنجي تجريدي، عبر عن الاحتجاج والتحدي الصارخ بواسطة لوحاته، فكان يمزق اللوحة أحياناً بسكين. أعطاني ذلك الكتيب الرائع الذي يعرض بالتفصيل كيف يحاول البابا أن يحشد الأسلحة النووية.

لقد فتح عقلي حقاً، فأرسلته بدوري إلى محرر (الديموقراطية الجديدة) لأعينه في معركته ضد الكنيسة. لكن هذا الشاب متحامل على الدبابير. كأنه يكرهها. أعني أنه شخص حاد».

في اليوم التالي تلقيت مكالمة هاتفية منه. هل لي أن أحاضر في مجموعة النشاط الاجتماعي التي كان سيشكلها في مكان ما في مرتفعات بروكلين؟ كنت مزهوة. هذا العالم الذي يأكل فيه الكلب الكلب، من النادر أن تجد صديقاً.. صديقاً وفياً حقاً.. أو هكذا ظننت. حسناً. من أجل أن أصل إلى هدفي بما أمكن من الإيجاز، تعلمت الطريقة الصعبة بأن دورة المحاضرات هي شيء مثل عمل الاستعراض: رمي المخدات وما شاكل. فهمت ما أعني؟]

«هل أصدق هذا العدوان الفاضح على الذوق السليم الذي أقرؤه» سأل أغناطيوس صحن الصابون الطافي «هذه الفتاة بلا حياء مطلقاً».

[ومرة أخرى تنبه ذهني إلى حقيقة أن جسدي يروق لبعض الناس أكثر من عقلي].

تنهد أغناطيوس.

[شخصياً، أشعر برغبة في فضح هذا المغني الشعبي المزيف الذي أخمن أنه يفترس إحدى الفتيات الملتزمات المتحررات في هذه اللحظة. إحدى معارفي قالت إنها سمعت أن هذا المغني الشعبي في الحقيقة معمداني من ألاباما. يا ولد! أي محتال كان؟ وهكذا تحققت من الكتيب الذي أعطاني إياه واكتشفت أنه من طباعة جمعية الكوكلوكس هذا سيعطيك فكرة ما عن الخبث الايديولوجي الذي يجب علينا أن نتعامل معه هذه الأيام. لقد بدا لي كتيباً تحررياً. والآن وجب علي أن أحط من كرامتي بالكتابة إلى محرر الديموقراطية الجديدة لأخبره بأن ذلك الكتيب، على الرغم من أنه يبدو تحدياً، كتبه الناس الخطأ. حسناً لقد عاودت الدبابير الهجوم وأصابتني هذه المرة. ذكرتني هذه الحادثة باليوم الذي كنت أطعم فيه، في حديقة بو، ذلك السنجاب الذي تبين فيما بعد أنه جرذ يبدو للوهلة الأولى سنجاباً. عش وتعلم. هذا المزيف أعطاني فكرة. ودائماً تستطيع أن تتعلم شيئاً من التافهين.

قررت أن أسأل هنا في جمعية الشبان المسيحيين إن كنت أستطيع حجز قاعة المحاضرات في إحدى الأمسيات. وبعد فترة قالوا نعم. طبعاً. ربما سيكون الحضور هنا، من فرع الجمعية في برونكس، محدودي الأفق، لكن إذا ما حققت نجاحاً في المحاضرة، أمكنني يوماً ما أن أحاضر في مركز جمعية الشبان المسيحيين في شارع لكس حيث يعرض على الملأ مفكرون كبار مثل نورمان ميلر وسيمور كريم وجهات نظرهم. - إن أتأذى من المحاولة.

آمل أنك تعمل على معالجة مشاكل شخصيتك، أغناطيوس. هل عقدة الاضطهاد تتفاقم؟ إن أساس عقدة الاضطهاد، كما أظن، هي حقيقة أنك دائماً منعزل في تلك الغرفة وأنك أصبحت ترتاب بالعالم الخارجي. لا أدري لمَ تصر على العيش في الجنوب مع التماسيح. فعلى الرغم من ذاك الإدراك الكامل الذي يصبو إليه عقلك، فإن لديك دماغاً يمكن أن ينمو حقاً ويزهر هنا في نيويورك. على هذه الحالة فإنك تعوق نفسك وعقليتك. آخر مرة رأيتك فيها وأنا قادمة من الميسيسبي، كنت في هيئة سيئة جداً. ولا بد أنك انكفأت كلية الآن وأنت تعيش في ذاك البيت القديم المتدني المستوى دون رفيق سوى أمك. ألا تصرخ غرائزك الطبيعية طالبة الانفلات؟ إن مغامرة حب جميلة ذات معنى يمكن أن تحولك، أغناطيوس. أعرف أنها سوف تحولك. اصطفاد أوديب العظيم تلتف حول دماغك وتدمرك.

ولا أتخيل أن أفكارك الاجتماعية والسياسية قد أصبحت أكثر تقدمية. هل تخليت عن مشروعك في تشكيل حزب سياسي أو تسمية مرشح لرئاسة الجمهورية باسم الحق الإلهي؟ أتذكر حين التقيتك أخيراً وتحديت لامبالاتك السياسية أنك خرجت بهذه الفكرة. أعرف أنه مشروع رجعي، إلا أنه على الأقل أبرز أنك كنت تطور بعض الوعي السياسي. أرجوك أكتب لي حول هذه المسألة. أنا شديدة الاهتمام. نحتاج في هذا البلد إلى نظام الأحزاب الثلاثة وأعتقد أن الفاشيين يزدادون قوة يوماً بعد يوم. وحزب الحق الإلهي هو نوع من خطة جماعة متطرفة يمكن لها أن تمتص قسماً كبيراً من مؤيدي الفاشيست.

حسناً. فلأتوقف. آمل أن تحقق المحاضرة نجاحاً. أنت بصورة خاصة ستسفيد مما تدعو إليه. بالمناسبة، إذا كنت تُنشّط حركة الحق الإلهي، فإني أستطيع أن أقدم بعض المساعدة في تنظيم فرع لها هنا في الشمال. رجاء اخرج من البيت، أغناطيوس، وادخل في العالم الذي حولك. أنا قلقة على مستقبلك. لقد كنت دائماً واحداً من أهم مشروعاتي ويهمني أن أسمع عن حالتك العقلية الراهنة. فرجاء اخرج من بين الوسائد واكتب.

م مينكوف]

فيما بعد، جلس أغناطيوس إلى الطاولة في غرفته يملأ قلم الحبر وقد التف جلده المتغضن الوردي بالثوب الصوفي المثبت بمشبك حول وسطه. كانت أمه تتكلم في البهو مع شخص على الهاتف قائلة: «لقد صرفت آخر بنس من مال التأمين الذي تركته جدته المسكنة العجوز من أجل أن تبقى في الكلية. أليس هذا مخيفاً؟ كل ذلك المال راح في البالوعة». تجشأ أغناطيوس. وفتح درجاً ليبحث عن القرطاسية التي اعتقد أنها لاتزال عنده. وهناك وجد اليويو الذي اشتراه من الفيليبيين الذي كان يبيعه في الجوار منذ بضعة أشهر. كان على جانب اليويو شجرة نخيل حفرها الفيليبيون بناء على طلب أغناطيوس. قذف أغناطيوس اليويو، إلى الأسفل لكن الخيط انفلت وتدحرج اليويو تحت السرير حيث حط فوق كومة من الدفاتر والمجلات القديمة. نزع الخيط المتدلي من إصبعه وراح ينقب في الدرج ثانية وعثر على صفحة من الورق المروّس ببناطيل ليفي.

[ميرنا العزيزة:

تلقيت مراسلتك المغيظة. هل تظنين بجد أنني مهتم بالمبهرجين ممن تصادفينهم الذين هم أدنى من مستوى البشر أمثال المغنين الشعبيين؟ في كل حرف من حروفك أعثر على إشارة إلى الفساد الخلقي في حياتك الشخصية. رجاء احصري نفسك بمناقشة المسائل وغير ذلك: بهذا تكونين على الأقل تجنبت الفحش والإساءة. واعتقد أنه على كل حال، أن الرمزية في الفأر والسنجاب أو الفأر – السنجاب أو السنجاب الفأر. كانت نابضة بالحياة ورائعة.

في الليلة، السوداء لتلك المحاضرة المريبة فإن الشخص الوحيد الذي سيحضر سيحتمل أن يكون ذكراً هرماً وجيداً يائساً أمين مكتبة رأى ضوءاً في قاعة المحاضرات فدخلها على أمل أن يهرب من برودة جحيمه الشخصي وأهوائه. هناك في القاعة، وهو جالس وحيداً بهيئة المحدودية أمام المنصة، وصوتك الأخن يتردد صداه فوق الكراسي الخالية ويمطر وابلاً من السأم والإرباك والإشارات الجنسية على الجمجمة الصلعاء البائسة، فإنه مدفوعاً نحو نقطة الهيستريا سيكشف عورته ويهز عضوه الشكس مثل هراوة يائساً في مواجهة الصوت المقيت الذي يئز ويئز فوق رأسه. لو كنت محلك لألغيت المحاضرة فوراً. أنا متأكد أن إدارة الجمعية ستكون أكثر من مسرورة لقبول انسحابك، وخصوصاً إذا ما أتيحت لهم فرصة رؤية الإعلان عديم الذوق الذي هو الآن بلا شك معلق على كل عمود من أعمدة الهاتف في برونكس.

تعليقاتك حول حياتي الشخصية لا داعي لها وكشف عن نقص في الذوق والحشمة.

في الواقع إن حياتي الشخصية تعرضت لتحول فأنا في الوقت الراهن مرتبط بشكل وثيق وحيوي مع تجارة الطعام وصناعته، ولهذا فإني أشك بجدية فيما إذا كان لدي الوقت الكافي في المستقبل لمراسلتك.

المشغول

أغناطيوس]



«دعيها لحالها» قال السيد ليفي «انظري أنها تحاول أن تنام».

«أدعها لحالها؟» سندت السيدة ليفي المس تريكسي بسنّادة صفراء من النايلون. «هل تدرك، غاس، أن هذه هي مأساة حياة هذه المرأة المسكينة. هي دائماً وحيدة، تحتاج إلى شخص ما. تحتاج إلى الحب».

«آه!»

كانت السيدة ليفي امرأة ذات اهتمامات ومثل. لقد وقفت نفسها بلا مقابل على لعبة البريدج، وزهور البنفسج الافريقية، وسوزان وساندرا، والغولف، وميامي، وفاتي هيرست، وهيمنغواي، وفصول الدراسة بالمراسلة، ومصففي الشعر، والأطعمة الشهية، والحفلات الراقصة وفي السنين الأخيرة المس تريكسي. كان عليها دائماً أن تعد للمس تريكسي، عن بعد، ترتيبات غير مريحة بغرض تنفيذ البرنامج المرسوم في فصل علم النفس بالمراسلة، والذي رسبت في امتحانه الأخير رسوباً ساحقاً. وقد رفضت مدرسة المراسلات إعطاءها حتى درجة دون الوسط. إلا أن السيدة ليفي الآن قد ألقت بورقتها الرابحة في اللعبة التي تدور بسبب طرد الشاب المثالي فاستولت على المس تريكسي بلحمها الضامر، والواقية السيوليودية. والحذاء الخفيف وكل شيء. وكان السيد غونزالز قد منح بسعادة مساعدته المحاسبة إجازة مفتوحة.

«مس تريكسي» قالت السيدة ليفي برقة «أفيقي».

فتحت المس تريكسي عينيها وأزت «هل تقاعدت؟»

«لا يا عزيزتي».

«ماذا؟» نخرت المس تريكسي «ظننت أني تقاعدت».

«مس تريكسي. تظنين أنك هرمت وتعبت. هذا سيء جداً».

«من؟»

«أنت».

«أوه أنا، أنا متعبة جداً».

«ألا ترين؟» سألت السيدة ليفي. «المسألة كلها في عقلك. عندك عقدة الانفصال عن الواقع. أنت لا تزالين امرأة جذابة جداً. يجب أن تقولي لنفسك: لا أزال جذابة. أنا امرأة جذابة جداً».

نخرت المس تريكسي وزفرت في شعر السيدة ليفي المرشوش بالورنيش.

«هل تفضلت وتركتها لحالها. دكتور فرويد؟» قال السيد ليفي غاضباً رافعاً بصره عن مجلة الرياضة المصورة «أكاد أتمنى لو كانت سوزان وساندرا في البيت لتلعبي معهما. ماذا جرى لدائرة لعب الكاناستا من صاحباتك؟»

«لا تكلمني. يا فاشل. كيف يمكن أن ألعب الكاناستا وهناك مريضة نفسياً في حالة كآبة؟»

«مريضة نفسياً؟ المرأة خرفة. لقد توقفت في حوالي ثلاثين محطة بنزين في الطريق إلى هنا. أخيراً كدني التعب من الخروج من السيارة لأدلها على ما للنساء وما للرجال من دورات المياه. لذلك تركتها تميزها بنفسها. لقد وضعت نظاماً. هو قانون المعدلات. راهنت عليها وخرجت النصف بالنصف».

«يكفي هكذا».. حذرت السيدة ليفي. «ولا كلمة زيادة. هذا نموذجي. أن تترك الحاجات الشرجية الملزمة تتخبط على هذا الشكل».

«هل لورنس ويلك على التلفزيون؟» سألت المس تريكسي فجأة.

«لا، عزيزتي، ارتاحي».

«اليوم سبت!».

«سيظهر. لا تقلقي. الآن قولي لي بماذا تحلمين».

«لا أستطيع أن أتذكر الآن».

«حاولي» قالت السيدة ليفي مسجلة نوعاً من الملاحظات على دفتر مواعيدها بقلم رصاص آلي مرصع بماس زائف. «يجب أن تحاولي. مس تريكسي، عزيزتي، ذهنك مشوش. أنت مثل المقعدة».

«يمكن أن أكون هرمة لكني لستَ مُقعدة» قالت المس تريكسي بوحشية.

«انظري أنت تهيجينها، فلورنس نايتينفيل». قال السيد ليفي. بما لديك من معلومات حول التحليل النفسي ستخربين ما تبقى في رأسها. كل ما تريدي هو أن تتقاعد وتنام».

«لقد سبق وحطمت حياتك. لا تفعل بها الشيء نفسه. هذه الحالة لا يمكن أن تتقاعد. يجب أن نجعلها تشعر بأنها مطلوبة ومحتاج إليها ومحبوبة»..

«شغّلي لوح تدريباتك اللعين ودعيها تأخذ غفوة».

«ظننت أننا اتفقنا على ترك اللوح لحاله».

«دعيها لحالها دعيني لحالي روحي اركبي دراجة التمرين».

«هدوء من فضلكم!» ماءت المس تريكسي وفركت عينيها.

«يجب أن تتحادث بسرور أمامها». همست السيدة ليفي. «الأصوات العالية والمجادلة، ستزيد شعورها بعدم الأمان».

«سأقتنع بهذا. حافظي على الهدوء. وأخرجي هذا الكيس الخرف من غرفة الألعاب».

«هذا صحيح. فكر في نفسك فقط كالعادة. لو أن أباك قادر على رؤيتك اليوم».. تفتحت أجفان السيدة ليفي المبللة «مستهتر أصابه العت ينتظر الرفس؟»

«الرفس؟»

«الآن اخرسوا يا ناس» حذرت المس تريكسي «يجب أن أقول كان يوماً أسود حين أتيتم بي إلى هنا. كان العيش أحلى هناك مع غوميز. حلو وهادئ. إذا كان هذا نوع من كذبة نيسان، فأنا لا أره مضحكاً» ونظرت إلى السيد ليفي بعينين معمشتين «أنت الشخص الذي طرد صديقتي غلوريا. مسكينة غلوريا. ألطف شخص اشتغل في ذاك المكتب على الاطلاق».

«أوه، لا» تنهدت السيدة ليفي والتفتت إلى زوجها «هكذا، طردت شخصاً واحداً أهذا صحيح؟ وماذا عن غلوريا؟ شخص واحد يعامل المس تريكسي معاملة إنسانية. شخص واحد صديق لها. هل تعرف هذا؟ هل تهتم؟ آه. لا أنت لا تهتم حتى إذا كانت بناطيل ليفي على المريخ. تدخل من الممر في يوم ما وترفس غلوريا إلى الخارج».

«غلوريا؟» سأل السيد ليفي «لم أطرد أية غلوريا!»

«نعم فعلت!» زفرت المس تريكسي. «رأيت ذلك بعيني هاتين. مسكينة غلوريا كانت روح اللطافة. أذكر غلوريا، أعطتني جوارباً ولحم بقر».

«جوارب ولحم بقر.. يا سلام!» صفر السيد ليفي من بين أسنانه.

«هذا صحيح» صاحت السيدة ليفي «اضحك من هذه المخلوقة المهجورة. أبداً لا تقل لي ماذا فعلت أيضاً ببناطيل ليفي. لم أعد أحتمل. لن أخبر البنتين عن غلوريا. لن تفهما قلباً كقلبك. هما شديدتا البراءة».

«لا. من الأفضل لك ألا تحاولي إخبارهما» قال السيد ليفي غاضباً «أي مزيد من هذا الغباء وتكونين تحت على الشاطئ في سان خوان، مع أمك، تضحكين، وتسبحين، وترقصين».

«أتهددني؟»

«اهدؤوا الآن» نخرت المس تريكسي بصوت أعلى «أريد العودة إلى بناطيل ليفي فوراً في هذه اللحظة».

«أترى ذلك؟» سألت السيدة ليفي زوجها «أتسمع هذه الرغبة في العمل. وأنت تريد أن تسحقها بإحالتها على التقاعد. غاس، أرجوك. أطلب المساعدة ستكون نهايتك وخيمة».

كانت المس تريكسي تحاول تناول كيس الخردة الذي جلبته كأمتعة.

«أوكي مس تريكسي» قال السيد ليفي كما لو أنه يستدعي قطة «لنذهب اصعدي إلى السيارة».

«الحمد لله». تنهدت المس تريكسي.

«ارفع يديك عنها» صرخت السيدة ليفي.

«لم أقم بعد من مقعدي» أجابها زوجها.

أكرهت السيدة ليفي المس تريكسي على الجلوس مرة ثانية على الأريكة وقالت: «الآن اجلسي هنا. أنت بحاجة إلى مساعدة».

«ليس منكم يا ناس» أزت المس تريكسي «اتركوني أقف».

«اتركيها تقف».

«رجاءً». رفعت السيدة ليفي بدا محذرة، بضّةً ومزينة بالخواتم. «لا تقلق على هذه المخلوقة المهجورة التي أخذتها تحت جناحي. لا تقلق علي أيضاً.

انس ابنتيك. ادخل في سيارتك الرياضية وسقها. هناك سباق زوارق عند العصر. تستطيع أن ترى الأشرعة من الشرفة التي بنيتها من كدّ أبيك».

«سأسوي أمري معكم يا ناس» كانت المس تريكسي تنخر على الأريكة «لا تبالوا. ستكتشفون».

حاولت أن تنهض لكن السيدة ليفي دبّستها على النايلون الأصفر.



كان الزكام يزداد سوءاً. وكلما سعل كان يشعر بألم غامض في رئتيه اللتين تكفان عن العمل لحظات عقب السعال المنهك لحلقه وصدره. مسح الشرطي مانكوزو اللعاب من فمه وحاول أن يخرج البلغم من حلقه. في أحد الأيام، بعد الظهر، حلَّت به حالة من رُهاب الاحتجاز وكاد يغمى عليه في المرحاض. وبدا أنه على وشك الإغماء من الدوار الذي سببه له البرد. أسند رأسه على طرف حجيرة المرحاض للحظة وأغمض عينيه. عبرت جفينه غيوم حمراء وزرقاء. يجب أن يقبض على شخصية ما ويتخلص من بيت الخلاء هذا قبل أن تستفحل البرداء في جسمه مما يجعل الرقيب مضطراً إلى حمله من المرحاض وإليه كل يوم. كان دائماً يأمل في أن يحوز على أوسمة من عمله في السلك، ولكن أي شرف كان هناك في الموت بذات الرئة في مراحيض محطة باصات؟ حتى أقرباؤه سيضحكون. ماذا سيقول أطفاله لزملائهم في المدرسة؟

نظر الشرطي مانكوزو إلى قطع الآجر على الأرض. كانت الرؤية مشوشة. حدق عن قرب فرأى أن التشويش ناتج عن الرطوبة التي شكلت طبقة رقيقة رمادية فوق كل سطح في بيت الخلاء. نظر ثانية في (عزاء الفلسفة) الذي كان مفتوحاً على حضنه وقلب صفحة ندية رخوة. كان هذا الكتاب يزيده كآبة. جاء في مقدمة الكتاب أن مؤلفه سيخضع للتعذيب على يدي الملك. كل هذا الوقت الذي قضاه في كتابة هذا الشيء سينتهي بشيء ما يحشر في رأسه. شعر الشرطي مانكوزو بأسف لهذا الرجل وشعر بأنه ملزم بقراءة ما قد كتب. لقد أنهى حتى الآن حوالي عشرين صفحة وبدأ يتساءل فيما إذا كان بوتيس هذا واحداً من المقامرين. على كل حال لم يكن الكتاب من تلك الكتب

التي تدفعك تماماً إلى النظر إلى الجانب المضيء. بعد عدة جمل أخذ عقل الشرطي مانكوزو يهتز نظر عبر الباب الموارب للمرحاض، الذي يتركه مفتوحاً دائماً قدر انش أو اثنين. ليستطيع أن يرى الذين يستخدمون المباول والمغاسل وصندوق المناديل الورقية. عند المغاسل كان الولد نفسه الذي كان يراه الشرطي. مانكوزو كل يوم، كما يبدو. راقب الحذاء الرقيق يتحرك إلى الأمام وإلى الخلف من المغاسل إلى وعاء المناديل الورقية. استند الولد إلى المغسلة وأخذ يرسم على ظهر يديه بقلم حبر ناشف. لابد أن في الأمر سراً، هذا ما فكر به الشرطي مانكوزو.

فتح باب المرحاض وتوجه نحو الولد. سعل وهو يحاول أن يقول بمرح «ماذا تكتب على يديك يا شاب؟»

نظر جورج إلى المونوكل واللحية عند كوعه وقال: «ابعد عني بحق الجحيم قبل أن أوجه لك رفسة».

«أتهين الشرطة؟» قال الشرطي مانكوزو موبخاً.

«لا» أجاب جورج «فقط أبعد عني أنا لا أثير مشاكل».

تعجب جورج من يكون هذا الأهبل؟ كان هو وبائع النقانق أحدهما أسوأ من الآخر.

«امض في سبيلك. لا أريد مشاكل مع الشرطة».

«لا تريد؟» سأل الشرطي مانكوزو بسعادة.

«لا. ولا أحمق مثلك يريد» قال جورج وهو ينظر إلى العين الدامعة خلف المونوكل والرطوبة على فم اللحية.

«أنت مقبوض عليك» سعل الشرطي مانكوزو.

«ماذا؟ هل أنت مخبول؟»

«أنا الشرطي مانكوزو المتخفي» التمعت شارة الشرطة على بثور وجه جورج «هيا معي».

«لأي شيء تقبض علي بحق الجحيم؟ أنا واقف هنا فقط». احتج جورج بعصبية «ما فعلت شيئاً. ماهذا؟»

«أنت مشتبه به».

«مشتبه بماذا؟» سأل جورج فزعاً.

«آها!» سال لعاب الشرطي مانكوزو «أنتَ حقاً خائف».

حاول إمساك جورج من قبضته ليضع القيد على معصمه لكن جورج انتزع (عزاء الفلسفة) من تحت ذراع الشرطي مانكوزو ولطمه به على جانب رأسه. كان أغناطيوس قد ابتاع نسخة من طبعة محدودة أنيقة وكبيرة للترجمة الإنكليزية. وأنقضت الخمسة عشر دولاراً ثمنها كلها على رأس الشرطي مانكوزو وبقوة قاموس. انحنى الشرطي مانكوزو ليلم المونوكل الذي سقط عن عينه وحين استقام ثانية رأى الولد يكشط الأرض خارجاً بسرعة من باب دورة المياه والكتاب في يده. أراد أن يركض خلفه إلا أن رأسه كان ينبض بشكل شيء. عاد إلى المرحاض ليرتاح وأصبح أكثر كآبة: ماذا سيقول للسيدة رايلي عن الكتاب؟

فتح جورج باب خزانة الأمانات في قاعة الانتظار في محطة الباصات بما أمكنه من السرعة وأخذ منها الرزم الورقية البنية التي خزنها فيها. ومن غير أن يغلق باب الخزانة ركض باتجاه شارع القنال ثم تمشى بصلابة نحو مركز السوق. تلفت ليرى اللحية والمونوكل. ولم يكن هناك أية لحية خلفه.

كان هذا حقاً حظاً سيئاً. لابد أن العميل المتخفي كان يجوس محطة الباصات طيلة بعد الظهر باحثاً عنه. لكن ماذا عن الغد؟ لم تعد محطة الباصات آمنة أبداً. وأصبحت خارج دائرة العمل.

«ملعونة المس لي» قال جورج بصوت عال. وهو لايزال يمشي بما أمكن من السرعة. لو أنها لم تكن بخيلة هكذا لما حدث هذا. كان بإمكانها أن تطرد الطعم وبذلك يتمكن من أخذ رزمة بالموعد القديم. الساعة الثانية. وبهذا الشكل الذي حصل كاد أن يعتقل. وكان كل ذلك بسبب أن عليه أن يحفظ البضاعة في محطة الباصات، كل ذلك بسبب أن عليه أن يلازم البضاعة ساعتين بعد ظهر كل يوم؟ أين يمكن أن تضع بضاعة كهذه كل يوم بعد الظهر. ستتعب من حمل هذه البضاعة معك كل يوم بعد الظهر. الأم تبقى في البيت طيلة الوقت، ولا تستطيع أن تذهب إليه وهي معك.

«عاهرة بخيلة» تمتم جورج ودفع بالرزم جيداً تحت إبطه، وأدرك أنه يحمل أيضاً الكتاب الذي أخذه من العميل المتخفي. سرقة من شرطي. شيء جميل أيضاً، سألته المس لي أن يحضر لها كتاباً تحتاجه. نظر جورج إلى العنوان، عزاء الفلسفة. صار لديها كتاب الآن.

تذوقت سانتا باتاغاليا ملعقة من سلطة البطاطا، ثم نظفت الملعقة بلسانها ووضعتها بأناقة فوق منديل ورق إلى جانب صحن السلطة. قالت وهي تمص قطعاً من البقدونس والبصل من بين أسنانها، مخاطبة صورة أمها الموضوعة على رف المدفأة. «سيحبونها. لا أحد يصنع سلطة بطاطا شهية مثل سانتا».

كان البهو جاهزاً تقريباً للحفلة. كان على ظهر خزانة المذياع العتيقة زجاجة ايرلي تايمز ملأى بحدود خميسها وعلبة كرتون تتسع لست زجاجات سفن آب. جثم الفوتوغراف الذي استعارته من ابنة أختها على اللينوليوم المسموح في وسط الغرفة والسلك مرفوع إلى الثريا حيث وصل فيها واستقر كيسان من الحجم الكبير من شرائح البطاطا المقلية على زاويتي الصوفا المخملية الحمراء. وبرزت شوكة من تطريز الزيتون الذي وضعته على صينية من القصدير فوق السرير المطوي والمغطى.

أمسكت سانتا بالصورة التي على رف المدفأة، صورة فوتوغرافية لامرأة ذات ملامح عتيقة وعدوانية في ثوب أسود وجوارب سوداء واقفة في زقاق مرصوف بأصداف المحار.

«ماما المسكينة» قالت سانتا بتأثر مانحة الصورة قبلة عالية الصوت وندبة. وأظهر الشحم الذي غطى زجاج الصورة تواتر هذه الهجمات العاطفية. «قاسيت كثيراً يا صغيرة». وتألقت العينان الصقليتان الفاحمتان بحيوية لسانتا من الصورة «الصورة الوحيدة لك التي عندي، ماما، وأنت واقفة في زقاق. يا عيب الشؤم».

تنهدت سانتا من ظلم كل شيء ووضعت الصورة على رف المدفأة بين إناء الفاكهة الشمعية وباقة أوراق أزهار الزينيا، وتمثال مريم العذرا وتمثال صغير

لطفل بـراغ. عندئـذ ذهبـت إلى المطـبخ لتجلـب بعـض مكعبـات الـثلج وأحـد كراسـي المطـبخ. وبعـد أن عـادت بالكرسـي ومبرد النزهـات الـصغير الحـاوي للمكعبـات، رتبـت أفـضل كـؤوس الجيلـي فـوق رف المدفأة أمـام صـورة أمهـا. ودفعهـا اقترابهـا مـن الـصورة إلى أن تمـسكها مـرة ثانيـة وتقبلـها فنفـر مكعـب الثلج الذي في فمها على الزجاج.

«أصلي كل يوم من أجلك» أخبرت سـانتا الـصورة مـضطربة، وهـي تـوازن مكعب الثلج على لسانها «من الأفضل أن تصدقي أن هناك شمعت تحترق مـن أجلك في كنيسة سانتا أود».

نقـر أحـدهم علـى الـشباك الأمـامي وعنـد وضـعها الـصورة علـى الـرف بسرعة قلبت سانتا الصورة على وجهها.

«ايرين!» صـرخت سـانتا حـين فتحـت البـاب ورأت الـسيدة رايلـي المترددة، واقفة عند العتبة مع ابن أختها الشرطي مانكوزو. «هيا ادخلي يا حبيبة قلبي. تبدين جذابة حقاً».

«شكراً حبيبتي» قالت السيدة رايلي «نسيت كم تأخذ مـن الوقت الـسواقة إلى هنا. لقد أمضيت مع أنجلو بهذه السيارة حوالي ساعة».

«إنها مشكلة المرور. هذا هو الأمر» قال الشرطي مانكوزو بصوت مزكوم.

«اسمعوا هذا الزكام» قالت سانتا «آه انكلو. يجب أن تقول لهؤلاء في المخفر أن يخرجوك من ذاك المرحاض. أين ريتا؟»

«لم تحب أن تخرج. عندها صداع».

«لا عجب، محبوسة في البيت مع الأولاد كل الوقت» قالـت سـانتا «آه يجـب أن تخرج، انجلو، ما قصة هذه البنت؟»

«أعصاب» أجاب انجلو بحزن «عندها مشكلة أعصاب».

«الأعصاب مزعجة» قالت السيدة رايلي «تعرفين ما حصل، سانتا؟ أضاع انجلو الكتاب الذي أعطاه إياه أغناطيوس. أليس هذا مخجلاً. أنا لا أهتم بالكتاب لكن لا تقولي ذلك لأغناطيوس. وإلا جلبنا القتال بأيدينا».

وضـعت الـسيدة رايلـي إصـبعاً علـى شـفتيها مـشيرة إلى أن مـسألة الكتـاب يجب أن تظل سراً للأبد».

«طيب. اعطيني مغلفك يا بنت» قالت سانتا بتوق، وكادت تمزق معطف السيدة رايلي الجوخ القرمزي القصير، كانت مصممة على ألا يخرب شبح أغناطيوس ج. رايلي حفلتها كما فعل في كثير من أمسيات البولينغ.

«عندك بيت لطيف، سانتا» قالت السيدة رايلي باحترام «إنه نظيف».

«نعم لكن يجب أن أجدد اللينوليوم في البهو. هل استعملت الستائر الورقية يا عزيزتي؟ لا تبدو سيئة. رأيت نوعاً لطيفاً منها في (ميزون بلانش)».

«اشتريت ستائر ورقية لطيفة لغرفة أغناطيوس لكنه مزقها ورماها. يقول إنها إجهاض. أليس هذا مزعجاً!»

«كل واحد وذوقه» عقبت سانتا بسرعة.

«أغناطيوس لا يعرف أني آتية إلى هنا الليلة. قلت له إني ذاهبة إلى الصلاة التاسوعية».

«انجلو، صب لأيرين كأسها. واشرب أنت قليلاً من الويسكي لتتخلص من هذا الرشح. عندي بعض الكولا في المطبخ».

«أغناطيوس لا يحب كذلك التاسوعيات. لا أعرف ماذا يحب هذا الولد. شخصياً بدأت أضيق بأغناطيوس على الرغم من أنه طفلي».

«حضرت لنا سلطة بطاطا جيدة يا بنت. ذلك الشيخ أخبرني أنه يحب سلطة البطاطا الجيدة».

«يجب أن تشاهدي البذلات الممتازة التي أعطاني إياها لأغسلها. وكل التعليمات اللازمة لغسلها. لقد بدا وكأنه بائع صابون على التلفزيون. أغناطيوس يتصرف وكأنه يقوم بعمل جيد في سواقته للعربية في مراكز المدينة».

«انظري إلى أنجلو أنه يصب لنا شراباً لذيذاً».

«هل عندك أسبرين يا عزيزتي؟»

«آو. أيرين! ما هذه الحفلة التي أخذتها على عاتقي؟ خذي شراباً. انتظري حتى يأتي الشيخ سنستمتع بوقت جميل. انظري، يمكنك أنت والشيخ أن ترقصا عند الفوتوغراف».

«أرقص. لا أميل إلى الرقص مع شيخ، بالإضافة، قدماي متورمتان بعد ظهر اليوم من الوقوف وأنا أكوي له بذلاته».

«ايرين، لا يجوز أن تخيبي أمله. كان يجب أن تري وجهه حين دعوته عند باب الكنيسة. شيخ مسكين. أعتقد أنه لم يتلق دعوة من أحد».

«أحب أن يأتي، هه؟»

«أحب أن يأتي؟ سألني. إذا كان يجب عليه أن يرتدي بذلة».

«وماذا قلت له يا عزيزتي؟»

«حسناً، قلت له البس أي شيء تريد، يا سيد».

«حسناً، هذا لطيف». نظرت السيدة رايلي إلى ثوب الكوكتيل التافتة الأخضر. «سألني أغناطيوس لماذا أرتدي ثوب الكوكتيل وأنا ذاهبة إلى تاسوعة. هو الآن جالس في غرفته يكتب بعض الحماقات. قلت له ماذا تكتب الآن يا ولد؟ فقال أكتب عن كوني بائع نقانق. أليس هذا مزعجاً؟ من يرغب في قراءة قصة كهذه؟ هل تعرفين ماذا جلب إلى البيت اليوم من النقانق؟ أربعة دولارات. كيف لي أن أدفع لذلك الرجل؟»

«انظري. انجلو حضر لنا كأسين لطيفين».

أخذت السيدة رايلي كأساً من انجلو وشربت نصفه في جرعتين.

«من أين حصلت على هذه الرفاهية يا عزيزتي؟»

«ماذا تعنين؟» سألت سانتا.

«هذا الغرامافون الذي في وسط الأرض».

«هذا لابنة أختي الصغيرة. إنها غالية. تخرجت حديثاً من ثانوية سانت أودو وقد حصلت على وظيفة بائعة».

«أترين؟» قالت السيدة رايلي باضطراب «أراهن أنها أكثر نجاحاً من أغناطيوس».

«يا إلهي، انجلو» قالت سانتا «توقف عن السعال. رح واسترح في الغرفة الخلفية إلى أن يأتي الشيخ».

«مسكين انجلو» قالت السيدة رايلي بعد أن غادر الشرطي الغرفة» حقاً إنه ولد لطيف. أنتما حقيقة صديقان جيدان لي. وتصوري أننا التقينا جميعاً حين حاول أن يلقي القبض على أغناطيوس».

«أتساءل كيف لم يصل الشيخ حتى الآن».

«لعله لن يأتي، سانتا». أنهت السيدة رايلي كأسها «سأصب لنفسي كأساً آخر. إن لم يكن لديك مانع، يا عزيزتي. عندي مشاكل».

«تفضلي، يا حبيبتي. سآخذ معطفك إلى المطبخ وأرى كيف حال أنجلو. أنا متأكدة أن لدي اثنين سعيدين في حفلتي حتى الآن. آمل ألا يسقط الشيخ وتتكسر رجله في طريقه إلينا».

بعد أن غادرت سانتا. ملأت السيدة رايلي كأسها بالبوربون وأضلطت إليه قطرات من السفن آب. التقطت الملعقة، وذاقت سلطة البطاطا ومن ثم نظفت الملعقة بشفتيها، وأعادتها إلى المنديل الورقي. كانت الأسرة في النصف الثاني من بيت سانتا المزدوج قد بدأت ما بدا وكأنه شجار. قربت السيدة رايلي أذنها من الجدار تحاول أن تستشف معنى الصراخ المرتفع.

«انجلو يتناول دواء للسعلة» قالت سانتا وهي عائدة إلى البهو.

«عندكم في هذا البناء جدران ممتازة يا حبيبتي» قالت السيدة رايلي بعد أن عجزت عن فهم ما يجري على الجانب الآخر من الجدار «أتمنى لو أني وأغناطيوس نعيش هنا. لن يكون لمس آني شيء تشتكي منه».

«أين هذا الشيخ؟» سألت سانتا مصرعي النافذة الأمامية.

«ربما لن يأتي».

«ربما نسي».

«هذه حال المسنين يا عزيزتي».

«مهلاً! ليس هرماً إلى هذه الدرجة، ايرين».

«كم عمره؟»

«في أواخر الستينات، أظن».

«حسناً ليس كبيراً جداً عمتي المسكينة مرغريت العجوز. التي قلت لك أن ولديها ضرباها ليحصلا على خمسين سنتاً من محفظتها، بلغت الثمانين»

أنهت السيدة رايلي كأسها «لعله ذهب لمشاهدة فيلم لطيف أو شيء آخر. سانتا أتمانعين في أن أصب كأساً آخر».

«ايرين! ستقعين على الأرض، يا بنت. لن أقدم لهذا الشيخ واحدة مخمورة».

«سأصب لنفسي كأساً صغيرة. أعصابي متوترة الليلة».

صبت السيدة رايلي كمية كبيرة من الويسكي في كأسها وجلست ثابتة، محطمة أحد كيسي رقائق البطاطا.

«يا إلهي، ماذا فعلت الآن؟»

«حطمت رقائق البطاطا» قالت سانتا بغضب طفيف.

«آه! أصبحت فتاناً الآن» قالت السيدة رايلي وهي تسحب الكيس من تحتها. تفحصت السيلوفان الذي فقد انتفاخه. «اسمعي، سانتا، كم الساعة معك؟ قال أغناطيوس إنه متأكد من أن اللصوص سيقتحمون البيت هذه الليلة. وطلب مني أن أعود مبكرة».

«هوني عليك، ايرين، وصلت منذ قليل فقط».

«أقول لك الحقيقة، لا أظن أني أرغب بلقاء هذا الشيخ».

«طيب لم يعد الأمر بيدنا الآن».

«صحيح، لكن ماذا سنفعل أنا والشيخ؟» سألت السيدة رايلي بقلق.

«أوه. ارتاحي. ايرين، أنت تثيرين أعصابي. أنا نادمة على أني دعوتك» أبعدت سانتا كأس السيدة رايلي عن شفتيها للحظة «الآن استمعي إلي. عندك داء مفاصل حاد. والبولينغ ساعدك عليه. صح؟ كنت محصورة في البيت مع هذا الولد المجنون كل ليلة حتى جاءت سانتا. صح؟ الآن أصغي لسانتا باغالية. لا تحبين أن تنتهي وحيدة وعلى ذراعيك هذا الأغناطيوس. يبدو أن هذا الشيخ لديه بعض المال. يلبس بأناقة. وهو يعرفك في مكان ما. أحبك». حدقت سانتا بعيني السيدة رايلي. «هذا الشيخ يمكنه أن يسدد دينك».

«نعم؟» لم تخطر ببال السيدة رايلي هذه الفكرة من قبل. «أهو مستقيم؟»

«مؤكد هو مستقيم» قالت سانتا غاضبة «تظنين أني أحاول رمي صديقتي إلى متشرد؟»

طرق شخص ما على الباب الأمامي طرقاً خفيفاً.

«أوه، أراهن أنه هو» قالت سانتا بشغف.

«قولي له إن علي أن أذهب، يا حبيبتي».

«تذهبين. إلى أين تذهبين، ايرين؟ الرجل على الباب».

«أهو؟ هه؟»

«دعيني ألقي نظرة».

فتحت سانتا الباب ودفعت بمصراعيه إلى الخارج.

«سيد روبيشو» خاطبت في الظلام شخصاً لم تستطع السيدة رايلي أن تراه «كنا في انتظارك، صديقتي السيدة رايلي هنا، وتتساءل أين كنت. هيا ادخل من البرد».

«نعم مس باتاغاليا. آسف لتأخري. لكن كان علي أن آخذ أحفادي إلى الجوار. إنهم يبيعون يانصيب مسبحات الراهبات».

«أعرف». قالت سانتا. «اشتريت ورقة ولد صغير يوم أمس. إنها سبحات جميلة أعرف سيدة ربحت القطار الخارجي لمحرك كانت الراهبات تجري عليه يانصيب السنة الماضية».

جلست السيدة رايلي متجمدة على الكنبة تحدق في كأسها. وكأنها اكتشفت في تلك اللحظة صرصوراً يسبح فيه.

«إيرين!» صاحت سانتا. «ماذا تفعلين يا بنت؟ قولي مرحباً للسيد روبيشو».

رفعت السيدة رايلي بصرها وتعرفت على الشيخ الذي قبض عليه الشرطي مانكوزو أمام د. هـ. هولمز.

«سعيدة بلقائك». قالت السيدة رايلي لكأسها.

«لعل السيدة رايلي لا تتذكر» قال السيد روبيشو لسانتا التي كانت تتألق بالفرح. «لكننا التقينا من قبل».

«أأنتما صديقان قديمان؟» قالت سانتا بسعادة «حقاً إنه عالم صغير».

«اي. اي. اي» أجهشت السيدة رايلي وغص صوتها بالبؤس. «إي. لا. لا»

«تـذكرين» قـال الـسيد روبيـشو. «في مركـز المدينـة عنـد هـولمز. حـاول الشرطي أن يقبض على ابنك فقبض عليّ بدلاً منه».

توسعت عينا سانتا.

«آه نعم» قالت السيدة رايلي «أظن أني أتذكر شيئاً من هذا».

«مـع ذلـك لم تكـن غلطتـك. مـس رايلـي. إنهـم الـشرطة. كلهـم مـن جماعـة الشيوعيين».

«لا ترفع صوتك» حذرتـه الـسيدة رايلـي «الجـدران رقيقـة في هـذا المبنـى». حركت كوعها وقرعت كأسها الفارغ على ذراع الصوفا. «يا إلهي، سانتا يجـب أن تخبري انجلو أن يـذهب وحـده. أقـدر أن آخذ تاكسي. قـولي لـه يمكنـه أن يهرب من الباب الخلفي هذا أسلم. تعرفين؟»

«أفهم ما تعنيه، يا عزيزتي» التفتت سانتا إلى السيد روبيشو «حـين رأيتني مع صديقتي في زقاق البولنغ لم تر أي رجل معنا هه؟»

«أنـتن يا سيداتي كنـتن وحدكن».

«أليست تلك الليلة التي قبض فيها على أ؟» همست السيدة رايلي لسانتا.

«آه. نعم. ايرين. جئت عندي بهذه السيارة التي لك تذكرين أن المصدم وقـع أمام زقاق البولينغ».

«أعرف وضعته في المقعد الخلفي. أغناطيوس هو الذي جعلني أصدم تلك السيارة لقد أثار أعصابي وهو في المقعد الخلفي».

«آه. لا» قـال الـسيد روبيـشو «الـشيء الوحيـد الـذي لا أتحملـه هـو خاسـر مسكين أو رياضي سيء».

«لـو أن أحـداً تقـاذر معـي أديـر لـه الخـد الآخـر» تابعـت سـانتا «تعـرفين ما أعني. هذه هي الطريقة المسيحية أليس هذا صحيحاً ايرين؟»

«هـذا صـحيخ يـا عزيزتـي» وافقـت الـسيدة رايلـي دون امتنـاع. «سـانتا، يا حلوة عندك بعض الأسبرين؟»

«ايرين!» قالت سانتا غاضبة. «تعرف سيد روبيشو، افترض أنك رأيت الشرطي الذي قبض عليك».

«آمل ألا أراه ثانية» قال السيد روبيشو بحرارة. «إنه شيوعي قذر. يجب أن يضبط الناس شرطة الدولة».

«نعم، لكن فقط افتراض. ألا يمكن أن تسمح وتنسى؟»

«سانتا» قاطعتها السيدة رايلي «أظن أني سأذهب إلى المطبخ وأبحث عن حبات اسبرين».

«لقد كانت إهانة» قال السيد روبيشو لسانتا. «كل العائلة سمعت بها. الشرطة أخبرت ابنتي بالهاتف».

«أو. هذا لا شيء». قالت سانتا «كل واحد يقبض عليه مرة في حياته. أتراها؟» رفعت سانتا الصورة المقلوبة على وجهها من على الرف وأرتها لضيفيها. «أمي العزيز المسكينة. قبضت عليها الشرطة أربع مرات في سوق لوتنشلاغر لإقلاقها الراحة» وتوقفت سانتا لتمنح الصورة قبلة ندية «أتظن أنها اهتمت؟ ليست هي من يهتم».

«أهذه أمك؟» سألت السيدة رايلي باهتمام «لا بد أنها قاست؟ الأمهات يقطعن طريقاً شاقة، صدقيني».

«هكذا، كما كنت أقول». تابعت سانتا «لا يمكن أن أستاء إذا ما قبض عليّ. الشرطة عملهم متعب. ويرتكبون أخطاء. هم بشر على كل حال».

«كنت دائماً مواطنة محترمة» قالت السيدة رايلي «سأذهب لأضع كأسي في الحوض».

«اقعدي ايرين. دعيني أكلم السيد روبيشو».

توجهت السيدة رايلي نحو خزانة المذياع وصبت لنفسها كأساً من ايرلي تايمز.

«لن أنسى أبداً هذا الشرطي مانكوزو» كان السيد روبيشو يقول.

«مانكوزو؟» سألت سانتا باندهاش كبير. «عندي أقرباء كثيرون بهذا الاسم. وفي الواقع أحدهم في سلك الشرطة. وفي الواقع أنه هنا الآن».

«أظن أني أسمع أغناطيوس يناديني. من الأفضل أن أذهب».

«يناديك؟» سألت سانتا «ماذا تعنين. ايرين؟ أغناطيوس بعيد ستة أميال. انظري. لم نقدم للسيد روبيشو شراباً. حضري له كأساً، يا بنت، بينما أجيء بأنجلو». تفحصت السيدة رايلي كأسها بعنف آملة أن ترى فيه صرصاراً أو على الأقل ذبابة.

«أعطني هذا المعطف سيد روبيشو. بماذا يدعوك الأصدقاء!»

«كلود».

«كلود، أنا سانتا، وهذه ايرين، ايرين قولي مرحباً».

«مرحباً» قالت السيدة رايلي بشكل آلي.

«تسامرا في غيابي» قالت سانتا واختفت في الغرفة الأخرى.

«كيف حال ابنك الضخم الظريف؟» سأل السيد روبيشو لينهي الصمت الذي ساد.

«من؟»

«ابنك».

«آه هو. مليح». ورجع ذهن السيدة رايلي إلى شارع استانبول حيث تركت أغناطيوس يكتب في غرفته ويتمتم شيئاً ما حول ميرنا مينكوف. كانت السيدة رايلي سمعته يقول: «يجب أن تجلد حتى تسقط».

ساد صمت طويل يقطعه ضوضاء السيدة رايلي التي تحدثها على أطراف كأسها وهي ترشفه.

«أترغب ببعض رقائق البطاطا؟» أخيراً سألت السيدة رايلي. لأنها اكتشفت أن الصمت يجعلها أكثر اضطراباً.

«نعم، أظن أني أرغب».

«إنها في الكيس تماماً جانبك» وراقبت السيدة رايلي السيد روبيشو وهو يفتح كيس السيلوفان. بدا وجهه وبذلته الغابردين الرمادية أنيقين ومكويين في الحال. «لعل سانتا تحتاج إلى مساعدة. لعلها ذهبت ووقعت».

«تركت الغرفة منذ لحظة، ستعود».

«هذه الأرضيات خطرة» عقبت السيدة رايلي وهي تتفحص اللينوليوم بتعمد. «يمكن أن تنزلق وتكسر جمجمتك».

«يجب الانتباه في الحياة».

«أليس هذا صحيحاً؟ أنا دائمة حريصة».

«واضح».

«هذا ما قاله لي أغناطيوس أمس» قالت السيدة رايلي كاذبة «قال لي: ماما، الانتباه شديد النفع أليس كذلك؟ وقلت له: هذا صحيح يا بني. انتبه».

«هذه نصيحة جيدة».

«أتعرف؟ أنا دائماً أقدم لأغناطيوس النصح؟ دائماً أحاول أن أساعده».

«أراهن أنك أم صالحة، رأيتك وهذا الولد في المدينة عدة مرات ودائماً كنت أفكر كم يبدو لطيفاً هذا الولد الضخم. أتعرفين؟ إنه يبدو ظاهر التفوق».

«أحاول معه. أقول: انتبه يا بني. انتبه ألا تنزلق فتفتح جمجمتك أو تهشم ذراعك» ومصت مكعب الثلج قليلاً. «تعلم أغناطيوس الحرص على السلامة على ركبتي. وهو دائم ممتن لهذا».

«هذا تدريب جيد. صدقيني».

«أقول لأغناطيوس: انتبه وأنت تعبر الشارع يا ولدي».

«يجب الانتباه إلى حركة السيد، ايرين. لا تمانعين إذا ناديتك باسمك الأول هه؟»

«خذ راحتك».

«ايرين اسم جميل».

«تظن ذلك؟ أغناطيوس يقول إنه لا يحبه» صلبت السيدة رايلي على نفسها وأنهت كأسها. «لقد قاسيت يا سيد روبيشو لا أخفي عنك».

«ناديني كلود».

«يشهد الله عليّ، عندي صليب ثقيل الحمل، أتريد كأساً لطيفاً؟»

«نعم، شكراً، وغير ثقيل أيضاً. أنا لست ممن يشربون».

«يا إلهي». تنشقت السيدة رايلي، وهي تملأ كأسين حتى الحافة بالويسكي «حين أفكر بما حل بي. أحياناً آخذ بالبكاء الشديد».

وبهذا انفجرت السيدة رايلي مجهشة بدموع حارة.

«آه. لا تبكي» توسل السيد روبيشو مرتبكاً أشد الارتباك من التحول المأساوي الذي تؤول إليه الأمسية كما يبدو.

«يجب أن أعمل شيئاً. يجب أن أدعو السلطات للمجيء لأخذ هذا الولد عني» انتحبت السيدة رايلي. ثم توقفت لتعب مقدار ملء فم من الايرلي تايمز «ربما وضعوه في مركز احتجاز أو مكان آخر».

«أليس في الثلاثين من العمر؟»

«قلبي يتمزق».

«أليس يكتب شيئاً؟»

«بعض الحماقات لن يشعر أحد بالرغبة في قراءتها. الآن هو وهذه الميرنا مينكوف يكتبان الإهانات لبعضهما بعضاً. يقول أغناطيوس إنه سيربي هذه البنت. أليس هذا فظيعاً! مسكينة ميرنا».

سأل السيد روبيشو وهو عاجز عن قول أي شيء «لم لا تطلبي من كاهن أن يكلم ابنك؟»

«كاهن؟» بكت السيدة رايلي. «أغناطيوس لا يمكن أن يصغي لأي كاهن. يسمي الكاهن الذي في أبرشيتنا زنديقاً. لقد تقاتلا بحدة حين مات كلب أغناطيوس». لم يجد السيد روبيشو أي تعليق على هذا البيان الغامض «كان فظيعاً. ظننت أنهم سيطردونني من الكنيسة. لا أعرف من أين حصل هذا الولد على أفكاره. من الخير أن أباه المسكين ميت. كان سيمزق قلب والده المسكين بعربة النقانق هذه!»

«أية عربة نقانق؟»

«هو في الشوارع يدفع عربة النقانق هنا وهناك»

«أوه. أصبح لديه عمل الآن»

«عمل؟» أجهشت السيدة رايلي «انفضحنا في كل الحارة. سألتني السيدة التي بجوارنا مليون سؤال. كل شارع استانبول يتكلم عنه. حين أفكر في كل

هذا المال الذي صرفته على تعليم هذا الولد. تعرف. كنت أفكر أن الأولاد يفترض فيهم أن يريحوك في الكبر. أي نوع من الراحة يقدمه لي أغناطيوس؟»

«قد يكون ذلك لأن ابنك ذهب إلى المدرسة لفترة طويلة» أفادها السيد روبيشو «يوجد كثير من الشيوعيين في الكليات».

«نعم؟» سألت السيدة رايلي باهتمام وهي تجفف عينيها بتنورة ثوبها الكوكتيل الفاتن الأخضر. غير منتبهة أنها تعرض على السيد روبيشو التنسيلات العريضة في جوربها عند الركبة. «قد يكون هذا هو الغلط عند أغناطيوس. إنه مثل شيوعي تماماً في معاملته لأمه».

«اسألي هذا الولد عن رأيه في الديموقراطية في وقت ما».

«سأفعل حتماً» قالت السيدة رايلي بسعادة. كان أغناطيوس خير من يصبح شيوعياً. بل إنه يبدو إلى حد ما شيوعياً. «ربما استطعت تخويفه».

«لا يجوز أن يخلق لك هذا الولد المشاكل. عندك شخصية لطيفة. وأنا أعجب بهذا في السيدة، حين تعرفت إليك في زقاق البولينغ مع مس باتاغليا، قلت لنفسي: آمل أن ألتقيها يوماً ما».

«قلت هذا؟»

«أعجبت بصلابتك، وأنت تدافعين عن هذا الولد أمام ذاك الشرطي القذر، خصوصاً وأنه يسبب لك المشاكل في البيت. هذا يتطلب شجاعة».

«تمنين لو أنني تركت انجلو يأخذه. ما كان حصل الذي حصل. كان يمكن أن يكون في أمان في السجن».

«من أنجلو؟»

«انتظر! ما كان يجب أن أفتح فمي الكبير. ماذا قلت، كلود؟»

«شيئاً عن انجلو»

«يا إلهي. دعني أذهب لأرى إذا كانت سانتا بخير. المسكينة ربما حرقت نفسها بالموقد. سانتا دائماً تؤذي نفسها. لا تحترس من النار».

«لو أنها احترقت لكانت صرخت».

«لا سانتا. عندها الكثير من الشجاعة. هذه البنت لا تسمع كلمة منها. هي من ذلك الدم الإيطالي القوي».

«يسوع القدير» صرخ السيد روبيشو قافزاً على قدميه «إنه هو».

«ماذا؟» سألت السيدة رايلي بفزع وتلفتت حولها ورأت سانتا وانجلو واقفين في مدخل الغرفة. «أرأيت سانتا، عرفت أن كل هذا سيحصل. أعصابي تالفة من الأصل كان يجب أن أبقى في البيت».

«لو لم تكن شرطياً قذراً للكمتك على أنفك» صرخ السيد روبيشو بأنجلو.

«آه. طوّل بالك، كلود» قالت سانتا بهدوء «لم يكن أنجلو يتعمد الأذى».

«دمرني هذا الشيوعي».

سعل الشرطي مانكوزو بشدة وبدا مكتئباً. وتساءل أي أمر مفزع يمكن أن يحدث له بعد ذلك.

«يا إلهي من الأفضل أن أذهب» قالت السيدة رايلي بيأس «آخر شيء أحتاج إليه هو العراك. سينشر على صفحات جميع الجرائد. وسيكون أغناطيوس عندئذ سعيداً».

«كيف جئت بي إلى هنا؟» سأل السيد روبيشو سانتا بشراسة «ما هذا؟»

«سانتا حبيبتي هلا طلب لي تكسي؟»

«اخرسي ايرين» أجابت سانتا «الآن اسمع، كلود، قال انجلو إنه آسف لقبضه عليك».

«هذا لا يعني شيئاً، فات الوقت على الأسف. لقد أهنت أمام حفيداتي».

«لا تغضب من انجلو» توسلت السيدة رايلي «كانت الغلطة كلها من أغناطيوس، إنه من لحمي ودمي، لكنه حقاً يبدو مضحكاً حين يظهر في الخارج. كان يجب على أنجلو أن يسجنه».

«هذا صحيح» أضافت سانتا «اسمع ما تقوله لك ايرين، كلود. وانتبه حتى لا تدوس على فوتوغراف ابنة أختي المسكينة».

«لو أن أغناطيوس كان لطيفاً مع أنجلو ما كان حصل شيء» شرحت السيدة رايلي للحاضرين. «فقط انظر إلى الزكام الذي أصاب انجلو. جعله يقاسي كثيراً، كلود».

«قولي له يا بنت» قالت سانتا «أصاب الزكام انجلو كنتيجة لأنه قبض عليك. كلود» وهزت سانتا إصبعاً قصيراً وثخيناً نحو السيد روبيشو بشيء

من الاتهام. «الآن هو محصور في المرحاض. والشيء الثاني الذي سيفعلونه هو رفسه خارج السلك».

سعل الشرطي مانكوزو بحزن.

«ربما اضطربت قليلاً» أذعن السيد روبيشو.

«ما كان يجب أن أقبض عليك» تكلم أنجلو من أنفه «كنت متوتر الأعصاب».

«الغلط كله غلطي» قالت السيدة رايلي «لمحاولتي حماية هذا الأغناطيوس. كان يجب أن أتركك تحبسه، أنجلو» وأدارت السيدة رايلي وجهها الأبيض المرشوش بالبودرة إلى السيد روبيشو «سيد روبيشو. أنت لا تعرف أغناطيوس. يسبب المشاكل في أي مكان يذهب إليه».

«أغناطيوس بحاجة لمن يلكمه على أنفه» قالت سانتا بتوق.

«على أحدهم أن يلكمه على الفم» أضافت السيدة رايلي.

«على أحدهم أن يضرب هذا الأغناطيوس» قالت سانتا «الآن هيا لنتصادق جميعاً».

«طيب» قال السيد روبيشو. فأمسك يد انجلو البيضاء - المزرقة وهزها برخاوة.

«أليس هذا جميلاً» قالت السيدة رايلي. «تعال اجلس على الصوفا، كلود، وسانتا ستشغل هذا (الهاي فلاي) الثمين اللطيف».

وبينما كانت سانتا تضع إسطوانة فالس دومينو على الفوتوغراف جلس انجلو وهو ينشق ويبدو عليه الارتباك، على كرسي المطبخ مواجهاً السيد روبيشو والسيدة رايلي.

«أليس هذا لطيفاً» صرخت السيدة رايلي رافعة صوتها فوق البيانو والكونترباس المصمّمين للآذان «سانتا عزيزتي، هلا خفضت الصوت قليلاً؟»

انخفض الإيقاع الضاج قليلاً.

«أوكي» صاحت سانتا على ضيوفها «الآن تسامروا بينما أحضر بعض الصحون لسلطة البطاطا الجيدة، هيا، هيا، ايرين وكلود. هيا أرونا يا أولاد هز الرجلين».

حدقت العينان السوداوان بلون الفحم من على الرف بعبوس نحوها وهي تخرج من الغرفة بمرح. أخذ الضيوف الثلاثة الغارقون بقرع الفونوغراف القوي يتفحصون بصمت الجدران الملونة باللون الوردي وأشكال الزهر على اللينوليوم. ثم صرخت السيدة رايلي فجأة «تعرفون ماذا؟ أغناطيوس كان يملأ البانيو بالماء قبل أن أذهب، وأراهن أنه نسي الحنفية مفتوحة» وحين لم يجب أحد أضافت «الأمهات يقاسين».



«جاءتنا شكوى عليك من هيئة الصحة، رايلي».

«آه! أهذا كل شيء؟ من تعبير وجهك، ظننت أنك تعاني من نوبة صرع». قال أغناطيوس للمستر كلايد وهو يمضغ ملء فمه من الهات دوغ والكعك. مقرقعاً بعربته وهو يدخل المرآب. «أخشى أن أخمن أي نوع من الشكاوي هي أو كيف لفقت. أؤكد لك أنني كنت روح النظافة. وأن عاداتي الشخصية لا عيب فيها. ولا أحمل أي مرض معد، ولا أرى ماذا يمكن أن أنقل إلى نقانقك ليس فيها أصلاً. انظر إلى هذه الأظافر».

«لا تعرض علي شيئاً من هرائك، أيها الأخرق السمين». وتجاهل المستر كلايد كفي أغناطيوس المتدين للتفنيش. «أنت تعمل لدي منذ أيام قليلة فقط. كان عندي شباب عملوا لدي سنين دون أن ألقى متاعب مع الهيئة».

«لا ريب أنهم أشد مكراً مني».

«يقولون إن ذلك الرجل كان يتحرى عنك».

«آه». قال أغناطيوس. وتوقف ليلوك رأس هات دوغ برز فوق فمه مثل عقب سيجارة «إذن هو ذاك ذيل السلطة الواضح. لقد تبدى لي مثل ذراع للبيروقراطية. تستطيع دائماً تمييز موظفي الحكومة من خلال الفراغ الشامل الذي يملؤه الوجه عند معظم الناس الآخرين».

«اخرس أيها الجلف الضخم. هل دفعت ثمن النقانق التي تأكل؟»

«نعم! بصورة غير مباشرة. يمكن أن تقتطع ثمنها من راتبي التعيس» ونظر أغناطيوس إلى المستر كلايد يسجل بضعة أرقام على الورق. «قل لي. أي تابو صحي عتيق خرقت؟ أظن أن ذلك تلفيق من تلفيقات المفتش».

«تقول الهيئة أنهم رأوا بائع العربة رقم سبعة... الذي هو أنت....»

«هكذا إذن. مبارك ثلاثاً الرقم سبعة! أنا مذنب على هذا الأساس. لابد أنهم أعدوا لي أمراً ما. تصورت أنه يمكن أن تكون السبعة عربة ذات حظ سيء بشكل مثير للسخرية. أريد عربة أخرى بأسرع ما يمكن. من الظاهر أنني أدفع حظاً عاثراً في الشوارع. وأنا واثق أنني سأشتغل أفضل بعربة أخرى. عربة جديدة بداية جديدة».

«هل ستسمعني؟»

«حسناً، إن توجب علي. ربما يجب أن أحذرك أنني على وشك الإغماء بسبب القلق والاكتئاب العام. فالفيلم الذي شهدته ليلة أمس كان قاسياً بشكل خاص. استعراض مراهقين على الشاطئ. كدت أنهار عند مشاهد التزلج على الماء الغنائية. بالإضافة إلى أنني عانيت من كابوسين الليلة الماضية، أحدهما يتعلق بباص سياحي. والآخر يتعلق بفتاة من معارفي. كان الأمر وحشياً وداعراً. لو وصفته لك لخفت ولاشك».

«لقد شاهدوك تلتقط قطة من البالوعة في شارع سانت جوزيف »

«أهذا أفضل ما يفعلون؟ أية كذبة سخيفة» قال أغناطيوس وقذف بلسانه إلى داخل فمه آخر قطعة مرئية من الهات دوغ.

«ماذا كنت تفعل في شارع سانت جوزيف؟ ليس هناك إلا أرصفة الشحن والمستودعات. ليس في سان جوزيف بشر. وليس ضمن طريقنا المرسوم».

«حسناً ما كنت أعرف ذلك. فقط تمشيت فيه لأستريح قليلاً. بين حين وآخر يمر أحد المشاة. لكن لسوء حظنا لا يبدون في مزاج للهات دوغ».

«إذن كنت هناك؟ لا عجب أنك لا تبيع شيئاً. وأخمّن أنك كنت تلعب مع تلك القطة الملعونة».

«طالما أنك ذكرت ذلك، يبدو أنني فعلاً أتذكر حيواناً أهلياً أو اثنين في تلك الناحية».

«إذن كنت تلعب مع القطة».

«لا، لم أكن ألعب مع القطة. فقط حملتها لأطفالها قليلاً. كانت أشبه بكرة القطن. قدمت لها هات دوغ. على كل حال رفضت القطة أن تأكله. إنها حيوان ذو ذوق واحتشام».

«أتعرف فداحة هذه المخالفة، أيها القرد الضخم؟»

«لا، أخشى أني لا أعلم». قال أغناطيوس غاضباً. «من الواضح أنهم اعتبروا أن القطة غير نظيفة كأمر مسلم به. كيف تعرف ذلك؟ القطط مشهورة بنظافتها دائماً تلعق نفسها حين تشك في أن هناك سبباً ما مؤذياً. لابد أن ذاك المفتش عنده تحيز ضد القطط. وتلك القطة لم تعط فرصة».

«نحن لا نتكلم عن تلك القطة!» قال المستر كلايد باحتداد جعل أغناطيوس قادراً على رؤية العروق القرمزية تنتفخ حول الندبة البيضاء على أنفه. «نحن نتكلم عنك».

«حسناً. أنا بالطبع نظيف. لقد ناقشنا هذه المسألة من قبل. كل ما أردته أن تحظى تلك القطة بحق الدفاع. سيدي هل سأتعرض للأذى هكذا دائماً؟ أعصابي قاربت على التلف سلفاً. حين دفقت في أظافري منذ دقيقة، لاحظت كما آمل ارتعاش يدي المخيف. أكره أن أقاضي باعة الفردوس المحدودة. لتدفع أجور المحلل النفسي. ربما لا تعرف أنني غير مغطى بأي نوع من الضمان الصحي. وباعة الفردوس طبعاً أعتق من أن تفكر في تقديم خدمات من هذا النوع لعمالها. والواقع أنه يزداد عدم رضاي عن أوضاع هذه المؤسسة السيئة السمعة».

«لماذا؟ أين الخطأ؟» سأل المستر كلايد.

«في كل شيء كما أظن. وعلى رأس هذه الأخطاء لا أحس أني ألقى التقدير».

«طيب على الأقل. إنك تحضر كل يوم. أقدر لك هذا».

«أحضر لأني أخاف أن أضرب بلا شفقة بزجاجة خمر مشوية إن تجرأت وبقيت في البيت. ففتح باب منزلي مثل التسلل إلى عرين لبؤة. أمي تتحول إلى امرأة بذيئة وشريرة».

«تعرف يا رايلي، لا أريد أن أطردك» قال المستر كلايد بنبرة أبوية. كان قد سمع بحكاية البائع رايلي عن الأم المخمورة. والتعويض عن الحطام الذي حدث، وشبح الفقر المدقع الذي يخيم على كل من الابن والأم، وأصدقاء الأم الفاسقين. «سأرتب لك الأمر بخط سير جديد وأعطيك فرصة جديدة. عندي وسائل تحايل تجارية يمكن أن تعينك».

«يمكن أن ترسل خريطة لخط السير الجديد إلى جناح المرضى العقليين في مستشفى الإحسان. يمكن أن تساعدني الراهبات الموسوسات والمحللون النفسيون على حل رموزها ما بين المعالجات بالصدمات».

«اخرس الآن».

«أترى. لقد خربت مبادرتي سلفاً» تجشأ أغناطيوس «حسناً آمل أنك اخترت طريقاً ذا مشاهد، ومن الأفضل طريقاً قرب حديقة عامة حيث يوجد متسع من أماكن الجلوس للذين يعانون من الأقدام المتعبة المرهقة. حين نهضت هذا الصباح انهار كاحلاي. ومن حسن الحظ أني تمسكت بعمود السرير في الوقت المناسب. وإلا لسقطت على الأرض ركاماً محطماً. ويظهر أن عظيمات كاحلي على وشك الاستسلام الكلي».

أخذ أغناطيوس يعرج حول المستر كلايد شارحاً، وحذاؤه الصحراوي يجرجر على الاسمنت الملوث بالزيت.

«توقف عن ذلك أيها الجلف الضخم.. أنت لست كسيحاً».

«لا ليس كلية الآن. ومع ذلك، بدأت بعض العظام والأربطة الصغيرة تلوح براية الاستسلام. يبدو أن جهازي العضوي يتهيأ لإعلان هدنة من نوع ما. جهازي الهضمي توقف تقريباً عن العمل. وربما نبتت حول بواب معدتي بعض النسج لتغلقه إلى الأبد».

«سأخصصك في الحي الفرنسي».

«ماذا؟» أرعد أغناطيوس «أتظن أنني سأقوم بالطواف في بالوعة الرذيلة تلك؟ لا، أظن أن هذا الحي خارج عن الموضوع. يمكن أن تتقوض نفسي في ذلك الجو. إضافة إلى أن الشوارع هناك ضيقة وخطرة. ويمكن بسهولة أن أقع بحركة المرور أو ارتطم ببناية».

«لك أن تقبل أو ترفض، يا ابن الحرام السمين هذه آخر فرصة لك» بدأت ندبه المستر كلايد تشحب ثانية.

«هكذا إذاً؟ حسناً. لا تقع في نوبة صرع جديدة يمكن أن تتعثر بقدر الفرنكفورتر وتحرق نفسك. إذا كنت مصراً فإني أتصور أني مضطر إلى دحرجة نقانقي في سدوم وعمورة».

«أوكي. سويّ الأمر. تعال غداً صباحاً سأرتب لك بعض الوسائل التجارية».

«لا أستطيع أن أعدك ببيع الكثير من الها تدوغ في ذاك الحي. ويحتمل أن أكون كل الوقت مشغولاً في حماية شري من أولئك الأصدقاء القاطنين هناك».

«أنت مخصص بالمنطقة السياحية كلها تقريباً».

«وهذا أسوأ. المنحلون فقط هم الذين يسيحون. أنا شخصياً خرجت من المدينة مرة واحدة. بالمناسبة. هل حدثتك عن حجتي الخاصة إلى باتون روج؟ هناك الكثير من الأهوال خارج حدود المدينة»

«لا. لا أريد أن أسمع عنها».

«طيب هذا من سوء حظك. كان يمكن أن تجني مغازي قيمة من حكاية تلك الرحلة المضطربة على كل حال أنا مسرور أنك لا تريد سماعها. إن اللفتات الذكية النفسية والرمزية للرحلة يمكن أن لا تفهمها عقلية باعة الفردوس. ولحسن الحظ أني دونتها كلها، وفي يوم ما في المستقبل فإن الأكثر تهيؤاً من الجمهور القارئ سيستفيدون من تسجيلي لهذه الرحلة نحو الهاوية في المستنقعات إلى محطة الرعب المطلق الداخلية».

«الآن استمع إلي. رايلي».

«في ذاك التسجيل وقعت على تشبيه ملائم في مقارنة الباص السياحي مع القلابة في حديقة الملاهي السيريالية».

«اخرس الآن!» صرخ المستر كلايد ملوحاً بشوكته مهدداً «دعنا نسوي حساباتنا لهذا اليوم. كم بعت؟»

«آه يا إلهي». تنهد أغناطيوس «عرفت أننا سنصل إلى هذا آجلاً أو عاجلاً». وأخذا يتشاحنان حول الأرباح عدة دقائق. أمضى أغناطيوس بالفعل الصباح جالساً في ساحة ايدس يراقب الميناء ويسجل بعض الملاحظات حول تاريخ الملاحة وماركو بولو على أوراق دفتر. وما بين الملاحظات كان يتأمل في وسائل تحطيم ميرنا مينكوف وتوصل إلى نتائج مرضية. كانت أكثر خططه وعداً تتضمن الحصول على كتاب عن الذخائر الحربية من المكتبة، وصنع قنبلة وإرسالها بالبريد إلى ميرنا من مرسل مجهول.. ثم تذكر أن بطاقة

الاستعارة من المكتبة قد سحبت منه. وصرف وقت بعد الظهر مع تلك القطة: لقد حاول أغناطيوس أن يحجزها في حجرة الكعك في العربة ليأخذها ويربيها فيه. إلا أنها هربت.

«يبدو لي أنك ستكون كريماً نوعاً ما وتمنح موظفيك بعض التخفيض» قال أغناطيوس بتعالٍ دون أن أظهر تدقيق الحسابات بعد اقتطاع ثمن ما أكله من الها تدوغ أن ما سيعود به إلى البيت كان تماماً دولاراً وخمسة وعشرين سنتاً. «على كل حال أصبحت أفضل زبون لديك».

ضرب المستر كلايد بالشوكة وشاح البائع رايلي وأمره بالخروج من المرآب. وتوعده بالطرد إن لم يخرج باكراً للعمل في الحي الفرنسي.

هرول أغناطيوس إلى حافلة الترام في مزاج قاتم وصعد يتجشأ غاز الفردوس بعنف بحيث أن أحداً لم يجلس إلى جانبه رغم أن الحافلة مزدحمة.

حين دخل إلى المطبخ حيته أمه بالركوع على ركبتيها قائلة: «يا إلهي قل لي لماذا أرسلت هذا الصليب المزعج كي أحمله؟ ماذا فعلت يا الله؟ قل لي. ابعث لي بشارة. لقد كنت صالحة».

«أوقفي هذا التجديف الآن» صرخ أغناطيوس. وكانت السيدة رايلي تسائل السقف بعينيها. باحثة عن جواب بين الشقوق والدهون. «أي ترحيب ألقى بعد هذا اليوم المثبط الذي كنت أعارك فيه للحفاظ على وجودي في شوارع هذه المدينة المتوحشة».

«ما هذه الخدوش على يدك؟»

نظر أغناطيوس إلى الخمشات التي تلقاها أثناء محاولته إقناع القطة بالبقاء في حجيرة الكعك.

«لقد كنت في معركة سحرية مع مومس تتضور من الجوع». وتجشأ أغناطيوس. «لولا أن عضلاتي متفوقة لنهيت غربتي. أخيراً ابتعدت عن النزال تعرج وعلمها منكس».

«أغناطيوس» انتحبت السيدة رايلي بمأساوية «كل يوم يبدو أنك تسير نحو الأسوأ. والأسوأ. ماذا يحصل لك؟»

«خذي زجاجتك من الفرن. يجب أن نحسم الأمر فوراً».

نظرت السيدة رايلي بخبث وسألت «أغناطيوس. أمتأكد أنك لست شيوعياً؟»

«آه، يا إلهي!» صرخ أغناطيوس «أني كل يوم أتعرض لملاحقة صيادي الساحرات المكارثيين في هذا المبنى المتصدع. لا! قلت لك من قبل. لست من أنصار أي حزب. من هذا الذي وضع هذه الفكرة في رأسك؟»

«قرأت في مكان ما في الجريدة أن هناك الكثير من الشيوعيين في الكلية».

«طيب من حسن الحظ أني لم أقابلهم. لو أنهم اعترضوا طريقي لضربوا حتى الرمق الأخير من حياتهم. هل تظنين أني أريد العيش في مجتمع مشاعي مع ناس مثل باتا غاليا من معارفك أكنس الشوارع وأحطم الصخور أو أقوم بما لا أعرف من الأعمال التي يقومون بها في تلك البلاد المفسودة؟ ما أريده هو مملكة قوية فاضلة لها ملك ذو ذوق واحتشام وعنده بعض المعرفة باللاهوت والهندسة ويرعى حياة داخلية غنية».

«ملك؟ أنت تريد ملكاً؟»

«آه. كفاك ثرثرة أمامي!»

«لم أسمع أن أحداً يريد ملكاً».

«رجاء!» وضرب أغناطيوس بكفه قماش طاولة المطبخ «اكتسي المدخل، زوري المس آني. اطلبي باتا غاليا. اذهبي مارسي لعبة البولينغ. دعيني وحدي أنا في دور سيء».

«ماذا تعني بدور؟»

«إن لم تكفي عن إزعاجي فإني سأعمّد مقدمة سيارتك البلايموث المهمشة بزجاجة الخمر التي في الفرن» نخر أغناطيوس.

«قتال مع بنت مسكينة في الشارع» قالت السيدة رايلي بحزن «أليس هذا مرعباً. وأمام عربة نقانق. أغناطيوس أظن أنك بحاجة إلى مساعدة».

«حسناً سأذهب لأشاهد التلفزيون» قال أغناطيوس بغضب «برنامج الدب يوغي سيبث الآن».

«انتظر لحظة يا ولد» نهضت السيدة رايلي من على الأرض وأخرجت مظروفاً بنياً صغيراً من جيب سترتها «خذ. جاءك هذا اليوم».

«أوه؟» سأل أغناطيوس باهتمام، قابضاً على المظروف البني الصغير. «أتخيل أنك حفظت محتوياته عن ظهر قلب».

«من الأفضل لك أن تنقع يديك في الحوض لتزيل هذه الخدوش».

«يمكن أن تنتظر» قال أغناطيوس. وفتح المظروف «م. مينكوف استجابت كما يبدو لخطابي باستعجال مسعور. لقد وبختها بشراسة».

جلست السيدة رايلي مصلبة رجليها. مدلية جواربها البيضاء وخفيها الجلديين الصقيلين بحزن. بينما كانت عينا ابنها الزرقاوان والصفراوان تمسحان مغلف ماسي الذي كتبت عليه الرسالة.

[سادتي:

حسناً أخيراً سمعت منك. أغناطيوس. ولقد كانت رسالة ممروضة مقرفة. لن أدخل في «بناطيل ليفي» المتوج ورقة القرطاسية. لعل تلك فكرتك عن مزاح معاد للسامية. إنه من الخير أنني فوق الهجوم على هذا المستوى. لم يخطر ببالي أبداً أن تنحط إلى هذا المستوى. عش وتعلم.

تعليقاتك على المحاضرة أظهرت غيرة شديدة لم أكن أتوقعها من شخص يزعم بأنه واسع الأفق وغير ملتزم. لقد أخذت المحاضرة تثير اهتمام عدد من الناس المعنيين الذين أعرفهم. الشخص الذي وعد أن يأتي (ويجلب عدداً من الأصدقاء الحادي الذكاء، أيضاً) هو مصدر معلومات جديد رائع تعرفت عليه أثناء ساعة الزحام في شارع جيروم. اسمه أونغا وهو طالب من كينيا يكتب أطروحة في جامعة نيويورك حول الرمزيين الفرنسيين في القرن التاسع عشر. طبعاً لن تفهم ولن تحب شاباً رائعاً وملتزماً مثل أونغا. أنا يمكن أن أستمع إليه يتحدث لساعات. إنه جاد ولا يتلاءم مع المزيفين الذين تتلاءم معهم دائماً. ما يقوله أونغا ذو معنى. أونغا حقيقي وحيوي. وهو مكتمل الرجولة وعدواني. يندفع نحو الواقعية ويمزق الحجب الساترة].

«يا إلهي!» سال لعاب أغناطيوس «الوقحة اغتصبها ماو - فاو».

«ما الأمر؟» سألت السيدة رايلي بارتياب.

«اذهبي افتحي التلفزيون ودعيه يحمى» قال أغناطيوس شارداً وعاد إلى قراءته الغاضبة للرسالة.

[لا يشبهك أبداً. كما يمكن أن تتخيل. وهو أيضاً موسيقي ومثّال، ويمضي كل دقيقة بنشاط ذي معنى وحقيقي، ويتحسس. يكاد تمثالهن يقفز ويمسك بك، مليئاً جداً بالحياة والوجود.

جعلتني رسالتك أعرف على الأقل أنك لازلت على قيد الحياة إذا كنت تستطيع أن تسمي ما تفعله «حياة». ما هي الأكاذيب التي ذكرتها عن ارتباطك بـ (صناعة وتجارة الأغذية) أهذا نوع من الهجوم على عمل أبي في تزويد المطاعم بالمؤن؟ إن كان الأمر كذلك فما بلغت مرادك مني لأني على خلاف إيديولوجي مع أبي منذ سنين. فلنواجه الأمر، أغناطيوس. منذ أن رأيتك آخر مرة لم تفعل شيئاً سوى الاستلقاء والاهتراء في غرفتك. وموقفك العدائي تجاه محاضرتي ما هو إلا بيان عن شعورك بالإخفاق، وعدم الإنجاز والعنّة العقلية؟]

«يجب أن تخوزق هذه البغي على عضو حصان فحل ضخم» تمتم أغناطيوس غاضباً.

«ماذا، ما الأمر، يا ولد؟»

[أغناطيوس. ثمة شرخ سيء على الطريق. يجب أن تفعل شيئاً. حتى عمل تطوعي في مستشفى يمكن أن ينتزعك من لامبالاتك كما يحتمل ألا يكون عبئاً على بواب معدتك وأشيائك الأخرى. تمشّى. أغناطيوس. انظر إلى الأشجار والطيور. أدرك أن الحياة تمور في كل ما حولك. ينغلق البواب لأنه يظن أنه يحيا في عضوية ميتة. افتح قلبك، أغناطيوس، وستفتح بوابك.

إن كان لديك أية خيالات جنسية، فصفها بالتفصيل في رسالتك القادمة. يمكن أن أكون قادرة على ترجمة معانيها لك ومساعدتك في هذه الأزمة النفسية - الجنسية التي تمر بها. حين كنت في الكلية، أخبرتك أكثر من مرة بأنك مستمر بحالة من هذا النوع.

ظننت أنك يمكن أن تستمتع بمعرفة أنني قرأت منذ قليل في (الثورة الاجتماعية) أن لويزيانا فيها أعلى نسبة من الأميين في الولايات المتحدة. أخرج من هذه الفوضى قبل أن يفوت الأوان. أنا في الحقيقة غير عابئة بما كتبته عن محاضرتي، فأنا أفهم وضعك، أغناطيوس. أعضاء فريق المعالجة الجماعية يتابعون حالتك باهتمام (لقد حدثتهم عنها فصلاً فصلاً بدءاً من أوهام عقدة الاضطهاد، وأضفت تعليقات معينة حول خلفياتها)، وهم جميعاً يشجعونك. لو لم أكن مشغولة بالمحاضرة، لقمت بجولة تفتيش فات ميعادها منذ زمن وجئت إليك شخصياً. تماسك إلى أن نلتقي ثانية.

م مينكوف]

طوى أغناطيوس الرسالة بعنف، ثم قبض على المغلف المطوي وجعله على شكل كرة ورماه في سلة المهملات. نظرت السيدة رايلي إلى وجه ابنها الممتقع وسألت:

«ماذا تريد هذه البنت؟ ماذا تفعل هذه الأيام؟»

«ميرنا تتهيأ لأن تقفز على أحد الزنوج سيئي الحظ. أمام الناس».

«أليس هذا مزعجاً. تأكد أن يكون أصدقاؤك لطيفين، أغناطيوس. هؤلاء الملونون لديهم سلفاً متاعبهم. طريقهم صعبة، أيضاً. الحياة صعبة يا أغناطيوس! ستتعلم».

«شكراً جزيلاً» قالها أغناطيوس بلهجة جدية.

«أتعرف تلك السيدة الملونة العجوز التي تبيع حلاوة الجوز أمام المقبرة؟ أوه! أغناطيوس. أشعر حقاً بالحزن من أجلها، رأيتها البارحة تلبس معطفاً قصيراً من قماش مليء بالثقوب، وكان الجو بارداً. قلت لها، مرحباً يا عزيزتي، ستموتين من البرد بمعطفك القصير المليء بالثقوب، فقالت لي...»

«من فضلك» صاح أغناطيوس غاضباً «لست في مزاج الاستماع إلى هذه القصص».

«أغناطيوس اسمعني. هذه السيدة تثير الشفقة. قالت لي: أوه. أنا لا أهتم بالبرد يا حلوة. أنا معتادة عليه. أليست هذه شجاعة؟» تطلعت السيدة رايلي

إلى أغناطيوس آملة موافقته، غير أنها لم تر إلا شارباً ساخراً «أليس هذا عجباً. وهكذا تعرف يا أغناطيوس ماذا فعلت. أعطيتها ربع دولار وقلت لها، خذي يا عزيزتي اذهبي اشتري بها شيئاً لأحفادك الصغار».

«ماذا؟» انفجر أغناطيوس. «هكذا إذن تصرف أرباحنا. في حين أكون مكرهاً على الشحاذة في الشوارع، تبددين مالنا على المحتالين. ثياب تلك السيدة ما هي إلا خدعة. عندها موقع رائع ومربح عند المقبرة. وبلا شك فإن دخلها أكثر عشر مرات من دخلي».

«أغناطيوس، لقد كانت منهارة تماماً» قالت السيدة رايلي بحزن «أتمنى لو كنت شجاعاً مثلها».

«فهمت. هأنذا أقارن الآن بأنثى محتالة عجوز فاسدة. والأسوأ أني الخاسر في المقارنة. أمي أنا تجرؤ على الافتراء علي هكذا» وخبط أغناطيوس كفه على قماش الطاولة. «حسناً لقد نلت كفايتي من هذا. أنا ذاهب إلى البهو لأشاهد برنامج الدب يوغي. وما بين استراحات الخمر، هاتي لي شيئاً آكله. بوابي يصرخ من الجوع».

«أخرسوا هناك» صرخت المس آني بينما جمع أغناطيوس رداءه الفضفاض حول نفسه وانسل إلى الصالة متأملاً في أكثر مشاكله إلحاحاً، تنظيم هجوم جديد على وقاحة الوقحة. يجب أن تشن هجمات أخرى يمكن أن تنظم في ميداني السياسة والجنس. والأفضل السياسة. وتستحق الاستراتيجية كامل اهتمامه.



كانت لانالي على أحد كراسي البار. رجلاها متصالبتان في بنطال من الجلد الغامق. وردفاها القويان يسمران الكرسي على الأرض ليدعمها في شكل شاقولي ممتاز. وإذا تحركت قليلاً، اصطخبت عضلات خديها السفليين بالحياة لتمنع الكرسي من الانحناء أو التحرك ولو إنشاً واحداً. تموجت عضلات الردفين حول دائرة الكرسي وأمسكت به وحافظت على انتصابه. سنين طويلة من التدريب والاستعمال جعلت كفلها شيئاً بارعاً متعدد الاستعمالات.

كان جسدها يثير دهشتها دائماً. لقد حصلت عليه مجاناً، ومع ذلك لم تشتر شيئاً ساعدها مثلما ساعدها جسدها. وفي تلك اللحظات النادرة حين تصبح لانالي عاطفية أو متدينة، تشكر الله على نعمته في تشكيل جسد كان دائماً صديقاً. وقد عوضت على الهدية بمنحها رعاية رائعة. وخدمة خبيرة وصيانة تقدم بدقة ميكانيكي خالٍ من العاطفة.

كان هذا اليوم موعد أول تدريبات دارلين على الثوب. كانت دارلين قد وصلت قبل عدة دقائق مع علبة ثوب كبيرة واختفت خلف المسرح. نظرت لانا إلى عدة دارلين على المسرح. كان نجار قد صنع منصة بدت شبيهة بعلاّقة القبعات لكن بدل الشناكل كان هناك حلقات كبيرة مرتبطة بأعلى المنصة وثلاث حلقات على سلاسل متدلية من الأعلى بأطوال مختلفة. ما شاهدته لانا من العرض حتى الآن لم يكن واعداً. لكن دارلين قالت إن الرداء المناسب سيحول العرض إلى شيء جمالي. لم تستطع لانا أن تشكو. أخذ كل شيء بعين الاعتبار، وكانت سعيدة لأنها سمحت لدارلين وجونز بأن يكلماها من أجل الإذن لدارلين بتقديم عرضها.. لقد حصلت على العرض رخيصاً وكان عليها أن تعترف بأن الطائر كان عارضاً جيداً جداً. ماهراً وحرفياً وقد أعد تقريباً لعرض النواقص الإنسانية. يمكن للنوادي على طول الشارع أن تقدم عروضاً مع النمر، أو الشمبانزي أو الأفاعي. لكن ليل الحبور كان لديه عرض الطائر مضموناً، ولقد عرفت لانا بفضل درايتها العميقة بأحد مظاهر الإنسانية بأن تجارة الطائر يمكن أن تصبح حقاً كبيرة.

«أوكي لانا نحن مستعدون» قالت دارلين من خارج المسرح.

نظرت لانا إلى جونز الذي يمسح كراسي البار بسحابة من الدخان والغبار وقالت: «شغل التسجيل».

«آسف العامل الذي يشغل التسجيل لا يتقاضى أقل من ثلاثين دولاراً في الأسبوع».

«اترك من يدك هذه المكنسة ورح للفونوغراف قبل أن أتصل بالمخفر» صرخت لانا عليه.

«وأنت قومي عن كرسيك وشغلي الفونوغراف قبل أن أتصل بالمخفر لتقوم الشرطة بالبحث عن صديق الأيتام الذي اختفى».

تفحصت لانا وجه جونز، لكن عينيه كانتا مختفيتين خلف الدخان والنظارة السوداء.

ثم سألته: «ما القصة؟»

«الشيء الوحيد الذي كنت تقدمينه للأيتام هو السفلس! لا تعرفيني بأي شيء عن هذا الفونوغراف. مجرد ما أكشف موضوع الأيتام سأنادي الشرطة بنفسي. مللت وتعبت من الشغل في بيت القطط هذا بأجر دون الحد الأدنى وتهديدات طوال الوقت».

«هيا يا أولاد أين الموسيقى؟» صاح صوت دارلين بتشوق.

«ماذا تستطيع أن تثبت للشرطة؟» سألت لانا جونز.

«ها. إذن هناك احتيال فعلاً في موضوع الأيتام! عرفت ذلك منذ البداية. إذا كنت تنوين أن تعلمي الشرطة عني، فأنا أنوي أن أعلم الشرطة عنك. الاتصال الهاتفي بالشرطة عمل إنساني. الآن اتركيني بسلام مع المسح والكنس. تشغيل الفونوغراف عمل أعلى من مستوى الملونين. يحتمل أن أكسر آلتك».

«أحب أن أرى كلب سجون عاطل عن العمل مثلك يحاول أن يجعل الشرطة تصدقه وخصوصاً حين أخبرهم أنك مددت يدك على آلة تسجيل المال».

«ماذا يحدث؟» تساءلت دارلين من خلف الستارة الصغيرة.

«الشيء الوحيد الذي مددت يدي إليه هو سطل ملئ بالماء القذر».

«كلامي مواجه كلامك. الشرطة أصلاً عينها عليك. كل ما يحتاجونه هو كلمة من صديق قديم لهم مثلي. من تظن أنهم يصدقون؟» نظرت لانا إلى جونز ورأت أن صمته قد أجاب على سؤالها. «الآن قم إلى الفونوغراف».

رمى جونز بالمكنسة في حجيرة ووضع إسطوانة (غريب في الفردوس).

«أوكي، جميعاً. ها نحن قادمون» صاحت دارلين وهي تتمايل على المسرح والببغاء على ذراعها. كانت ترتدي ثوب سهرة قصيراً من الساتان البرتقالي،

وعلى قمة شعرها المصفوف عالياً زهرة أوركيد صناعية. وقامت بعدة حركات شهوانية غير متقنة عند المنصة فيما كان الببغاء يتمايل غير ثابت فوق ذراعها. أمسكت المنصة بإحدى يديها ومررت حوضها على السارية بشكل يرشح بالإغراء وتنهدت «أوه!»

كان الببغاء قد وضع على أدنى حلقه ثم بدأ بمنقاره ومخلبه يتسلق إلى الحلقة العليا. ظلت دارلين تتلوى صاعدة هابطة إلى الأرض حول السارية في حركات من الهياج الماجن حتى وصل الطائر إلى مستوى خصرها. ثم قدمت للطائر حلقة مخيطة على جانب ثوبها. أمسكها بمنقاره وانفتح الثوب.

«أوه» تنهدت دارلين قافزة إلى طرف المسرح الصغير لتعرض على الحضور ملابسها الداخلية التي ظهرت من خلال الفتحة «أوه. أوه».

«واوو!»

«يكفي، يكفي» صرخت لانا قافزة من على كرسيها ورفعت ذراع الفونوغراف.

«ماذا حصل؟» سألت دارلين بصوت مهزوم.

«هذا مقرف هذا ما حصل. أولاً لأنك تلبسين مثل بغايا الشوارع. أريد عرضاً أنيقاً لطيفاً في ملهاي. عندي شغل محتشم يا غبية».

«واوو!»

«تبدين مثل عاهرة في هذا الثوب البرتقالي. وما هذه الأصوات التي تصدرينها مثل ساقطة؟ تبدين مثل شبقة مخمورة مغمى عليها في الزقاق».

«لكن، لانا»..

«الطائر أوكي. أنت مقرفة» وضعت لانا سيجارة بين شفتيها المرجانيتين وأشعلتها.

«يجب أن نعيد التفكير بكل العرض. تبدين كأن محركك مكسور أو شيء ما. أنا أعرف هذا الشغل التعري إهانة للمرأة ونوعية الناس الزاحفين إلى هنا لا يريدون مشاهدة مومس تهان».

«هيه!» سدد جونز سحابته على سحابة لانا «ظننت أنك قلت إن الناس اللطيفين الأنيقين هم الذين يأتون إلى هنا في الليل».

«اخـرس» قالـت لانـا «الآن اسمعـي دارلـين. أي شـخص يمكـن أن يهـين مومـسا. وهـؤلاء المهرجـون لا يريـدون مـشاهدة عـذراء حلـوة طـاهرة تهـان وتتعرى. يجب أن تشغلي رأسك بحق المسيح، دارلين. يجب أن تكوني نقية. أريد منك أن تكوني مثل فتاة مهذبة لطيفة تفاجأ حين يبدأ الطائر بإمساك ثيابك».

«ومن قال إني غير مهذبة؟» سألت دارلين بغضب.

«أوكي أنت مهذبة. وكوني مهذبة على مسرحي هذا ما يقدم مسرحية مثيرة، عليها اللعنة».

«سيحصل ليل الحبور على جائزة أكاديمية بهذا المشهد والطائر سيحصل على واحدة أيضاً».

«ارجع لتنظيف الأرض».

«فوراً. سكارليت أوهارا».

«انتظروا لحظة» صرخت لانا بأفضل نبرة تقليدية يقوم بها مخرج فيلم استعراضي. لقد كانت دائماً تستمتع بالمظاهر المسرحية لمهنتها. العرض، اتخاذ الأوضاع، تأليف المشاهد إخراج الفصول. «ها هي»

«ما هي؟» سألت دارلين.

«فكرة، يا غبية» أجابت لانا ممسكة بسيجارتها بين شفتيها وهي تتكلم من خلالها كما لو كانت مكبر الصوت الذي يستعمله المخرج «الآن انظروا إلى هذا المشهد. ستكونين من النوع الفاتن الجنوبي عذراء حلوة عظيمة من الجنوب القديم ربت هذا الطائر في المزرعة القديمة».

«عظيم. أحب هذا» قالت دارلين بحماسة.

«طبعاً تحبينها. الآن اسمعي» أخذ ذهن لانا يدوّم. هذا المشهد يمكن أن يكون آيتها المسرحية. لدى هذا الطائر مؤهلات نجم «سنجلب لك ثوب مزرعة كبيراً. تنورة منشاة ومشد للخصر. وقبعة كبيرة ومظلة نسائية. شديدة الأناقة. شعرك مجدل على كتفيك. وصلت تواً من حفلة راقصة كبيرة حيث كان كثير من السادة الجنوبيين يحاولون أن يتلمسوك عند الفروج المشوي وجذ

الخنزير. لكنك تصدينهم لماذا؟ لأنك سيدة، عليها اللعنة. تدخلين إلى المسرح. الحفلة انتهت. لكنك لا زلت محافظة على شرفك. تأتين إلى حيوانك الأليف لتقولي تصبح على خير وتقولين له: «كان هناك أكثر من زير نساء في الحفلة يا عزيزي. لكني لا أزال محافظة على شرفي» عند ذلك يبدأ الطائر بالإمساك بثوبك. أنت مصدومة، أنت مندهشة. أنت بريئة لكن تهذيبك لا يسمح لك أن توقفين. فهمت؟»

«هذا عظيم!» قالت دارلين.

«هذا مسرح» صححت لها لانا «أوكي فلنجرب: موسيقى.. مايسترو»

«واوو! رجعنا فعلاً إلى المزرعة» زلق جونز إبرة الغرامافون على أثلام الإسطوانة الأولى «من السخف أن أفتح فمي في بيت القطط البائس هذا».

تخطرت دارلين على المسرح متصنعة الرزانة، وشكلت بفمها برعم ورد وقالت: «حقاً كان هناك كثير من الحفلات عند هذا الزير، يا عزيزي، لكن..»

«توقفي!» زعقت لانا.

«اعطيني فرصة» توسلت دارلين «هذه أول مرة لي. كنت أتدرب على كوني غريبة، لا ممثلة».

«لا تقدرين على تذكر سطراً بسيط مثل هذا؟»

«أثارت دارلين أعصاب ليل الحبور» وغطى جونز بسحابته مقدمة المسرح». هذا بسبب انخفاض الراتب وارتفاع الترهيب. سينال الطائر مثل ذلك قريباً. سيتشربك ويخمش ويسقط عن منصته».

«دارلين صديقتك هه؟ أراها دائماً تمرر لك المجلات». قالت لانا غاضبة. كان هذا الجونز بالنفاذ تحت بشرتها المعطرة. «أنت صاحب فكرة هذا المشهد، جونز. أمتأكد أنك تريدها أن تحصل على فرصة على المسرح؟»

«بالتأكيد! يجب أن ينجح شخص ما في هذا المكان. على كل حال هذا المشهد فيه الكثير من الرقي وسيدر أرباحاً. وسأحصل على زيادة!» وتبسم جونز هلالاً أصفر انفتح في القسم الأسفل من وجهه «آمالي معلقة على هذا الطائر».

كان لدى لانا فكرة تنفع الشغل وتضر جونز. لقد سمحت له بتجاوز حدوده.

«جيد» قالت لانا له «الآن اسمعني، جونز، تريد أن نساعد دارلين. هل تظن أن هذا المشهد جيد هه؟ أذكر أنك قلت أن دارلين والطائر سيروجان الشغل، سأحتاج إلى بواب. حسناً صار لدي بواب. أنت».

«هي! لن آتي إلى هنا في الليل براتب أقل من الحد الأدنى».

«ستخرج في ليلة الافتتاح» قالت لانا بهدوء «ستقف على الرصيف عند الباب. سنستأجر لك بذلة. بواب جنوبي قديم حقيقي. ستجذب الناس إلى هنا. أتفهم؟ أريد أن أرى الملهى ملآن من أجل صديقتك وطائرها».

«هراء. أستقيل من هذا البار المجامع لأمه. يمكن أن يكون عنك سكارليت أوهاراً ونسر الحفلات على المسرح لكن لن يكون لديك عامل حقل على الباب أيضاً».

«سيكون لدى المخفر تقرير خاص».

«ربما سيكون لديهم تقرير عن اليتامى أيضاً».

«لا أظن ذلك».

عرف جونز أن هذا صحيح. فقال أخيراً. «أوكي. سأكون هنا في ليلة الافتتاح. سأجلب لك بعض الناس. سأدخل لك بعض الناس ليغلقوا لك هذا المكان إلى الأبد. سأجلب أشخاصاً مثل تلك الأم السمينة وابنها ذا القبعة الخضراء».

«أتساءل أين ذهب» قالت دارلين.

«اخرسي واسمعيني دورك» زعقت لانا فيها «صديقك هنا يريد لك التقدم. سيساعدك على ذلك، دارلين. أريه كم أنت جيدة».

تنحنحت دارلين ونطقت بحرص. «أكان هناك بالتأكيد كثير من أزياء النساء في الحوض، لكني لا أزال محتفظة بشرفي».

أمسكت لانا بدارلين والطائر من على المسرح ودفعت بهما خارج الملهى إلى الزقاق أصغى جونز إلى أصوات الجدال والتوسل قادمة من الزقاق وسمع صوت صفعة تهبط على وجه شخص ما .

مشى إلى خلف البار ليتناول كأس ماء وتأمل في وسائل التخريب التي يمكن أن تنهي لانا لي إلى الأبد. وفي الخارج كان الببغاء يوقوق ودارلين تبكي «أنا لست ممثلة، لانا. سبق أن قلت ذلك».

لاحظ جونز وهو ينظر إلى تحت البار أن لانا قد شردت وتركت باب الخزانة الصغيرة مفتوحة. كانت طيلة بعد الظهر مشغولة في تدريب دارلين الختامي. انحنى جونز، وللمرة الأولى في ليل الحبور خلع نظارته. كان عليه في البداية أن تتآلف عيناه مع الضوء الأكثر شدة، بالرغم من أنه مايزال معتماً، الذي كشف عن الغبار المتراكم على الأرض خلف البار. نظر في الخزانة الصغيرة. ورأى فيها عشرة رزم مرتبة فوق بعضها وملفوفة بورق. وفي الزاوية كان هناك نموذج للكرة الأرضية، وصندوق طباشير. وكتاب كبير يبدو أنه ثمين.

لم يرد أن يخرب اكتشافه بأخذه أي شيء من الخزانة. لانا لي بعيني الصقر وأنف كلاب الأثر، ستلاحظ ذلك فوراً. فكر هنيهة. ثم أخذ قلم رصاص من آلة الحساب ومرر يده على جوانب الرزم المصففة وكتب بسرعة فائقة عنوان ليل الحبور على جانب كل رزمة. ومثل رسالة في زجاجة في البحر فإن العنوان على الرزم يمكن أن يتلقى جواباً، ربما من المخرب الشرعي المحترف. فعنوان على رزمة ملفوفة بورق بني كان أكثر إيذاء من بصمة إصبع على مسدس. هكذا فكر جونز. إنه شيء لا يجوز أن يكون هناك. نسق الرزم بحرص وأعاد ترتيب الأشياء الأخرى كما كانت عليه. ثم وضع القلم على آلة الحساب وأنهى شرب مائه. تفحص باب الخزانة، وقرر أنه كان مفتوحاً تقريباً بالزاوية نفسها التي وجده فيها.

رجع من خلف البار واستأنف كنسه المتقطع لحظة دخول لانا ودارلين والطائر وكأنهم حفنة من الرعاع مندفعين من الزقاق. كانت أوركيد دارلين متدلية وريشات الطائر القليلة منتوفة. ومع ذلك فإن لانا ظلت صامدة وبدت وكأن إعصاراً أخطأها وحدها بمعجزة.

«طيب الآن دارلين» قالت لانا وهي تمسك دارلين من الكتفين «ماذا يفترض أن تقولي بحق الجحيم».

«أنت مخرجة متفهمة بالتأكيد. لو أنك تعملين في السينما. فإن نصف العاملين فيها يموتون».

«اخرس وانتبه لأرضي» قالت لانا لجونز وهزت دارلين قليلاً. «الآن رددي الدور صحيحاً يا غبية».

تنهدت دارلين بيأس وقالت: «حقاً كان هناك الكثير من العظام في الحفلة يا عزيزي. لكني لا أزال محافظة على شرفي».



انحنى الشرطي مانكوزو أمام طاولة الرقيب وأزّ «يجب أن تخرجني من هذا المرحاض ما عدت أستطيع أن أتنفس».

«ماذا؟» نظر الرقيب إلى الشكل الواهن أمامه، وإلى العينين الدامعتين الحمراوين خلف النظارة مزدوجة العدسات، وإلى الشفتين الجافتين عبر لحية التيس. «ماذا حدث لك يا مانكوزو؟ لم لا تستطيع الوقوف كرجل؟ أصبت بزكام؟ الرجال في سلك الشرطة لا يصابون بزكام. الرجال في السلك أقوياء».

سعل الشرطي مانكوزو مبللاً لحية التيس.

«لم تقبض على أحد في محطة الباصات. أتذكر ما قلته لك.؟ تبقى هناك إلى أن تجلب لي شخصاً ما».

«عندي نزلة صدرية».

«خذ بعض حبوب الرشح. اخرج من هنا واجلب لي أحداً».

«عمتي تقول إذا بقيت في ذلك المرحاض، فإني سأموت».

«عمتك؟ أيستمع رجل ناضج مثلك إلى عمته؟ يا يسوع. أي نوع من البشر تعرف يا مانكوزو؟ عجائز يحضرن مشاهد العري وحدهن، عمات. ربما أنت منتسب إلى التضامن النسائي أو شيء آخر. قف باستعداد» أمعن الرقيب النظر في الشكل البائس الذي كان يرتعش من عقابيل سعال حاد. لم يكن يرغب أن يكون مسؤولاً عن موته. من الأفضل أن يمنح مانكوزو فترة تجريبية ومن ثم يرفسه خارج السلك. «طيب، لا تعد إلى محطة الباصات. اخرج إلى

الشوارع مرة أخرى وتعرض لأشعة الشمس. لكن اسمع. أعطيك مهلة أسبوعين. إذا لم تجلب أحداً إلى هنا تصبح خارج السلك. أتفهمني، مانكوزو؟»

«أومأ الشرطي مانكوزو برأسه وهو ينشق».

«يجب أن أحاول. يجب أن أجلب لك أحداً».

«كفاك انحناء فوقي» صرخ الرقيب «لا أريد أن أعدي بزكامك. قف. اخرج من هنا. اذهب وخذ بعض الحبوب وعصير برتقال. يا يسوع».

«يجب أن أحضر لك أحداً» أزّ الشرطي مانكوزو ثانية، هذه المرة، غير مقنع أكثر من المرة الأولى. ثم انطلق خارجاً ببزته الجديدة، أكبر سخرية مارسها الرقيب عليه. كان يرتدي قبعة لاعب بيسبول وهندام بابا نويل.



تجاهل أغناطيوس طرق أمه على بابه وصراخها في الصالة حول خمسين سنتاً الراتب الذي أحضره إلى البيت لعمل اليوم. مسح الدفاتر، واليويو، والقفاز المطاطي عن طاولته، وفتح دفتر اليوميات وبدأ يكتب:

[أيها القارئ العزيز،

الكتاب الجيد هو دم الحياة الثمين لروح قوية، ضمخت وحفظت للحياة الآخرة. ميلتون لا يزال عقل كلايد المنحرف (والخطير جداً كما أظن) يخترع وسائل لتصغيرْ كياني الذي لا يقهر. ظننت في البداية بأني قد وجدت أبا بالنيابة في قيصر النقانق، وقطب اللحم. إلا أن احتقاره لي وغيرته مني يزدادان كل يوم، لاشك في أنهما سيطبقان عليه بشكل كلي ويحطمان عقله. إن جلال بنيتي، وتعقيد نظرتي، للعالم والحشمة والذوق اللذين تتضمنهما عربتي، والسمو الذي يميز أدائي في حمأة عالم اليوم - كل ذلك أربك فوراً كلايد وصعقه. لقد نفاني الآن إلى العمل في الحي الفرنسي، منطقة تسكن فيها كل الرذائل التي حملها الإنسان في أكثر ضلالاته وحشية، كما يشتمل، فيما أتخيل عدة تنويعات عصرية أصبحت ممكنة من خلال عجائب العلم. هذا الحي ليس بعيد الشبه كما أتصور، بسوهو ومناطق أخرى في شمالي إفريقيا. على كل حال فإن سكان الحي الفرنسي وقد حلت عليهم بركة

المعرفة والابتكارية الأمريكيتين، من المحتمل أنهم يجهدون أنفسهم في هذه اللحظة للوقوف على قدم المساواة مع الانحرافات التي يستمتع بها سكان تلك المناطق الأخرى من عالم التفسخ الإنساني.

من الواضح أن منطقة مثل الحي الفرنسي ليست البيئة الملائمة لولد فتي، نظيف الحياة عفيف، ورع، شديد التأثر. هل كان على إديسون، وفورد، وركفلر أن يناضلوا ضد مثل هذه الأخطار؟

لم يتوقف ذهن كلايد الشيطاني عند هذا الإذلال البسيط على كل حال. ولأني أدير ما يسميه كلايد «التجارة السياحية» فقد زُركشت ببزة رديئة.

(بالحكم على المنطقة من خلال زبائن اليوم الأول على الخط الجديد فإن «السياح» بدوا لي أنهم العاطلون عن العمل أنفسهم الذين كنت أبيعهم في المنطقة التجارية. انساقوا نحو ذلك الحي في حالة خدر بتأثير شتيرنو فأصبحوا بالنسبة لذهن كلايد الخبيث سياحاً وأظن أن كلايد لم تسنح له الفرصة أبداً كي يرى المنحرفين، المهلهلين والضالين الذين يشترون ويعيشون ظاهرياً على منتجات الفردوس. بين الباعة الآخرين - وكلهم ضعاف مرضى مرهقون يحملون أسماء مثل بادي، بال، سبورت، توب، باك وإيس - وزبائني يخيل إلي أني وقعت في فخ الأرواح الضالة. على كل حال فإن حقيقة كونهم وتجسيداً للفشل الذريع في قرننا هذا تمنحهم قيمة روحية. من يدري ربما كان هؤلاء البؤساء قديسي عصرنا: الحطام الجميل لشيوخ زنوج ذوي عيون داكنة، والهائمون على وجوههم من الأراضي اليباب في تكساس وأوكلاهوما، والزراع المحاصون المدمرون يبحثون عن مأوى في فنادق تعج بالقوارض.

(وبرغم ذلك، آمل حقاً بأني، عندما أخرف، لن أضطر إلى الاعتماد على الهات دوغ لأقيم أودي. فمبيعات كتاباتي يمكن أن تدر أرباحاً، وإذا احتاج الأمر، أستطيع دائماً العودة إلى دائرة المحاضرة، مقتفياً أثر م. مينكوف الفاضحة، والتي وصفت لكم من قبل اعتداءتها على الذوق والحشمة، بالتفصيل أيها القراء، سأنظف شوائب الجهل والفحش التي ستشيعها في شتى قاعات محاضرات أمتنا. وربما يكون هناك شخص ذو مستوى في أوائل محاضراتها يصرعها من على المنبر ويجلدها على مناطق جسمها الحساسة

جنسياً. وبالرغم مما فيه من القيم الروحية. فإن شارع الحانات بالتأكيد أقل مستوى من ناحية الراحة العضوية، وإني بالتأكيد أشك فيما إذا كانت عضويتي المتينة حسنة التكوين ستتآلف بيسر النوم في الأزقة. سأميل بالتأكيد للاعتماد على كراسي الحدائق العامة. وهكذا يكون حجمي بنفسه حامياً لي من غوصي الدائم إلى الحضيض في بنية حضارتها.

[على كل حال فإني لا أؤمن بأن على المرء بالضرورة أن يكشف القاع، إذا جاز التعبير، من أجل أن ينظر إلى مجتمعه موضوعياً. ولعل الأفضل من التحرك شاقولياً نحو الأسفل هو أن يتحرك المرء أفقياً خارجاً نحو نقطة انعزال كافية حيث القليل من وسائل الراحة للكائن ليس مستحيلاً بالضرورة. كنت هناك - على حافة عصرنا - حين قذفني هوى أمي الجامح في حمى الوجود المعاصر. وكيما أكون أميناً كل الأمانة، يجب أن أقول أن الأمور منذ ذلك الوقت كانت تسير من سيء إلى أسوأ. الأوضاع تدهورت. ومينكوف شعلتي الخالية من العاطفة قلبت لي ظهر المجن. حتى أمي، عميل وقاري، أخذت تعض اليد التي تطعمها. دائرتي تُغطسني نحو الأسفل. آه عجلة الحظ، أيتها الروح القلب] شخصياً، اكتشفت أن النقص في الغذاء والراحة، عوضاً عن سموه بالروح، يخلق فقط قلقاً داخل النفس الإنسانية ويحول جميع دوافع المرء الخيرة نحو غاية واحدة هي استجلاب شيء للأكل. وعلى الرغم من أني أمتلك حياة داخلية غنية فإنه يجب أن أمتلك بعض الطعام والراحة أيضاً).

ولنعد إلى المسألة التي بين أيدينا: انتقام كلايد. فالبائع الذي كان مخصصاً بطريق الحي فيما مضى، ارتدى بزة قرصان غير ملائمة، هي إيماءة باعة الفردوس لفولكلور نيو أورليانز وتاريخها. محاولة كلايدية للربط ما بين الهات دوغ وأسطورة كريول. لقد أجبرني كلايد على تجريبها في المرآب. كانت البذة بالطبع قد فصلت لتلائم بنية البائع السابق المسلول والمتخلف. وكان من المستحيل أن يدخل جسمي مفتول العضلات فيها مهما حصل من شد ودفع وشهيق وزفير وعصر. لذلك. تم توفيق رديء. ربطت وشاح القرصان الساتان الأحمر على قبعتي وثبتت القرط الذهبي الوحيد، وهو طارة كبيرة مبتكرة كقرط، على شحمة أذني. كما ثبتت سيف القرصان

البلاستيكي القصير المحني على جانب ردائي الأبيض رداء البائع بواسطة مشبك. يمكن القول إني كنت قرصاناً رديء التنكر. على كل حال حين درست نفسي في المرآة، أجبرت على الاعتراف أنني بدوت ساحراً بشكل مؤثر. أشهرت السيف البلاستيكي على كلايد، وصحت «سيّر الدفة يا أميرال!». كان علي أن أعرف أن هذا كان كثيراً على عقل كلايد الأمي الشبيه بالنقنقة. بدا عليه الفزع وشرع في مهاجمتي بشوكته الشبيهة بالحربة. وتبارزنا في المرآب مثل جنديين طائشين في فيلم تاريخي سخيف جداً عدة لحظات، والشوكة والسيف يصلان مع بعضهما بعضاً بجنون. ولإدراكي أن سلاحي البلاستيكي ليس نداً لشوكة طويلة يستخدمها ببراعة ميتوثيللا مجنون، ولإدراكي أنني أرى كلايد في أسوأ حالاته، حاولت أن أنهي صراعنا القصير. اطلقت نداءات السلام، توسلت، وأخيراً استسلمت. وظل كلايد يتقدم، فبذتي القرصانية كانت نجاحاً هائلاً أقنعه كما بدا لي بأننا عدنا إلى الأيام الذهبية لنيو أورلينز الرومانسية حين كان السادة حين يفصلون بالمسائل المتعلقة بشرف الهات دوغ بمبارزة على بعد عشرين خطوة. عندئذ أشرق ضوء في ذهني المعقد. عرفت أن كلايد يحاول قتلي فعلاً. وكان لديه المبرر الكافي: الدفاع عن النفس. لقد سقطت بين يديه. ولحسن الحظ سقطت على الأرض. استندت على واحدة من العربات، فقدت توازني المتقلل دائماً ومن ثم سقطت. ومع أنني صدمت رأسي بشكل مؤلم بالعربة، صرخت بسرور من على الأرض «لقد انتصرت يا سيدي، ثم أعلنت ولائي بصمت لعجلة الحظ العزيزة العجوز لكونها سحبتني من بين شدقي الموت بشوكة صدئة».

دفعت عربتي بسرعة خارج المرآب باتجاه الحي. وعلى طول طريقي كان كثير من المشاة يطلقون على ما يشبه البذة الذي أرتديه ملاحظات الإعجاب. وأخذت أتمشى عاقداً العزم عبر المدينة. وسيفي يتمايل على جانبي والقرط يتدلى من شحمة أذني ووشاحي الأحمر يتلألأ في الشمس بما يكفي لأن يجتذب ثوراً، أحمد الله أنني لا زلت حياً مسلحاً نفسي ضد الأهوال التي تنتظرني في الحي. انطلقت كثير من الصلوات بصوتٍ عالٍ من بين شفتي

القرمزيتين العفيفتين، بعضها للشكر وبعضها طلباً للمدد. صليت للقديس ماثورين المكرس للصرع والجنون، كي يعين المستر كلايد (بالمصادفة، ماثورين أيضاً القديس الحالي للمهرجين). وأما عن نفسي فقد أرسلت تحيات متواضعة للقديس مينديريكوس الناسك المكرس للاضطرابات المعوية. وأخذت أفكر، وأنا أتذكر أني كنت قريباً من الموت، في أمي، لأني دائماً أتساءل ماذا يكون رد فعلها لو أنني مت في سبيل دفع تعويضاتها عن أفعالها السيئة. إني لأراها في الجنازة، المتعجلة، رخيصة التكاليف والتي تقام في قبو أحد بيوتات الدفن المرئية. مجنونة من الحزن، والدموع تغلي في عينيها الحمراوين. ولربما انتزعت جثتي من التابوت، تصرخ مخمورة «لا تأخذوه! لم تذبل أحلى الزهور وتسقط من على أغصانها؟» ولربما انحطت الجنازة إلى سيرك، أمي تدس أصابعها على الدوام في الثقبين المحفورين في عنقي بشوكة المستر كلايد الصدئة، وتصيح بدعاء يوناني أميّ من اللعنات وطلب الثأر. وسيكون كما أتخيل في الجنازة نوع من المشاهد المسلية. على كل حال، فعلى يدي أمي التي تقوم بدور المخرج، فإن المأساة الموروثة ستصبح شبه ميلو دراما. ستسحب عود الزنبق من بين الميتتين وستقضه نصفين وتعول أمام حشد النادبين، وذوي النوايا الطيبة. والمحتفلين، والمتنزهين: «كما كان عود الزنبق هذا، كان أغناطيوس والآن كلاهما مقطوعان ومهصوران.. وحينما ترمي بعود الزنبق في التابوت، فإن تشديدها الضعيف سيجعله يطير إلى وجهي الشاحب».

ولأمي بعثت بصلاة للقديسة زيتا اللوقانية، التي قضت حياتها خادمة منزل وعانت الكثير من المشاق، على أمل أنها يمكن أن نساعد أمي في صراعها مع الإدمان وعربدة الليل.

أصغيت، وأنا أتقوى بهذا الفصل من التعبد، إلى ضربات سيفي على جانبي. بدا لي مثل سلاح للفضيلة، يحثني نحو الحي وكل ضربة بلاستيكية تقول. «قوّ قلبك أغناطيوس، معك سيف سريع رهيب». وأخذت أشعر بما يشبه شعور الصليبي.

أخيراً عبرت شارع القنال متظاهراً بأني لا أرى الانشداه الذي أولانيه كل من عبرت به. أزقة الحي في انتظاري. توسل أحد المتسكعين أن أعطيه واحدة من الهات دوغ، صرفته عني، ومضيت قدماً. ولسوء الحظ فإن قدمي لم تستطيعا مواكبة روحي. وتحت كواحلي كانت الأنسجة العضلية تصرخ من أجل الاستراحة والاسترخاء. ولذلك أخذت لعربتي مكاناً عند المنعطف واتخذت لنفسي مجلساً. كانت شرفات المباني القديمة تظلل رأسي مثل أغصان سوداء في غابة شر مجازية. وبأسلوب رمزي عبر بي باص مندفعاً، كان دخان مازوته المحروق يخنقني. ولابد أنني، حين أغلقت عيني مستغرقاً لأستجر القوة، قد وقعت فريسة النوم، لأنني أتذكر أنني أوقظت بفظاظة من قبل شرطي واقف إلى جانبي ينخس أضلاعي بمقدمة حذائه، ولابد أن شيئاً من عبير المسك يطلقه نظامي البدني هو الذي يجتذب المسؤولين الحكوميين. من غيري يمكن أن يعترضه شرطي وهو ينتظر أمه ببراءة أمام إدارة مخزن؟ من غيري يمكن أن يتجسس عليه ويكتب فيه تقرير لالتقاطه قطة شاردة عاجزة من بالوعة؟ مثل كلبة في ذروة اهتياجها، يبدو أني أجتذب رجال الشرطة ومسؤولي الصحة سيقودني العالم يوماً ما في سياق سخيف، إني أنتظر ببساطة اليوم الذي سيجرونني فيه إلى زنزانة مكيفة الهواء ويدعونني تحت أضواء النيون والسقف الكاتم للصوت لأدفع ثمن تحقيري لكل ما يعتزون به في قلوبهم اللينة الصغيرة.

نهضت باسطاً طولي الكامل - وهو مشهد بحد ذاته - نظرت إلى الشرطي المزعج وسحقته بنظرة لم يفهمها لحسن الحظ. ثم درجت عربتي بعيداً إلى داخل الحي. ولأن الوقت كان عصراً كان هناك قليل من الناس يتجولون في الأزقة. وخمّنت أن ساكني الحي لا يزالون في أسرتهم يستشفون من الأفعال غير المحتشمة التي كانوا يقومون بها في الليلة السابقة. كثير منهم ولا شك بحاجة إلى رعاية طبية: غرزة أو اثنتين هنا وهناك في فوهة ممزقة أو عضو مكسور. أكاد أتخيل كم من عيون هائجة فاسقة تراقبني بشبق من خلف النوافذ المغلقة. حاولت ألا أفكر في الأمر. لقد بدأت أشعر بشعور قطعة

ستيك لذيذة في سوق اللحم. على كل حال. لم يطلق أحد دعوة إغراء من خلف النوافذ: هذه العقليات المراوغة المرتجفة في شققها المعتمة بدت أكثر ذكاء في إغوائها. فكرت في أن إشارة على قصاصة على الأقل قد ترفرف هابطة. علبة عصير برتقال مثلج سقطت من إحدى النوافذ وأخطأتني بشعره. احدودبت والتقطتها من أجل أن أتفحص أسطوانة الصفيح الفارغة بحثاً عن رسالة ما، لكن لم أجد فيها سوى قطرات دبقة من العصير المكثف سالت على يدي. أكانت تلك رسالة دائرة من نوع ما؟ وبينما كنت أفكر في المسألة وأحدق في النافذة التي سقطت منها العلبة، تقدم عاطل عن العمل مسن من العربة وتوسل من أجل قطعة فرانكفورتر. بعته واحدة متذمراً، مستنتجاً بكآبة أن العمل، دائماً، يتدخل في اللحظة الحرجة.

عند ذلك، طبعاً، كانت النافذة التي طيرت منها العلبة قد أغلقت فكرجت نازلاً الشارع محدقاً في النوافذ المغلقة منتظراً إشارة من نوع ما. انطلق ضحك من أكثر من مبنى وأنا أعبر. يظهر أن قاطنيها الضالين منغمسون في لهو داعر جعلهم يمرحون. حاولت أن أغلق أذني العذراوين عن وقوأتهم البشعة.

كان فريق من السياح يتجولون في الشارع، آلات تصويرهم تتأرجح، ونظاراتهم المتلألئة تلمع كالشرر. حين لاحظوني توقفوا وبلهجة غرب أوسطية اقتحمت طبلتي أذني الحساستين مثل أصوات درّاسة الحنطة (كيفما يمكن أن يتخيل كيف يكون صوتها) توسلوا إليّ أن أقف ليصوروني. وأذعنت لطلبهم مسروراً بمقاصدهم النيرة. وظلوا دقائق يلتقطون كما أمرتهم عدة وقفات فنية. واقفاً أمام العربة كما لو كانت مركب قرصان لوحت بسيفي متوعداً من أجل وضعية خاصة لا تنسى، ويدي الأخرى قابضة على مقدمة وعاء الهات دوغ. وكذروة للمشاهد حاولت أن أتسلق إلى ظهر العربة غير أن بنيتي الصلدة أثبتت أنها شديدة الإرهاق لهذه المركبة الواهنة. بدأ تتدحرج تحتي، إلا أن السادة أعضاء الفريق كانوا من اللطف بحيث أمسكوا بها وساعدوني على النزول. أخيراً ودعني ذلك الفريق الأنيس. وسمعت سيدة

لطيفة تقول، وهم يتجولون نازلين الشارع ويصورون بجنون كل شيء تحت النظر، «أليس محزناً، كان يجب أن تدفع له شيئاً» ولسوء الحظ لم يستجب أي منهم (لابد أنهم جميعاً من الجناح اليميني المحافظ) لندائها للإحسان موافقاً، ظانين ولا شك، بأن بضعة سانتات تلقى في طريقي ستكون صوتاً على الثقة بدولة الرفاهية. «سينفقها على مزيد من الخمر». نصحت إحدى النساء، حيزبون متغضنة ينبئ وجهها عن انتسابها إلى جمعية نسائية، بصوت ذي حكمة أنفية ووفرة من الراءات الغليظة. ويظن أن الآخرين يؤيدون بغايا تلك الجمعية، لأن الفريق استمر في هبوطه الشارع.

عليّ أن أعترف بأني ما كنت لأرد عرضاً من نوع ما. لأن ولداً عاملاً يمكنه أن يستفيد من أي بنس تقع عليه يداه الطموحتان الجاهدتان.

بالإضافة إلى أن هذه الصور يمكن أن تدر ثروة على أولئك المزارعين المادين في بعض المسابقات الفونوغرافية، فكرت لحظة في أن أركض وراء أولئك السياح، إلا أنني في تلك اللحظة نوديت بتحية من شخص هزيل يصلح أن يكون هجاء للسياح، يرتدي سروال برمودا وينوء بحمل جهاز ثقيل ذي عدسات كان ولاشك آلة تصوير سينما سكوب. وبعد الإمعان به عن قرب لاحظت أنه، من دون جميع الناس، الشرطي مانكوزو. تجاهلت، بالطبع، تلك الابتسامة المنغولوية الماكيافيلية الباهتة بالتظاهر أني أثبت قرطي. يظهر أنه قد حرر من سجنه في المراحيض «كيف حالك؟» أصر بجهل فاضح. فطالبته بضراوة «أين كتابي؟» فأجابني مذعوراً «لا أزال أقرأ فيه. كتاب جيد» فنبهته «استفد من دروسه، وحين تكمله، سأطلب منك أن تقدم لي نقداً مكتوباً وتحليلاً لرسالته إلى الإنسانية» ومع ذلك الأمر الذي كان لا يزال يرن بروعة في الجو تمشيت بفخار هابطاً الشارع. ثم عدت بفخامة بعد أن أدركت أنني نسيت العربة لاستعادتها. (العربة مسؤولية مزعجة. أحس وكأني مشدود بوثاق بطفل معوق يستحق انتباهاً مستمراً. أحس وكأني دجاجة جاثمة فوق بيضة معدنية كبيرة).

وهكذا أصبحت الساعة حوالي الثانية بعد الظهر، وقد بعت بالضبط واحدة من الهات دوغ. كان على ولدكم العامل أن يستعجل لو أن النجاح كان

هدفه. ومن الواضح أن قاطني الحي الفرنسي لا يضعون الفرانكفورتر في مقدمة أطاليبهم، وأن السياح كما يظهر لم يأتوا إلى نيو أورلينز القديمة البهيجة ذات المناظر الرائعة ليتخموا أنفسهم بمنتجات الفردوس. ومن الواضح أنني سأعاني ما نسميه في لغتنا التجارية بأزمة تسويق. لقد خصني كلايد الشرير بطريق كان «فيلا أبيض» وهو تعبير كان قد خطر لي أثناء انعقاد مؤتمرات العمل. لقد قوضني الاحتقار والغيرة مرة ثانية.

بالإضافة، إلى أنه يجب علي أن أعد بعض الوسائل لمواجهة وقاحات م. مينكوف الأخيرة. ولعل الحي سيزودني ببعض المادة المناسبة. جملة في سبيل الذوق والحشمة، والألوهية والهندسة، ربما.

ملحوظة اجتماعية:

سيعرض قريباً فيلم روائي من تمثيل ممثلتي المفضلة، والتي أفقدني صوابي وأدهشني فيلمها استعراض السيرك الذي يعرض حالياً، في إحدى الصالات في وسط المدينة. يجب أن أعمل على مشاهدته. إلا أن عربتي تقف في طريقي. لقد أعلن عن فيلمها الجديد على أنه كوميديا «رفيعة» لابد أنها ستبلغ فيه مستويات جديرة عليا من الضلال والتجديف.

ملحوظة صحية: وزني يزداد بشكل ملفت، وهذا بلا شك من القلق الذي تسببه التعاسة المتزايدة لدى أمي. إنها بدهية الطبيعة الإنسانية، ذلك أن الناس يكرهون من يقدم لهم العون. وهكذا انقلبت علي أمي.

مع الإرجاء

(الرمح) ولدكم العامل المحاضر]



ابتسمت الفتاة الجميلة بأمل للدكتور تالك، وتنفست «أحب كثيراً مقررك. أعني أنه عظيم».

«آه حسناً» أجاب تالك بابتهاج «هذا لطف منك أظن أن المقرر عام على وجه الإجمال».

«تناولك للتاريخ حيوي جداً، معاصر جداً، منعش جداً، وغير متزمت».

«أنا أومن بأن علينا أن ننحي جانباً بعض الأشكال القديمة وأساليب التناول» كان صوت تالك سلطوياً ومتحذلقاً. أعليه يا ترى أن يدعو تلك الفتاة الفاتنة لتناول كأس معه؟ «التاريخ، في نهاية الأمر مسألة تطورية».

«أعرف» قالت الفتاة فاتحة عينيها لأقصى سعتهما كيما يضع تالك في زرقتهما لحظة أو لحظتين.

«أنا فقط أرغب في إثارة اهتمام طلابي. فلنواجه الأمر. الطالب المتوسط لا يهتم بتاريخ بريطانيا السلتية. وأنا كذلك في هذا الموضوع. ولهذا، فإني أعترف بذلك بنفسي، أحس دائماً بنوع خاص من الألفة في صفوفي».

«أعرف» احتكت الفتاة برشاقة بكمّ الجوخ الثمين وهي تتناول محفظتها. استثير تالك بلمستها. لقد كانت من نوع الفتيات اللاتي يجب أن يلتحقن بالكلية لا مثيلات الفتاة مينكوف المفزعة. المتوحشة القذرة التي كاد يغتصبها أحد الحجاب على باب مكتبه.

يرتعد الدكتور تالك حين تخطر له المس مينكوف. فقد أهانته في الصف وتحدته وحطت من قدره على كل مستوى، محرضة ذلك الوحش رايلي على أن يشارك في الهجوم. لا يمكن أن ينسى هذين الاثنين، لا أحد في الكلية يمكن أن ينساهما. كانا مثل اثنين من جنود الهوف الزاحفين على روما. تساءل الدكتور تالك، هل يا ترى تزوجا؟ كلاهما بالتأكيد، جدير بالآخر. لعلهما قد فرا معاً إلى كوبا «بعض هؤلاء الشخصيات التاريخية شديدو البلادة».

«هذا صحيح جداً» وافق تالك، تواقاً إلى الاشتراك بأية حملة ضد رموز التاريخ البريطاني الذي كان بلاء جاثماً على وجوده سنين عديدة. ببساطة فإن متابعة هذه الرموز تسبب له الصداع. توقف ليشعل سيجارة بنسون أند هيدج وتنحنح ليزيل بلغم التاريخ البريطاني من حلقه. «جميعهم ارتكبوا أخطاء فاحشة كثيرة».

«أعرف» نظرت الفتاة في مرآة علبة تجميلها ثم قست عيناها واضطرب صوتها: «حسناً» لا أريد أن أضيع وقتك بهذه الثرثرة التاريخية. أردت أن

أسألك عما حصل للتقرير الذي سلمته إليك منذ حوالي شهر. أعني أحب أن آخذ فكرة عن الدرجة التي سأحصل عليها في هذا الفصل.

«آه، نعم» قال الدكتور تالك بغموض. تفجرت فقاقيع أمله. الطلبة متشابهون جميعاً تحت جلودهم. لقد تحولت الفتاة الحلوة إلى امرأة عاملة ذات عينين فولاذيتين تدفقان، وتجمعان أرباح درجاتها.

«هل سلمتني تقريراً. حقاً؟»

«مؤكد أنني فعلت لقد كان في غلاف أصفر».

«لنر إذا كنت أستطيع أن أجده» ونهض الدكتور تالك وبدأ ينظر في أكداس من الأوراق الأثرية، والتقارير وأوراق الامتحانات على ظهر خزانة الكتب. وبينما كان يعيد ترتيب الأكداس سقطت من أحد الأغلفة ورقة دفتر مطوية على شكل طائرة، وحطت على الأرض. لم يلاحظ تالك الطائرة. إنما هي واحدة من كثير كانت تحوم وتدخل من نافذته العليا في أحد الفصول الدراسية منذ عدة سنين. حين حطت الطائرة التقطتها الفتاة، وحين رأت كتابة على الورق الآخذ بالصفرة. نشرت الطائرة الشراعية.

«تالك» ثبتت عليك جريمة تضليل الشبان وإفسادهم. أقرر أنك ستشنق من خصيتيك المتخلفتين حتى الموت. التوقيع «زورو» أعادت الفتاة قراء الرسالة المكتوبة بقلم أحمر: وبينما كان تالك يتابع بحثه مجهداً فوق ظهر الخزانة، فتحت محفظتها. وأسقطت فيها الطائرة، محكمة إغلاقها.



كان غاس ليفي شخصاً لطيفاً. وكان أيضاً شخصاً نظامياً. له أصدقاء بين متعهدي المباريات الرياضية والمدربين والمشرفين على الفرق والمديرين عبر الولايات. وكان يعتمد في أي ملعب أو حلبة أو مضمار سباق على معرفة شخص واحد على الأقل له صلة بالمكان. كان يعرف المالكين وبائعي البطاقات واللاعبين. وكان يتلقى بطاقات عيد الميلاد في كل سنة من بائع فستق كان يعمل في موقف السيارات في ميموريال ستاديوم في بالتيمور. لقد كان محبوباً.

وكان منتجع ليفي المكان الذي يقيم فيه ما بين المواسم. لم يكن له أصدقاء هناك. وفي عيد الميلاد كان المؤشر الوحيد لحرارة روح موسم الميلاد هو ظهور ابنتيه اللتين تنزلان عليه من الكلية مع طلبات لأموال إضافية مصحوبة بتهديدات بأن ينّكر أبوته إلى الأبد إذا ما استمر في إساءة معاملة أمهما. والسيدة ليفي في عيد الميلاد لا تضع قائمة للهدايا بل قائمة للظلامات والقساوات التي تحملتها منذ شهر آب. وضعت الفتاتان تلك القائمة في جواربهما. والهدية الوحيدة التي طلبتها السيدة ليفي من البنتين هي أن تهاجما أباهما. لقد كانت السيدة ليفي تحب عيد الميلاد.

الآن كان السيد ليفي ينتظر في المنتجع بداية ألعاب الربيع. وكان غونزالز قد أتم حجوزاته إلى فلوريدا وأريزونا. إلا أنه في منتجع ليفي كان الجو وكأن عيد الميلاد قد عاود الحضور. وما كان يجري في منتجع ليفي كان يمكن تأجيله إلى مابعد رحيله إلى المباريات. هكذا كان يفكر السيد ليفي.

كانت السيدة ليفي قد مددت المس تريكسي على أريكته المفضلة، ذات النايلون الأصفر وكانت تدلك مرهماً جلدياً على وجه المرأة العجوز. وبين حين وآخر كان لسان المس تريكسي يمتد ويلفظ عينة من المرهم من شفتها العليا.

«بدأت أشعر بالغثيان من مشاهدة هذا» قال السيد ليفي «ألا تأخذينها خارجاً؟ إنه يوم جميل».

«هي تحب هذه الأريكة» أجابت السيدة ليفي «دعها تستمتع قليلاً. لم لا تذهب أنت إلى الخارج وتلمع سيارتك الرياضية بالشمع؟»

«سكوت». قالت المس تريكسي من بين أسنانها الصناعية الضخمة التي اشترتها لها السيدة ليفي حديثاً.

«اسمعي هذا» قال السيد ليفي «إنها حقاً تدير المكان».

«وبهذا تؤكد وجودها. أهذا يزعجك؟ الأسنان أعطتها شيئاً من الثقة بالنفس. وطبعاً أنت تحسد المرأة على ذلك. بدأت أفهم لم تشعر بعدم الأمان. لقد اكتشفت أن غونزالز يتجاهلها طوال النهار. ويجعلها تشعر أنها غير مرغوب فيها بمائة طريقة وطريقة. وهي في عقلها الباطن تكره بناطيل ليفي».

«ومن لا يكرهها؟» قالت المس تريكسي.

«شيء محزن، محزن» كان ذلك كل ما أجاب: السيد ليفي.

نخرت المس تريكسي وصفر بعض الهواء من بين شفتيها.

«فلننه هذا الأمر» قال السيد ليفي «تركتك تقومين بألعاب مضحكة هنا. هذه اللعبة ليس لها أي معنى. إذا كنت ترغبين أن تفتحي محلاً لدفن الموتى، فسأفتحه لك. ولكن ليس في حجرة جلوسي. الآن أمسحي هذا الدبق عن وجهها ودعيني أسوق بها إلى البلد. دعيني أشعر ببعض السلام وأنا في هذا البيت».

«هكذا. أنت غاضب فجأة. على الأقل قمت باستجابة طبيعية. هذا غير معهود فيك».

«أتفعلين ذلك فقط لكي أغضب؟ يمكنك أن تغضبيني بدون كل هذا. الآن دعيها وشأنها. كل ما تريده هو التقاعد. هذا مثل تعذيب حيوان أبكم».

«أنا امرأة جذابة» تمتمت المس تريكسي وهي نائمة.

«اسمع هذا!» صاحت السيدة ليفي بسعادة «وتريد أن تلقي بها خارجاً إلى الثلج؟ لقد حققت بها إنجازاً. هي مثل رمز لكل شيء لم تفعله».

فجأة قفزت المس تريكسي تجأر «أين مظلة عيني؟»

«المسألة تتطور إلى أحسن» قال السيد ليفي انتظري حتى تغرز أسنان أربعة مائة دولار فيك.

«من أخذ مظلة عيني؟» سألت المس تريكسي بضراوة «أين أنا؟ ابعدي يديك عني».

«حبيبتي» بدأت السيدة ليفي، لكن المس تريكسي سقطت نائمة على جنبها. لطخ مرهم وجهها الأريكة.

«انظري يا عرّابة الجن. كم صرفت على هذه اللعينة حتى الآن؟ أنا لن أدفع لتجديد غطاء هذه الأريكة».

«صحيح. اصرف كل نقودك على الجياد. دع هذه الإنسانة تتخبط».

«من الأفضل أن تنزعي هذه الأسنان من فمها قبل أن تعض لسانها. ستصبح عندئذ مربكة».

«تتكلم عن اللسان. كان عليك أن تسمع ما أخبرتني به عن غلوريا هذا الصباح» ورسمت السيدة ليفي على وجهها ملامح تشير إلى تقبل الظلم والمأساة «كانت غلوريا روح اللطافة. الشخص الأول منذ سنين الذي أعار اهتمامه لمس تريكسي، ومن غامض علمه تأتي أنت وترفس غلوريا خارج حياتها. أظن أن ذلك سبب لها صدمة سيئة. ستحب البنتان أن تعرفا عن غلوريا. ستسألانك بعض الأسئلة. صدقني».

«أراهن أنهما ستفعلان. تعرفين. أظن حقاً أنك فقدت عقلك. ليس من غلوريا إذا استمررت بالحديث مع محميتك الصغيرة، فستأخذك معها فوراً إلى منطقة الشفق. وحين ستأتي سوزان وساندرا إلى هنا في عيد الفصح ستريانك تقفزين على لوحك وأنت تحملين كيس ورق مليئاً بالخرق».

«واضح الشعور بالذنب بسبب حادثة غلوريا. الشجار، الغيظ. سينتهي كل هذا بشكل سيء، يا غاس. تغيب عن إحدى دورات ألعابك واذهب إلى طبيب ليني. الرجل يصنع المعجزات، صدقني».

«إذن فأساليه أن يأخذ عنا بناطيل ليفي. كلمت ثلاثة سماسرة هذا الأسبوع. كل واحد فيهم قال إنها أسوأ مِلكية غير قابلة للبيع شهدوها».

«غاس، هل سمعتُ بشكل صحيح؟ هل سمعتك تقول شيئاً عن بيع تراثك؟» صرخت السيدة ليفي.

«هدوء» جأرت المس تريكسي «سأنال منكم يا ناس. انتظروا وانظروا. ستنالونها. سنتعادل».

«أوه، اخرسي» صاحت بها السيدة ليفي وضغطتها ثانية على الأريكة حيث غطت بسرعة في النوم.

«حسناً، أحدهم» تابع السيد ليفي بهدوء «هذا العميل ذي الملامح العدائية، أعطاني بعض الأمل، مثل الآخرين جميعاً قال: «لا أحد يرغب في مصنع ألبسة هذه الأيام. السوق ميت معملك بال. يحتاج إلى الآلاف للإصلاح والتحديث. إنه قريب من محطة سكة القطار لكن البضائع الخفيفة مثل الملابس تنقل اليوم بالشاحنات والمكان غير صالح للشاحنات. على طول الطريق العام عبر المدينة. صناعة الألبسة الجنوبية تتوقف. حتى الأرض لا تساوي شيئاً والمنطقة كلها تتحول إلى حي قذر» وهكذا وهكذا. لكن هذا العميل الوحيد قال إنه يمكن أن يزين لإحدى سلاسل محلات البيع الكبيرة شراء المصنع لجعله مستودعاً. طيب، بدا الأمر جيداً. ثم جاءت العقدة. ليس من محل لوقوف السيارات حول بناطيل ليفي. ومناطق السكن المتوسطة فيها أفقر من أن تدعم سوقاً كبيرة، وهكذا وهكذا ثانية. قال إن الأمل الوحيد هو في تأجيره كمخزن. لكن مرة أخرى. مدخول المخازن ليس عالياً والموقع غير صالح كمخزن. وشيء آخر له علاقة بالطريق العام. لذلك لا تقلقي. بناطيل ليفي لاتزال لنا مثل مبولة ورثناها».

«مبولة؟ عرق أبيك ودمه مبولة؟ أرى دافعك. دمر آخر صرح من إنجازات أبيك».

«بناطيل ليفي صرح؟»

«لماذا أردت العمل هناك لن أعرف أبداً» قالت المس تريكسي غاضبة من بين الوسائد حيث أوثقتها السيدة ليفي «شكراً لله على أن غلوريا نجت من ذلك المكان في الوقت المناسب».

«اعذراني سيدتيّ» قال السيد ليفي صافراً من بين أسنانه «يمكنكما كلاكما مناقشة أمر غلوريا وحدكما».

نهض وذهب إلى حمام المياه الدوارة. وبينما كان الماء يندفع ويدور حوله، تساءل كيف يمكنه بطريقة ما أن يرمي ببناطيل ليفي في حضن شارٍ مسكين ما. يمكن أن يستعمل لشيء ما. حلبة تزلج؟ ملعب للجمباز؟ كاتدرائية للزنوج؟ ثم تساءل ماذا يمكن أن يحصل لو حمل لوح تمرينات السيدة ليفي إلى الجرف ورماه في الخليج. جفف نفسه بعناية وارتدى ثوب الحمام القطني وعاد إلى غرفة جلوسه ليتناول شراباً.

كانت المس تريكسي جالسة فوق الأريكة. وجهها نظّف وفمها لطخة برتقالية. وعيناها الكليلتان محاطتان بالظل. وكانت السيدة ليفي تركز وضع باروكة سوداء فوق شعر المرأة الرقيق.

«ماذا تفعلين بي الآن؟» كانت المس تريكسي تئز في وجه المحسنة لها «ستدفعين ثمن ذلك».

«هل تصدق هذا؟» سألت السيدة ليفي زوجها بفخر وقد زالت من نبرات صوتها كل آثار العداء. «انظر إلى ذلك».

لم يستطع السيد ليفي أن يصدق. لقد بدت المس تريكسي تماماً مثل أم السيدة ليفي.



في حانة ماتي رامبل، صب جونز كأساً ملأ بالبيرة وغطس أسنانه في الزبد.

«هذه المرأة لا تحسن معاملتك، جونز» كان السيد واتسون يقول لجونز «شيء واحد لا أحب أن أره، هو رجل ملون يجعل من نفسه سخرية لكونه ملوناً. هذا ما تفعله بك. جعلتك زنجي مزرعة».

«القطط الملونة تعاني ما فيه الكفاية من دون أن ينفجر الناس من الضحك منها لأنها ملونة. هراء غلطتي أنني قلت لهذه الأم (لي) أن الشرطة طلبوا مني أن أجد عملاً. كان يجب أن أقول لها إن جماعة العمل أرسلوني إليها، فأخيف تلك المرأة قليلاً».

«من الأفضل أن تذهب إلى الشرطة وتقول لهم إنك ستستقيل وأنك ستبحث عن عمل آخر».

«لا! لن أدخل أي مخفر وأحادث أي شرطي. هؤلاء الشرطة مجرد أن يلقوا نظرة واحدة علي سيلقون مؤخرتي في السجن».

الملونون لا يجدون أي عمل لكن مؤكد أنهم يجدون السجن مفتوحاً. والذهاب للسجن أفضل طريقة لتناول الطعام بشكل نظامي. لكني أفضل أن أموت من الجوع خارجاً. أفضل لي أن أمسح أرض عاهرة من أن أدخل السجن لأصنع لوحات سيارات وأحزمة جلد وهراء. كنت من الغباء بما يكفي أن أجعل مؤخرتي تعلق في مصيدة ليل الحبور. يجب أن أخلق نفسي بنفسي.

«مازلت أقول لك اذهب إلى الشرطة وقل لهم أنك ستنقطع عن العمل لفترة قصيرة».

«نعم! وربما انقطعت خمسين سنة. لم أسمع أحداً يطلب قططاً ملونة بلا خبرة. واحدة مثل بنت الحرام لي تعرف الكثيرين من الشرطة وإلا لأغلق محلها منذ زمن بعيد. لن أجازف وأقول لشرطي صديق لي: يا رجل سأتوقف عن العمل قليلاً وسيقول لي ستخدم في السجن قليلاً».

«يا لطيف كيف تمشي أمور التخريب؟»

«ضعيفة جداً. أجبرت /لي/ على العمل الإضافي في الأرض البارحة. رأت أن الغبار أصبح يغطي أقدام زبائنها الأغبياء حتى الكاحل. قلت لك إني كتبت العنوان على الرزم التي ترسلها للميتم، إذا كانت لاتزال توزعها لصالح التسلية المتحدة فستحصل على جواب. أريد أن أرى ماذا سيجلب ذلك العنوان. ربما جلب الشرطة».

«من الواضح أنك لن تصل إلى شيء. اذهب للشرطة يا رجل. سيفهمون قصتك».

«أنا أخاف من الشرطة، واتسون. أنت ستخاف أيضاً لو كنت واقفاً عند وولزوورث.وجرك شرطي ما. وخصوصاً عندما تكون /لي/ صاحبة لنصف رجال الشرطة ونفث جونز مابدا وكأنه سحابة على البار والبراد المليء باللحم

المحفوظ «قل لي ماذا حصل لهذا الأخرق الذي كان هنا مرة، الذي يعمل في بناطيل ليفي؟ هل رأيته مرة أخرى؟»

«الرجل الذي تحدث عن التظاهرة؟»

«القط الذي زعّم نفسه عليهم. هذا الذي طلب من الملونين أن يرموا قنبلة ذرية على مصنعهم، ويقتلوا أنفسهم ويلقوا بما تبقى من أقصيتهم في السجن».

«لم أره منذ ذلك الوقت».

«هراء. أود أن أعرف أين يختبئ هذا العجيب السمين. يمكن أن أسأل عنه بناطيل ليفي على الهاتف. أود أن ألقي به في ليل الحبور كقنبلة ذرية. يبدو من النوع الذي يجعل /لي/ تعملها في درجها. إذا كنت سأصبح بواباً فسأكون أكثر تخريباً من حراس المزارع. سيحترق حقل القطن بكامله».

«انتبه، جونز. لا توقع نفسك بمشاكل!»

«واو!»



بدأ أغناطيوس يشعر أن سحنته تسوء وتسوء. بدا بوابة معدته وكأنما سُدّ بالصمغ ولم تجد كل المحاولات لفتحه. التجشؤات الضخمة شقت جيوب الهواء لمعدته ومزقت جهازه الهضمي. بعضها انفلت بضجة، أما التجشؤات الضعيفة فكانت تسكن صدره وتحدث حرقة شديدة في فم المعدة.

كان يعرف أن السبب العضوي لتراجع صحته هو الاستهلاك المفرط والنشط لمنتجات الفردوس. لكن هناك أسباباً أخرى أكثر دقة. ازدادت جرأة أمه عليه يوماً عن يوم وأصبحت عدوانيتها مكشوفة، صار من المستحيل ضبطها. لعلها قد خالطت بعض المتطرفين من أقصى الجناح اليميني فصارت محاربة وعدوانية. على أية حال، كانت تشق حملة ضد الخوارج والمنشقين في المطبخ الذي بني مؤخراً، تسأله كل أنواع الأسئلة المتعلقة بفلسفته السياسية. الأمر الذي كان مستغرباً. كانت أمه شهيرة في اللاسياسة، تصوت فقط للمرشحين الذين يعطفون على أمهاتهم. كانت

السيدة رايلي ورانز فرنكلين روزفلت بصلابة أربع دورات ليس بسبب سياسته (الصفقة الجديدة) بل بسبب أمه السيدة سارة روزفلت التي يظهر أن ابنها كان يحترمها ويحسن معاملتها. وصوتت السيدة رايلي أيضاً للمرأة ترومان الواقفة أمام بيتها الفيكتوري في اندبندس وميسوري وليس بشكل خاص لهاري ترومان. كان نيكسون وكنيدي يعنيان للسيدة رايلي حنة وروز. وأما المرشحون الذين بلا أمهات كانت تبقى في البيت. لم يكن أغناطيوس يفهم هذا الجهد المفاجئ والأخرق لحماية الأسلوب الأمريكي ضد ابنها.

ثم كانت هناك ميرنا، التي أخذت تظهر له في مسلسل من الأحلام يأخذ شكل مسلسل الرجل الوطواط القديم والذي كان قد شاهده في صالة براتيانيا وهو طفل. فصل يتلوه فصل. وفي أحد الفصول المخيفة كان واقفاً على رصيف قطار الأنفاق متقمصاً شخصية القديس جيمس الأصغر، الذي استشهد على يد اليهود. وظهرت ميرنا من خلال الباب الدوار حاملة إعلاناً عن مؤتمر اللاعنف من أجل الحاجة الجنسية، وبدأت بمضايقته. قال أغناطيوس - القديس جيمس بفخامة: «يسوع سيبعث من جديد». إلا أن ميرنا دفعت به هازئة إلى القضبان أمام قطار الأنفاق السريع. واستيقظ أغناطيوس لحظة كاد يسحقه القطار. أخذت أحلام م. مينكوف تسوء أكثر من أحلام الباص السياحي القديمة المفزعة والتي كان فيها أغناطيوس رائعاً في الطابق العلوي يركب باصات قدرها المشؤوم يلقيها من فوق حواجز الجسور ويصدمها مع الطائرات النفاثة المقلعة على مدارج المطارات.

كان في الليل موبوءاً بالأحلام وفي النهار بالدرب المستحيل الذي خصه به المستر كلايد. يظهر أن لا أحد في الحي الفرنسي يهتم بالهات دوغ. ولهذا كان ما يأخذه إلى البيت من النقود يتضاءل وأمه بدورها أصبحت أكثر فظاظة. أين وكيف يمكن أن تنتهي هذه الدائرة الأثيمة.

كان قد قرأ في صحيفة الصباح أن طائفة من النساء الفنانات يقمن عرضاً لرسومهن في زقاق القرصان. تصور أغناطيوس أن اللوحات ستكون من الإزعاج بما يكفي لأن يسليه لفترة، فدفع عربته فوق بلاطات الزقاق

باتجاه مجموعة أعمال فنية مدلاة من الأوتاد الحديدية لحاجز خلف الكاتدرائية. وعلى مقدمة العربة، في محاولة لجذب انتباه سكان الحي إلى تجارته ألصق أغناطيوس ورقة دفتر كتب عليها بحروف كبيرة بالقلم الأحمر: [اثنا عشر إنشاً (١٢) من الفردوس] لكن أحداً لم يستجب لهذه الرسالة.

كان الزقاق غاصاً بسيدات يرتدين ألبسة حسنة وقبعات كبيرة. ووجه أغناطيوس مقدمة العربة نحو الحشد واندفع بها. قرأت إحدى النساء العبارة المكتوبة وصرخت. طالبة من رفيقاتها الانسحاب من طريق هذا الشكل الشنيع الذي برز في معرضهن.

«هات دوغ يا سيدات؟» سأل أغناطيوس بمرح.

درست عيون السيدات الإعلان، والقرط، والوشاح، والسيف. وتوسلن إليه أن يبتعد. كان هطول المطر على أعمالهن المدلاة من السوء بما يكفي. لكن هذا.

«هات دوغ. هات دوغ» قال أغناطيوس بشيء من الغضب. «أطايب من مطابخ الفردوس الصحية».

تجشأ بعنف خلال الصمت الذي تلا. وتظاهرت السيدات بأنهن يستطلعن السماء والحديقة خلف الكاتدرائية.

مشى أغناطيوس متثاقلاً نحو سور الأوتاد، هاجراً القضية اليائسة التي تعتنقها العربة، وتأمل الرسوم الزيتية والمائيات والرسوم بالباستيل المعلقة هناك. ومع أن أسلوب كل منها مغاير في فجاجته للآخر إلا أن موضوعات الرسوم متشابهة نسبياً: زهرات كاميليا سابحة في دوار من ماء. أضاليات مشوهة في تكوينات زهرية. زهرات مانوليا بدت وكأنها طواحين هواء. تفحص أغناطيوس المعروضات بغضب لفترة وحده، ذلك لأن السيدات قد تراجعن وتجمعن تجمعات صغيرة دفاعية. ووقفت العربة أيضاً مهجورة على البلاط بعيدة عدة أقدام عن العضو الجديد في طائفة الفن.

«أوه! يا إلهي» صرخ أغناطيوس بعد أن جال ببصره أعلى السور وأدناه «كيف تجرؤن على عرض هذه الإجهاضات على الملأ».

«من فضلك ابتعد من هنا» قالت سيدة جريئة.

«المانوليا ليست هكذا» قال أغناطيوس مشيراً بسيفه إلى المانوليا الباستيل المزعجة «يا سيدات أنتن بحاجة إلى فصل دراسي في علم النبات وربما في الهندسة، أيضاً».

«لست مضطراً للنظر إلى أعمالنا» قال صوت غاضب من بين المجموعة، صوت السيدة التي رسمت المانوليا موضوع المناقشة.

«بل أنا مضطر!» صرخ أغناطيوس «أنتن يا سيدات بحاجة إلى ناقد ذي ذوق وحشمة. يا للسماء! أي منكن رسمت هذه الكاميليا؟ أفصحن. ماء هذا الدورق يبدو كأنه زيت محرك».

«دعنا وشأننا» قال صوت حاد.

«يجب عليكن أيتها النسوة أن تتوقفن عن تقديم الشاي ووجبات الضحى وتنصرفن إلى تعلم الرسم». أرعد أغناطيوس. «يجب أن تتعلمن كيف تمسكن بالفرشاة. أقترح عليكن أن تجتمعن معاً وترسمن بيت إحداكن كبداية».

«ارحل عنا».

«لو أنكن يا فنانات شاركتن في تزيين كنيسة سيستين لانتهت إلى أن تبدو مثل محطة قطارات فظة» نخر أغناطيوس.

«لن نسمح لبائع جلف أن يهيننا» قالت ناطقة باسم صاحبات القبعات بمجرفة.

«فهمت!» صرخ أغناطيوس. «أنتن إذن من يشوهن سمعة بائعي الهات دوغ».

«هو مجنون».

«هو عامي جداً».

«جلف جداً».

«لا تشجعنه».

«لا نريدك هنا» قالت الناطقة بلسانهن بحدة وبساطة.

«أتصور ذلك» كان أغناطيوس يتنفس بثقل. «يظهر أنكن تخشين من أحد على علاقة ما مع الحقيقة. يستطيع بأمانة أن يصف الحماقات التي ارتكبتها على القماش».

«أرجوك ارحل» أمرت الناطقة.

«سأفعل» أمسك أغناطيوس بيد العربة ودفعها «أيتها النسوة عليكن أن تركضن جميعاً على ركبكن سائلات الغفران لما شاهدته على هذا السور».

«لا بد أن المدينة ستنهار حين يكون مثل هذا في الشوارع» قالت امرأة بينما كان أغناطيوس يتهادى هابطاً الزقاق.

فوجئ أغناطيوس بالشعور بحصاة رميت على قفا رأسه. دفع بعربته فوق البلاط حتى وصل إلى نهاية الزقاق تقريباً وهناك أوقف العربة في ممر صغير حتى تكون بمنأى عن النظر. قدماه تؤلمانه. وأثناء استراحته لم يكن يرغب في أن يزعجه أحد بالسؤال عن هات دوغ. وعلى الرغم من أن العمل لا يمكن أن يكون أسوأ، فإن هناك أوقاتاً يجب أن يكون فيها المرء وفياً لنفسه ويأخذ بعين الاعتبار رفاهيته أولاً. إذا استمر في مزيد من البيع فستدمى قدماه.

ربض أغناطيوس غير مرتاح على درجات الكاتدرائية. فوزنه الذي بدأ يزداد والانتفاخ الذي تسبب به بوابه معدته العاطل عن العمل جعلا وضعيته غير الوقوف أو الاستلقاء مزعجة إلى حد ما. خلع حذاءه وراح يتفحص الشريحتين الضخمتين اللتين تشكلان قدميه.

«يا لطيف» قال صوت من فوق أغناطيوس «ماذا أرى؟ خرجت لأشاهد هذا المعرض الفني المبتذل المرعب، فماذا وجدت كمعروض رقم واحد؟ شبح لأفاييت القرصان. لا. بل أرباكل السمين. أو ماري درسلر؟ قل لي فوراً أو أموت».

نظر أغناطيوس إلى أعلى ورأى الشاب الذي اشترى قبعة أمه في ليل الحبور.

«ابتعد عني يا مخنث. أين قبعة أمي؟»

«آه تلك» تنهد الشاب «أخشى أنها تحطمت في اجتماع شديد الضراوة. لقد أحبها الجميع بافتتان».

«أنا متأكد من أنهم أحبوها. لن أسألك كيف دُنست».

«ما كنت لأتذكر على أية حال. تلك الليلة شربت كثيراً من المارتيني على شخصي الصغير».

«أوه يا إلهي».

«ماذا بحق الله نفعل هنا بهذا الهندام الغريب؟ تبدو كأنك تشارلز لوتون في الأسمال في دور ملكة الغجر. ماذا يفترض أن تكون؟ حقاً أريد أن أعرف».

«تحرك من هنا يا مغرور» تجشأ أغناطيوس وتردد صدى الحمم الغازية بين جدران الزقاق. وأدارت طائفة النسوة الفنانات قبعاتها باتجاه مصدر ذلك الصوت البركاني. حدق أغناطيوس بسترة الشاب المخملية الصفراء وصدريته الكشمير ذات اللون الموف. وغرة شعره الأشقر المنسدلة على جبين وجهه الحاد اللامع. «ابتعد عني قبل أن أصرعك على الأرض».

«أو. يا لطيف» ضحك الشاب ضحكات قصيرة طفلية مرحة جعلت ذيل سترته يهتز. «أنت حقاً مجنون، ألست مجنوناً».

«كيف تجرؤ!» صرخ أغناطيوس استل سيفة من مشبكه وبدأ يضرب الشاب بسلاحه البلاستيكي. قهقه الشاب ورقص أمام أغناطيوس ليتجنب الضربات. مما جعله هدفاً صعباً. أخيراً تراقص عبر الزقاق ولوح لأغناطيوس التقط أغناطيوس إحدى فردتي حذائه الفيلي ورماها على ذلك الشكل الدوار.

«أوه» زعق الشاب. التقط الحذاء ورماه على أغناطيوس، الذي تلقاها في وجهه.

«آه يا إلهي أصبحت مشوهاً».

«اخرس».

«أستطيع أن أجعلك تسجن بسهولة بسبب الاعتداء».

«لو كنت مكانك، لبقيت أبعد ما يمكن عن الشرطة ماذا تظن أنهم سيقولون عند رؤية هذا اللباس، ماري مارفل؟ ويسجنونني للاعتداء؟ لنكن واقعيين. أنا مندهش أنهم يسمحون لك بالتجول بلباس قارئ الحظ هذا» طقطق الشاب بولاعته وأشعل سيجارة سالم ثم أغلقها «وبهاتين القدمين الحافيتين والسيف اللعبة؟ هل تمزح؟»

«الشرطة تصدق كل ما أقوله لها».

«كفى رجاء».

«يمكن أن تسجن عدة سنوات».

«حقاً أنت على القمر».

«حسناً، لست مضطراً للبقاء والاستماع إليك» قال أغناطيوس وهو يرتدي حذاءه الجلدي.

«أوه» صرخ الشاب بفرح «تعبير وجهك يشبه بتي ديفز مع عسر هضم».

«لا تكلمني أيها الفاسد. رح والعب مع أصحابك الصغار أنا متأكد أن الحي يغص بهم».

«كيف حال أمك العزيزة؟»

«لا أحب سماع اسمها المقدس من شفتيك الملوثتين».

«طيب طالما أني ذكرته. أهي في حال حسنة؟ إنها لطيفة وعزيزة تلك المرأة، ولم تفسد. أنت محظوظ».

«لن أتحادث معك عنها».

«إن كنت تريد ذلك. طيب. فقط آمل أنها لا تعرف أنك تتشرد في الشوارع مثل جان دارك هنغارية. هذا القرط. مجريّ جداً».

«إذا أردت بذلة كهذه فاشتر واحدة» قال أغناطيوس «دعني وشأني».

«أعرف أن شيئاً كهذه لا يمكن أن يشترى بأي مكان. أوه لكن يمكن أن يصلح للحفلات».

«أظن أن الحفلات التي تحضرها رؤى حقيقية عن يوم القيامة. أعرف أن مجتمعنا سيؤول إلى ذلك خلال عدة سنين. أنت وأصدقاؤك ستستولون على البلد».

«أوه نحن نخطط لذلك» قال الشاب ذلك بابتسامة مشرقة «لنا اتصالات مع الجهات العليا. ستفاجأ».

«لا لن أفاجأ هروسويذا تنبأت بذلك منذ زمن طويل».

«من تكون هذه».

«عراقة من كاهنات القرون الوسطى. كانت دليلي في الحياة».

«حقاً إنك غريب الأطوار» قال الشاب بمرح «ومع أني ما ظننت أن ذلك ممكن فقد زاد وزنك. إلى أين ستنتهي؟ هناك شيء مبتذل في بدانتك».

نهض أغناطيوس على قدميه وطعن الشاب في صدره بسيفه البلاستيكي «خذ هذه أيها النفاية» وصرخ أغناطيوس وهو يحفر في الصدرية الكشمير. انكسرت انحناءة السيف ووقعت على بلاط الطريق.

«يا لطيف» صرخ الشاب «ستمزق صدريتي أيها الشيء المجنون الضخم».

في آخر الزقاق كانت جماعة النسوة الفنانات ينزعن رسومهن عن السور ويطوين كراسيهن الألمنيوم مثل البدو الرحل. لقد أفسد معرضهن السنوي في الهواء الطلق.

«أنا سيف الانتقام للذوق والحشمة» كان أغناطيوس يضج. وبينما كان يمزق الصدرية بسلاحه المكسور، بدأت النسوة بالاندفاع خارج الشارع الملكي عند نهاية الزقاق. وكان بعض المشردين يحاولون سلبهن مانولياتهن وكاميلياتهن بفزع.

«لماذا وقفت لأتكلم معك أيها المجنون» سأل الشاب بهمس شرير مقطوع الأنفاس. «هذه أجمل صدرياتي».

«عاهر!» صرخ أغناطيوس وهو يمرر السيف على صدر الشاب.

«أوه أليس هذا مفزعاً».

حاول الهرب لكن أغناطيوس تشبث بذراعه بحزم باليد التي لم تكن مشغولة بالسيف. وأدخل الشاب إصبعاً في حلقة القرط وشده نحو الأسفل وهو يلهث قائلاً: «ارم هذا السيف».

«يا للهول» رمى أغناطيوس السيف على البلاط «أظن أن أذني انكسرت».

حرر الشاب القرط.

«لقد فعلتها» جعجع أغناطيوس. سوف تتعفن في سجن اتحادي بقية حياتك.

«انظر إلى صدريتي أيها الوحش المقرف».

«هذا الفساد لا يظهر إلا النفايات الصارخة. يجب أن يكون لديك بعض الخجل في الملبس أو على الأقل بعض الذوق».

«أيها المخلوق المزعج، أيها الشيء الضخم».

«ربما سأقضي عدة سنوات في مستشفى العين والأذن والأنف والحنجرة من أجل إصلاح هذه» قال أغناطيوس مشيراً بإصبعه إلى أنه. «يمكن أن تتوقع استلام فواتير طبية مذهلة في كل شهر. سيتصل بك فيلق محاميّ في الصباح في أي مكان تمارس فيها نشاطاتك المريبة. سأحذرهم قبل كل شيء من أنهم سيتوقون أن يروا ويسمعوا أي شيء. جميعهم محامون بارعون، أعمدة المجتمع أساتذة في أركيول أرستوقراطيون معرفتهم بالأشكال الأكثر زيفاً للحياة محدودة جداً. ربما يرفضون رؤيتك. ويمكن أن يرسلوا مبعوثاً أقل مستوى لمقابلتك، شريك شاب ما يشغلونه لديهم بدافع الشفقة».

«أنت أيها الحيوان المزعج».

«على كل حال، من أجل أن أوفر عليك قلق انتظار وصول جميع نجوم القانون إلى بيت العنكبوت الذي تقيم فيه فإني أعرض عليك القبول بتسوية الآن إذا رغبت. خمسة أو ستة دولارات كافية».

«كلفتني صدريتي أربعين دولاراً». قال الشاب تحسس الجزء المهترئ الذي مر عليه السيف «هل أنت مستعد أن تدفع ثمنه؟»

«طبعاً لا. إياك أن تخوض شجاراً مع مفلس».

«يمكن أن أقاضيك بسهولة».

«ربما كان علينا كلينا أن نتخلى عن اللجوء إلى القانون. فمن أجل حدث ميمون كالمحاكمة قد تأخذك الحماسة فتظهر في المحكمة بتاج مثلثي وثياب سهرة. ويمكن أن يريك هذا قاضياً مسناً. وكلانا بلا شك يمكن أن يحكم علينا بأننا مذنبان بتهم كاذبة ما».

«أنت أيها الوحش المقزز».

«لماذا لا تنصرف وتشارك ببعض التسليات المريبة التي تميل إليها» تجشأ أغناطيوس «انظر هناك بحار يتمشى في شارع شارترز. يبدو أنه وحيد».

نظر الشاب إلى شارع شارترز عند نهاية الزقاق.

«آه. هو» قال «هذا تيمي».

«تيمي؟» سأل أغناطيوس بغضب «هل تعرفه؟»

«طبعاً» أجاب الشاب بصوت مثقل بالضجر «هو من أعز أصدقائي وأقدمهم. وهو ليس بحاراً أبداً».

«ماذا؟» أرعد أغناطيوس «أتعني أنه ينتحل شخصية عضو في القوات المسلحة للبلاد؟»

«ليس هذا كل ما ينتحل».

«هذا أمر خطير» تجهم أغناطيوس وانسدل وشاح الساتان الأحمر من فوق قبعة الصيد. «كل جندي أو بحار يمكن أن تراه يمكن ببساطة أن يكون شخصاً منحطاً مجنوناً متخفياً. يا إلهي. يمكن أن نقع جميعاً في فخ مؤامرة مخيفة. عرفت أن شيئاً ما كهذا سيحدث. من المحتمل أن الولايات المتحدة بلا دفاع مطلقاً».

لوح الشاب والبحار كل منهما للآخر بألفة. وغاب البحار عن النظر عند واجهة الكاتدرائية. وبعد بضعة خطوات خلف البحار ظهر الشرطي مانكوزو في نهاية زقاق القرصان يرتدي بيريه وبلحية صغيرة.

«أوه!» صرخ الشاب بفرح وهو يرى الشرطي مانكوزو يتعقب خلسة البحار. «إنه ذاك الشرطي الرائع. ألا يعرفون أن كل فرد في الحي يعرف من هو؟»

«أتعرفه أيضاً؟» سأل أغناطيوس باحتراس. «إنه رجل خطير!»

«كل الناس يعرفونه. شكراً لله على أنه عاد للتجول مرة أخرى. بدأنا نتساءل ما الذي جرى له. نحبه جداً. أوه، أنا ببساطة انتظر لأرى أي نوع من أنواع التخفي فرضوا عليه. لو رأيته منذ أسابيع قبل أن يختفي لقد كان شديد الطرافة في لباس رعاة البقر». انفجر الشاب ضاحكاً «كان من الصعب عليه المشي بحذائه كانت كواحله تنهار باستمرار. مرة أوقفني في شارترز حين كنت ماشياً مجنوناً بقبعة أمك. ومرة أخرى أوقفني في دومين وحاول البدء بحديث معي. في ذلك اليوم كان يرتدي نظارات ذات إطارات من عظم القرون وصدرية ملاح وأخبرني عن نفسه أنه طالب في برنستون في إجازة هنا. إنه خرافي. أنا مسرور جداً أن الشرطة أعادته إلى الشعب الذي يقدره بحق. أنا متأكد أنه كان ضائعاً في أي مكان كان فيه. أوه واللهجة التي له. بعض الناس أكثر ما يعجبون به في شخصية السائح البريطاني. هذا مزاج. إلا أني دائماً

أفضل الكولونيل الجنوبي. المسألة مسألة ذوق حقاً، كما أظن. لقد جعلناه يحبس مرتين لأنه قدم عروضاً غير محتشمة. هذا دائماً مربك للشرطة. آمل أننا لا نوقعه بكثير من المشاكل فهو قريب لقلوبنا».

«إنه شيطان كامل» علق أغناطيوس ثم قال «أتساءل كم من عسكريينا هم ببساطة، ناس مثل صديقك، بغايا متخفون».

«من يعرف؟ أتمنى لو كانوا جميعاً كذلك!»

«طبعاً» قال أغناطيوس بصوت جاد ثاقب التفكير. «يمكن أن يكون هذا خداعاً على المستوى العالمي» رفرف الساتان الأحمر إلى أعلى وإلى أسفل. «الحرب العالمية التالية يمكن أن تنقلب إلى حفلة دعارة جماهيرية. يا لطيف. ترى كم من القادة العسكريين في العالم قد انحطوا وأصبحوا لوطيين مسنين يقومون بأدوار خيالية زائفة؟ في الواقع قد يكون هذا مفيداً للعالم. سيعني ذلك نهاية للحرب إلى الأبد. هذا يمكن أن يكون مفتاح السلام الدائم».

«من المؤكد ممكن ذلك» قال الشاب بفرح «السلام بأي ثمن» التفت نهايتان عصبيتان في عقل أغناطيوس وشكلتا علاقة مباشرة. لعله قد اكتشف وسائل الهجوم على وقاحة م. مينكوف.

«قادة العالم المجانين سيتفاجأون حتماً بأن يجدوا أن قادتهم العسكريين وجيوشهم ما هم إلا لوطيون متنكرون تواقون للقاء جيوش اللوطيين المتنكرين من الأمم الأخرى من أجل الرقص والحفلات وتعلم خطوات بعض الرقصات الأجنبية».

«ألن يكون هذا رائعاً؟ ستدفع لنا الحكومة لنسافر. شيء إلهي، يمكن أن نضع حداً لمعاناة العالم ونجدد أمل الشعب وإيمانه».

«ربما كنت أمل المستقبل» قال أغناطيوس بشكل مسرحي وهو يضرب كفاً بآخر «لا يبدو في الأفق أي شيء غير هذا».

«يمكن أن نساعد على وقف التفجر السكاني».

«آه يا إلهي». التمعت العينان الزرقاوان - الصفراوان باتساع. «أسلوبك يمكن أن يكون أكثر إرضاء وقبولاً من تكتيكات ضبط النسل المتشددة التي كنت دائماً أناصرها. يجب أن أخصص مساحة ما لهذا في كتاباتي. هذا

الموضوع جدير بانتباه مفكر عميق ممن لهم رؤية بعيدة لتطور العالم الثقافي. أنا مسرور بكل تأكيد أنك منحتني هذه البصيرة الجديدة القيمة».

«أوه أي نهار فكه كان هذا اليوم. أنت غجري. تيمي بحار والشرطي الرائع فنان» تنهد الشاب «هذا مثل ثلاثاء المرفع أشعر أني مهمل. أفكر أن أذهب إلى البيت وأرتدي شيئاً ما».

«انتظر لحظة» قال أغناطيوس. لم يكن ليسمح لفرصة أن تفلت من بين أصابعه المنتفخة.

«سأنتعل قبقابا. أنا في حالة روبي كيلر» قال الشاب لأغناطيوس بمرح. ثم شرع في الغناء. «اذهب للبيت واجلب أدواتك أنا ذاهب اجلب بنطالي. وسنرحل بعيداً أو هو هو - هو. سنتمشى بعيداً بعيداً إلى بوفالو هو - هو...»

«توقف عن هذا العرض المزعج» أمر أغناطيوس بغضب. يجب أن يجلد هؤلاء الناس ليتعاونوا.

مشى الشاب حول أغناطيوس بتمهل وقال: «روبي كانت عزيزة. أشاهد أفلامها القديمة على التلفزيون بروع». «ومن أجل ربع دولار يمكن أن نرشي دليل البولمان ليخفف الأنوار أوه هو - هو. سنرحل سنرحل إلى...»

«رجاءً كن جاداً للحظة. كفاك تراقصاً هنا».

«أنا؟ أتراقص ماذا تريدين أيتها الغجرية؟»

«هل فكرتم بتشكيل حزب سياسي وتسمية مرشح؟»

«السياسة؟ آه يا آنسة أورلينز. ما أكأبها».

«هذه مسألة مهمة». صاح أغناطيوس بقلق. ستري ميرنا كيف يزرق الجنس في السياسة «مع أنني لم أفكر بذلك قبلاً يمكن أن تحملوا مفتاح المستقبل».

«طيب ماذا تريدين أن تفعلي بها يا اليانور روزفلت؟»

«يجب أن تبدؤوا بتنظيم حزب. ويجب أن توضع الخطط».

«أوه رجاء» تنهد الشاب «كلام الرجال هذا يجعل عقلي يدور».

«يمكن أن نصبح قادرين على إنقاذ العالم» صاح أغناطيوس بصوت خطابي. «يا لطيف لماذا لم أفكر بهذا من قبل؟»

«هذا النوع من الحديث يجلب لي الاكتئاب أكثر مما يمكنك أن تتخيل» قال له الشاب «بدأت تذكرني بأبي وأي مثير للاكتئاب مثله؟». تنهد الشاب «أخشى أنه يجب علي أن أذهب. حان موعد الحفلة».

«لا» أمسك أغناطيوس بطية الصدر لسترة الشاب.

«أوه يا لطيف!» تنفس الشاب واضعاً يده على حلقه. «الآن سأقضي الليل وأنا أتناول الحبوب».

«يجب أن نبدأ التنظيم مباشرة».

«لا أستطيع أن أعبر لك كم تثير في الاكتئاب».

«يجب أن يتم اجتماع تنظيمي كيما نشرع في الحملة».

«ألا يبدو هذا شيئاً شبيهاً بالحفلة؟»

«نعم؟ بشكل ما. على كل حال يجب أن تعبر عن أهدافك».

«إذن يمكن أن يكون هناك نوع من اللهو. لا يمكن أن تتصور كم أصبحت رتيبة رتيبة تلك الحفلات في الأيام الأخيرة».

«هذه ليست حفلة يا حمار».

«أوه حسناً. سنكون جديين».

«تمام.. الآن أصغ إلي. يجب أن أحاضر بكم يا ناس لأضعكم في الطريق الصحيحة. لدي معرفة موسعة بالتنظيم السياسي».

«رائع. وأنت يجب أن ترتدي هذه البذلة الخيالية. أستطيع أن أؤكد لك أنك ستستقطب اهتمام الجميع». صاح الشاب. مغطياً فمه بيده. «أوه، يا عزيزي أي اجتماع عاصف سيكون».

«لا وقت لدينا لنضيعه» قال أغناطيوس بصرامة «الرؤيا قريبة في متناول اليد».

«سنقيمها الأسبوع القادم في بيتي».

«يجب أن يكون لديك قطع قماش حمراء وبيضاء وزرقاء» قال أغناطيوس ناصحاً. «الاجتماعات السياسية دائماً تحفل بهذا».

«عندي ياردات وياردات منها. أية مهمة تزيينية تنتظرنا. يجب أن أدعو بعض الأصدقاء للمساعدة».

«افعل ذلك» قال أغناطيوس بهياج «ابدأ التنظيم في كل المستويات».

«أوه، لم أخمن أبداً أنك ستكون شخصاً مسلياً جديراً بالمعرفة. كنت شديد العدوانية في ذاك الملهى المخيف الحقير».

«كياني متعدد الوجوه».

«أنت تدهشني» حدق الشاب في هندام أغناطيوس «أفكر كيف يتركونك طليقاً هكذا. بشكل ما، أنا أحترمك».

«شكراً جزيلاً» كان صوت أغناطيوس رقيقاً، سعيداً. «معظم الحمقى لا يفهمون توجهي العالمي».

«ما كنت لأتخيل ذلك».

«يخامرني شعور أنه تحت واجهتك المخنثة المبتذلة والمزعجة يمكن أن توجد روح رديئة. هل قرأت بإمعان بوويثيوس؟»

«من؟ آه، يا للسماء، لا. أنا حتى لا أقرأ الصحف».

«إذن يجب أن تبدأ برنامج قراءة فوراً كيما تتفهم أزمات عصرنا» قال أغناطيوس بوقار «ابتدئ بالرومان المتأخرين، ومن ضمنهم بوويثيوس، طبعاً. ثم يجب أن تغوص بكثافة في بواكير العصور الوسطى. يمكن أن تقفز عن عصر النهضة والتنوير. فهو دعاية خطرة. الآن خطر ببالي أنه من الأفضل أن تقفز عن الرومانسيين والفيكتوريين أيضاً. ومن أجل الفترة المعاصرة يجب أن تقرأ بعض الكتب الهزلية».

«أنت رائع».

«أنصح بالرجل الوطواط بشكل خاص. لأنه يميل لأن يسمو على المجتمع الوضيع الذي وجد نفسه فيه. أخلاقيته صارمة نوعاً ما، أنا أحترم الرجل الوطواط».

«أوه. انظر هذا تيمي مرة ثانية» قال الشاب. وكان البحار عابراً شارع شارترز في الجهة المعاكسة. «ألا يتعب من الطريق القديم نفسه؟ ذهاباً وإياباً ذهاباً وإياباً. انظر إليه الدنيا شتاء ولا يزال يرتدي بياضات الصيف. طبعاً هو لا يدرك أنه يجعل نفسه هدفاً لدوريات الشاطئ. لا يمكن أن تتخيل غباء هذا الولد وحماقته».

«يبدو وجهه غائماً قريباً» قال أغناطيوس. وعبر الفنان ذو البيريه واللحية شارترز، منشغلاً بمتابعة البحار عن بعد عدة أقدام. «يا إلهي. ضابط القانون السخيف هذا سيدمر كل شيء. إنه الذبابة في مرهم كل فرد. ربما كان عليك أن تسرع وتبعد البحار الفاسد من الشارع. إذا ما اعتقلته السلطات البحرية فسيكتشفون أنه محتال. وسيكتب الفشل لاستراتيجيتنا السياسية أخف هذا المهرج بعيداً قبل أن يقضي على أكثر الانقلابات السياسية في تاريخ الحضارة الغربية شيطانية».

«أوه!» صاح الشاب بفرح «سأرجع إليه لأخبره بذلك. حين يسمع بما كاد أن يفعل سيصرخ ويغمى عليه».

«الآن لا تتباطأ في تحضيراتك» حذر أغناطيوس.

«سأعمل حتى العياء» قال الشاب مرحاً «اجتماعات الحي، تسجيل الناخبين: كتيبات لجان. سنشرع في مسيرة البداية حوالي الثامنة. أنا في شارع سانت بيتر، البناء الأصفر المزخرف بالجص لا يمكن أن تضيعه. إليك بطاقتي».

«أوه يا إلهي» تمتم أغناطيوس وهو ينظر إلى بطاقة التعريف الكالحة. «لا يمكن أن تكون قد سميت حقا دوريان غراي».

«نعم أليس هذا وحشياً؟» سأل دوريان بوَهَن «لو أخبرتك باسمي الحقيقي فلن تتحدث معي مرة ثانية، اسم مبتذل جداً، أكاد أموت حين أفكر به. ولدت في مزرعة حنطة في نبراسكا. يمكن أن تحزره من ذلك».

«حسناً، على أية حال، أنا أغناطيوس ج. رايلي».

«هذا ليس مخيفاً جداً. لقد تخيلت أن لك اسماً مثل هوراس أو همفري أو أي شيء كهذا. طيب. لا تخذلنا، تدرب على خطابك. أضمن لك حشداً كبيراً، كل الناس يكادون يموتون من السأم والاكتئاب العام، لذا سيتقاتلون على الدعوات. اعطني إشارة وسنحدد موعداً دقيقاً».

«احرص على التأكيد على أهمية هذا الاجتماع السري». قال أغناطيوس «لا نريد عابري سبيل في هذه المجموعة المركزية».

«سيكون هناك بعض الأزياء التنكرية. هذا ما هو رائع في نيو أورلينز. يمكنك أن تتنكر وتحتفل بثلاثاء المرفع طيلة السنة إن أحببت. حقاً أحياناً يصبح الحي كحفلة تنكرية كبرى. أحياناً لا أعرف الصديق من العدو. لكن إن كنت تعارض الأزياء التنكرية، فسأخبر الجميع، على الرغم من أن قلوبهم الصغيرة ستنغلق من خيبة الأمل. لم نشارك بحفلة جيدة منذ شهور».

«لن أمانع في بعض الأقنعة ذات الذوق والحشمة» قال أغناطيوس أخيراً «يمكن أن يضفوا جواً عالمياً ملائماً على الاجتماع. فالسياسيون دائماً يحبون أن يصافحوا بمنغوليين يرتدون أزياء محلية وعرقية. الآن خطر لي الفكرة. يمكن أن تشجع زياً أو اثنين. لا نريد ممثلين عن النساء. لا أظن أن السياسيين يحفلون بأن يشاهدوا في صحبتهم بشكل خاص. فإنهم يثيرون الغيظ بين الناخبين القرويين. كما أظن».

«الآن دعني أمضي لأجد هذا التيمي البليد. سأخفيه حتى الموت».

« حاذر من هذا الشرطي الماكيافيلي. إن شم ريح المؤامرة فقد ضعنا ».

«أوه!، لو أني لم أكن سعيداً بعودته إلى التجول لطلبت من الشرطة بالهاتف أن يسجن فوراً بتهمة التحرش. أنت لم تر التعبير الرائع الذي يكسو وجهه حين تأتي سيارة الدورية للقبض عليه. وكذلك الضباط الذين يقبضون عليه. أمر لا يقدر بثمن. إلا أننا جميعاً ممتنون أنه عاد. لن يجرؤ أحد على إساءة معاملته الآن. إلى اللقاء أيتها الأم الغجرية».

انطلق دوريان إلى آخر الزقاق ليبحث عن البحار الفاسق. ونظر أغناطيوس إلى الشارع الملكي وتساءل ترى ماذا حدث لمعرض النسوة الفنانات. مشى نحو الممر حيث خبأ عربته، وحضر هات دوغ وصلى أن يأتيه زبون قبل أن ينتهي النهار. وأدرك بحزن مدى هبوط الحظ بعجلته. ما كان ليتخيل أنه سيصلي يوماً من أجل أن يشتري منه الناس الهات دوغ. على الأقل أصبح لديه خطة رائعة من أجل إعداد هجوم على م. مينكوف. لقد أنعشته فكرة مسيرة البداية. وهذه المرة سيطبق على تلك الوقحة.



كانت المسألة مسألة تخزين. كان جورج أسيراً للرزم من الساعة الواحدة إلى الثالثة بعد الظهر. في أحد الأيام ذهب إلى السينما، ولكنه، حتى هناك في الظلمة وهو يشاهد فيلمين دفعة واحدة عن مستعمرات العراة، لم يكن مرتاحاً. كان يخاف أن يضع الرزم على المقعد المجاور وخصوصاً في صالة كهذه. وحين يضعها على حضنه، كان يذكّر بالعبء خلال الساعات الثلاث التي يشاهد فيها الأجساد المسمّرة التي تملأ الشاشة. كان في الأيام الأخرى يحملها معه وهو يقوم بجولات مملة ما بين منطقة السوق والحي. لكنه عند الساعة الثالثة يكون متعباً من ماراثون النزهة، بشكل يفقده الحماسة للتفاوض في تجارة يومه، وبعد ساعتين من حملها كانت أغلفة الرزم تصبح رطبة تتعرض للتمزق في الشارع، وإذا انفتحت أي من الرزم في الشارع فإن ذلك يعني أنه سيقضي السنوات القليلة القادمة في سجن الأحداث. لماذا حاول ذلك العميل المتخفي القبض عليه في المرحاض. لم يفعل شيئاً. لابد أنه ذاك العميل لديه ملكة استكشافية خاصة.

أخيراً فكر جورج بمكان يضمن فيه على الأقل بعض الراحة وفرصة للجلوس، وهو كاتدرائية سانت لويس.. جلس في إحدى مقصورات الكنيسة قرب منصة أضواء الحراسة وزين يديه، والرزم مرصوفة إلى جانبه. حين انتهى من يديه التقط نسخة من كتاب القداس من على رف قريه ونظر فيه، منعشاً معرفته الكامدة بأدوات القداس بدراسة سحبات الكاهن وهو يتلو الصلوات، كان القداس بسيطاً حقاً. هكذا فكر جورج. وظل يتصفح كتاب القدّاس حتى حان موعد انصرافه. ومن ثم جمع رزمه وخرج إلى شارع شارترز.

غمزه بحار مستند إلى عمود النور. رد جورج التحية بإشارة داعرة من يديه الموشومتين، وتابع سيره متمهلاً في الشارع. وعندما مر بزقاق القرصان سمع صياحاً. كان هناك بائع الهات دوغ المجنون يحاول طعن جني بسكين بلاستيكية. لقد تجاوز هذا البائع الحدود حقاً. توقف جورج قليلاً ونظر إلى القرط والوشاح اللذين كان يترنحان حين صاح الجني. لعل هذا البائع لم يكن يعرف في أي يوم أو أي شهر أو حتى في أي سنة هو. لا بد أنه يظن أن ذلك اليوم هو ثلاثاء المرفع.

وفي الوقت المناسب رأى جورج عميل المرحاض المتخفي يتعقب البحار في الشارع. لقد بدا وكأنه واحد من الوجوديين. ركض جورج خلف أحد أقواس المبنى الحكومي الإسباني الكابيلدو. واندفع من خلال الممر المقنطر خارجاً إلى شارع سانت بتر. وتابع ركضه حتى الشارع الملكي واتجه إلى خطوط الباص.

إذن أصبح العميل المتخفي يبحث عن فريسة حول الكاتدرائية. لابد لجورج أن يسلم للشرطة. إنهم فعلا يقظون. يا للمسيح. لم يبق للمرء أية فرصة.

وهكذا عاد ذهنه إلى مسألة التخزين. بدأ يحس إحساس سجين متوار عن الشرطية. أين الآن؟ تسلق باصاً مغادراً وتملى في المسألة بينما كان الباص يتمايل ثم اتجه رأساً إلى شارع بوربون ماراً من أمام ليل الحبور. كانت لانالي على الرصيف تعطي جونز تعليمات حول إعلان كان يعلقه في الصندوق الزجاجي في واجهة الملهى. نقف جونز سيجارة كان يمكن أن تشعل النار بشعر (لي) لو لم تكن مسددة من يد بارع في الرماية. والواقع أن عقب السيجارة حلق فوق رأس المس لي على بعد انش تقريباً. هؤلاء الزنوج بارعون حقاً. لا بد لجورج أن يركب سيارة ويطوف بها في إحدى مناطقهم في ليلة ما ويقذفهم بالبيض. لم يفعل هو وأصدقاؤه ذلك منذ زمن، السواقة في سيارة مقوّاة وطرطشة أي زنجي غبي بما فيه الكفاية ليقف خارجاً على الرصيف.

لكن عوداً إلى مسألة التخزين. عبر الباص إليزيان فيلدز، ولم يجد جورج حلاً. ها هي ذي. لقد كانت أمامه طيلة الوقت ولم يدركها إلا الآن. يستحق رفسة على قصبتي الساقين بمقدمة حذائه الفلامنكي على ذلك. لقد رأى حجيرة متسعة صادة للريح معدنية. صندوق أمانات متحرك مأمون لن يفكر أي عميل متخف في العالم، مهما كان محترفاً، في فتحه. صندوق حديد مأمون يعمل عليه أكبر أهبل في العالم: حجيرة الحلوى في عربة البائع غريب الأطوار.



«آه. انظري» قالت سانتا وهي تحمل الجريدة قريبة من عينيها. «هناك في الجوار يعرضون فيلماً لطيفاً من بطولة ديبي رينولدز».

«أوه. إنها لطيفة» قالت السيدة رايلي «أتحبها يا كلود؟»

«من هي؟» سأل السيد روبيشو بسرور.

«ديبرا رينولدز الصغيرة» أجابت السيدة رايلي.

«لا أستطيع تقييمها. لا أذهب كثيراً إلى السينما».

«ما أعذبها!» قالت سانتا «صغيّورة. هل شاهدتها في ذاك الفيلم اللطيف الذي لعبت فيه دور تامي، أيرين؟»

«الفيلم الذي عميت فيه؟»

«لا يا بنت! أنت تفكرين بالفيلم الخطأ».

«أوه أعرف بماذا أفكر يا غالية. كنت أفكر بجون ويمان. كانت حلوة أيضاً».

«آه! كانت جيدة» قالت سانتا «أتذكر الفيلم الذي لعبت فيه دور البلهاء التي عرضت نفسها للاغتصاب».

«يا إلهي! أنا مسرورة أني لم أشاهد هذا الفيلم».

«آه. كان رائعاً. يا حبيبتي. شديد الإثارة. كما تعلمين. نظرة البلهاء المسكينة حين اغتصبت لا يمكن أن أنساها».

«هل يرغب أحد بمزيد من القهوة؟» سأل السيد روبيشو.

«نعم، صب لي قليلاً، كلود» قالت سانتا وطوت الجريدة وألقتها فوق ظهر البراد «أنا آسفة جداً لأن أنجيلو لم يستطع المجيء. هذا الولد المسكين قال إنه سيعمل ليلاً ونهاراً من تلقاء ذاته إلى أن يقبض على أحد. إنه الآن في الخارج في مكان ما كما أظن. كان يجب أن تسمعي ما قالته لي ريتا زوجه. يبدو أن انجلو ذهب واشترى كثيراً من الملابس الغالية كي يجذب شخصية ما أليس هذا عيباً. هذا يريك كم يحب هذا الولد سلك الشرطة إذا طردوه ينفطر قلبه. أنا متأكدة أنه سيقبض على أحد العاطلين».

«أمام انجلو طريق صعبة يسيرها» قالت السيدة رايلي بشرود. كانت تفكر بلافتة [السلام للطيبين] التي سمّرها أغناطيوس على واجهة منزلهما بعد أن عاد إلى البيت من العمل. وكانت المس آني قد شرعت في استفساراتها حول تلك اللافتة لحظة ظهورها. طارحة أسئلة بصوت عال من نافذتها. «ماذا تقول في شخص يريد السلام يا كلود؟»

«يبدو كأنه شيوعي».

استفزت أسوأ مخاوف السيدة رايلي.

«من يريد السلام؟» سألت سانتا.

«أغناطيوس علق لافتة على واجهة البيت حول السلام».

«كان يجب أن أعرف» قالت سانتا بغضب «أولاً كان هذا الولد يريد ملكاً والآن يريد السلام. أقول لك يا ايرين. ولمصلحتك. هذا الولد يجب أن يبعد».

«إنه لا يضع أي قرط. سألته وقال أنا لا أضع أي قرط ماما».

«أنجلو لا يكذب».

«لعله وضع قرطاً صغيراً».

«القرط قرط بمفهومي أليس كذلك يا كلود؟»

«هذا صحيح» أجاب كلود سانتا.

«سانتا عزيزتي. جميل تمثال العذراء الصغير هذا الذي تضعينه على التلفزيون» قالت السيدة رايلي ذلك لتصرفهم عن موضوع القرط.

نظر الجميع إلى جهاز التلفزيون الموضوع إلى جانب البراد وقالت سانتا «أليس جميلاً» إنه تمثال صغير لسيدتنا راعية التلفزيون. له قاعدة لاصقة حتى لا أوقعه وأنا أدور في المطبخ. اشتريته من عند ليفي.

«ليفي عنده كل شيء» قالت السيدة رايلي «يبدو أنه مصنوع من بلاستيك لطيف أيضاً. لا ينكسر».

«حسناً كيف وجدتم هذا العشاء يا أولاد؟»

«كان لذيذاً» قال السيد روبيشو.

«كان رائعاً» قالت السيدة رايلي موافقة. «لم أتناول وجبة جيدة منذ زمن طويل».

تجشأت سانتا وقالت: «أظن أني وضعت كثيراً من الثوم في الباذنجان المحشي. يدي قاسية بالثوم. حتى أحفادي يقولون لي تيه تيه أكيد لك يد قاسية بالثوم».

«ما ألطفهم» قالت السيدة رايلي عن الأحفاد الشرهين.

«أظن أن الباذنجان كان طيباً» قال السيد روبيشو.

«أنا لا أجد السعادة إلا في فرك الأرض وطبخ الطعام» أخبرت سانتا ضيفيها. «أحب أن أحضر طنجرة من كرات اللحم أو جمبالايا مع القريدس».

«أحب أن أطبخ» قال السيد روبيشو. «هذا يساعد ابنتي أحياناً».

«أراهن أنه كذلك» قالت سانتا «الرجل الذي يطبخ عون كبير في البيت. صدقوني».

وركلت السيدة رايلي من تحت الطاولة. «المرأة التي لها رجل يحب الطبخ امرأة محظوظة».

«هل تحبين الطبخ أيرين؟» سأل السيد روبيشو.

«أتكلمني يا كلود؟» كانت السيدة رايلي تتساءل كيف كان أغناطيوس يبدو بالقرط.

«أخرجي من السحابة، يا بنت» أمرت سانتا «كلود يسألك إذا كنت تحبين الطبخ؟»

«نعم» كذبت السيدة رايلي «نعم أحب أن أطبخ، طبعاً. لكن أحياناً تزداد الحرارة في المطبخ وخاصة في الصيف. ليس في ذلك الزقاق أية نسمة. أغناطيوس يحب أن يأكل الحواضر على أية حال. أعطه بضعة زجاجات من دكتورنات وكثيراً من الكعك المخبوز فيكتفي».

«يجب أن يكون عندك موقد كهربائي» قال السيد روبيشو «اشتريت لبنتي واحداً. لا ينشر الحرارة مثل فرن الغاز».

«من أين تأتي بكل هذا المال يا كلود؟» سألت سانتا باهتمام.

«عندي معاش تقاعدي من السكة الحديد، اشتغلت معهم خمساً وأربعين سنة. أعطوني دبوساً ذهبياً جميلاً عندما تقاعدت».

«أليس هذا لطيفاً» قالت السيدة رايلي «حققت نجاحاً يا كلود أليس كذلك؟»

«ثم» تابع السيد روبيشو «عندي أملاك أؤجرها حول بيتي. كنت دائماً أضع جزءاً من راتبي جانباً استثمره في العقارات. العقارات استثمار جيد».

«أكيد أنها كذلك» قالت سانتا وهي تدير عينيها على اتساعهما في وجه السيدة رايلي «والآن وضعك جيد أليس كذلك؟»

«أنا مرتاح جداً. لكن تعرفين أني أتعب من العيش مع ابنتي وزوجها. أعني أنهما شابان ولديهما أسرتهما الخاصة. إنهما لطيفان جداً معي ولكني أفضل أن يكون لي بيت خاص بي، أتفهمين ما أعني؟»

«لو كنت مكانك» قالت السيدة رايلي «لبقيت محلي. إذا كانت ابنتك الصغيرة لا تمانع في كونك معها فإن وضعك جيد. أتمنى لو كان عندي ولد طيب. كن ممتناً لما أنت فيه يا كلود».

حط كعب حذاء سانتا على كاحل السيدة رايلي.

«آه» صاحت السيدة رايلي.

«يا إلهي آسفة يا حبيبتي. أنا وقدماي الكبيرتان. مشكلتي دائماً الأقدام الكبيرة. لا أجد حذاء أبداً على قياس قدمي عند بائعي الأحذية. يراني العامل هناك ويقول: يا إلهي ها قد جاءت مس باتا غالياً ثانية. ماذا أصنع؟»

« ليست قدماك كبيرتين جداً» لاحظت السيدة رايلي ناظرة إليهما من تحت الطاولة.

«أنا حشرتهما في هذا الحذاء الصغير. يجب أن تريهما وأنا حافية، يا بنت».

«لي قدمان ضخمتان» أخبرت السيدة رايلي الاثنين الآخرين. قامت سانتا بإشارة لكي لا تتحدث عن معايبها. لكن السيدة رايلي لا يمكن أن تصمت. أحياناً أمشي بصعوبة أعتقد أنهما انتفختا عندما كان أغناطيوس صغيراً وكنت أحمله دائماً. يا إلهي كان بطيء المشي دائماً يقع. وكان ثقيلاً جداً أيضاً ربما جاءني مرض المفاصل من هذا.

«اسمعاني أنتما الاثنان» قالت سانتا بسرعة كيلا تصف عيباً مخيفاً جديداً. «لم لا تذهب ونشاهد القمورة الصغيرة ديبي رينولدز؟»

«هذا لطيف» قال السيد روبيشو «أنا لا أذهب أبداً إلى السينما».

«أريد أن ترى عرضاً؟» سألت السيدة رايلي. «لا أعرف. قدماي».

«أوه! هيا يا بنت دعينا نخرج من البيت. رائحته تشبه رائحة الثوم».

«أظن أن أغناطيوس أخبرني أن ذاك الفيلم رديء. هو يشاهد كل فيلم يعرض، هذا الولد».

«إيرين!» قالت سانتا بغضب «طول الوقت تفكرين بهذا الولد، وبالمشاكل التي يوقعك بها. يجب أن تفيقي، يا بنت. لو أن عندك عقلاً لكان هذا الولد مقفولاً عليه في المستشفى الخيري منذ زمان. سيسلطون الخرطوم عليه. سيوصلونه بمأخذ كهربائي. سيُرون هذا الأغناطيوس. سيجعلونه يحسن سلوكه».

«صحيح؟» سألت السيدة رايلي باهتمام «كم يكلف هذا؟»

«كله مجاناً، إيرين!»

«الطب الاجتماعي» لاحظ السيد روبيشو «لا بد أنهم يشغلون هناك الشيوعيين والزملاء الرحالة».

«عندهم راهبات يدرن المشفى، كلود، يا إلهي، من أين تأتي بقصص الشيوعيين دائماً؟»

راهبات غرر بهن.

«أليس هذا رهيباً» قالت السيدة رايلي بحزن «راهبات مسكينات يعملن لزمرة من الشيوعيين».

«لا يهمني من يدير المكان» قالت سانتا «إذا كان مجانياً ويحبسون فيه الناس فيجب أن يكون أغناطيوس فيه».

«مجرد أن يبدأ أغناطيوس بالحديث مع هؤلاء الناس. سيجنون ويحبسونه إلى الأبد». قالت السيدة رايلي لكنها كانت تفكر بأن هذا البديل مستحباً. «ربما لا يستمع إلى هؤلاء الأطباء».

«سيجعلونه يستمع، سيضربونه على رأسه سيحبسونه في قمصان المجانين سيصبون عليه الماء» قالت سانتا بشوق.

«يجب أن تفكري بنفسك إيرين» قال السيد روبيشو «هذا الولد سيقصف عمرك».

«هذا هو. قل لها كلود».

«طيب». قالت السيدة رايلي «نعطي أغناطيوس فرصة. ربما تحسن حاله».

«يبيع النقانق؟» سألت سانتا «يا إلهي» وهزت رأسها «حسناً، اسمحوا لي أن أضع هذه الصحون في المجلى. هيا لنذهب ونشاهد الغالية ديبي رينولدز».

بعد عدة دقائق، بعد أن توقفت سانتا في الردهة لتقبل أمها مودعة. خرج ثلاثتهم إلى السينما كان الطقس معتدلاً في النهار، ريح جنوبية كانت تهب بتواصل من الخليج. والآن لا تزال الأمسية دافئة. هبت روائح الطبخ المتوسطي الثقيلة على المنطقة المكتظة بالسكان من نوافذ المطابخ المفتوحة في كل مبنى ذي شقة واحدة أو مبنى لمنزلين. بدا الأمر وكأن كل ساكن يساهم مهما كان إسهامه بسيطاً في هذا التنافر من أصوات الطناجر والتلفزيونات المدوية، والجدال وبكاء الأطفال وصفق الأبواب.

«أبرشية القديس أودو رائعة هذه الليلة حقاً» قالت سانتا ساهمة وهم يخطرون على الرصيف ما بين المنعطف وأدراج المنازل المزدوجة المبنية في صفوف صلدة مستقيمة عند كل كتلة بناء أضاءت المصابيح الأسطحة الرمادية والامتدادات الإسفلتية والإسمنتية الخالية من الأشجار «الأمر أسوأ في أوقات الصيف. يبقى كل الناس خارج بيوتهم في الشوارع حتى الساعة العاشرة - الحادية عشرة».

«لا تقولي، غالية» قالت السيدة رايلي وهي تعرج بشكل مسرحي بين رفيقيها. «تذكري أنا من شارع دوفين كنا معتادين على وضع كراسي المطبخ على طرف الرصيف والجلوس هناك حتى منتصف الليل أحياناً بانتظار أن يبرد البيت وما يقوله هناك الناس! يا إلهي».

«الشر. هذا ما يقولونه» وافقتها سانتا «أفواه قذرة».

«أبي المسكين» قالت السيدة رايلي «كان فقيراً جداً. ثم لما علقت يده في حزام المروحة، كان للناس في الجوار من الأعصاب ما سمح لهم أن يقولوا لا بد أنه كان سكراناً. والرسائل المغفلة التوقيع التي وصلتنا حول ذلك. وعمتي العجوز المسكينة بوبو عمرها ثمانون سنة. كانت تشعل شمعة لزوجها المرحوم سقطت الشمعة من على طاولة وأشعلت فراشها. فقال الناس إنها كانت تدخن في السرير».

«أعتقد أن المتهم بريء حتى يدان».

«أنا أشعر بهذا الشعور كلود» قالت السيدة رايلي. «منذ بضعة أيام قلنا لأغناطيوس «أغناطيوس، أعتقد أن المتهم بريء حتى يدان».

«إيرين!»

عبروا شارع سانت كلود خلال هدأة من حركة مرور كثيفة ومشوا على الطرف الآخر من الشارع تحت أضواء النيون. وعند مرورهم من أمام حانوت لدفن الموتى، توقفت سانتا لتتحدث مع أحد المخزونين.

«قل يا سيد، من يمددون هناك؟» سألت الرجل.

«إنهم ساهرون على السيدة العجوز لوبيز» أجاب الرجل.

«لا تقلها. أهي زوجة لوبيز الذي يدير السوق الصغير في شارع الرجل الفرنسي؟»

«إنها هي».

«أوه. أنا آسفة لسماع هذا» قالت سانتا «ممّ ماتت؟»

«القلب».

«أليس هذا عاراً؟» قالت السيدة رايلي بتأثر. «بنت مسكينة».

«حسناً، لو أني ارتدي ملابس ملائمة» قالت سانتا للرجل «لدخلت وقدمت احترامي، أنا وصديقاي في طريقنا إلى السينما، شكراً».

ومضوا في طريقهم. وصفت السيدة رايلي الأحزان والمحن التي تألف منها وجود السيدة العجوز لوبيز الكئيب. أخيراً قالت سانتا «أفكر في أن أرسل لأهلها قداساً».

«يا إلهي» قالت السيدة رايلي متأثرة بسيرة حياة العجوز لويز، «أفكر أن أرسل قداساً أيضاً من أجل راحة نفس المرأة المسكينة». «إيرين!» صرخت سانتا «أنت حتى لا تعرفين أولئك الناس».

«حسناً هذا صحيح» أذعنت السيدة رايلي.

حين بلغوا السينما حدث نقاش بين السيد روبيشو وبين سانتا حول من سيدفع ثمن البطاقات.. قالت السيدة رايلي إنها ستدفع لو لم يكن عليها أن تسدد دفعة من ثمن بوق أغناطيوس قبل نهاية الأسبوع. كان السيد روبيشو عنيداً، فتركته سانتا يفعل ما يريد.

«على كل حال» قالت سانتا وهو يناول السيدتين بطاقتين «أنت الوحيد الذي معه مال».

غمزت للسيدة رايلي، التي كانت مشغولة البال مرة ثانية بتلك اللافتة التي رفض أغناطيوس أن يشرحها لها. وخلال معظم الفيلم كانت السيدة رايلي تفكر براتب أغناطيوس الذي يزداد انخفاضه بسرعة، وبالدفعات لثمن البوق. والدفعات لثمن البناء المهدم، وبالقرط وباللافتة. وكانت تعجبات سانتا مثل «أليست جميلة؟» و«انظري لهذا الثوب الذي ترتديه الفندورة يا إيرين» وحدها هي التي تردها إلى ما يحدث على الشاشة. ثم شدها شيء آخر من تأملاتها حول ولدها ومشاكلهما واللذين كانا شيئاً واحداً حقاً. غطت يد السيد روبيشو يدها برفق ومن ثم أمسكتها. كانت السيدة رايلي خائفة أن تتحرك. لم يا ترى يبدو أن السينما هي التي جعلت الرجلين اللذين عرفتهما - السيد رايلي والسيد روبيشو - عاشقين؟ نظرت بدون إبصار إلى الشاشة، التي لم تر فيها ديبي رينولدز تثب من الفرح بالألوان بل جين هارلو وهي تستحم بالأسود والأبيض.

كانت السيدة رايلي تتساءل إذا كانت تستطيع أن تنسل بيدها من يد السيد روبيشو وتخرج من السينما، حين صاحت سانتا «انظري، إيرين، أراهن أن ديبي الصغيرة ستحمل بولد».

«ماذا؟» صرخت السيدة رايلي بضراوة، وانفجرت بنوبة بكاء مجنون ولم تتوقف إلى أن أخذ السيد روبيشو المذعور رأسها البائس وأراحه بحرص على كتفه.



[قارئي العزيز:
تصنع الطبيعة أحياناً الأحمق: لكن الأحمق المغرور هو من صناعة الإنسان نفسه.

أديسون]

بينما كنت انتعل حذائي الذي تحول إلى خرق من مطاط الكريب فوق بلاطات الرصيف القديمة في الحي الفرنسي في محاولتي المحمومة في انتزاع رزقي من مجتمع غير مبال وغير متفهم. حياني أحد معارفي القدماء الأعزاء (منحرف جنسياً). وبعد عدة دقائق من المحادثة التي حققت فيها بكل سهولة تفوقي الأخلاقي على فساده، وجدت نفسي مرة أخرى أتأمل في أزمات عصرنا. همست لي عقليتي الصعبة الضبط ومطلقة العنان كما هي دائماً، بخطة شديدة الروعة والجرأة، لدرجة أني انكمشت من الأفكار التي كنت أسمعها «قف» صرخت متوسلاً لعقلي - الشبيه بالإله. «هذا جنون» لكني استمررت في الإصغاء لمشورة دماغي. لقد كان يعرض علي فرصة إنقاذ العالم من خلال الانحلال الخلقي. هناك فوق أحجار الحي المهترئة جندت هذا الإنسان الذي يشبه الزهرة الذابلة، لجمع رفاقه في المجون مع بعضهم بعضاً تحت راية الأخوة.

ستكون خطوتنا الأولى انتخاب واحد من جمعهم لإدارة عليا - رئاسة الجمهورية، إذا ما ترفقت عجلة الحظ فورتونا. ثم أنهم سيتسللون في الجيش. وكجنود، سيظلون باستمرار مشغولين بشد وثاق الأخوة الواحد مع الآخر، وبخياطة ملابسهم العسكرية لتكون عليهم كما القشرة للنقانق، ويخترعون لباساً جديداً مصنوعاً للمعركة، ويقيمون حفلات الكوكتيل.. الخ بحيث لن يكون لديهم الوقت للمعركة. والشخص الذي سيصبح رئيساً

للأركان سيرغب فقط في العناية بشؤون إدارة الملابس الأنيقة. الإدارة التي تسمح له أن يكون بالتناوب رئيساً للأركان أو فتاة احتفالات، كما تدفعه رغبته. ولدى رؤيتهم نجاح زملائهم المتحدين هنا، فإن المنحرفين في جميع أرجاء العالم سيتعاضدون معاً للاستيلاء على السلطة العسكرية في بلادهم. وفي البلدان الرجعية التي يلقى فيها المنحرفون بعض المتاعب في الوصول إلى السلطة، سنرسل لهم العون على هيئة ثوار لمساعدتهم في قلب حكوماتهم. وحين نجهز أخيراً على جميع الحكومات القائمة، فإن العالم لن يستمتع بالحرب وإنما بحفلات عربدة كونية تقودها أعلى المراسم والروح العالمية الحقة. لأن هؤلاء الناس تساموا فوق خلافاتهم الوطنية. أذهانهم متجهة إلى هدف واحد، وهم متحدون حقاً، ويفكرون تفكير رجل واحد.

لن يكون أي لوطي في السلطة، طبعاً، عملياً بما فيه الكفاية ليعرف شيئاً عن تلك المعدات كالقنابل النووية، هذه الأسلحة النووية ستبلى في صناديقها الحديدية في مكان ما. ومن وقت لآخر سيقوم رئيس الأركان ورئيس الجمهورية وسواهما وهم يرتدون ملابسهم اللامعة والمزينة بالريش، بتسلية القادة، أي المنحرفين من جميع البلدان الأخرى بإقامة حفلات الكوكتيل وحفلات الرقص. والمنازعات من أي نوع يمكن تسويقها خارجاً في مراحيض الرجال في هيئة الأمم المتحدة بعد إعادة تزيينها. وستزدهر حفلات الباليه واستعراضات برودواي الموسيقية والتسليات المشابهة في كل مكان، وربما تجعل العامة من الشعب أكثر سعادة مما كانوا بقرارات قادتهم السابقين المتجهمة العدوانية الفاشية.

لقد نال كل واحد من الآخرين تقريباً فرصته في إدارة العالم. وأنا لا أرى لماذا لا تتاح لهؤلاء الفرصة أيضاً. لقد اضطهدوا بما فيه الكفاية. حركتهم داخل السلطة ستكون، بمعنى ما، جزءاً من الحركة العالمية نحو الفرصة، والعدالة، والمساواة للجميع (مثال على ذلك: هل تستطيع أن تسمي واحداً من ممارسي هواية ارتداء ملابس الجنس الآخر في مجلس الشيوخ؟ لا! لقد كان هؤلاء الناس بدون تمثيل مدة طويلة بما فيه الكفاية أن حالتهم عار وطني وكوني).

وبدل أن يشير الانحلال إلى انهيار المجتمع، كما فعل دائماً، سيكون الآن إشارة السلام لعالم قلق. يجب أن تكون لدينا حلول جديدة للمشاكل الجديدة.

سأقول بدور الناصح المخلص والمرشد للحركة، ومعرفتي، غير المأخوذة بعين الاعتبار، بتاريخ العالم، والاقتصاد، والدين، والاستراتيجية السياسية التي تقوم بدور المستودع كما هي عليه الآن، منها سيمتح الناس قواعد الإجراءات العملية. لقد لعب بويثيوس نفسه دوراً مشابهاً بشكل ما في روما المنحلة. وكما قال تشيسترتون عن بويثيوس: وهكذا كان حقاً المرشد والفيلسوف والصديق لكثير من المسيحيين! تماماً لأن ثقافته الخاصة قد اكتملت في حين كان عصره فاسداً.

هذه المرة سأخزي ميرنا الوقحة حقاً.. الخطة شديدة الإبهار لذهن ميرنا الحرفي، التحرري، العالق في قبضة كليشيهات إرهاب الاحتجاز. الحملة في سبيل كرامة البربر، هجومي البديع الأول على مشاكل عصرنا، كان يمكن أن يكون انقلاباً أقل عظمة وتصميماً لو لم يكن من أجل الرؤية البورجوازية للناس البسطاء الذين كانوا أعضاء الطليعة. هذه المرة على كل حال سأعمل مع ناس يحاذرون فلسفة الطبقة الوسطى، ناس يريدون الوصول إلى أوضاع خلافية، ليتابعوا قضيتهم، مهما كانت غير شعبية مهما كانت مهددة لاعتداء الطبقة الوسطى.

هل تريد م. مينكوف الجنس في السياسة؟ سأعطيها الجنس في السياسة - وكثيراً منه! لا شك في أنها ستكون مأخوذة لدرجة تمنعها من الاستجابة لأصالة مشروعي. وأقل ما في الأمر أنها ستغلي من الحسد. (يجب معالجة أمر هذه البنت. لا يمكن ترك هذه الوقاحة بغير ضابط).

مناظرة ما بين الذرائعية والأخلاقية تحتد في دماغي. هل تستحق الغاية المجيدة في السلام وسيلة مرعبة، كالانحلال؟ مثل شخصين في مسرحية من القرون الوسطى، الذرائعية والأخلاقية تتبادلان اللكمات على حلبة دماغي. ليس في مقدوري أن أنتظر حصيلة مناظرتهما المشحونة. يستبد بي هاجس السلام (إذا كان أحد من حادي الملاحظة من منتجي الأفلام راغباً في شراء

حق تصوير هذه اليوميات سينمائياً، يمكنني أن أضع ملاحظات حول نقل هذه المناظرة إلى السينما. يمكن لمنشار موسيقي أن يحقق خلفية مرافقة رائعة، ويمكن أن تتداخل صورة عين البطل مع مشهد المناظرة في أسلوب عالي الرمزية. وبالتأكيد يمكن أن يكتشف وجه جديد في صيدلية أو في موتيل أو أي مريض من مرابض الناس. يكتشف للعب دور الولد يمكن أن يصور الفيلم في إسبانيا أو إيطاليا أو أي بلد ممتع آخر يرغب في أن يراه طاقم الممثلين مثل شمالي أمريكا).

آسف. فأولئك الذين يرغبون في أن يسمعوا آخر أنباء الفرانكفورتر منكم، لي يجدوا شيئاً. فذهني مشغول جداً بروعة هذا التصميم. الآن علي أن أتصل مع م. مينكوف وأدون بسرعة بعض الأفكار لمحاضرتي حول مسيرة الانطلاق.

ملاحظة اجتماعية: والدتي المتهربة من أداء واجباتها غادرت مرة ثانية، وهذا حقاً من حسن حظي. فهجماتها الشديدة وانتقاداتها ضد كياني تؤثر سلبياً على بوابي معدتي. قالت إنها ذاهبة لحضور تتويج ملكة أيار في إحدى الكناس. وبما أن الشهر ليس شهر أيار فإني أميل إلى الشك في صدقها.

«الكوميديا الرفيعة» التي تمثل الفيلم النسائي رقم واحد المفضل لدي، سيفتتح في دار من دور مركز المدينة في أية لحظة. وبطريقة ما يجب أن أكون هناك في حفلة الافتتاح. بمقدوري أن أتخيل آخر أهوال الفيلم، وتباهيه بالفجاجة في وجه الإلوهية والهندسة، والذوق والحشمة. (لا أفهم هذا الدافع الذي يحتم عليّ مشاهدة الأفلام السينمائية، يبدو كأن السينما في دمي).

ملاحظة صحية معدتي تتحول إلى منطقة محظور الدخول إليها، حتى أن دررزات ثوب البائع الذي أرتديه تنفتق منذرة.

حتى وقت آخر

تاب، ولدكم العامل السّلامي



أعانت السيدة ليفي المس تريكسي المجددة على صعود الدرج وفتحت الباب.

«هاهي ذي بناطيل ليفي!» نخرت المس تريكسي.

«عدت ثانية إلى حيث يحبونك ويحتاجون إليك. يا عزيزتي» قالت السيدة ليفي كما لو كانت طفلاً «كم افتقدوك. كان السيد غونزالز يتوسل على الهاتف من أجلك. أليس رائعاً أن تشعري بأنك أمر حيوي للعمل؟»

«ظننت أني تقاعدت» انفتحت الأسنان الضخمة مثل مصيدة دببة. «أنتم خدعتموني يا ناس».

«هل أنت سعيدة الآن؟» سأل السيد ليفي زوجته. كان يمشي خلفهما حاملاً أحد أكياس الخردة لمس تريكسي. «لو كان معها سكين لكنت أخذتك فوراً إلى المستشفى».

«استمع إلى النار في صوتها» قالت السيدة ليفي «قوية جداً. أمر لا يصدق».

حاولت المس تريكسي أن تنفلت من السيدة ليفي وهما تدخلان المكتب. غير أن حذاءها الخفيف لم يزودها بقوة الجر التي اعتادت عليها بحذائها المطاطي، فترنحت فقط.

«لقد عادت» صاح السيد غونزاليز كسير القلب.

«هل بمقدورك أن تصدق عينيك؟» سألته السيدة ليفي.

كان السيد غونزاليز مرغماً على النظر إلى المس تريكسي التي كانت عيناها بركتين محاطتين بظل أزرق. تمددت شفتاها بخط برتقالي كاد يصل إلى منخريها. وقرب القرطين انفلتت خصل من الشعر من تحت الباروكة السوداء، التي كانت مواربة قليلاً. وكشفت التنورة القصيرة عن ساقين مقوستين ضامرتين وقدمين صغيرتين جعلت النعلين تبدوان مثل أحذية التزلج. وقد تحمصت مس تريكسي حراً طيلة اليوم تحت المصباح الشمسي وأصبحت سمراء ذهبية.

«بالتأكيد تبدو ممتازة» قال السيد غونزالز. كان صوته زائفاً وندت عنه ابتسامة قصيرة. «لقد قدمت لها خدمة جليلة يا سيد ليفي».

«أنا امرأة جذابة» دمدمت المس تريكسي.

ضحك السيد غونزالز بعصبية.

«الآن استمع هنا» قالت له السيدة ليفي «جزء من مشكلة هذه المرأة هو هذا النوع من المواقف. ليست بحاجة إلى السخرية».

حاول السيد غونزالز بغير نجاح تقبيل يد السيدة ليفي.

«أريدها أن تشعر بأنها مطلوبة، غونزالز. لا تزال هذه المرأة تتمتع بذهن حاد. قدم لها العمل الذي تمارس فيه قدراتها. أعطها مزيداً من السلطة. إنها بحاجة ماسة لدور فعال في هذا المشغل».

«بالتأكيد» وافق السيد غونزالز «قلت ذلك أن نفسي منذ زمن. ألم أقل ذلك، مس تريكسي؟»

«من؟» نخرت المس تريكسي.

«دائماً كنت أريدك أن تتولي مزيداً من المسؤولية والسلطة» صرخ مدير المكتب «أليس هذا صحيحاً؟»

«أوه! اخرس غوميز» قرقعت أسنان المس تريكسي مثل الصناجات «هل اشتريت لي لحمة الفصح حتى الآن؟ أجبني على هذا».

«حسناً! لقد حققت متعتك، فلنذهب» قال السيد ليفي لزوجته. «هيا أنا أشعر بالاكتئاب».

«لحظة!» قال السيد غونزالز «عندي بعض البريد لك».

وبينما ذهب مدير المكتب إلى طاولته لجلب البريد، سمع صوت ارتطام في مؤخرة المكتب. كل من كان إلى جانب المس تريكسي التي غطت في النوم على طاولتها، التفتوا نحو قسم التصنيف. كان هناك رجل شاهق الطول ذو شعر أسود طويل يلتقط أحد الملفات كان قد سقط على الأرض. جمع المصنفات دون عناية في الدرج ودفع بالدرج بقسوة في محله من خزانة الملفات.

«هذا هو السيد زالاتيمو» همس السيد غونزالز «إنه معنا منذ بضعة أيام فقط، ولا أظن أنه سينجح. لا أظن أننا سنضمه إلى خطة بناطيل ليفي».

نظر السيد زالاتيمو بارتباك إلى خزانة الملفات وحك نفسه. ثم فتح درجاً آخر وفتش في محتوياته بيد بينما كانت اليد الأخرى تحك ما تحت إبطه من تحت قميصه الرث المعقود.

«هل تحب أن تلقاه؟» سأل مدير المكتب.

«لا. شكراً» قال السيد ليفي أين تجد الناس الذين يعملون في هذا المكتب، غونزالز؟ لم أر بشراً مثل هذا في أي مكان آخر.

«يبدو لي مثل مجرم» قالت السيدة ليفي «أنت لا تحتفظ بأية نقود هنا أليس كذلك؟»

«أعتقد أن السيد زالاتيمو شريف» همس مدير المكتب «إلا أنه يعاني فقط من مشكلة حفظ الأبجدية» قدم للسيد ليفي رزمة رسائل «معظم هذه تثبيتات لحجوزاتك في الفنادق لنشاطات الربيع. وهنا رسالة من ايبل مان. لقد عنونت باسمك لا باسم الشركة ووسمت بكلمة شخصي، لذلك فكرت أنه من الأنسب أن تفتحها أنت. لقد جاءت منذ بضعة أيام».

«ماذا يريد هذا الثرثار الآن؟» قال السيد ليفي غاضباً.

«ربما يتساءل عما حدث لمؤسسة صناعية لامعة في طريق النماء» علقت السيدة ليفي «ربما يتساءل عما حدث منذ وفاة ليون ليفي. لعل عند هذا الإيبل مان بعض كلمات النصح لولد عابث. اقرأها غاس. سيكون كل عملك من أجل بناطيل ليفي هذا الأسبوع».

نظر السيد ليفي إلى المغلف حيث كتبت عبارة «شخصي» ثلاث مرات بقلم أحمر ناشف، فتحها ووجد رسالة مربوطة فيها وثيقة بشكالة ورق.

[عزيزي غاس ليفي:

لقد صدمنا وجرحنا من الرسالة المرافقة. لقد كنا منفذاً أميناً لبضاعتكم طيلة ثلاثين سنة. ونحمل دائماً حتى الآن مشاعر الود الدافئة نحو مؤسستكم. لعلكم تذكرون طاقة الورد التي أرسلناها حين توفي والدكم والتي لم نبخل بثمنها.

وبإيجاز شديد. وبعد عدة ليال من الأرق فقد أعطينا النسخة الأصلية لمحامينا والذي سيرفع دعوى تعويض بـ ٥٠٠٠٠٠ دولار.

ولعل ذلك يمكن أن يكون تعويضاً بسيطاً عما لحقنا من خدش للمشاعر.
عين محامياً. سنراك في قاعة المحكمة مثل السادة المهذبين.
لا تهديدات أخرى، رجاء.

مع أطيب التنميات

ى إيبلمان

مدير. بضائع ايبلمان الخفيفة]

اقشعر بدن السيد ليفي حين قلب الصفحة وقرأ النسخة الصورة من الرسالة الموجهة إلى ايبلمان. أمر لا يصدق. من سيتجشم عناء كتابة أشياء كهذه؟ «السيد لي ايبلمان المنغولي. عدم قدرتك الكاملة عن الاتصال بالواقع». رؤيتك التالفة للعالم «يمكن أن تشعر بلسعة السوط فوق كتفيك» وأسوأ من هذا كله أن توقيع «غاس ليفي» بدا حقيقياً. لا بد أن ايبلمان يقبل الآن التوقيع الأصلي ويتلمظ. مثل تلك الرسالة لايبلمان كمثل صك توفير أو تحويل إلى بنك يدفع لحامله.

«من كتب هذا؟» طالب السيد ليفي، مقدماً الرسالة للسيد غونزالز.

«ما الأمر غاس؟ مشكلة؟ أعندك مشكلة؟ هذه واحدة من مشاكلك. أنت لا تخبرني أبداً بمشاكلك».

«أوه! يا إلهي» قال السيد غونزالز وهو يصر على أسنانه «هذا رهيب».

«صمتا» نطت المس تريكسي.

«ما الأمر غاس؟ شيء ما لم تُدِرْه بشكل صحيح. سلطة ما فوضت بها شخصاً آخر؟»

«نعم إنها مشكلة. مشكة تعني أننا يمكن أن نخسر قمصاننا الداخلية».

«ماذا؟» سحبت السيدة ليفي الرسالتين من السيد غونزالز.

قرأتهما وأصبحت حيزبونا. وتحولت تجاعيدها المصبوغة إلى أفاعٍ «الآن فعلتها. تفعل أي شيء لترتد على أبيك. لتدمر شغله. عرفت أن الأمر سيؤول إلى هذه النهاية».

«أوه. اخرسي. لم أكتب هذه الرسالة هنا أبداً».

«سوزان وساندرا ستضطران لترك الكلية. ستبيعان نفسيهما للبحارة والمجرمين أمثال هذا».

«هَهْ؟» سأل السيد زالاتيمو شاعراً أنه معني بالنقاش.

«أنت مريض» صاحت السيدة ليفي بزوجها.

«هدوء!»

«وهل سيتحسن حالي؟» كانت أجفان السيدة ليفي البحرية ترتعش «ماذا سيحل بي؟ حياتي مدمرة أصلاً. ماذا يحدث لي الآن؟ أنقب في تنكات الزبالة، ألحق الأسطول. كانت أمي على حق».

«هدوء» طالبت المس تريكسي، هذه المرة بضراوة أشد. «أنتم أكثر ضجة من كل من أعرف».

انقلبت السيدة ليفي على كرسي تنتحب متمتمة بشيء حول التجوال لبيع منتجات آفون.

«ماذا تعرف عن ذلك غونزالز؟ سأل السيد ليفي مدير المكتب الذي أصبحت شفتاه بيضاوين.

«لا أعرف أي شيء».

«أنت كتبت هذه المراسلة هنا».

«لم أكتب هذه» كانت شفتاه ترتجفان. «لا يمكن أن أفعل شيئاً كهذا لبناطيل ليفي».

«لا. أعرف أنه يمكنك» حاول السيد ليفي أن يفكر «أحد ما فعل ذلك بنا».

توجه السيد ليفي نحو الملفات دافعاً السيد زالاتيمو الحكاك جانباً وفتح ملفات حرف الألف. لا يوجد أي مصنف خاص. بإيبلمان. كان الدرج فارغاً تماماً. فتح عدة دروج أخرى لكن نصفها كان فارغاً، أيضاً. بأي وسيلة يقاوم دعوى تعويض.

«ماذا تفعلون، يا ناس، بالتصنيف؟»

«كنت أنا نفسي أتساءل عن ذلك» قال السيد زالاتيمو بغموض.

«غونزالز، ماذا كان اسم ذاك البليد الضخم الذي كنت تشغله هنا السمين الضخم بالقبعة الخضراء؟»

«السيد أغناطيوس رايلي هو الذي تولى أمر إرسال الرسالة» «من الذي ألف هذا الشيء المرعب؟»

«هاي!» قال صوت جونز من على الهاتف «أنتم يا ناس لا يزال عندكم أم سمينة بقبعة خضراء يعمل هنا في بناطيل ليفي؟ شخص أبيض ضخم وله شوارب».

«لا ليس عندنا» أجاب السيد غونزالز بصوت حاد وأطبق السماعة.

«من كان هذا؟» سأل السيد ليفي.

«أوه. لا أعرف أحدهم يسأل عن السيد رايلي» جفف مدير المكتب جبينه بمنديل. «الشخص الذي حرض عمال المصنع على قتلي».

«رايلي؟» قالت المس تريكسي «هذا لم يكن رايلي، كان...»

«الشاب المثالي» انتحبت السيدة ليفي «من طلبه؟»

«لا أعرف» أجاب مدير المكتب «بدا لي أنه صوت زنجي».

«حسناً أخمن ذلك» قالت السيدة ليفي «أنه في طريقه لمساعدة بعض سيئي الحظ في هذه اللحظة، من المشجع أن نعرف أن مثاليته سليمة».

كان السيد ليفي يفكر في شيء ما، وسأل مدير المكتب: «ماذا كان اسم ذاك البليد؟»

«رايلي. أغناطيوس ج. رايلي».

«هل كان كذلك؟» قالت المس تريكسي باهتمام «هذا غريب ظننت دائماً أنه...»

«مس تريكسي، رجاء» قال السيد ليفي غاضباً. كان هذا الرايلي الأهبل يعمل في الشركة في الوقت الذي أرخت فيه الرسالة إلى ابيلمان «هل تظن أن هذا الرايلي يمكن أن يكتب رسالة كهذه؟»

«يمكن» قال السيد غونزالز «لا أعرف كنت أعقد عليه آمالاً كباراً إلى أن حاول أن يدفع بالعمال لتفجير دماغي».

«هذا صحيح» أنّت السيدة ليفي «حاول أن تلصقها بالشاب المثالي. أبعده إلى حيث لا تزعجك مثاليته. ناس من أمثال الشاب المثالي لا يمكن أن يقوموا

بأفعال كهذه. انتظر حتى تسمع سوزان وساندرا بذلك» ورسمت على وجهها ملامح تشير إلى أن البنتين ستصابان بصدمة. «الزنوج يسألون عنه ليحصلوا على مشورته. وأنت على وشك الإيقاع به. لم أعد أحتمل مزيداً من هذا، غاس. لا أحتمل لا أحتمل».

«إذن تريدين مني أن أقول إني كتبت هذا؟»

«طبعاً لا» صرخت السيدة ليفي بزوجها «أيفترض بي أن أنتهي إلى منزل فقير؟ إذا كان الشاب المثالي هو من كتبه فسيذهب إلى السجن بسبب التزوير».

«قولوا! ماذا يجري هنا؟» سأل السيد زالاتيمو «هل ستغلق هذه المزيلة أم ماذا؟ أعني. أريد أن أعرف».

«اخرس يا مجرم» أجابته السيدة ليفي بوحشية «قبل أن نلصق بك هذه التهمة».

«هَهْ؟»

«ألا تهدئين؟ أنت تجعلين الأمور تختلط ببعضها» قال السيد ليفي لزوجه ثم التفت إلى مدير المكتب «أعطني رقم هاتف هذا الرايلي».

أيقظ السيد غونزالز المس تريكسي وسألها عن دليل الهاتف.

«احتفظ بكل أدلة الهاتف» نبرت المس تريكسي «ولن يستعملها أحد غيري».

«طيب انظري لنا تحت اسم رايلي في شارع استانبول».

«طيب غوميز» نخرت المس تريكسي «اكبحوا جيادكم» أخرجت أدلة الهاتف المخزونة الثلاثة من أحد تجاويف طاولتها، وأخذت تطالع صفحاتها بواسطة عدسة مكبرة وأعطتهم رقماً.

«أدار السيد ليفي القرص على الرقم وأجابه صوت «صباح الخير هنا مصبغة ريغال».

«أعطيني واحداً من هذه الأدلة» صرخ السيد ليفي.

«لا». قالت المس تريكسي بنبرة حادة وبسطت يدها على مجموعة الأدلة، تحرسها بأظافرها المطلية حديثاً. «ستضيع الوقت، سأجد الرقم الصحيح.

يجب أن أقول أنكم يا ناس غير صبورين وسريعو الهيجان. أخذتم مني عشر سنين من عمري وأنا معكم في المنزل. لم لا تتركون رايلي المسكين بحاله؟ لقد سبق أن طردتموه للاشيء».

أدار السيد ليفي الرقم الثاني الذي أعطته إياه. وأجابته امرأة يبدو عليه السكر الخفيف وأخبرته أن السيد رايلي لن يأتي إلى البيت حتى وقت متأخر عند العصر. ثم شرعت في البكاء واكتأب السيد ليفي وشكرها وأطبق السماعة.

«حسناً إنه ليس في منزله» أخبر السيد ليفي الحضور في المكتب.

«كان السيد رايلي كبير الاهتمام ببناطيل ليفي وقلبه معها». قال مدير المكتب بحزن «لماذا بدأ بهذا الشغب لن أعرف أبداً».

«لشيء واحد، لأن لديه بطاقة سوابق عند الشرطة».

«حين جاء طالباً العمل لم أظن أبداً أنه شخصية بوليسية» هز مدير المكتب برأسه «لقد بدا شديد التهذيب».

راقب السيد غونزالز السيد زالاتيمو يحشر إحدى سبابتيه في أحد منخريه. ماذا يمكن أن يفعله هذا الشخص؟ تخدرت قدماه من الخوف.

اصطفق باب المصنع وانفتح وصرخ أحد العمال، «هي! سيد غونزالز. حرق السيد بالرما يده على أحد أبواب الأفران».

كان هناك أصوات فوضى في المصنع. وكان رجل يلعن.

«آه. يا لطيف» صاح السيد غونزالز «هدئ العمال سأكون هناك في دقيقة».

«هيا» قال السيد ليفي لزوجته «لنخرج من هنا بدأت معي حرقة في المعدة».

«لحظة واحدة» أشارت السيدة ليفي للسيد غونزالز «حول المس تريكسي. أريدك أن ترحب بها كل صباح وتعطيها عملاً ذا معنى تقوم به. في الماضي جعلها عدم شعورها بالأمان تخشى القيام بأي عمل ذي مسؤولية. أعتقد أنها تجاوزت الأمر الآن. أساساً عندها كراهية لبناطيل ليفي حللتها بأنها نابعة من الخوف. عدم الشعور بالأمان هذا والخوف قاداها إلى الكراهية».

«طبعا» قال مدير المكتب نصف مصغٍ. ساءت فوضى المصنع.

«اذهب وانظر ما يحدث في المصنع غونزالز» قال السيد ليفي «سأتصل برايلي».

«نعم سيدي» وانحنى انحناءة كبيرة لهما واندفع خارجاً من المكتب.

«أوكي». كان السيد ليفي ممسكاً الباب مفتوحاً. مجرد أن تقترب من بناطيل ليفي تتعرض لكل أنواع المضايقات والتأثيرات المسببة للكآبة. لا يمكنك أن تترك المكان لدقيقة واحدة. كل من يريد أن يستريح وألا يتضايق فمن الأفضل له أن لا يكون لديه شركة مثل بناطيل ليفي، غونزالز لم يكن حتى يعرف أي نوع من البريد يخرج من المكتب. «هيا دكتور فرويد دعينا نذهب!»

«انظر إلى ما أنت فيه من هدوء. لا يهمك أن إيبلمان على وشك مقاضاتنا على حياتنا إن استطاع».

ارتعشت الأهداب البحرية «ألن تحاول الوصول إلى المثالي؟»

«في وقت آخر. حصلت على كفايتي ليوم واحد».

«في هذه الأثناء يكون إيبلمان قد سلط سكوتلانديارد على رقابنا».

«لم يصل بعد إلى البيت» لم يعد السيد ليفي يشعر برغبة في محادثة هذه المرأة الباكية مرة أخرى. «سأطلبه الليلة من الساحل. لا شيء مقلق. لا يمكن أن يقاضوني على رسالة لم أكتبها».

«آه. لا؟ أنا متأكدة أن شخصاً مثل إيبلمان يمكن أن يفعل. بمقدوري أن أرى المحامي الذي وكله. كسيح من ملاحقة سيارات الإسعاف. مشوه من النار التي أحرقته والتي أشعلها بنفسه للحصول على مال التأمين».

«حسناً، ستأخذين الباص للعودة إلى الساحل إذا لم تسرعي. بدأ يحدث معي عسر هضم من هذا المكتب».

«طيب، طيب يمكنك أن توفر دقيقة من حياتك الضائعة لأجل هذه المرأة. أيمكن؟» وأشارت السيدة ليفي إلى مس تريكسي التي تشخر بصوت عالٍ. هزت كتف المس تريكسي «أنا ذاهبة يا عزيزتي. سيكون كل شيء على ما يرام. كلمت السيد غونزالز وهو سعيد جداً برؤيتك ثانية».

«هدوء» أمرت المس تريكسي وطقطقت أسنانها مهددة.

«هيا قبل أن أضطر أن آخذك لتحصلي على حقنة مضاد للكلب» قال السيد ليفي غاضباً وقبض على زوجته من معطفها الفرو.

«انظر فقط إلى هذا المكان» أشارت يد بقفاز إلى أثاث المكتب القذر وإلى الأرضيات المهترئة والأشرطة الورقية التي لا تزال معلقة منذ أن كان أ. ج. رايلي مسؤولاً عن التصنيف، وإلى السيد زالاتيمو الذي كان يرفس سلة المهملات. بإحباط أبجدي. «محزن، محزن. شغل ينهار، وشاب مثالي حزين يلجأ إلى التزوير لإنصاف نفسه».

«اخرجوا من هنا يا ناس» نخرت المس تريكسي صافعة طاولتها بكفها.

«أصغ إلى هذا العزم في هذا الصوت» قالت السيدة ليفي بفخار بينما كان كيانها المدور الملفوف بالفراء يجر عبر الباب «لقد حققت معجزة».

انغلق الباب وتقدم السيد زالاتيمو من المس تريكسي وهو يحك نفسه. ربت على كتفها وسأل «قولي يا سيدتي، أيمكنك أن تساعديني في هذا. ما رأيك بأني أولاً ويليس أم ويلياز؟»

حدقت المس تريكسي فيه لحظة ثم غرزت أسنانها بيده. وفي المصنع سمع السيد غونزالز السيد زالاتيمو يصرخ. لم يكن ليدري هل يتخلى عن السيد بالرمو المسفوع. ويرى ما حدث أم يبقى في المصنع، حيث بدأ العمال يراقصون بعضهم بعضاً تحت مكبرات الصوت. إن بناطيل ليفي تتطلب أكثر من شخص واحد.

وفي السيارة الرياضية، وهما يتجهان عبر المستنقعات المالحة التي نقود إلى الساحل قالت السيدة ليفي وهي تشد الفرو المتطاير حول عنقها. «أعتزم إنشاء مؤسسة».

«فهمت. افترضي أن محامي السيد ايلمان حصّل النقود منا».

«لن يفعل. فالشاب المثالي في المصيدة» قالت بهدوء «صحيفة سوابق وتحريض على الشغب وسمعة سيئة».

«آه. فجأة توافقين على أن الشاب المثالي مجرم».

«من الواضح أنه كان وحده تماماً».

«لكنك أردت أن تبسطي يديك على المس تريكسي».

«هذا صحيح».

«حسناً، لن يكون هناك مؤسسة».

«ستكره سوزان وساندرا أن تعرفا بأن موقفك الرديء من العالم كاد أن يدمرهما، لأنك لا تخصص وقتاً للإشراف على شركتك الخاصة، هناك من يقاضينا على نصف مليون. ستبتئس البنتان من ذلك. كل ما قدم لهما هو الراحة المادية، سوزان وساندرا ستكرهان أن تعرفا أن نهايتهما إلى مومسات أو أسوأ».

«على الأقل يمكن أن تجنيا بعض المال من ذلك. بينما الحال الآن أنهما مومسات بالمجان».

«رجاء، غاس، ولا كلمة أخرى. حتى روحي التي جعلت متوحشة لا يزال فيها شيء من الحساسية لا أستطيع أن أدعك تسيء إلى سمعة البنتين بهذا الشكل». وتنهدت السيدة ليفي برضى. «فعلة إيبلمان هذا أخطر أغلاطك وأخطائك ومراوغاتك عبر السنين. سيتجعد شعر البنتين حين تقرآن عن ذلك. طبعاً لن أخفيهما إذا لم ترد مني ذلك».

«كم تريدين من أجل المؤسسة؟»

«لم أقرر بعد أن أضع الآن النظم والتعليمات».

«هل أستطيع أن أسأل ماذا ستسمي هذه المؤسسة غوغنهايم؟ أم مؤسسة سوزان وساندرا للترفيه عن ملاحي السفن؟»

«ستسمى مؤسسة ليون ليفي على شرف والدك. عليّ أن أفعل شيئاً ما لتمجيد اسم أبيك تعويضاً عما لم تفعله من أجل تمجيده. ستحيي الجوائز ذكرى ذاك الرجل العظيم».

«فهمت» بكلمات أخرى ستلقين أغصان النار على شيوخ بارزين فقط بوضاعتهم التي ليس مثلها وضاعة».

«رجاء، غاس». رفع السيدة ليفي يداً بقفاز «لقد تحمست البنتان لتقاريري عن مشروع المس تريكسي. والمؤسسة ستمنحها الإيمان باسمهما. عليّ أن أفعل كل ما أستطيع لأصحح إخفاقك الكلي كأب».

«الحصول على جائزة من مؤسسة ليون ليفي سيكون إهانة على الملأ. ستنشغلين إلى أبعد حد بدعاوى قذف السمعة دعاوى القذف من متقبلي هذه الجوائز. انس هذا الموضوع. ماذا حصل للعبة البريدج؟ لا يزال الناس يلعبونها. ألم يعد باستطاعتك أن تلعبي الغولف في ليكوود؟ خذي بعض الدروس الإضافية في الرقص. خذي المس تريكسي معك».

«للأمانة معك، المس تريكسي بدأت تضجرني في الأيام الأخيرة».

«إذن هذا هو سبب انتهاء دورة إعادة الشباب بشكل فجائي».

«فعلت كل ما أستطيع من أجل هذه المرأة. سوزان وساندرا فخورتان لأني حاولت أن أبقي عليها نشطة إلى هذا الحد».

«حسناً، لن يكون هناك مؤسسة ليون ليفي».

«أتغيظك؟ هناك استياء في صوتك. أستطيع سماعه. فيه عدوانية. غاس لمصلحتك. ذاك الدكتور في مبنى الفنون الطبية. مخلّص ليني. قبل فوات الأوان. الآن علي أن أسهر عليك كل دقيقة لأتأكد أنك حققت اتصالاً بهذا المجرم المثالي بأسرع ما يمكن. أعرفك. ستهمل الأمر، وسيكون لايبلمان شاحنة أمام استراحة ليفي ويأخذ كل ما فيها».

«بما فيها لوح التمارين».

«قلت لك من قبل» صرخت السيدة ليفي «دع اللوح لحاله». رتبت فروها المنفوش «الآن أمسك هذا الرايلي المعتوه قبل أن يأتي ايبلمان إلى هنا ويبدأ بأخذ طاسات هذه السيارة الرياضية. مع رجل كهذا، فإن ايبلمان لن يفلح بإقامة دعوى طبيب ليني بمقدوره أن يحلل رايلي وستضعه الولاية في مكان لا يستطيع فيه أن يدمر الناس. شكراً لله على أن سوزان وساندرا لن تعرفا أنهما كادتا أن تنتهيا إلى بيع دواء الصراصير من باب إلى باب. يمكن أن يتحطم قلباهما إذا عرفتا كيف أدار والداهما شؤون رفاهيتهما بمثل هذا الإهمال».



اتخذ جورج مقراً له في شارع بويدراس مواجهاً لمرآب باعة الفردوس المحدودة. لقد تذكر الاسم المكتوب على العربة وتعرف على عنوان مؤسسة البيع. أمضى طيلة الصباح منتظراً البائع الضخم الذي لم يظهر. لعله قد رمى بالرصاص لطعنه الجني في زقاق القرصان. وعند الظهيرة غادر جورج مكانه وانحدر إلى الحي ليأخذ الرزم من المس لي والآن وقد عاد إلى بويدراس متسائلاً فيما إذا سيظهر البائع. كان جورج قد قرر أن يكون لطيفاً معه، وأن يعطيه بضعة دولارات فوراً. لابد أن باعة الهات دوغ فقراء. وسيكون ممتناً لبضعة الدولارات. كان ذلك البائع واجهة ممتازة. ولن يعرف ماذا حصل. وهو أيضاً ذو ثقافة.

أخيراً بعد الساعة الواحدة تقريباً خرج من الترام رداء أبيض ودخل بسرعة إلى المرآب. وبعدة عدة دقائق خرج البائع الذي يشبه الكرة يدفع أمامه عربته على الرصيف. كان لا يزال يضع القرط والوشاح والسيف كما لاحظ جورج. لو أنه ترك كل ذلك في المرآب لعدّها إحدى وسائل تحايله. وبالمناسبة يمكنك أن تتبين، مع ذلك، أنه قد التحق بالمدرسة لمدة طويلة. ومن المحتمل أن هذا هو سبب الخلل فيه. وكان جورج من الحكمة بما فيه الكفاية لكونه غادر المدرسة بأسرع ما يمكن. لم يكن ليريد أن ينتهي نهاية هذا الشخص.

راقبه جورج يدفع العربة بضعة أقدام منحدراً. توقف ثم ألصق ورقة دفتر على مقدمة العربة. يستطيع جورج أن يلعب معه لعبة نفسية، سيحاول أن يستفيد إلى أقصى الحدود من ثقافة البائع. فبذلك وبالمال سيجعله يؤجره حجيرة الحلوى في عربته.

ومن ثم أخرج رجل مسن رأسه من المرآب، وركض خلف البائع وضربه على ظهره بشوكة طويلة.

«هيا امشي أيها القرد» صاح الرجل المسن «أنت متأخراً أصلاً وأصبح الوقت بعد الظهر. اليوم ستحقق ربحاً وإلا».

قال البائع كلاماً ما ببرود وهدوء. لم يستطع جورج أن يفهم إلا أنه أخذ وقتاً طويلاً.

«لا يهمني إن كانت أمك تأخذ مخدرات» قال الرجل السن «لا أريد أن أسمع مزيداً عن الهراء حول حادثة السيارة وعن أحلامك وعن صديقتك الملعونة. الآن هيا من هنا أيها القرد الكبير. أريد خمس دولارات منك اليوم كحد أدنى».

وبدفعة من الرجل المسن كرج البائع إلى المنعطف واختفى في شارع سانت تشارلز وبعد عودة الرجل المسن إلى المرآب تمشى جورج متعقباً العربة.

دفع أغناطيوس عربته عكس اتجاه المرور في شارع سانت تشارلز نحو الحي دون أن يعرف أنه متعقب. لقد سهر طويلاً الليلة الماضية يكتب في محاضرته عن مسيرة (الانطلاق)، فلم يستطع أن يغادر ملاءاته المصفرة حتى الظهيرة تقريباً وحدث ذلك فقط بعد أن أيقظه طرق أمه على بابه وصراخها. الآن وقد صار في الشارع فإن لديه مشكلة. فاليوم يوم افتتاح الكوميديا الرقيقة في (ركودرفام) كان قد استطاع استنزاف عشرة سنتات من أمه أجرة عودته إلى البيت، على الرغم من أنها ضنت عليه بها. وبشكل ما فإن عليه أن يبيع خمس أو ست هات دوغ بسرعة ويركن العربة في مكان ما ويذهب إلى تلك الصالة لتتشرب عيناه غير المصدقتين كل لحظة من اللحظات التجديفية الملونة.

لم يلاحظ أغناطيوس، وهو ضائع في تأملاته في أساليب استدراجه النقود، أن العربة لوقت غير ضئيل تسير في خط مستقيم لا يميل. وحين حاول أن يشده نحو المنعطف لم تلبه العربة في التوجه نحو اليمين أبداً. ورأى بعد أن توقف أن إحدى عجلات الدراجة قد نزلت في فجوة سكة الترام. حاول أن ينتزع العربة من الفجوة، إلا أنها كانت ثقيلة جداً لا يمكن رفعها. انحنى وحاول أن يرفعها من جانب واحد. وحين دس يديه تحت الإطار القصديري، سمع من خلال الضباب الخفيف رنين جرس عربة ترام قادمة. ظهرت على يديه تورمات شديدة، وانسد بوابه معدته بعد ارتعاش للحظة من اتخاذ قرار مذعور. رفع أغناطيوس بقسوة الإطار القصديري فانفلت إطار العجلة من فجوة السكة وتوازنت لثانية في الهواء ثم أصبحت أفقية مع انقلاب العربة

على جانبها الآخر. وانفتح أحد أبواب الحجيرات في العربة وسقطت منها بضعة قعط من الهات دوغ يتصاعد منها البخار على أرض الشارع.

«أوه يا إلهي» تمتم أغناطيوس لنفسه، وهو يراقب صورة عربة الترام تتشكل قريباً منه «أية ألعاب ماكرة تلعبها معي عجلة الحظ الآن؟»

تخلى أغناطيوس عن عربته وانحدر مع السكة باتجاه عربة الترام ورداؤه يهسهس فوق كاحليه. كانت عربة الترام ذات اللون الزيتوني والنحاسي تتجه ببطء نحوه، متمايلة مترنحة بلا مبالاة. حين رأى سائق العربة الشكل الكروي الأبيض الضخم يلهث فوق السكة داس على الكابح ليقف وفتح إحدى النوافذ الأمامية.

«أستميحك العذر يا سيدي» صاح القرط نحوه «إن انتظرت لحظة فسأحاول أن أسوي مركبتي العالقة».

رأى جورج في ذلك فرصته. ركض باتجاه أغناطيوس وقال له بابتهاج «هيا يا أستاذ فلنقم أنا وأنت بإبعاد هذه عن الشارع».

«آه يا إلهي» أرعد أغناطيوس «يا آلهة الانتقام الراشدة ما هذا اليوم الواحد، يظهر أني سأدهس بعربة ترام وأسرق في آن واحد مسجلاً الرقم القياسي للفردوس. ابتعد من هنا أيها القنفذ الضال».

«أمسك ذاك الجانب وأمسك أنا الجانب الآخر».

أخذت عربة الترام ترن منذرة.

«أوه، طيب» قال أغناطيوس أخيراً «في الواقع سأكون سعيداً جداً بأن أترك هذه المسؤولية السخيفة على جنبها هنا».

أمسك جورج بطرف قطعة نقانق وقال «من الأفضل أن تغلق هذا الباب الصغير قبل أن تسقط جميع النقانق».

رفس أغناطيوس الباب الصغير كما لو كان يلعب ليربح في لعبة محترفين لكرة القدم.

«هون عليك يا أستاذ ستكسر عربتك».

«اخرس أيها التلميذ الهارب. لم أطلب منك أن تجري محادثة معي».

«طيب» قال جورج وهو يهز كتفيه بلا مبالاة. «أعني إنما أحاول مساعدتك في إخراجها».

«كيف يمكن أن تساعدني؟» صاح أغناطيوس مكشراً عن ناب قاتم أو اثنين. «لا بد أن سلطة ما في المتجمع تتعقب رائحة كريم شعرك الخانقة. من أين جئت؟ لماذا تلاحقني؟»

«اسمع. تريدني أن أساعدك في رفع كومة الخردة هذه؟»

«كومة الخردة؟ هل تتكلم عن مركبة الفردوس؟»

علا رنين عربة الترام مرة أخرى.

«هيا» قال جورج «ارفع».

«آمل أنك تدرك» قال أغناطيوس وهو يرفع العربة مبهور النفس «أن تعاوننا هو نتيجة حالة طارئة».

توازنت العربة على عجلتيها ومحتويات التجويف القصديري تخفق بين جانبيها.

«حسناً يا أستاذ، هيا أنا سعيد لأني استطعت مساعدتك».

«في حالة أنك لم تلاحظ، أيها الحيوان الشارد، أنت على وشك أن تصدم بمصدم الترام هذا».

تحركت عربة الترام قربهما ببطء لكي يتمكن السائق والجابي من دراسة زي أغناطيوس عن قرب.

أمسك جورج بإحدى قبضتي أغناطيوس ودس فيها دولارين.

«نقود؟» سأل أغناطيوس بفرح «شكراً لله» ووضع قطعتي النقد بجيبه بسرعة. «لا داعي أن أسأل عن الدافع الخبيث لهذا، أحب أن أفكر أنك تحاول تعويضي بأسلوبك البسيط عن تشوه سمعتي في أول يوم قابض للصدر لي مع هذه العربة السخيفة».

«هذا هو يا أستاذ. عبر عن ذلك بأفضل مما أستطيع. أنت شخص مثقف حقاً».

«أوه؟» ابتهج أغناطيوس «يعقد عليك بعض الأمل. هات دوغ؟»

«لا . شكراً».

«إذن اعذرني سآخذ واحدة. نظامي البدني يتوسل من أجل المشهيات» نظر أغناطيوس في بئر عربته «يا إلهي الهات دوغ أصبح في فوضى كاملة».

بينما كان أغناطيوس يصفق أبواب الحجيرات مقحماً قبضتيه في البئر قال جورج «الآن وقد ساعدتك يا أستاذ يمكن أن تساعدني أنت بدورك».

«ربما» قال أغناطيوس بغير اهتمام وهو يعض على الهات دوغ.

«أترى هذه؟» أشار جورج إلى الرزم الملفوفة بورق بني التي يحملها تحت ذراعه «هذه مواد مدرسية. والآن هي مشكلتي. يجب أن آخذها من الموزع وقت الغداء. لكن لا أستطيع توزيعها على المدارس حتى يحين موعد إغلاقها. وهكذا علي أن أحملها وأتجول بها حوالي ساعتين. أتفهم؟ ما أبحث عنه هو مكان أضعها فيه بعد الظهر. الآن يمكن أن ألتقيك في مكان ما حوالي الواحدة وأضعها في إحدى حجيراتك وآتي وآخذها قبل الثالثة».

«ما أكذبك» تجشأ أغناطيوس «هل تتوقع جدياً أن أصدقك؟ توزع مواد مدرسية بعد أن تغلق المدارس؟»

«سأدفع دولارين في اليوم».

«ستفعل؟» سأل أغناطيوس باهتمام. «حسناً عليك أن تدفع أجرة أسبوع مقدماً، لا أتعامل بدفعات صغيرة».

فتح جورج محفظته وأعطى أغناطيوس ثمانية دولارات.

«اسمع. مع الدولارين اللذين أخذتهما يصبح معك عشرة للأسبوع».

وضع أغناطيوس قطع النقد الجديدة في جيبه فرحاً وسحب واحدة من الرزم من تحت ذراع جورج قائلاً «يجب أن أرى ماذا أخزن عندي. ربما أنت تبيع كرات بلهاء للأطفال».

«انتبه!» صاح جورج «لا أستطيع تسليم المادة إذا انفتحت».

«شيء مؤسف» أزاح أغناطيوس الولد ومزق اللفة البنية.

رأى كدسة مما ظهر وكأنه بطاقات صور بريدية «ما هذه؟ وسائل بصرية معينة لمادة التربية المدينة أو لأحد الموضوعات السخيفة الأخرى التي تدرس في الثانوي؟»

«أعطنيها يا أحمق».

«أوه، يا إلهي» حدق أغناطيوس بما رأى. مرة في المدرسة الثانوية أراه أحدهم صورة إباحية، فانطرح أمام براد ماء وجرح أذنه. وكانت هذه الصورة أكثر تفوقاً. امرأة عارية جالسة على طاولة إلى جانب نموذج للكرة الأرضية. أثار الجماع المقترح بإصبع طبشور فضول أغناطيوس. كان وجهها مختفياً وراء كتاب كبير. وبينما كان جورج يتجنب صفعات خفيفة من القبضة غير المشغولة دقق أغناطيوس النظر في العنوان على غلاف الكتاب: (أنيسيوس مانليوس سفيرنيوس بويشيوس. عزاء الفلسفة) «هل أصدق ما أرى؟» ما هذه الروعة، ما هذا الذوق، ما هذه البلية؟»

«أعدها لي» توسل جورج.

«هذه لي» وضع أغناطيوس الصورة في جيبه بارتياح. وأعاد الرزمة المفتوحة إلى جورج ونظر إلى قطعة الورق الممزقة ما بين أصابعه. كان عليها عنوان فوضعها أيضاً في جيبه «من أين حصلت على هذه؟ من تلك المرأة العبقرية؟»

«ليس شغلك».

«فهمت، عملية سرية» فكر أغناطيوس بالعنوان المكتوب على قطعة الورق، سيقوم ببعض التحقيقات بنفسه. امرأة مثقفة مدقعة كانت تقوم بأي شيء من أجل دولار لا بد أن رؤيتها للعالم حادة. إن كانت المادة التي تقرؤها دليلاً. قد تكون في حالة (الولد العامل) نفسها، نبيه وفيلسوفة مرمية، رمتها قوى لا قدرة لها عليها في هذا القرن العدواني. يجب أن يلتقيها أغناطيوس. قد يكون لديها بصيرة نافذة وقيمة. «حسناً، بالرغم من ريبتي، فإني أدع عربتي بين يديك. على كل حال يجب أن تراقب العربة بعد ظهر اليوم. عندي موعد ضروري طارئ».

«أي موعد؟ كم ستغيب؟».

«حوالي ساعتين».

«يجب أن أكون في طرف البلد في الثالثة».

«طيب ستتأخر قليلاً بعد ظهر اليوم» قال أغناطيوس بغضب. «أصلاً أنا أخفض مستواي بالتعاون معك وبإفساد حجيرات عربتي. يجب أن تسر لأني لم أوقع بك. عندي صديق عبقري في الشرطة. ماكر متخف، الشرطي مانكوزو. إنه يبحث عن فرصة مثل التي يمكن أن تقدمها له. اركع على ركبتيك وكن ممتناً لعطائي».

«مانكوزو؟ ألم يكن ذاك اسم العميل المتخفي الذي حاول توقيفه في المرحاض»، توترت أعصاب جورج.

«ما هيئة هذا الشرطي المتخفي صديقك؟» قال جورج من خياشيمه في محاولة لإظهار الشجاعة.

«إنه ضئيل، ومراوغ» كان صوت أغناطيوس ماكراً «يتخفى يتنكر بهيئات مختلفة هو سراب حقيقي، يركض هنا وهناك في بحثه الذي لا ينتهي عن النهّابين. اختار لفترة المرحاض للتخفي. لكنه الآن خارج في الشوارع حيث يبقى رهن إشارتي ويتصل بي في كل لحظة».

امتلأ عنق جورج بشيء ما يخنقه.

«هذه مصيدة» ابتلع جورج.

«يكفي هذا منك، يا ولد الأزقة. تشجع انحلال امرأة عالمة نبيلة». نبح أغناطيوس. يجب أن تقبل حاشية ردائي امتناناً لي لعدم تنبيهي شيرلوك مانكوزو إلى بضاعتك الشريرة. قابلني عند صالة الأورنيوم بعد ساعتين».

انتفخ أغناطيوس بعظمة متحدراً الشارع العام. ووضع جورج رزمتيه في حجيرة العربة وجلس عند المنعطف. كان ذلك حقاً حظاً أن يلتقي بصديق لمانكوزو. لقد خدعه ذلك البائع الضخم فعلاً. نظر إلى العربة بغضب. إنه الآن ليس عالقاً بالرزم فحسب. أصبح عالقاً بعربة هات دوغ كبيرة.

ألقى أغناطيوس المال أمام عامل الصندوق واخترق صالة الأورفيوم، متهادياً في الممر نحو أضواء مقدمة خشبة المسرح. كان توقيته دقيقاً جداً. كان الفيلم الثاني قد بدأ عرضه فوراً. كان الولد صاحب الصور الفوتوغرافية لقطة (لقية). تساءل أغناطيوس إن كان يستطيع أن يبتزه لمراقبة العربة بعد

كل ظهر. لقد استجاب الولد الشرير بالتأكيد لذكره صديقاً له في سلك الشرطة.

شخر أغناطيوس مزدرياً قائمة العاملين بالفيلم. كل من لهم علاقة بالفيلم متساوون في كونهم غير مقبولين منه. أحد مصممي المشاهد، بشكل خاص، قد روّعه كثيراً من المرات في الماضي. البطلة كانت أكثر إزعاجاً مما كانت في استعراض السيرك الموسيقي. فهي في هذا الفيلم كانت أمينة سر شابة ذكية يحاول رجل مسن ذو خبرة إغواءها. حملها بطائرة نفاثة خاصة إلى برمودا وأسكنها في جناح فندق. في ليلتهما الأولى اندفعت خارجة بسرعة لحظة فتح الخليع باب غرفة نومها.

«قذرة» صاح أغناطيوس ناثراً بُشاراً مبللاً فوق عدة صفوف. «كيف تجرؤ على التظاهر بأنها عذراء، انظر إلى وجهها المنحلّ، اغتصبُها!».

«صحيح أن عندهم ناساً مضحكين في حفلات بعد الظهر» قالت سيدة تحمل كيس مشتروات لرفيقتها. «فقط ألق نظرة عليه، في أذنه قرط».

ثم كان مشهد حب رقيق مثير، فأخذ أغناطيوس يفقد السيطرة على نفسه. أخذ يحس بنوبة هستيريا تطغى عليه. حاول أن يبقى صامتاً. لكنه اكتشف أنه غير قادر.

«إنهم يصورونهم من وراء عدة طبقات من الغلائل الرقيقة» جمجم أغناطيوس «آه. يا إلهي. من يستطيع تصديق شدة تغضن هذين الاثنين وقرفهما؟ أظن أني على وشك الغثيان. ألا يستطيع أحد في غرفة الإضاءة أن يقطع الكهرباء؟ أرجوكم».

قعقع بسيفه على ذراع الكرسي. قدمت إحدى الدليلات المسنات من الممر وحاولت أن تجرده من السيف، غير أن أغناطيوس صارعها، فانزلقت على البساط. نهضت ثم ابتعدت متثاقلة.

كانت البطلة، التي تعتقد أن شرفها موضوع الحديث، تحت وطأة أحلام جنون الارتياب حيث رأت نفسها راقدة في السرير مع خليعها. جُرَّ السرير عبر الشوارع وطفا فوق بركة سباحة في استراحة الفندق.

«يا للهول. أيفترض بهذه أن تكون كوميديا؟» طالب أغناطيوس بجواب في الظلمة «لم أضحك ولا مرة. لا تكاد عيناي تصدقان هذه الزبالة الملطخة بالألوان. يجب أن تجلد المرأة حتى تخر على الأرض. إنها تقوض حضارتنا. إنها عميلة شيوعية صينية أرسلت لتدمرنا. رجاء! ليقم أحد من ذوي الحشمة إلى صندوق قاطع الكهرباء. مئات من الناس في هذه الدار قد تشوهت أخلاقهم إذا كنا محظوظين جميعاً، تكون الأورفيوم قد نسيت دفع فاتورة الكهرباء».

وحينما انتهى الفيلم صاح أغناطيوس «بالرغم من وجهها الأميركي تماماً فإنها حقاً زهرة طوكيو؟».

رغب في البقاء ليشاهد عرضاً آخر، غير أنه تذكر اللقطة. لم يرد أغناطيوس أن يوجد شيئاً جيداً، فقد كان بحاجة إلى هذا الولد. داس على أكياس البُشار الأربعة الفارغة التي راكمها أمام مقعده خلال العرض. كان موهناً وهناً شديداً. وانفعالاته قد خارت. تثاقل في الممر لاهثاً ثم خرج إلى الشارع المضاء بنور الشمس. هناك عند موقف سيارات الأجرة في شارع روزفلت، كان جورج يراقب العربة بحرص.

«يا يسوع!» أزّ جورج «ظننت أنك لن تخرج من هناك أبداً. أي نوع من المواعيد كان عندك؟ أنت فقط ذهبت لتحضر فيلماً».

«أرجوك» تنهد أغناطيوس «لقد مررت بصدمة، اذهب. سألقاك في الواحدة تماماً غداً عند تقاطع شارعي القنال والملكي».

«أوكي، أستاذ» أخذ جورج رزمه وشرع في الابتعاد على مهل. «خلِّ فمك مغلقاً. هه؟».

«سنرى» قال أغناطيوس بحزم.

أكل قطعة هات دوغ بيدين مرتجفتين. وتلصص على الصورة في جيبه. كان القسم العلوي من جسم المرأة أكثر إشعاراً بالطمأنينة والمهابة. أتراها أستاذ تاريخ روماني تعيسة الحظ. أم أخصائية في العصور الوسطى مدمرة؟ لو أنها فقط تبدي وجهها. كان فيها جو من الوحشة والانعزال والتنسك

وسعادة شهوانية وعلمية فاتنة كل الفتنة. نظر إلى قصاصة الورق وإلى العنوان البسيط الوجيز. شارع بوربون. المرأة المخذولة كانت بين أيدي تجار مستغلين. ستكون شخصية مثيرة يدرجها في يومياته. فكر أغناطيوس بأن هذا العمل الخاص تنقصه الدائرة الشهوانية. إنه بحاجة إلى حقنة من التلميحات المثيرة للعاب. لعل اعترافات هذه المرأة يمكن أن تزوّقه بعض الشيء.

كرج أغناطيوس منحدراً في الحي، وفكر، في لحظة وحشية عابرة في علاقة جنسية. كيف ستقرض ميرنا طرف فنجان قهوة الأسبرسو بحسد. يمكن أن يصف كل لحظة شهوانية مع هذه المرأة العالمة. إنها بخلفيتها وبرؤيتها البويثية للعالم ستلقي نظرة رواقية وجبرية على جميع تصرفاته وتخبطاته الجنسية الخرقاء التي ارتكبها. ستكون متفهمة. «كوني لطيفة» يمكن أن يتأوه أغناطيوس أمامها. من المحتمل أن ميرنا هاجمت الجنس بالشدة والجدية التي أدت إلى الاحتجاج الاجتماعي. ما أشد ما ستكون مغمومة حين يصف لها أغناطيوس مسراته اللطيفة.

«أو أجرؤ؟» سأل أغناطيوس نفسه ورطم شارداً سيارة متوقفة بعربته، غارت يد العربة في معدته فتجشأ. لن يخبر المرأة كيف صادفها. أولاً سيبحث معها بويوثيوس. وستنبهر.

عثر أغناطيوس على العنوان وقال «أو يا إلهي، المرأة المسكينة بين أيدي عفاريت» تفحص واجهة ملهى ليل الحبور وشق ببصره الإعلان في الصندوق الزجاجي. قرأ:

روبرتا إ. لي

تقدم

هارليت أوهارا

الجميلة العذراء

(وحيوانها المنزلي)

مـن هارليـت أوهـارا؟ وأكثـر أهميـة أي نـوع مـن الحيـوان يكـون؟ كـان أغنـاطيوس مـستغرقاً في الـتفكير. جلس خائفـاً مـن اجتـذاب غـضب صـاحبة الملهى النازية، بغير ارتياح عند المنعطف وقرر أن ينتظر.

كانت لانالي تراقب دارلين والطائر. كانوا على استعداد تقريباً للافتتاح. لو أن دارلين تحسن تلاوة ذلك السطر. ابتعدت عن المسرح، وأعطت جونز تعليمات إضافية حول تنظيف ما تحت كراسي البار وذهبت لتنظر خارجة من فتحة الباب الزجاجية. لقد رأت من المشهد التمثيلي ما كفاها طيلة بعد الظهر. كان المشهد جيداً حقاً بأسلوبه الخاص. وكان جورج يجلب النقود بالتجارة الجديدة. تبدو الأشياء جميلة. وبدا أن جونز قد روّض أخيراً.

دفعت لانا الباب وفتحته وصارت باتجاه الشارع. «هـي. أنـت. ابتعـد عـن رصيفي أيها الشخص غريب الأطوار».

«أرجوك» أجاب صوت ثر من الشارع، متوقفاً للبحث عن عذر «إنما أريح قدمي المكسورتين تقريباً».

«رح وأرحهما في مكان آخر. أبعد هذه العربة التافهة عن واجهة شغلي».

«دعيني أؤكد لك أني لم أختر أن أنهار هنا أمام عرينك الذي يشبه غرفة الغاز. لم أعد إلى هنا بملء إرادتي. لقد توقفت قدماي عن أداء وظيفتهما بكل بساطة. لقد شللت».

«رح وانشلّ بعيداً، كل ما أحتاجه هو تسكعك هنا مرة أخرى لتفسد استثماري تبدو شاذاً بهذا القرط. سيظن الناس أن هذا ملهى مستهتر. هيا اذهب».

«لن يرتكب الناس مثل هذا الخطأ. بدون شك أنت تديرين أكثر الملاهي كآبة في المدينة. هل لي أن أسليك ببيع الهات دوغ؟».

قدمت دارين نحو الباب وقالت «حسناً. انظروا من هذا كيف حال أمك المسكينة».

«آه يا إلهي» صرخ أغناطيوس «لم قادتني عجلة الحظ إلى هذه المنطقة»؟

«هـي جـونـز!» نـادت لي «اتـرك قرقعـة هـذه المكنـسة وتعـال طـارد هـذه الشخصية بعيداً».

«آسف. راتب عمال الطرد يبدأ بخمسين دولاراً في الأسبوع».

«أكيد أنك تعامل أمك بقسوة» قالت دارين خارج الباب.

«لا أتخيل أن واحدة منكما يا سيدتي قد قرأت بويثيوس» تنهد أغناطيوس.

«لا تكلميه» قالت لانا لدارلين «إنه مغرور مأفون. جونز، سأعطيك ثانيتين لتخرج إلى هنا قبل أن أجعلهم يقبضون عليك عقوبة للبطالة، أنت وهذه الشخصية. لقد سئمت من المؤخرات الماكرة بشكل عام».

«الله يعلم أي شرطي راكب هائج سيحط علي ويضربني بلا رأفة» فكر أغناطيوس ببرود «لن تستطيعي إخافتي، لقد سبق أن أخذت حصتي من الصدمات لهذا اليوم».

«يا سلام..» قال جونز حين نظر خارج الباب «أم القبعة الخضراء. شخصياً. بلحمه ودمه».

«أرى أنك اتخذت قراراً حكيماً باستئجار زنجي مرعب ليحميك من زبائنك المخدوعين الغاضبين» قالت أم القبعة الخضراء للانالي.

«ادفعه بعيداً» قالت لانا لجونز.

«كيف تدفعين بفيل؟»

«انظروا إلى هذه النظارة السوداء. لا شك في أن جسمك يسبح بالمخدر».

«ادخلي بحق الجحيم» قالت لانا لدارلين التي كانت تحدق في أغناطيوس. دفعت دارلين وقالت لجونز «أوكي. خذه».

«اسحب سكينتك واشرطني» قال أغناطيوس بينما كانت لانا ودارلين تدخلان «رش وجهي بسائل الغلي. اطعني. لا يمكنك أن تدرك، طبعاً، أن اهتمامي بالحقوق المدنية هو الذي قادني إلى أن أصبح بائع نقانق كسيحاً. خسرت موقعاً ناجحاً بسبب موقفي من المسألة العرقية. قدماي المكسورتان هما النتيجة غير المباشرة لضميري الاجتماعي الحساس».

«طردت بناطيل ليفي مؤخرتك لمحاولتك إيقاع الملونين المساكين في السجن أليس كذلك؟»

«كيف علمت بذلك؟» سأل أغناطيوس باحتراس «هل كنت متورطاً بهذا الانقلاب المجهض»؟

«لا سمعت الناس يتكلمون».

«سمعت؟» سأل أغناطيوس باهتمام. هكذا أنا معروف. لم أكن لأظن أني سأصبح أسطورة. ربما تخليت عن تلك الحركة بسرعة أكثر من اللازم، كان أغناطيوس مبتهجاً هذا اليوم يتطور إلى يوم بهيج بعد كثير من الأيام الكئيبة، لعلني أصبحت شهيداً من النوع الرديء.

تجشأ. «هل تحب أن تأخذ قطعة هات دوغ؟ أنا أقدم الخدمة اللطيفة نفسها لجميع الألوان والديانات. شركة باعة الفردوس كانت دائماً رائدة في ميدان تأمين وسائل الراحة».

«كيف أن قطاً أبيض مثلك، يتكلم بهذه الجودة، يبيع النقانق؟»

«رجاء أنفث دخانك في مكان آخر، جهازي التنفسي ضعيف، مع الأسف، أظن أنني نتيجة حمل مريض بشكل خاص من جهة والدي. يحتمل أن حيواناته المنوية كانت تقذف بأسلوب فج».

هذا هو الحظ. فكر جونز. سقطت الأم السمينة من السماء لحظة حاجته الماسة إليه.

«أنت لا تستخدم عقلك. يجب أن يكون لديك عمل جيد. سيارة بويك كبيرة وكل هذا الهراء. مكيف هواء، تلفزيون ملون..».

«لدي وظيفة مسلية» أجاب أغناطيوس ببرود «عمل في الهواء الطلق. وبدون رئيس. الضغط الوحيد هو على الأقدام».

«لو كنت ذهبت للكلية ما كنت أجر عربة لحم وأبيع الناس زبالة وهراء».

«رجاءً. منتجات الفردوس هي من أحسن النوعيات» ضرب أغناطيوس بسيفه على الحاجز «من يعمل في هذا الملهى المريب ليس مؤهلاً أن يناقش وظائف الآخرين».

«هراء. تظن أن أحب ليل الحبور؟ أتمنى مكاناً آخر. أحب مكاناً آخر جيداً. أرجوك وظفني، أعطني راتباً أحيا به».

«تماماً كما فكرت» قال أغناطيوس غاضباً «بعبارة أخرى تريد أن تصبح بورجوازياً. بشكل كامل. أنتم يا ناس مغسولي الدماغ. أتصور أنك تريد أن تصبح ناجحاً أو شيئاً تافهاً من هذا القبيل».

«الآن فهمتني».

«في الواقع ليس لدي وقت لمناقشة أخطاء أحكام قيمك. على كل حال أريد بعض المعلومات منك. هل عندكم بالمصادفة امرأة في هذا العرين هاوية للقراءة؟»

«نعم دائماً تسرب لي شيئاً أقرؤه. وتقول لي إني أتحسن. وهي محتشمة جداً».

«آه يا إلهي» لمعت العينان الزرقاوان الصفراوان «أهناك طريقة للاجتماع بهذه الماسة الغالية؟».

تعجب جونز فيم كل هذا. وقال «تريد أن تراها، تعال إلى هنا إحدى الليالي، وستراها ترقص مع حيوانها المنزلي».

«يا للهول. لا تقل لي إنها هارليت أوهارا».

«نعم إنها هارليت أوهارا صح».

«بويثيوس زائد حيوان منزلي» تمتم أغناطيوس «أي اكتشاف».

«ستفتتح خلال يومين أو ثلاثة، يا رجل. يجب أن تأتي بمؤخرتك إلى هناك. هذا أحلى عرض رأيته في حياتي».

«أبمقدوري أن أتخيل» قال أغناطيوس بوقار. نقد ذكي للجنوب القديم المتفسخ يلقى أمام الجمهور الجاهل والجدير بالازدراء في ملهى ليل الحبور. مسكينة هارليت. «قل لي أي نوع من الحيوانات لديها»؟.

«لا أستطيع أن أقول يا رجل، يجب أن ترى بنفسك. هذا المشهد مفاجأة كبيرة. عند هارلا شيء تقوله أيضاً. هذا ليس مشهد تعرٍ عادي. هارلا تتكلم».

يا للسموات. لا بد أن يكون تعليقاً قاطعاً لا يفهم أحد من جمهورها. يجب أن يرى هارليت. يجب أن يتواصلا.

«هناك شيء واحد أود أن أعرفه يا سيدي» قال أغناطيوس «هل صاحبة هذه البالوعة النازية هنا في كل ليلة»؟

«من؟ مس لي؟ لا». ابتسم جونز لنفسه، التخريب يسير بدقة تامة. الأم السمينة تريد حقاً أن تأتي إلى ليل الحبور. «هي تقول هارلا أو هورو ممتازة، عطية، وهي ليست مضطرة أن تأتي في كل ليلة للإشراف. تقول إنها بعد أن تفتتح هارلا. فستأخذ إجازة إلى كاليفورنيا».

«أي حظ» دمدم أغناطيوس «حسناً. سأكون هنا لأرى عرض الآنسة أوهارا. يمكنك أن تحجز لي بصورة سرية مائدة قريبة من المسرح. يجب أن أسمع وأشاهد كل ما تفعله».

«سنرحب بك ترحيباً حقيقياً يا رجل. جرَّ مؤخرتك إلى هنا خلال يومين. نقدم لك أفضل الخدمات في المحل».

«جونز هل تتحدث مع تلك الشخصية أم ماذا؟» سألت لانا من على الباب.

«لا تقلقي» أخبرها أغناطيوس «أنا ماش. أحدبك أرعبني كل الرعب. لن أرتكب حتى خطأ المرور من أمام زريبة الخنازير التافهة هذه».

«عال» قالت لانا وصفقت الباب.

رمق أغناطيوس جونز بنظرة تآمرية.

«اسمع» قال جونز «قبل أن تذهب. قل لي شيئاً. ما تظن أن بمقدور قط ملون أن يفعل ليتوقف عن كونه عاطلاً عن العمل أو عاملاً بأجر دون الحد الأدنى؟».

«رجاء» أخذ أغناطيوس يبحث من خلال دخانه عن الحاجز ليرفع نفسه «من المحتمل أنك لا تدرك كم أنت مشوش، أحكام القيمة عندك كلها خاطئة. حين تبلغ القمة أو أي مكان تريد الوصول إليه، فستصاب بهبوط عصبي أو ما هو أسوأ، هل سمعت عن أي زنجي مصاب بقرحة. طبعاً لا. عش راضياً في كوخ ما. أشكر عجلة الحظ على أنه ليس لديك والد أبيض يطاردك. أقرأ بويثيوس».

«من؟ أقرأ ماذا؟».

«بويثيوس، سيريك أن الكفاح بلا معنى إطلاقاً، وأن علينا أن نتعلم التسليم. اسأل الآنسة أوهارا عنه».

«اسمع. هل تحب أن تكون عاطلاً عن العمل نصف الوقت؟»

«رائع. أنا نفسي كنت عاطلاً في أيام أفضل وأكثر سعادة. لو كنت في مكانك. سأتحرك في غرفتي مرة واحدة في الشهر لأبحث عن شيك المساعدة الاجتماعية في صندوق البريد. تفهم حظك الجيد».

الأم السمينة مصادفة عجيبة. والناس المساكين في بناطيل ليفي كانوا محظوظين لأنهم لم ينتهوا في أنغولا.

«طيب احرص على أن تأتي إلى هنا بعد ليلتين» ونفث جونز سحابة على القرط «ستجد هارلا تقوم بعرضها».

«سآتي معلقاً أجراساً» قال أغناطيوس بسعادة. كم ستصر ميرنا على أسنانها.

«واوو» مشى جونز باتجاه مقدمة العربة وتفحص ورقة الدفتر الملصوقة «يبدو أن أحداً يلعب معك».

«هذه مجرد وسيلة تحايل تجارية».

«من الأفضل أن تفحصها ثانية».

تهادى أغناطيوس ليتفقد ورأى أن الولد المتشرد زين علاقة الاثني عشر إنشاً للفردوس بتشكيله من الخصيات.

«آه يا إلهي» انتزع أغناطيوس الورقة المغطاة بطعم القلم الناشف. «هل كنت أدفع بهذه؟».

«سأكون على باب الملهى بانتظارك» قال جونز.

«لوح أغناطيوس بكف سعيد ومضى متثاقلاً. أخيراً أصبح لديه سبب لكسب المال. هارليت أوهارا. وجه مقدمة العربة العارية نحو رصيف عبارة الجزائر، حيث يتجمع مفرغو المراكب في الأصال. قاد عربته منادياً، مستعطفاً عبر حشد الرجال ونجح في بيع كل ما معه من هات دوغ، وهو

يضيف رب البندورة والخردل إلى بضاعته بتهذيب ونشاط وبطاقة رجل إطفاء.

أي يوم رائع. كانت إشارات عجلة الحظ أكثر من واعدة. تلقى المستر كلايد المستغرب تحيات مرحة وعشرة دولارات من البائع رايلي. وصعد أغناطيوس إلى عربة الترام بقلب سعيد ورداء مليء بأوراق نقدية حصل عليها من الولد المتشرد وآكلي النقانق».

دخل البيت ووجد أمه تتحدث بهدوء على الهاتف.

«كنت أفكر بما قلته» كانت السيدة رايلي تهمس في السماعة «أعتقد أنها ليست فكرة سيئة. على كل حال، يا حبيبتي، تعرفين ما أعني».

«طبعاً ليست سيئة» أجابت سانتا «هؤلاء الناس في المشفى الخيري يمكن أن يقدموا لأغناطيوس بعض الراحة. كلود لا يريد أي أغناطيوس حوله. يا حبيبتي».

«هو معجب بي إذن؟».

«معجب؟ اتصل بي هذا الصباح لأسألك إذا كنت تفكرين بالزواج مرة ثانية. يا إلهي قلت له، كلود يجب أن تطلب الزواج. كلاكما عنده الوداد إن كنت أعرف الوداد. الرجل المسكين يائس من الوحدة.

«بالتأكيد هو يراعي مشاعر الآخرين تنفست السيدة رايلي داخل السماعة. لكنه بعض الأحيان يثير أعصابي بهؤلاء الشيوعيين».

«عن ماذا تتكلمين؟» أرعد أغناطيوس في الصالة.

«يا للمسيح» قالت سانتا «يظهر أن أغناطيوس عاد إلى البيت».

«ش ش» قالت السيدة رايلي داخل السماعة.

«طيب اسمعي يا حبيبتي. بمجرد أن يتزوج كلود سيتوقف عن التفكير بالشيوعيين. ذهنه غير مشغول هذه هي مشكلته. قدمي له بعض الحب».

«سانتا!»

«يا للهول» هدر «أتتكلمين مع هذه الباتاغاليا المومس».

«اخرس يا ولد».

«الأفضل أن تضربي هذا الأغناطيوس على رأسه» قالت سانتا.

«ليته كانت لدي القوة يا حبيبتي» أجابت السيدة رايلي.

«أوه إيرين كدت أنسى أن أخبرك. جاء أنجلو إلى هنا هذا الصباح من أجل فنجان قهوة. بالكاد عرفته يجب أن تريه بهذه البذلة الصوفية. بدا لي مثل حصان السيدة استور مسكين أنجلو. مؤكد أنه يعمل بجد. الآن هو يزور الملاهي الراقية كما يقول. من الأفضل له أن يقبض على شخصية ما».

«أليس هذا محزناً» قالت السيدة رايلي بحزن «ما الذي سيفعله إذا ما طرد من الخدمة؟ ومعه ثلاثة أطفال يعيلهم».

«هناك فرص عند باعة الفردوس تتحدى الرجال ذوي المبادرة والذوق السليم» قال أغناطيوس.

«اسمعي هذا الأحمق» قالت سانتا «أو، ايرين من الأفضل أن تتصلي بالمشفى الخيري يا حبيبتي».

«يجب أن نعطيه فرصة أخرى ربما ربح الجائزة الكبرى».

«لا أدري لماذا أزعج نفسي بالحديث معك يا بنت» تنهدت سانتا بصخب «سأراك إذن الليلة حوالي السابعة. قال كلود أنه سيكون هنا. تعالي خذينا ونذهب إلى البحيرة لنحصل على بعض السمك. أنتم يا أولاد محظوظون لأن لديكم وصيفة مثلي. كلاكما تحتاجان إلى واحدة، خصوصاً وكلود موجود».

قهقهت سانتا بصوت أقوى من العادة ووضعت السماعة.

«حول ماذا كنتما أنت وهذه القوادة تثرثران؟» سأل أغناطيوس:

«اخرس».

«شكراً. أرى أن الأشياء هنا مبهجة كما كانت دائماً».

«كم من النقود جلبت اليوم؟ ربع دولار؟» صرخت السيدة رايلي. قفزت ودست يدها في إحدى جيوب الرداء وسحبت الصورة المتألقة «أغناطيوس!».

«أعطنيها» أرعد أغناطيوس «كيف تجرؤين على تلويث الصورة الرائعة بيديك الملطختين بالخمر».

ألقت السيدة رايلي نظرة خاطفة على الصورة مرة ثانية ثم أغلقت عينها. نفرت دمعة من تحت أجفانها المغلقة «عرفت أنك حين بدأت تبيع النقانق ستصاحب أمثال هذه».

«ماذا تعنين أمثال هذه؟» سأل أغناطيوس بغضب واضعاً الصورة في جيبه «هذه امرأة رائعة أسيئت معاملتها. تكلمي عنها باحترام وتوقير».

«لا أريد أن أتكلم أبداً» نشقت السيدة رايلي. أجفانها لا تزال مختومة. «اذهب لغرفتك واكتب مزيداً من الحماقة» رن الهاتف «يجب أن يكون هذا هو السيد ليفي لقد اتصل سابقاً مرتين اليوم».

«السيد ليفي، ماذا يريد هذا الوحش؟».

«لم يقل اذهب يا مجنون وأجبه. ارفع السماعة».

«حسناً، أنا بالتأكيد لا أريد أن أكلمه» أرعد أغناطيوس. رفع السماعة وبصوت يفترض أنه غني بلهجة (ماي فير ليدي) اللندنية «أجل».

«السيد رايلي؟ سأل رجل.

«السيد رايلي ليس هنا».

«هنا غاس ليفي» وكان في الخلفية صوت امرأة يقول، «لنر ما ستقول. فرصة أخرى ضاعت في البالوعة، المعتوه هرب».

«أنا شديد الأسف» قال أغناطيوس كمن يتلو بياناً «لقد دعي السيد رايلي إلى خارج المدينة بعد ظهر اليوم لأمر شديد الأهمية. في الواقع، هو في مستشفى الولاية للأمراض العقلية في ماندفيل. منذ أن فصل بفظاظة بمعرفتك، صار عليه أن يقوم برحلات يومية من وإلى ماندفيل، بانتظام. لقد انخدشت أناه بشكل سيئ. يمكن أن تأتيك فواتير محلله النفسي. إنها صاعقة إلى حد ما».

«أصيب بانهيار عقلي؟»

«بشكل عنيف وكلي. عانينا منه بعض الوقت هنا. المرة الأولى التي ذهب فيها إلى ماندفيل كان يجب أن ينقل بسيارة مصفحة. وكما تعرف كتلته البدنية ضخمة تقريباً. وبعد ظهر اليوم، على كل حال، غادر بسيارة إسعاف شرطة الولاية».

«هل يستقبل زواراً في ماندفيل؟»

«طبعاً قد سيارتك إليه لتراه، وخذ له معك بعض الكعك».

خبط أغناطيوس سماعة التلفون وضغط على كف أمه التي كانت لا تزال تنشق مغمضة العينين، بربع دولار. وتخطر نحو غرفته. وقبل أن يدخل توقف ليسوي وضع لافتته (السلام لذوي النوايا الطيبة) التي كان قد سمرها على الخشب المقشور.

كل العلامات تشير إلى الأعلى، عجلة حظه كانت تدوّم باتجاه السماء.



كان هناك موجة من الإثارة. الزعيق المسعور لصفارة ساعي البريد المصم، صوت شاحنة البريد المتفجر خارجاً في شارع استانبول. صراخ أمه الهائجة. نداء ألمس آني على ساعي البريد بأن صفارته قد أرعبتها - كل ذلك عرقل ارتداء أغناطيوس لملابسه استعداداً لمسيرة الانطلاق. وقد وصل استلام البريد واندفع عائداً إلى غرفته، مقفلاً بابه.

«ما الأمر يا ولد؟» سألت السيدة رايلي في الصالة.

نظر أغناطيوس إلى ختم [بريد جوي. توصيل خاص] على الظرف البني وإلى التوسلات الصغيرة المكتوبة بخط اليد «سريع» و«عاجل».

«أوه، يا إلهي» قال بسعادة «لا بد أن مينكوف الوقحة خارجة عن طورها».

فض المغلف وفتحه وسحب منه الرسالة.

[سادني:

هل حقاً أنك أرسلت لي هذه البرقية، أغناطيوس؟

- ميرنا. شكلي لجنة مركزية لحزب السلام في المنطقة الشمالية الشرقية فوراً. نقطة. نظمي على كل مستوى. نقطة. جنّدي اللواطيين فقط. نقطة. الجنس في السياسة. نقطة. التفاصيل ستلي. نقطة. أغناطيوس الرئيس الوطني. نقطة).

ماذا يعني هذا أغناطيوس؟ أتريد حقاً أن أجند الكادحين؟ من يرغب في تسجيل اسمه في قائمة اللواطيين؟ أغناطيوس. أنا قلقة جداً. أتخالط بعض الشاذين؟ كان يمكن أن أخمن أن ذلك قد يحدث. خيالات جنون الارتياب بعد محاولة القبض عليك والحادثة كانت المؤشر الأول. الآن كل شيء أصبح واضحاً. إن منافذك الجنسية الطبيعية قد سدت لزمن طويل ولذلك فإن الفيض الجنسي يتسرب خارجاً من خلال القنوات الخطأ. منذ التخيلات، التي كانت بداية الأمر كله، كنت تمر في فترة أزمة بلغت أوجها بانحراف جنسي علني. كنت قادرة أن أتنبأ بأنك ستقع عاجلاً أو آجلاً. الآن وقد حدث الأمر. فإن أعضاء فريق المعالجة الذي أشرف عليه سيكتئبون حين يسمعون

أن حالتك قد انعطفت نحو الأسوأ. أرجوك غادر تلك المدينة المتآكلة وتعال نحو الشمال. اتصل بي بالهاتف وسأدفع أجر المكالمة إذا رغبت ونستطيع أن نتحدث حول مشكلة التكيف الجنسي الذي تعاني منه. يجب أن تعالج فوراً وإلا ستتحول إلى لوطي مضحك].

«كيف تجرؤ؟» صاح أغناطيوس.

[ماذا حل بحزب الحق الإلهي؟ عندي بعض الناس المستعدين للانضمام إليه لا أدري إذا كانوا سينساقون في موضوع اللواط، على الرغم من أنني أرى أننا يمكن أن نستخدم حزب اللواطيين لتصريف المتطرفين الفاشيست. ربما استطعنا أن نشق الجناح اليميني شقين. إلا أنني لا أعتقد أن تلك الفكرة جيدة أبداً. افترض أن شخصاً غير لواطي رغب في الانضمام ونحن رفضنا. سنتهم بأننا متحيزون وينهار كل ما بيننا. أخشى أن المحاضرة لم تكن ناجحة تماماً، صحيح أنها حققت نجاحاً عالياً - ولكنه كان عالياً فوق رؤوس الناس. كان هناك اثنان أو ثلاثة من متوسطي العمر بين الحضور حاولوا أن يضايقوني بتلك التعليقات العدوانية. إلا أن اثنين من أصدقائي من جماعة فريق المعالجة بادلوهما العدوانية بالعدوانية وأخيراً طرد أولئك الرجعيون خارج القاعة. تماماً كما توقعت، أنني كنت متقدمة جداً على الحاضرين من ذلك الجوار. أونغا لم يحضر، ذلك التافه. ومن جهتي أستطيع أن أقول إن بإمكانهم أن يعيدوه إلى إفريقيا. ظننت حقاً أن ذلك الشخص كان مقدراً له النجاح. من الظاهر أنه لا يبالي أبداً بالسياسة. لقد وعدني أنه سيحضر، هذا اللعين أغناطيوس، لا تبدو لي خطة اللواط عملية أبداً. بالإضافة إلى أني أظن أنها مجرد بيان خطير عن انهيار صحتك العقلية. لا أعرف كيف يمكنني أن أخبر جماعتي فريق المعالجة بهذا التطور المشؤوم - مهما كان متوقعاً. أعضاء الفريق جميعهم يمدون يد المساعدة إليك. وبعضهم يشعر بشعورك. إن تذهب، يمكن أن يذهبوا أيضاً. أنا بحاجة إلى اتصال منك. أرجوك اطلبني على الهاتف وأنا أدفع الأجر في أي وقت بعد السادسة مساءً. أنا جداً جداً قلقة.

م مينكوف]

«إنها مشوشة كلية» قال أغناطيوس بفرح «لننتظر حتى تسمع عن لقائي الرائع بالمس أوهارا».

«أغناطيوس، ماذا جاءك؟».

«مراسلة من ميرنا الوقحة».

«ماذا تريد تلك الفتاة؟»

«إنها تهدد بالانتحار ما لم أقسم لها بأن قلبي لها وحدها!».

«أليس هذا بشعاً. أراهن أنك كنت تقول لهذه البنت المسكينة كذبات كثيرة. أنا أعرفك، أغناطيوس».

كانت تُسمع خلف الباب أصوات ارتداء ملابس، شيء ما سمع وكأنه قطعة معدن سقطت على الأرض.

«إلى أين أنت ذاهب؟» سألت السيدة رايلي الدهان المقشر.

«أرجوك يا أمي» أجابها صوتٍ جهير عميق «أنا مستعجل. كفاكِ مضايقة لي، رجاء».

«يمكنك أن تبقى في المنزل طيلة اليوم بسبب هذه النقود التي تجلبها» صاحت السيدة رايلي على الباب «كيف يمكن أن أؤمن دفع فاتورة ذلك الرجل»؟

«أتمنى لو أنك تتركينني وحدي. سأحاضر في لقاء سياسي هذه الليلة، وعليَّ أن أنظم أفكاري».

«لقاء سياسي؟ أغناطيوس! أليس هذا رائعاً. ربما تنجح في السياسة يا ولد. لديك صوت لطيف، في أي ناد يا حبيبي؟ ديموقراطيو كريسنتت سيتي؟ المنتظمون القدماء؟».

«الحزب سري في هذه الآونة».

«أي نوع من الأحزاب السياسية هذا الحزب السري؟» سألت السيدة رايلي مرتابة «هل ستتحدث مع جماعة من الشيوعيين؟».

«هو.. هام!».

«أحدهم أعطاني كتيبات عن الشيوعية، يا ولد. كنت أقرأ كل شيء عن الشيوعيين. لا تحاول أن تستغبيني. أغناطيوس».

«نعم رأيت أحد هذه الكتيبات في الصالة بعد ظهر اليوم. أنت إما ألقيته هناك بقصد أني يمكن أن أستفيد من مقولاته. أو أنك رميته عرضاً خلال العربدة الخمرية المنتظمة بعد الظهر معتقدة أنه قصاصة ورق ضخمة. أتصور أن عينيك تعانيان من مشكلة تركيز البؤرة عند حوالي الثانية بعد الظهر. على كلٍ تصفحت ذلك الكتيب. وهو يكاد يكون أمياً بشكل كامل. الله يعرف من أين تأتين بزبالة كهذه. ربما من عند العجوز التي تبيع حلويات الجوز واللوز عند المقبرة. حسناً. لست شيوعياً.. لذا دعيني وحدي».

«أغناطيوس» ألا تظن أنك ستكون سعيداً إذا ذهبت واسترحت قليلاً في مشفى خيري؟

«أتلمحين إلى جناح الطب النفسي في صورة ما؟» سأل أغناطيوس بغضب «أتظنين أني مجنون؟ هل تظنين أن محللاً نفسياً غبياً يمكنه أن يحاول سبر غور عقلي؟».

«تستطيع أن ترتاح فقط، يا حبيبي، يمكنك أن تكتب شيئاً ما في دفاترك الصغيرة».

«سيحاولون أن يجعلوني غبياً يحب التلفزيون والسيارات الجديدة والطعام المجمد. ألا تفهمين؟ التحليل النفسي أسوأ من الشيوعية. أرفض أن يُغسل دماغي. لا أريد أن أتحول إلى إنسان آلي!».

«لكن أغناطيوس، لقد ساعدوا كثيرين ممن عانوا مشاكل».

«هل تظنين أن عندي مشكلة؟» صاح أغناطيوس «المشكلة الوحيدة التي عند هؤلاء الناس على كل حال، هي أنهم لا يحبون السيارات الجديدة والمواد المثبتة للشعر. لهذا حجروا عليهم إنهم يجعلون أعضاء المجتمع الآخرين مخيفين. كل ملجأ في هذه الدولة ملآن بالأرواح المسكينة التي لا تتحمل اللانولين والسيلوفان، والبلاستيك، والتلفزيون، وما يتفرع عنها».

«أغناطيوس، هذا ليس صحيحاً، تتذكر السيد بيكنل المسن الذي كان يعيش قريباً من هنا؟ لقد أقفلوا عليه لأنه كان يركض عارياً في الشوارع».

«طبعاً كان يركض عارياً في الشوارع. لم يعد جلده يتحمل مزيداً من ملابس الداكرون والنايلون التي كانت تسد مسامّه. كنت دائماً أعتبر السيد بيكنل أحد شهداء عصرنا. لقد احتالوا على الرجل المسكين احتيالاً بشعاً. أسرعي الآن إلى الباب الأمامي وانظري إذا كانت سيارة الأجرة قد وصلت».

«من أين لك المال لسيارة أجرة؟».

«أحتفظ ببعض البنسات المخبأة في فراشي» أجاب أغناطيوس.

كان قد ابتز عشرة دولارات أخرى من الولد وأجبر ذلك المتشرد على حراسة عربته بينما قضى كل بعد الظهيرة في شارع لوي ستيت يشاهد فيلماً عن سباق سيارات سريعة يقودها مراهقون. كان ولد الأزقة اكتشافاً بكل تأكيد. منحة من عجلة الحظ لتعوض عن كل دوراتها السيئة «اذهبي وتلصصي من خلف النافذة».

صرّ الباب وانفتح وظهر أغناطيوس بحلة القرصان.

«أغناطيوس!»

«فكرت في أن رد فعلك سيكون هكذا ولهذا احتفظت بكل المعدات مخبأة في شركة باعة الفردوس المحدودة».

«كان أنجلو على حق» صرخت السيدة رايلي. «كنت تتجول في الشوارع ترتدي ملابس مهرجي ثلاثاء المرفع كل الوقت».

«وشاح هنا، وسيف هناك. علامة أو أكثر من علامات الأناقة والذوق. هذا كل شيء. والتأثير العام أقرب إلى السحر».

«لا يمكنك الخروج بهذا الشكل» صاحت السيدة رايلي.

«رجاء لا أريد مشهداً هستيرياً آخر، ستطردين كل الأفكار التي تجول في ذهني حول المحاضرة».

«ارجع إلى الغرفة، يا ولد» وأخذت السيدة رايلي تضرب أغناطيوس على ذراعيه «ارجع إلى هناك. أنا لا ألعب هذه المرة، يا ولد، لا يمكن أن تبهدلني هكذا».

«يا للسماء! أمي توقفي عن ذلك. لن أكون في حالة ملائمة لخطابي».

«أي نوع من الخطب ستلقي؟ إلى أين أنت ذاهب أغناطيوس؟ قل لي يا ولد» وصفعت السيدة رايلي ولدها على خده «لن تغادر هذا البيت يا مجنون».

«أوه يا إلهي! هل جننت؟ ابتعدي عني فوراً. آمل أنك لاحظت هذا السيف الأحدب يتدلى من بذلتي».

نزلت صفعة على الأنف وأخرى حطت على عينه اليمنى. ترنح عبر الصالة ودفع مصراعي الباب وركض إلى باحة الدار.

«ارجع إلى هذا البيت» صرخت السيدة رايلي من على الباب الأمامي «لن تذهب إلى أي مكان، أغناطيوس».

«أتحداك أن تخرجي بقميص النوم الممزق هذا وتلحقي بي!». أجابها أغناطيوس متحدياً وأخرج لها لسانه القرمزي الكبير.

«ارجع إلى هنا أغناطيوس».

«خلصانا أنتما الاثنان» صرخت ألمس آني من خلف نافذتها أعصابي تلفت تماماً.

«انظري إلى أغناطيوس» نادتها السيدة رايلي «أليس هذا بشعاً؟».

كان أغناطيوس يلوح لأمه من على الرصيف الآجري، وقرطه يعكس أشعة من أنوار الشارع.

«أغناطيوس تعال هنا مثل الأولاد الطيبين» توسلت السيدة رايلي.

«لقد سبق وأصبت بالصداع من صفارة ساعي البريد الملعون». هددت ألمس آني بصوت عالٍ. سأتصل بالشرطة في هذه اللحظة.

«أغناطيوس صاحت السيدة رايلي لكن الأوان قد فات. كانت سيارة أجرة تنطلق قرب المبنى. لوح أغناطيوس لحظة ركضت أمه ناسية ثوب النوم الممزق إلى المنعطف. صفق أغناطيوس الباب الخلفي في مواجهة شعر أمه المحنّى ونبح بعنوان على السائق. ضرب بالسيف على يدي أمه وأمر السائق بالمسير فوراً. أقلعت السيارة بسرعة قاذفة بعض حصوات الزقاق التي تلقتها رجلا السيدة رايلي عبر ثوب نومها النايلون. راقبت الأضواء الخلفية الحمراء للحظة، ثم ركضت راجعة إلى البيت لتتصل بسانتا هاتفياً».

«أذاهب إلى حفلة تنكرية يا شاب» سأل السائق أغناطيوس وهما ينعطفان عند شارع سان تشارلز.

«دع نظرك إلى الأمام وتكلم حين يوجه إليك الكلام» أرعد أغناطيوس.

لم ينبس السائق بشيء آخر خلال المرحلة، إلا أن أغناطيوس أخذ يتدرب على خطابه بصوت عال في المقعد الخلفي ضارباً بسيفه المقعد الأمامي للتأكيد على نقاط أساسية.

عند شارع سانت بيتر نزل وسمع ضجة خافتة لكنها مجنونة لغناء وضحك آتيين من البناء الأصفر ذي الطوابق الثلاث. كان أحد الأغنياء الفرنسيين قد بنى ذلك المنزل في أواخر القرن الثامن عشر ليُسكن فيه زوجة وأطفالاً وعمات عوانس وقد خُزنت العمات في ملحق في أعلى البناء مع قطع الأثاث الأخرى المنفرة والزائدة عن الحاجة، ومن خلال النافذتين الصغيرتين في سقف غرفتي النوم كن يرين الجزء الصغير من العالم الذي كن يعتقدن بوجوده خارج عالمهن، عالم الأقاويل عن الآخرين وشغل الإبرة، وتلاوات للصلوات الدورية غير أن يد مصمم التزيينات الداخلية المحترف تمكنت من طرد أية أشباح للبورجوازية الفرنسية يمكن أن تكون قد سكنت الجدران الآجرية للمبنى. أما خارج المبنى فقد طلي باللون الأصفر الفاقع، وكانت أنابيب الغاز في المصباحين النحاسيين المتناظرين والمعلقين على جانبي الممر، ترتعش برفق. وشُعلها الكهرمانية تتماوج على الطلاء الأسود للبوابة ومصاريع النوافذ. وكان على بلاطات الرصيف تحت المصباحين أصيصاً زرع قديمين نمت (الخناجر الإسبانية) فيهما وامتدت منها استطالات حادة.

وقف أغناطيوس أمام المبنى ونظر إليه بنفور شديد، شجبت عيناه الزرقاوان الصفراوان الواجهة اللامعة. وثار أنفه على رائحة الطلاء الجديد الواضحة. ونفرت أذناه من جنون الغناء، والجلبة. والقهقهة الدائرة خلف المصاريع المغلقة المغلفة بالجلد الصقيل.

تنحنح بشراسة، ونظر إلى أجراس الباب الثلاثة النحاسية والبطاقات الصغيرة التي فوق كل منها.

بيلي تروهارد	
راوول فرايل	أ - ٣
فريدا كلاب	
بيتي بامبر	
ليز ستيل	أ - ٢
دوريان غرين	أ - ١

طعن الجرس الأسفل بإصبعه وانتظر. تضاءلت حدة الجلبة خلف الباب قليلاً. انفتح باب من مكان ما في الممر تقدم دوريان غرين نحو البوابة.

«يا إلهي» قال حين رأى من كان في الخارج على الرصيف «أين كنت حتى الآن؟ أخشى أن تكون مسيرة الانطلاق قد خرجت من أيدينا. لقد حاولت مرة أو مرتين أن أفرض النظام بلا فائدة. يظهر أن المشاعر تزداد انفعالاً».

«أرجو ألا تكون فعلت ما يوهن معنوياتهم» قال أغناطيوس بوقار. وهو يقرع بسيفه على البوابة الحديدية بنزق. لاحظ بشيء من الغضب أن دوريان كان يمشي نحوه متمايلاً إلى حد ما، ولم يكن ذلك ما توقعه.

«أوه، أي تجمع» قال دوريان وهو يفتح البوابة «لقد ترك كل واحد منهم شعره يطول».

قام دوريان بإيماءة سريعة وغير متناسقة ليشرح الأمر.

«آه يا إلهي» قال أغناطيوس «أوقفوا هذا الفحش المروع. سيتدمر عدد من الناس بعد هذه الليلة دماراً كاملاً. ستحدث هجرة جماعية إلى مكسيكو سيتي في الصباح. لكنه من ناحية أخرى مكسيكو سيتي هائجة بشكل رائع. آمل أن لا يكون أحد ما قد حاول أن يفرض قرارات مثيرة للحرب على الجمع».

«آه. يا لطيف، لا».

«أنا مرتاح لسماع هذا لا يعلم سوى الله أية معارضة يمكن أن نواجه في البدء ويمكن أن يكون لدينا أعداء في الداخل. لعل السر قد تسرب إلى التركيبة العسكرية لأمتنا، وبالتالي إلى العالم».

«طيب، هيا، يا ملكة الفجر. لندخل».

قال أغناطيوس وهما يمشيان في الممر «هذا المبنى لامع بشكل منفر» ونظر إلى المصابيح المزخرفة والمحجوبة بالنخيل على طول الجدران «من المسؤول عن هذا الإجهاض»؟

«أنا، بالطبع، أيها العذراء المجرية. أنا صاحب المبنى».

«كان عليّ أن أعرف. هل لي أن أسأل من أين تأتي بالمال لإرضاء نزواتك المنحطة».

«من أسرتي العزيزة هناك في حقول القمح» تنهد دوريان «يرسلون لي شيكات ضخمة كل شهر. وبالمقابل أتعهد لهم ببساطة بأن أبقى خارج نبراسكا. لقد غادرت تحت ستار الظلام كما ترى».

كل ذلك القمح والسهول اللا متناهية. لا أستطيع أن أصف لك كم كانت مثيرة للكآبة. وإذا كان من شيء يجعلها رومانسية فهي غابة غرانت. ذهبت شرقاً للالتحاق بالكلية ومن ثم جئت إلى هنا. آه نيواورلينز أية حرية.

«حسناً، على الأقل لدينا مكان لتجمع جماعتنا، والآن بعد أن رأيت المكان، كنت أفضل لو أنك استأجرت صالة عسكرية أمريكية أو شيئاً ملائماً من هذا القبيل. يبدو هذا المكان كأنما أعد لنشاط فاسد مثل مرقص شاي أو حفلة في حديقة».

«هل تعرف أن مجلة التزيين المنزلي الوطنية ترغب في تخصيص أربع صفحات ملونة لهذا المبنى؟» سأل دوريان:

«لو كان لديك ذرة من العقل لأدركت أن ذلك إهانة مطلقة» نخر أغناطيوس.

«أوه. يا فتاة القرط الذهبي. أنت تخرجيني عن عقلي. انظر ها هنا الباب».

«لحظة» قال أغناطيوس بارتياب «ما هذه الضجة البشعة. يبدو وكأنما يضحى بشخص ما».

وقفا تحت الضوء الباهت في الممر يستمعان. سمع صوت صراخ بائس.

«يا الله ماذا يفعلون الآن؟» كان صوت دوريان قلقاً «هؤلاء المجانين الصغار. لا يمكن أن يحسنوا سلوكهم».

«أقترح أن نستكشف الأمر» قال أغناطيوس بهمس تآمري. «قد يكون أحد الضباط العسكريين المهووسين تسلل باسم مستعار إلى الاجتماع وقد يكون يحاول أن يستخلص أسرارنا من أحد أعضاء حزبنا الأوفياء بوسائل التعذيب. يمكن للعسكري المتزمت أن يقوم بأي شيء. وربما يكون عميلاً أجنبياً ما».

«أوه أي لهو!» صرخ دوريان:

اتجه دوريان وأغناطيوس نحو مصدر الصوت. كان هناك من يصرخ طالباً النجدة في جناح العبيد. كان باب جناح العبيد موارباً، إلا أن أغناطيوس رمى بنفسه عليه على أية حال كاسراً بعض ألواح الزجاج.

«آه يا إلهي» صرخ حين رأى ما أمامه «لقد ضربوا ضربتهم!».

نظر إلى البحار الصغير مصفد القدمين ومربوطاً بسلسلة إلى الحائط. لقد كان تيمي.

«هل ترى ما فعلته ببابي؟» كان دوريان يسأل خلف أغناطيوس.

«العدو بيننا» قال أغناطيوس بوحشية «من ثرثر بالسر؟ قل لي». «شخص ما يعمل ضدنا».

«آه، أخرجوني من هنا» توسل البحار الصغير «الظلام شديد هنا».

«أيها الأحمق الصغير» بصق دوريان على البحار «من قيدك بالسلاسل هنا؟».

«إنهما بيلي وراوول المزعجان أنهما بشعان، هذان الاثنان، جاءا بي إلى هنا ليرياني كيف أعدت تزيين جناح العبيد، وفوجئت بهما يقيداني بهذه السلاسل القذرة ويفرا إلى الحفلة».

خشخش البحار الصغير بسلاسله.

«لم أكد أصلح هذا المكان» قال دوريان لأغناطيوس «آه! يا لبابي».

«أين هذان العميلان؟» سأل أغناطيوس آمراً وفك مشبك السيف. وأخذ يلوح به «يجب أن نعتقلهم قبل أن يغادروا هذا المبنى».

«رجاءً أخرجوني من هنا إني أخاف الظلام».

«بسببك تكسر هذا الباب» همس دوريان للبحار المخبول.

«تعبث مع هذين السافلين من الطبقة العليا».

«هو الذي كسر الباب».

«ماذا تتوقع منه؟ فقط ألق نظرة عليه».

«أتتحدثان عني أيها المنحرفان؟» سأل أغناطيوس بغضب «إذا كنت ستصبح قلقاً بهذا الشكل بشأن باب، فإني لأشك فيما إذا كنت ستصمد في حلبة السياسة الآثمة».

«آه. أخرجوني من هنا. سأصرخ إذا كنت سأبقى في هذه السلاسل وقتاً أطول».

«آه! اخرس يا نيللي» قفز دوريان صافعاً تيمي على خديه القرمزيين «اخرج من بيتي وارجع إلى الشوارع حيث تنتمي».

«آه!» بكى البحار «أيّ كلام فظيع تقول».

«رجاءً!» حذّر أغناطيوس «يجب ألا تدمر الحركة بالنزاعات الداخلية».

«ظننت أنه بقي لي صديق واحد على الأقل» قال البحار لدوريان «أرى أنني كنت مخطئاً هيا. اصفعني مرة أخرى إذا كان هذا يسرك».

«لن ألمسك حتى لمساً أيها الساقط الصغير».

«أشك في أن أي كاتب مأجور، تحت الضغط، يمكن أن يخط مثل هذه الميلودراما الكريهة» لاحظ أغناطيوس «الآن أوقفا كل هذا أيها المنحرفان. مارسا على الأقل بعض الذوق والحشمة».

«اصفعني» صرخ البحار «أعرف أنك ترغب بذلك حتى الموت. أنت تعشق إيذائي أليس كذلك؟».

«يظهر أنه لن يهدأ حتى توافق على أن توقع به بعض الأذى الجسماني» قال أغناطيوس لدوريان:

«لن أضع إصبعاً على جسمه البليد القذر».

«حسناً. علينا أن نفعل شيئاً ما لإسكاته، لا يحتمل بوابي معدتي الكثير من عُصاب هذا البحار الفاسق. سوف يتوجب علينا أن نطرده بأدب من

الحركة. إنه بكل بساطة ليس بالمستوى المطلوب. يمكن لأي كان أن يشم زخم المازوخية الثقيل ينضح منه. إنه يفسد جو جناح العبيد في هذه اللحظة. بالإضافة إلى أنه يبدو عليه السكر».

صاح البحار بأغناطيوس: «وأنت تكرهني أيضاً، أيها الوحش الضخم».

ضرب أغناطيوس تيمي على رأسه بالسيف وأصدر الملاّح آنة خفيفة.

«اللّه يعلم أية خيالات منحطة لديه» علّق أغناطيوس.

«آه، اضربه ثانية. سقسق دوريان بسعادة «أية متعة»».

«أرجوكم خلصوني من هذه السلاسل» توسل البحار «بذلتي البحرية أصبحت كلها صدأ».

بينما كان دوريان يفتح قفل الأصفاد بمفتاح تناوله من فوق قال أغناطيوس «هل تعرف أن الأغلال والسلاسل وظائف في الحياة المعاصرة لم تخطر ببال مخترعيها المحمومين في العصور الأكثر قدماً وبساطة. لو كنت من بناة الضواحي لعلقت مجموعة منها على الأقل على الجدران الآجرية الصفراء لكل بناء من طراز الزرائب ومستوى (كيب كود) المجزأ. حين يضجر سكان الضواحي من التلفزيون أو كرة الطاولة أو أي شيء يفعلونه في منازلهم الضيقة.

يمكن أن يقيد أحدهم الآخر على الجدار لفترة. سيحب ذلك الجميع. ستقول الزوجة للأخرى: قيدني زوجي ليلة أمس. كان ذلك رائعاً. هل فعل بك زوجك ذلك مؤخراً؟ وسيرجع الأطفال من المدرسة بتوق إلى أمهاتهم اللواتي ينتظرنهم لتقييدهم. هذا سيساعد الأطفال على تنمية خيالهم الذي حرفهم إياه التلفزيون ويمكن أن يحد من جنوح الأحداث. حين يأتي الأب من العمل ستهب الأسرة بأكملها لتمسكه وتقيده لكونه غبياً بما فيه الكفاية كي يعمل طيلة النهار لإعالتهم، يمكن أن يقيد الأقرباء المسنون المزعجون في مرآب المنزل. ويمكن أن تحرر أيديهم مرة واحدة في الشهر حتى يستطيعوا توقيع شيكات الضمان الاجتماعي. الأصفاد والسلاسل يمكن أن تبني حياة أفضل للجميع. يجب أن أفسح مساحة لهذا في ملاحظاتي وكتاباتي».

«يا إلهي» تنهد دوريان «ألا تخرس أبداً».

«ذراعاي أصابهما الصدأ» قال تيمي «فقط انتظروا حتى يقع بيلي وراوول بين يدي».

«يبدو أن مؤتمرنا الصغير آخذ بالهيجان». قال أغناطيوس عن الضوضاء المجنونة الصادرة عن شقة دوريان. يبدو أن تحسس المواضيع له أكثر من مركز عصبي.

«آه. يا للسماء. يجب ألا أنظر» قال دوريان وهو يدفع باباً زجاجياً من الطراز الريفي الفرنسي، ويفتحه.

في الداخل رأى أغناطيوس كتلة من البشر ترغي وتزبد. السجائر وكؤوس الكوكتيل المحمولة مثل الهراوات تطير في الجو قائدة سيمفونية الثرثرة، والصراخ، والغناء، والضحك. ومن تجويفات فوتوغراف ستيريوفونيك، كان صوت جودي غارلاند يناضل ليشق طريقه في ذلك العرين. وجوقة صغيرة من الشبان، الثابتين الوحيدين في الغرفة، وقفوا أمام الفوتوغراف كأنه كان مذبحاً. «إلهيّ» «رائع» «إنساني عميق» كانوا يقولون عن الصوت الصادر عن معبدهم الكهربائي.

انتقلت عيناه الزرقاوان الصفراوان من ذلك الطقس إلى بقية أنحاء الغرفة، حيث كان الضيوف الآخرون يهاجم أحدهم الآخر بالمحادثة. الأقمشة القطنية المزينة وصوف الخراف والكشمير تلتمع بشكل ضبابي حين تحتل الأيدي الهواء في تنويعات لإيماءات رشيقة، الأظافر وأزرار الأكمام المعدنية، الخواتم القرمزية، الأسنان، العيون - كلها ائتلقت. وفي مركز حلقة من الضيوف المتأنقين وقف راعي بقر ومعه سوط. ضرب بالسوط أحد معجبيه، محدثاً صراخاً مبالغاً فيه وقهقهات سعيدة. وفي مركز حلقة أخرى وقف جيف يرتدي سترة جلدية كان يعلم مسكات الجودو، وسط الحبور الشديد لتلامذته المخنثين. «أوه، علمني هذه» صاح أحدهم قرب المصارع بعد أن طوي أحد المتأنقين في وضعية داعرة ثم ألقي به إلى الأرض ليحط على صوت اصطدام الأزرار والمجوهرات المتجانسة.

«دعون فقط أفضل الناس» قال دوريان لأغناطيوس.

«يا لطيف» برير أغناطيوس «أرى أننا سنقع في مشاكل كثيرة في الحصول على أصوات المزارعين الكالفينين الأجلاف المحافظين. سنعيد بناء تصورنا بخطوط غير هذه التي أراها هنا».

تنهد تيمي وهو يراقب الجلف ذا السترة الجلدية يلوي ويرمي شركاءه الشغوفين «أية متعة!».

كانت الغرفة نفسها ما يمكن أن يطلق عليه فنانو الديكور صفة «بسيطة» كانت الجدران بيضاء وكذلك السقف العالي أبيض، والغرفة نفسها مؤثثة بقطع قليلة من الأثاث العتيق. والعنصر المبهج الوحيد في الغرفة الكبيرة كانت الستائر المخملية ذات لون الشمبانيا وقد ربطت بأشرطة بيضاء. يظهر أن الكرسيين العتيقين أو الثلاثة قد اختيرت بسبب تصميمها الشاذ لا لإمكانية الجلوس عليها، لأنها كانت إيماءات هشة، أو تلميحات لأثاث ذي وسائد هيهات تقدر على احتواء طفل. الإنسان في مثل هذه الغرفة لا يتوقع منه أن يرتاح أو يجلس أو حتى أن يسترخي، وإنما أن يتخذ وضعية تجعل منه أثاثاً إنسانياً يكمل الديكور قدر الإمكان.

بعد أن درس أغناطيوس الديكور قال لدوريان: «العنصر العملي الوحيد هو الفوتوغراف ومن الواضح أنه أسيء استخدامه. هذه غرفة بلا روح» شخر بصوت عال بازدراء للغرفة وباستياء من حقيقة أن لا أحد في الغرفة قد لاحظه، ومع ذلك فقد كان مكملاً للديكور مثلما يمكن أن تكمله شارة نيون. بدا أن المشاركين في مسيرة الانطلاق معنيون بأقدارهم الخاصة في تلك الأمسية أكثر من اهتمامهم بقدر العالم. «ألاحظ أنه لا أحد في هذه الغرفة البيضاء الشبيهة بالضريح كلف نفسه عناء النظر إلينا. إنهم حتى لم يحيوا مضيفهم بهزة رأس، وهو الذي يشربون خمره ويرهقون مكيفات هوائه على مدار السنة بعطورهم الطاغية. أشعر وكأني أشهد معركة بين القطط».

«لا تقلق عليهم. إنهم يتوقون منذ شهور إلى حفلة كهذه. يجب أن ترى التزيينات التي قمت بها» أخذ أغناطيوس نحو رف مدفأة الحائط وأراه إناء

فيه وردة حمراء وأخرى زرقاء وثالثة بيضاء. «أليس هذا وحشياً؟ إنه أفضل من أشرطة ورق الكريب. اشتريت قليلاً من ورق الكريب لكن لم يعجبني كل ما حاولت أن أصنع بها».

«هذه أزهار جهيضة» علق أغناطيوس بضيق وقرع بسيفه الإناء «الأزهار المصبوغة غير طبيعية وفاسدة وأظن أنها فاحشة أيضاً. أرى أنني سأنشغل بكم أيها الناس إلى حد بعيد».

«آه! تكلم، تكلم، تكلم» أنّ دوريان «هيا بنا إذن إلى المطبخ. أريدك أن تلتقي بالاحتياطي النسائي».

«أهذا صحيح؟ احتياط؟» سأل أغناطيوس بشغف «حسناً يجب أن أطريك على بعد نظرك».

دخلا المطبخ حيث كان الجميع هادئين، ما عدا شابين كانا في خوار عاطفي في زاوية. كان هناك ثلاثة نساء جالسات على طاولة يشربن البيرة من العلب. تأملت النسوة أغناطيوس من جهاته كافة. والتي كانت تثني علبة بيرة بكفها توقفت ورمت بالعلبة في أصيص نبات جانب الحوض.

«يا بنات» قال دوريان. رفعت بنات البيرة كؤوسهن بتحية خشنة «هذا هو أغناطيوس رايلي وجه جديد».

«ضعه هناك» قالت الفتاة التي كانت تسحق علبة البيرة. وأمسكت بكف أغناطيوس وعاملتها كأنها، أيضاً، مرشحة للسحق.

«آه يا إلهي» صرخ أغناطيوس.

«هذه فريدا» شرح دوريان «وهاتان بيتي وليز».

«كيف حالكن؟» قال أغناطيوس داساً كفيه في جيبي ردائه منعاً لأية مصافحة أخرى «أنا على يقين من أنكن ستكونن عوناً لا يقدر بثمن لقضيتنا».

«من أين التقطته؟» سألت فريدا دوريان بينما كانت صاحبتاها تدرسان أغناطيوس وتتبادلان الوكزات.

«تقابلنا أنا والسيد غرين عن طريق أمي» أجاب أغناطيوس بعظمة عن دوريان.

«بلا مزاح» قالت فريدا «لا بد أن أمك شخص لطيف».

«ليس تماماً» رد أغناطيوس.

«طيب خذ علبة بيرة أيها السمين» قالت فريدا «ليتها كانت في زجاجات. كانت بيتي فتحتها لك بأسنانها. عندها أسنان مثل مخالب من حديد»، كشرت بيتي في وجه فريدا «وفي أحد الأيام ستجد أسنانها ساقطة في حلقها الوسخ».

ضربت بيتي فريداً على رأسها بعلبة فارغة.

«أنت التي تحرشت بي» قالت فريدا رافعة أحد كراسي المطبخ.

«توقفا الآن» بصق دوريان «إذا لم تكن مهذبات أنتن الثلاثة يمكنكن أن تنصرفن حالاً».

«شخصياً» قالت ليز «نحن ضجرات من جلوسنا هكذا في المطبخ».

«نعم!» صرخت بيتي. وأمسكت بإحدى قوائم الكرسي الذي كانت فريدا تحمله فوق رأسها وبدأت هي وفريدا صراعاً على الاستيلاء عليه «لماذا يجب علينا أن نبقى هنا؟».

«اتركا هذا الكرسي فوراً» قال دوريان.

«نعم، رجاء» أضاف أغناطيوس وكان قد تراجع إلى زاوية «سيؤذى أحد ما».

«مثلك» قالت ليز وقذفت أغناطيوس بعلبة غير مفتوحة راغ عنها.

«يا للسماء» قال أغناطيوس «أظن أني سأعود إلى الغرفة الأخرى».

«انقلع أيها الحمار الكبير» قالت ليز له «أنت تستهلك كل الهواء الموجود هنا».

«يا بنات» كان دوريان يصيح على المتصارعتين فريدا وبيتي. اللتين أخذ قميصاهما يتبللان كانتا تحومان وتلهثان حول الغرفة مع الكرسي دافعة كل واحدة الأخرى نحو الجدار ونحو الحوض.

«أوكي. كفى» صرخت ليز بصديقتيها «سيظن أولئك الناس أنكن فظات».

تناولت كرسياً آخر ووقفت ما بين المتنازعتين ثم خبطت كرسيها على الكرسي الذي تتصارع عليه فريدا وبيتي فسقطت البنتان جانباً. وقعقع الكرسيان وقرقعا على الأرض.

«من طلب منك التدخل؟» طالبت فريدا ليز بالرد على سؤالها ممسكة بها من شعرها المقصوص.

حاول دوريان وهو يتعثر بالكرسيين، أن يدفع بالبنتين نحو الطاولة وقال بحدة: «اجلسا واحتشما».

«هذه الحفلة نتنة» قالت بيتي «أين الحيوية؟»

«لماذا دعوتنا إلى هنا إذا كان كل ما سنفعله هو الجلوس هنا في هذا المطبخ البارد؟» سألت فريدا:

«ستبدآن بالشجار هناك» تعرفن ذلك. ظننت أنها مسألة جوار أن أدعوكن إلى هنا مجاملة. لا أريد أية مشاكل. هذه ألطف حفلة أقمناها منذ شهور.

«أوكي!» هدرت فريدا «سنجلس هنا مثل السيدات» ولكزت البنات إحداهن الأخرى على الأذرع موافقات. «على كل حال نحن لسنا أكثر من مستأجرات. ادخل إلى هنا وكن لطيفاً مع راعي البقر المزيف هذا الذي يشبه صوته صوت جانيت مكدونالد، ذاك الذي حاول أن يشكونا في شارع شارترز أمس».

«إنه شخص لطيف وودود» قال دوريان «أنا متأكد أنه لم يركن، يا بنات».

«لا بل رآنا» قالت بيتي «ضربناه على رأسه».

«أود لو أرفسه على خصيتيه المتشامختين» قالت ليز.

«أرجوكم» قال أغناطيوس بكثير من الأهمية «لا أرى حولي إلا الصراع. يجب أن ترصوا الصفوف وتحققوا جبهة متحدة».

«ما به؟» سألت ليز، وهي تفتح علبة البيرة التي ألقتها على أغناطيوس، نفر منها رذاذ بلل أغناطيوس عند معدته المنتفخة بمنتجات الفردوس.

«حسناً. أخذت كفايتي من هذا» قال أغناطيوس غاضباً.

«جيد» قالت فريدا «انصرف».

«المطبخ هو منطقتنا الليلة» قالت بيتي. «نحن نقرر من يستخدمه».

«أنا فعلاً سررت برؤية حفلة الشراب التي تقيمها المساعدات».

شخر أغناطيوس واتجه متثاقلاً إلى الباب. وبينما كان يخرج ضربت علبة فارغة إطار الباب بالقرب من قرطه. تبعه دوريان خارج المطبخ وأغلق الباب «لا أتخيل كيف قررت أن تلوث الحركة بدعوتك تلك المشاكسات إلى هنا».

«توجّب على ذلك» شرح دوريان «إن لم تدعهن إلى حفلة فسيقتحمنها على أية حال. وعندئذ يكن أسوأ. هن بالحقيقة بنات ظريفات حين يكن بمزاج حسن، لكنهن واقعات ببعض المشاكل مع الشرطة في هذه الأيام، ولذلك هن غاضبات على الجميع».

«سيطردن من الحركة فوراً».

«الأمر أمرك» تنهد دوريان «أنا نفسي حزين على البنات، كن يسكن في كاليفورنيا حيث تمتعن بوقت عظيم. ثم حدثت حادثة هجوم على رياضي كمال أجسام في ماسل بيتش. كن يلعبن مع الولد لعبة صراع الأيدي الهندية، أو هكذا يقلن، ومن ثم كما يبدو خرج الأمر من اليد. كان عليهن بالحرف الواحد أن يهربن من جنوب كاليفورنيا وينطلقن عبر الصحراء في سيارتهن الألمانية الفاخرة. قدمت لهن المأوى. هن من جهات متعددة مستأجرات رائعات. إنهن يراقبن مبناي أفضل من أي كلب حراسة. وعندهن أكداس من النقد حصلن عليها من ملكة سينما عجوز».

«حقاً؟» سأل أغناطيوس باهتمام «ربما كنت متسرعاً في مسألة طردهن. الحركات السياسية يجب أن تحصّل المال من أي مصدر كان. لدى البنات ولا شك سحر تخفيه بناطيلهن الجينز الزرقاء وأحذيتهن الطويلة» نظر إلى الكتلة الهائجة من الضيوف «يجب أن تجعل هؤلاء الناس يهدؤون. يجب أن نعيدهم إلى النظام. أمامنا عمل شاق».

كان راعي البقر، العاهر المزيف، يرمي بسوطه ضبعاً متأنفاً. كان الجلف ذو الجلد الأسود يثبت ضبعاً نشوان على الأرض. الصرخات والتنهدات والصيحات في كل مكان. وكانت عندئذ لورنا هورن تغني في الفوتوغراف،

بينما كانت المجموعة المتحلقة حول الفونوغراف تهتف باحترام «ذكية» «منعشة» «عالمية جداً». انصرف راعي البقر عن معجبيه النشطين وأخذ يزامن بين شفتيه وبين الأغاني الصادرة من الأسطوانة وهو يتلوى على الأرض مثل مغنية في جزمة وقبعة. تحلق الضيوف حوله مشكلين سداً من الصيحات الحادة، تاركين الجلف ذي الجلد الأسود بلا أحد يعذبه.

«يجب أن توقف كل ذلك» صاح أغناطيوس بدوريان الذي كان يغمز راعي البقر «دع جانباً حقيقة أني شاهد على الاعتداء الصارخ على الذوق والحشمة. فإني أيضاً بدأت أختنق من نتن المفرزات الجسدية والكولونيا».

«آه لا تكتئب بهذا الشكل، إنهم يستمتعون وحسب».

«أنا شديد الأسف» قال أغناطيوس بلهجة رجل أعمال. «أنا هنا في مهمة على مستوى عال من الجدية. هناك فتاة يجب أن أهتم بشأنها، بغي تقدمية وقحة. والآن أوقف هذه الموسيقى المزعجة وهدئ هؤلاء اللواطيين. يجب أن نركز التفكير على الحقائق الأساسية».

«ظننت أنك تريد أن تمرح إذا أردت أن تصبح متباهياً ومتجهماً فالأفضل أن تذهب».

«لن أذهب، لا أحد يستطيع ردعي. السلام! السلام! السلام!».

«آه يا إلهي، أنت جاد في ذلك أليس كذلك؟»

ابتعد أغناطيوس عن دوريان وأسرع عبر الغرفة دافعاً أمامه الضيوف المتأنقين وسحب المأخذ الكهربائي للفونوغراف. وحين استدار حوله، تلقى نسخة مخنثة لصيحة الحرب الأباشية من الضيوف.

«وحش» «مجنون» «أهذا ما وعدنا به دوريان؟» «هذا اللينا الرائع» «الهندام - الضخامة. وهذا القرط. يا لطيف» «كانت تلك أغنيتي المفضلة» «فظيع» «ما أشد ضخامته» «ما أكبره من وحش» «كابوس، كابوس مخيف».

«صمتاً!» صاح أغناطيوس على الثرثرة الغاضبة. «أنا هنا» الليلة أيها الأصدقاء لأريكم كيف يمكنكم إنقاذ العالم وتحقيق السلام؟

«حقاً إنه مجنون» «دوريان ما هذه النكتة السخيفة» «من أي مكان في العالم جاء؟ حتى إنه غير جذاب» «قذر» «مثير للكآبة» «ليدر أحد ما هذه الأسطوانة العذبة».

«التحدي» تابع أغناطيوس بأعلى صوته «قائم أمامكم. هل ستوجهون مواهبكم الفردية لإنقاذ العالم أو أنكم ببساطة ستديرون ظهوركم لصديقكم الإنسان؟».

«آه ما أبشعه» «غير مسرّ على الإطلاق» يجب أن أغادر إذا تابع هذا الممثل المتعجرف، بهذا الذوق السقيم ليدر أحد الأسطوانة. عزيزتي. عزيزتي لينا «أين معطفي؟» «هيا بنا إلى ملهى لطيف» «انظروا لقد سكبت كأس المارتيني على أغلى سترة عندي» «هيا بنا إلى ملهى لطيف».

«العالم اليوم في حالة قلق محزن» صرخ أغناطيوس على المواء والهمس. توقف لحظة ليلقي نقرة سريعة على بعض الملاحظات في جيبه كان قد خربشها على ورقة دفتر. ولكنه بدلاً من ذلك أخرج صورة المس أوهارا. رآها بعض الضيوف وصرخوا «يجب أن نوقف الدمار القادم. يجب أن نحارب النار بالنار. من أجل ذلك ألجأ إليكم».

«آه عن ماذا يتكلم بحق السماء؟» «هذا يجعلني كئيباً» «هاتان العينان، إنهما مخيفتان» «هيا بنا إلى ملهى لطيف» «هيا بنا إلى سان فرانسيسكو».

«صمتاً أيها المنحرفون» صاح أغناطيوس «استمعوا إليّ».

«دوريان!» توسل راعي البقر بصوت غناء سويرانو. «قل له أن يهدأ. كنا نستمتع بهذا الوقت المرح العظيم. أوه. حتى إنه غير مسلٍ».

«هذا صحيح» قال أحد أشد الضيوف أناقة ذو وجه نظيف أسمر بفضل مستحضر بلون سمرة الشمس. «إنه حقاً فظيع، مثير للكآبة».

«هل يجب علينا أن نصغي إلى كل هذا؟» سأل ضيف آخر. وهو يحرك سيجارته كما لو أنها عصا سحرية يمكنها أن تجعل أغناطيوس يختفي «أهذه لعبة جديدة دوريان؟ أنت تعرف كم نحب الحفلات مع شيء من التلوين، لكن هذا. أعني أني حتى لا أشاهد الأخبار في التلفزيون. كنت أعمل طيلة النهار

في ذلك الدكان، ولا أريد أن آتي إلى حفلة لأجبر على سماع كل هذا الهذيان. ليتكلم بعد أن ننتهي إذا كان لا بد. ملاحظاته شديدة الفظاظة».

«غير ملائم أبداً» تنهد الجلف ذو الجلد الأسود، وكأنما أصابه مس.

«حسناً» قال دوريان «أديروا الأسطوانة، ظننت أنه سيكون لطيفاً» نظر إلى أغناطيوس الذي كان يشخر بصوت عال «أخشى يا أصدقائي أن الأمر قد تحول ليصبح قنبلة رهيبة جداً».

«رائع» «رائعة دوريان» «ها هو ذا المأخذ» «أحب لينا» «أظن حقاً أن هذا أفضل تسجيل لها» «وما ألطف هذه الأغاني الخاصة» «رأيتها مرة في نيويورك. رائعة» «ضع لنا الغجرية بعدها. أنا أعبد أثيل» «آه. عظيم. ها هو ذا آت».

هناك وقف أغناطيوس مثل الولد على ظهر السفينة التي تحترق. انبعثت الموسيقى من المعبد مرة أخرى. وهرب دوريان ليتحدث مع مجموعة من ضيوفه. متجاهلاً أغناطيوس بقصد، كأي واحد آخر في الغرفة. شعر أغناطيوس أنه وحيد كما شعر في ذلك اليوم المشؤوم في المدرسة الثانوية حين انفجرت تجربته في مختبر الكيمياء، وأحرقت حاجبيه وأرعبته. جعلته الصدمة والرعب يبلل بنطاله، دون أن يلاحظ أحد في المختبر، ولا حتى الأستاذ الذي كان يكرهه بعمق بسبب انفجارات مشابهة في الماضي. وحتى إلى نهاية ذلك النهار، تظاهر كل واحد بأنه غير مرئي وهو يتجول في المدرسة مبللاً. شعر أغناطيوس، بأنه غير مرئي مثل ذلك اليوم وهو واقف في غرفة جلوس دوريان، فأخذ يقارع بسيفه خصماً متخيلاً ليرضي غروره.

كثيرون كانوا الآن يغنون مع الأسطوانة. بدأ اثنان يرقصان قرب الفونوغراف. وانتشر الرقص كحريق في غابة، وبسرعة أصبحت الأرض ملأى بالأزواج الذين يعلون ويهبطون، والتفوا حول جبل طارق الذي لم يدعه أحد للرقص، أغناطيوس. وحين اندفع دوريان وهو بين ذراعي راعي البقر أمامه حاول أغناطيوس عبثاً جذب انتباهه.

حاول حتى أن يضرب راعي البقر بسيفه، إلا أن الاثنين كانا راقصين ماكرين مراوغين. وعندما أوشك أن يضمحل ويتلاشى نهائياً، اندفعت فريدا وليز وبيتي قادمات من المطبخ.

«لم نعد نحتمل ذلك المطبخ أكثر» قالت فريدا لأغناطيوس «على كل حال نحن بشر أيضاً» ولكمته لكمة خفيفة على معدته «يبدو أنك متروك وحيداً يا سمين».

«ماذا تعنين؟» سأل أغناطيوس بفخامة.

«يبدو أن هندامك لم ينجح تماماً». لاحظت ليز.

«أستميحكن العذر، سيداتي، يجب أن أغادر».

«هيه.. لا تذهب أيها السمين» قالت بيتي، سيطلبك أحدهم للرقص. إنهم فقط يحاولون إغواءك، لا تستسلم، إنهم يمكن أن يغووا حتى أمهاتهم.

في تلك اللحظة، ظهر تيمي الذي تسلل إلى جناح العبيد مرة أخرى مفتقداً سوار الساحر وتمنياً ألعاباً أخرى بالسلاسل، ظهر في غرفة الجلوس. تخطر أمام أغناطيوس وسأله بشوق «أترغب بالرقص؟».

«ها. أترى؟» قالت فريدا لأغناطيوس.

«أحب أن أرى هذا» صاحت ليز «دعونا نراكما ترقصان رقصة الجن هيا. سآتي بمكنسة لنستخدمها كعمود».

«آه يا إلهي» قال أغناطيوس «الرجاء أنا لا أرقص».

«أوه، هيا» قال تيمي «سأعلمك، أنا أحب الرقص، سأقود الرقصة».

«هيا أيها الحمار الكبير» هددت بيتي.

«لا. هذا مستحيل. السيف. الرداء. سيؤذى أحد ما. جئت إلى هنا لأتكلم لا لأرقص. أنا لا أرقص. لم أرقص أبداً. لم أرقص أبداً في حياتي».

«حسناً سترقص الآن» قالت له فريدا «لا تريد أن تؤذي مشاعر هذا البحار».

«لن أرقص» نبح أغناطيوس «لم أرقص أبداً، وبالطبع لن أبدأ بالرقص مع منحرف مخمور».

«أوه، لا تكن مستقيماً جداً» تنهد تيمي.

«إحساسي بالتوازن ضعيف جداً» شرح أغناطيوس «سوف أنهار على الأرض كومة محطمة. وسيصبح هذا البحار الفاسد كسيحاً أو أسوأ».

«يبدو أن السمين مشاغب» قالت فريدا لصديقتها «صح؟».

وبغمزة من فريدا هاجمت الفتيات الثلاث أغناطيوس، لفت إحداهن رجلها على رجله ورفسته أخرى على قفا ركبته، ودفعته الثالثة إلى الخلف فوق راعي البقر الذي كان يدوّم في الجوار. ثبت أغناطيوس نفسه بإمساكه راعي البقر، الذي انفصل عن عنان دوريان المرعب وانقلب على الأرض. وحين حط راعي البقر قفزت إبرة الغرامافون وتوقفت الموسيقى ولكن حل محلها جوقة من صراخ الضيوف وصياحهم.

«آه. دوريان. أخرجه» صرخ أحد المتأنقين بفزع.

سمع صوت صدمات معدنية لخواتم وأساور وأزرار قمصان حين انحشر بعض الضيوف في زاوية.

«انظرا قلبت راعي البقر العاهر هذا مثل قارورة البولينغ».

صاحت فريدا بإعجاب على أغناطيوس الذي كان لا يزال يتخبط ليستعيد توازنه.

«عمل جيد، ياسمين» قالت ليز.

«دعونا نسدده على شخص آخر» قالت بيتي لرفيقتيها.

«ماذا فعلت أيها الشيء الضخم المتوحش؟» صرخ دوريان بأغناطيوس.

«هذا عدوان وحشي» كان أغناطيوس يصيح «لم يكف أن تجاهلتموني وسفهتموني في هذا الاجتماع. بل لقد هوجمت بشراسة بين جدران هذا الشرك الذي تتخذه منزلاً. آمل أن يكون لديك تأمين ضد المسؤولية القانونية. وإلا فإنك ستخسر هذه الممتلكات على أيدي مستشاريّ القانونيين».

كان دوريان راكعاً على ركبتيه، يهوّي لراعي البقر الذي بدأت أجفانه بالرفيف.

«دعه يغادر يا دوريان» انتحب راعي البقر «كاد يقتلني».

«ظننت أنك يمكن أن تكون مختلفاً وممتعاً». همس دوريان لأغناطيوس «في الواقع برهنت على أنك أفظع شيء دخل بيتي. منذ لحظة كسرك الباب كان عليّ أن أدرك أن النهاية ستكون هكذا. ماذا فعلت بهذا الولد العزيز؟».

«بنطالي اتسخ» صرخ راعي البقر.

«لقد هوجمت بوحشية ودفعت على راعي البقر الأحمق هذا».

«لا تحاول أن تكذب يا سمين» قالت فريدا «رأينا كل شيء. كان يشعر بالغيرة يا دوريان. كان يرغب في الرقص معك».

«فظيع» «دعه يذهب» «خرب الحفلة» «متوحش» «خطر» «خسارة كاملة».

«اخرج» صاح دوريان.

«سنتولى أمره» قالت فريدا.

«طيب» قال أغناطيوس بعظمة حين غطّست الفتيات الثلاث أيديهن القصيرة والغليظة في ردائه وبدأن يدفعنه نحو الباب «لقد اخترتم مصيركم عيشوا في عالم الحرب وسفك الدماء. حين تسقط القنبلة، لا تأتوا إليّ. سأكون في ملجئي!».

«اطردوه» قالت بيتي.

دفعت الفتيات الثلاث أغناطيوس خارج الباب ونزلن به إلى المدخل.

«شكراً لعجلة الحظ إني منسحب من هذه الحركة» أرعد أغناطيوس. كانت الفتيات قد أنزلن الوشاح على إحدى عينيه وأخذ يعاني صعوبة في رؤية أين هو ذاهب «أنتم أيها الفوضويون لن تحصلوا على صوت ناخب».

دفعنه خارج البوابة حتى الرصيف وانغرزت أشواك نبتة الخناجر الإسبانية في ربلتي ساقيه بشكل مؤلم فتعثر نحو الأمام.

«حسناً أيها الولد السمين» صرخت فريداً عبر البوابة وهي تغلقها. سنعطيك عشر دقائق أسبقية. ثم نشرع بتمشيط الحي.

«من الأفضل ألا نعثر على مؤخرتك السمينة» قالت ليز.

«انقلع يا سمين» أضافت بيتي «لم نستمتع بمعركة جيدة منذ زمن طويل ونحن على استعداد لواحدة».

«حركتكم مشؤومة» قال أغناطيوس بتأثر للفتيات اللواتي كن يتدافعن عبر المدخل. «أتسمعونني؟ مشؤوووومة. أنتم لا تعرفون شيئاً عن السياسة وطريق إقناع الناخبين. لن تحكموا أي جزء من هذه الأمة. لن تحكموا حتى هذا الحي».

صفق الباب وعادت الفتيات إلى الحفلة، التي بدت أنها قد استعادت إيقاعها. صدحت الموسيقى ثانية وسمع أغناطيوس الصياح والصراخ يعلوان أكثر من قبل. قرع بسيفه على مصراعي البوابة الأسودين «ستخسرون» فأجابت صرخته انزلاق الأقدام الراقصة ونقرها.

خرج للحظة رجل يرتدي بذلة حريرية وقبعة من ظل سقف بوابة محاذية ليرى إن كانت الفتيات قد ذهبن. ثم انسل عائداً إلى الظلمة يرقب أغناطيوس الذي يزرع جيئة وذهاباً المكان أمام المبنى محنقاً.

تجاوب بواب معدة أغناطيوس مع انفعالاته بأن انسد. وتعاطفت يداه بانتشار بثور صغيرة بيضاء مسببة حكّة تثير الجنون. ماذا عساه يقول لميرنا عن الحركة من أجل السلام الآن؟ مثل ما حدث له في الحملة من أجل كرامة البربر، حدثت له نوبة جديدة من البثور فوق يديه وحكة. عجلة الحظ هذه البغي الشريرة. لا يزال المساء في بدايته، لن يستطيع أن يعود إلى شارع استانبول ليتلقى تنويعة من هجمات أمه، ليس الآن في الوقت الذي توفزت فيه مشاعره إلى الذروة التي اختطفت من قبضته. لقد انشغل حوالي أسبوع بمسيرة الانطلاق، والآن، طرد من حلبة السياسة بواسطة ثلاث فتيات مريبات، وقف محبطاً، وغاضباً على بلاطات شارع سانت بيتر المبللة.

تساءل عن الوقت، وهو ينظر إلى ساعة الميكي ماوس، التي كانت خالدة إلى النوم كالعادة لعل الوقت كان لا يزال مبكراً ليشهد العرض الأول في ليل الحبور. ولعل المس أوهارا قد افتتحت، لو أنه وميرنا لم يقدر لهما القراع في ميدان الفعل السياسي. لكان مصيرهما في ميدان الجنس. ستكون المس أوهارا رمحاً يرشقه.ما بين عيني ميرنا الهجوميتين. نظر أغناطيوس إلى الصورة مرة أخرى وسال لعابه. أي نوع من الحيوانات المنزلية؟ لا زال بالإمكان إنقاذ الأمسية من بين فكي الإخفاق.

قرر وهو يحك كفاً بكف. أن السلامة تملي عليه الحركة. يمكن للفتيات المتوحشات الثلاث أن يجعلن تهديدهن واقعاً. تثاقل في مشيته من شارع سانت بيتر إلى شارع بوربون. وتبعه الرجل ذو البزة الحريرية والقبعة خارجاً من ظل المدخل. انعطف عند شارع بوربون وبدأ يسير صاعداً نحو شارع القنال عابراً مجموعات من السياح وسكان الحي الذين لم يبد أنه غريب بينهم. اندفع بين الناس فوق الرصيف الضيق، وردفاه يتمايلان بحرية دافعين الناس على الجانبين. حين تقرأ ميرنا عن المس أوهارا ستسكب قهوة الأسبرسو فوق الرسالة من الرعب.

حين عبر الطريق باتجاه ليل الحبور سمع نداء الزنجي المدمن «تعالوا شاهدوا المس هارلا أو هورور ترقّص حيوانها، أضمن لكم رقصة فلاحية مائة بالمائة. شراب يضمن لكم السكر! لا أحد رأى مثل حيوان هارلا أو هورور الجنوبي القديم يرقص. الافتتاح الليلة هذه الليلة، يمكن أن تكون هذه فرصتكم الوحيدة لمشاهدة العرض!».

رآه أغناطيوس من خلال زحام الناس الذين يجتازون ليل الحبور مسرعين. يظهر أن لا أحد يعطي اهتمامه لنداءات هذا النابح. والنابح نفسه توقف عن ندائه لينفث تشكيل هالات من الدخان. كان يرتدي سترة ذات ذيل وقبعة حريرية عالية استقرت على زاوية فوق نظارته السوداء. مبتسماً خلال الدخان للناس المقاومين لنداءاته.

«أيها الناس المجرجرين أقدامكم هنا. توقفوا وثبتوا مؤخراتكم على مقاعد ليل الحبور» عاود ثانية «ليل الحبور عنده ملونون أصلاء يعملون بأجر أقل من الحد الأدنى. يضمن لكم جواً فلاحياً، سترون القطن ينبت على المسرح أمام أعينكم. دعوا عامل حقوق مدنية يريح مؤخرته ما بين العروض».

هل بدأت المس أوهارا؟ دمدم أغناطيوس عند مرفق النابح.

«يا سلام!» الأم السمينة وصلت. شخصياً «يا رجل كيف لا تزال تضع هذا القرط وهذا الشال؟ ما المفروض أن تكون؟».

«رجاء» صلصل بسيفه قليلاً «لا وقت لدي للهذر، أخشى أنه ليس لدي مؤشرات نجاح لك هذه الليلة. هل بدأت مس أوهارا؟».

«ستبدأ خلال دقائق. من الأفضل أن تدخل مؤخرتك وتتخذ مقعداً قرب حلقة المسرح. كلمت النادل، قال إن عنده طاولة محجوزة كلها لك».

«أهذا صحيح؟» سأل أغناطيوس بشغف «المالكة النازيّة ذهبت. كما آمل».

«سافرت إلى كاليفورنيا بعد الظهر، قالت: هارلو أوهورور جيدة وهي ستذهب لتغطس مؤخرتها في المحيط لفترة، دون أن تقلق على ملهاها».

«رائع، رائع».

«هيا يا رجل ادخل قبل أن يبدأ العرض! لا نريد أن تضيع دقيقة واحدة، هراء، ستأتي هارلا خلال ثوان. رح وضع نفسك عند المسرح المجامع لأمه. وتفرج على ريش الوز على حفل المس أوهورور».

دفع جونز أغناطيوس بسرعة عبر الباب المنجّد.

تعثر أغناطيوس داخل ليل الحبور والتف طرف ردائه على كاحله. ورغم الظلمة لاحظ أن ليل الحبور أكثر قذارة مما كان عليه في زيارته السابقة. كان على الأرض أقذار تسمح بإنبات محصول محدود من القطن، لكن لم يكن هناك أي قطن. لا بد أن هذه واحدة من كذبات ليل الحبور. بحث بنظره عن رئيس للخدم فلم يجد أحداً وهكذا تثاقل ما بين قلة من المسنين الموزعين على الطاولات في العتمة واتخذ لنفسه مكاناً على طاولة صغيرة مجاورة تماماً للمسرح. بدت قبعته مثل ضوء أرضي أخضر وحيد. ومن هذه المسافة القصيرة ربما يتمكن من القيام ببعض الإيماءات لمس أوهارا أو يهمس لها ببضع كلمات عن بويثيوس ليجذب انتباهها. سيغمرها التأثر حين تدرك أن هناك روحاً مؤاخية بين الحضور. نظر إلى بضعة الرجال فارغي الأعين الجالسين في ذلك المكان. لا بد أن المس أوهارا مكرهة على أن ترمي بلآلئها أمام جمع كئيب من الخنازير، الذين يبدون من طراز غامض من الناس الذين يتحرشون بالأطفال خلال حفلات بعد الظهر.

شرعت فرقة موسيقية من ثلاث آلات في جناحي المسرح الصغير بضرب أوتارها إلى أغنية (أنت نجمة حظي). في تلك اللحظة كان المسرح، الذي كان قذراً قليلاً أيضاً خالياً من العريدة. تطلع أغناطيوس نحو البار لاجتذاب من يخدمه فوقعت عينه على عين عامل البار الذي خدمه وأمه في السابق.

تظاهر عامل البار بأنه لا يراه. عندئذ غمز بوحشية امرأة تتكئ على البار. امرأة لاتينية أربعينية استجابت له استجابة مرعبة بسن أو سنين من الذهب. ابتعدت عن البار قبل أن يتمكن عامل البار من إيقافها وذهبت إلى أغناطيوس الذي كان رابضاً أمام المسرح كما لو كان مدفأة حارة.

«تريد شراباً يا شيكو؟».

تخللت شاربه رائحة بخر كريهة. نزع الوشاح عن قبعته ودرّع خياشيمه به.

«شكراً. نعم» قال بصوت مكتوم «كأس من شراب دكتورنات، إذا سمحت، وتأكدي أنه بارد كالثلج».

«سأنظر ما لدينا» قالت المرأة ملغزة وعات إلى البار يصطفق صندلها القش.

راقبها أغناطيوس تتحدث مع عام البار بالإشارة. قاما بعدة إيماءات معظمها كان موجهاً نحو أغناطيوس. فكر أغناطيوس أنه على الأقل سيكون في أمان في هذا العرين إذا كانت الفتيات الثلاث العصبيات يبحثن في الحين عن فريستهن. قام عامل البار والمرأة بمزيد من الإشارات ثم عادت إلى أغناطيوس بزجاجتي شمبانيا وكأسين.

«ليس عندنا. دكتورنات» قالت وخبطت الصينية على الطاولة «أنت مدين بأربع وعشرين دولاراً ثمن الشمبانيا».

«هذا تعدٍ» ووجه عدة ضربات من سيفه إلى المرأة «هاتي لي كوكا كولا».

«ليس عندنا كولا. ولا شيء. فقط شمبانيا» وجلست المرأة على أحد مقاعد الطاولة «هيا يا حبيبي. افتح الشمبانيا. أنا عطشانة جداً» مرة أخرى انبعث النفس باتجاه أغناطيوس الذي ضغط الوشاح على أنفه بشدة حتى شعر أنه سيختنق. سيلتقط من هذه المرأة بعض الجراثيم التي ستسرع إلى دماغه وتحوله إلى منغولي. مس أوهارا المقهورة. لقد وقعت في شرك حيث تعمل مع نساء دون البشر بسبب الحاجة. يجب أن يكون انفصال مس أوهارا البويثي قلقاً. رمت المرأة اللاتينية بالفاتورة في حضن أغناطيوس.

«إياك أن تلمسيني» صرخ من خلال الوشاح.

«السلام لك يا مريم» قالت المرأة لنفسها ثم قالت له «ميرا يجب أن تدفع الآن وإلا رميناك إلى الخارج».

«شيء ظريف» تمتم أغناطيوس «لم آت إلى هنا لأشرب معك. ابتعدي الآن عن طاولتي». وتنفس بعمق من الفم «وخذي الشمبانيا معك».

«أوي لوكو.. ستدفع».

اختلط تهديد المرأة مع الفرقة الموسيقية التي كانت تبعث جعجعة واهنة. وظهرت لانالي على المسرح بما بدا أنه لاميه ثوب عمالي موشى بالذهب.

«آه، يا إلهي!» تمتم أغناطيوس. لقد خدعه الزنجي المخدر. أراد أن يفر من الملهى، لكنه أدرك أنه من الحكمة أن ينتظر حتى تنتهي المرأة وتغادر المسرح. وبسرعة تكوم على نفسه إلى جانب المسرح. وكانت المالكة النازية تقول فوق رأسه. «أهلاً بكم أيها السيدات والخصيات» إنها بداية مرعبة كادت تصعق أغناطيوس فوق الطاولة.

«ستدفع لي الآن» كانت تطالب المرأة خافضة رأسها تحت الطاولة لترى وجه زبونها.

«اخرسي يا بغي» همس أغناطيوس.

«تلعثمت الفرقة بمعزوفة (المرأة المتحذلقة). وكانت المرأة النازية تصرخ والآن العذراوية الطاهرة الجميلة مس هارليت أوهارا» صفق رجل مسن على إحدى الطاولات بوهن. وتلصص أغناطيوس على حافة المسرح ورأى أن المالكة قد غادرت. وفي مكانها منصة مزينة بحلقات ترى ما ترمي إليه مس أوهارا؟

ثم دخلت دارلين بخفة المسرح في ثوب حفلة راقصة تتبعها ياردات من شبكة نايلون. على رأسها قبعة وحشية الشكل وعلى ذراعها طائر وحشي. صفق أحدهم.

«ميرا ادفع لي الآن وإلا».

«كان هناك كثير من الخصيات في الحفلة، لكنني حافظت على شرفي» قالت دارلين بحرص للطائر.

«آه، يا إلهي» صرخ أغناطيوس غير قادر على البقاء صامتاً أكثر من ذلك. «أهذه القميئة هي هارليت أوهارا؟».

لاحظه الطائر قبل أن تفعل ذلك دارلين، لأن عينيه الخرزيتين كانتا تركزان على حلقة قرط أغناطيوس الغريبة منذ أن صعد المسرح. وحين صرخ أغناطيوس طار من على ذراع دارلين إلى أرض المسرح موقوقاً قافزاً واتجه إلى رأس أغناطيوس.

صرخت دارلين «إنه المجنون».

وبينما كان أغناطيوس يستعد لمغادرة الملهى قفز الطائر من المسرح إلى كتفه. وغرز مخالبه في الرداء وعض على القرط بمنقاره.

«يا للسماء» قفز أغناطيوس وضرب الطائر بكفيه المصابين بالحكاك. أي خطر طيّار قذفت به عجلة الحظ في طريقه؟ تكسرت زجاجتا الشمبانيا والكأسان على الأرض عندما قفز وبدأ يترنح نحو الباب.

«ارجع إلى هنا مع ببغائي» صرخت دارلين.

كانت لانالي على المسرح الآن، تصرخ. توقفت الفرقة الموسيقية. تنحى الزبائن المسنون القلائل عن طريق أغناطيوس، الذي كان يتخبط بين الطاولات الصغيرة مطلقاً نداءات وعل ويضرب كتلة الريش الملتحمة بأذنه وكتفه.

«كيف بحق الجحيم دخل هذا الشخص إلى هنا» سألت لانا السبعينيين من الحضور. «أين جونز؟ ليحضر أحد ما هذا الجونز».

«تعال أيها المجنون الضخم» صرخت دارلين «في ليلة الافتتاح. لماذا يجب أن تأتي في ليلة الافتتاح؟».

«يا لطيف» لهث أغناطيوس متلمساً طريقه إلى الباب مخلفاً وراءه خطاً من الطاولات المقلوبة «كيف تجرؤون أيها الأشرار على ابتلاء زبائنكم الأنقياء بطائر ضار؟ يمكن أن تتوقعوا إحالتكم إلى القضاء صباحاً».

«تعال! أنت مدين لي بأربعة وعشرين دولاراً. ستدفع الآن فوراً».

قلب أغناطيوس طاولة أخرى وهو يترنح متقدماً مع الببغاء. ثم أحس بالقرط يفلت. وبالببغاء وقد أحكم منقاره على القرط يسقط عن كتفه. دب أغناطيوس إلى الباب خارجاً مرعوباً قبل أن تمسك به المرأة اللاتينية، التي كانت تلوح بالفاتورة بتصميم شديد.

تعثر أغناطيوس وهو يجتاز جونز، الذي لم يتوقع أن يبلغ التخريب هذه الدرجة الدرامية. وتابع أغناطيوس، وهو يلهث حاضناً بكفيه بوابه معدته المحكم الإغلاق كأنما بالاسمنت، وهو يلهث حاضناً بكفيه بوابة معدته المحكم الإغلاق كأنما بالاسمنت، تقدم عبر الشارع في مسار باص قادم. سمع أولاً الناس يصرخون على الرصيف. ثم سمع زعيق العجلات والكوابح النادبة. وحين رفع بصره إلى أعلى أعمته الأضواء الأمامية التي لا تبعد عن عينيه سوى بضعة أقدام. وبعد ذلك انزلقت الأضواء عن عينيه وتلاشت عندما أغمي عليه.

كان يمكن أن يسقط مباشرة أمام الباص لو أن جونز لم يقفز إلى الشارع ويشد الرداء الأبيض بيديه الكبيرتين. فوقع أغناطيوس على قفاه. وتوقف الباص الذي نفث دخان المازوت تماماً قبل إنش أو انشين من حذائه الصحراوي.

«أهو ميت؟» سألت لانا بلهجة مفعمة بالأمل، وهي تدرس هذه الكتلة من المادة البيضاء الراقدة في الشارع.

«آمل أن لا يكون كذلك. هو مدين لنا بأربعة وعشرين دولاراً، هذا الماريكون».

«أفق يا رجل» قال جونز نافثاً بعض الدخان على الشكل الهامد.

خرج الرجل ذو البذلة الحريرية والقبعة من زقاق كان يخفي نفسه فيه حين رأى أغناطيوس يدخل ليل الحبور. كانت مغادرة أغناطيوس الملهى عنيفة جداً وسريعة مما أربك الرجل فلم يستطع أن يتصرف حتى الآن.

«دعوني ألقي نظرة عليه» قال الرجل ذو القبعة وهو ينحني فوق أغناطيوس ليصغي إلى قلبه وأنبأته نقرات النبض بأن الحياة لا تزال في رحاب الرداء الأبيض. أمسك معصم أغناطيوس. كانت ساعة الميكي ماوس

قد تهشمت «هو بخير. أغمي عليه فقط» تنحنح الرجل وأمر بوهن «إلى الوراء جميعاً. دعوه يتنفس».

كان الشارع مزدحماً بالناس والباص قد توقف على بعد ياردات من نهاية الشارع، معطلاً حركة المرور. وفجأة بدا شارع بوربون كأنه يحتفل بثلاثاء المرفع.

وعبر ظلام نظارته نظر جونز إلى الغريب. بدا له مألوفاً، كأنه نسخة أنيقة عن شخص كان جونز قد رآه من قبل. وكانت العينان الموهنتان مألوفتين جداً. تذكر جونز العينين الموهنتين نفسيهما فوق لحية حمراء، ومن ثم تذكر العينين نفسيهما تحت قبعة زرقاء في المخفر في يوم حادثة الكاجو. لم يقل شيئاً. الشرطي كان شرطياً. من الأفضل دائماً أن تتجاهلهم ما لم يضايقوك.

«من أين أتى؟» كانت دارلين تسأل الجمهور. حط الببغاء الوردي على ذراعها ثانية يتدلى من منقاره القرط مثل دودة ذهبية «أية ليلة افتتاح ماذا سنفعل يا لانا؟».

«لا شيءَ» قالت لانا غاضبة «دعوا ذاك الشخص راقداً هناك إلى أن يأتي كناسو الشوارع. ثم دعوني أضع يدي على جونز».

«هذا القط دخل بالقوة كنا نتقاتل ونتماسك لكن هذا الأم بدا مصمماً على الدخول إلى ليل الحبور. خفت أن يمزق هذا الزي الذي استأجرته. وسيتوجب عليك أن تدفعي ثمة، وسيفلس ليل الحبور!».

«أغلق فمك الذكي. أفكر في أن أستدعي كل صحابي في المخفر. دارلين أنت مطرودة أيضاً كنت أعرف أنه ما كان يجب أن تصعدي مسرحي. أبعدي هذا الطائر الملعون عن رصيفي» التفتت لانا إلى الجمهور «طيب يا ناس، طالما أنكم كلكم هنا ماذا لو تدخلون ليل الحبور؟ عندنا عرض راقٍ».

«ميرا، لي» نفثت المرأة اللاتينية بخراً ضئيلاً على لانالي.

«من سيدفع أربعة وعشرين دولاراً ثمن الشمبانيا؟»

«أنت مطرودة أيضاً، أيتها الحمقاء» تبسمت لانا «هيا ادخلوا يا جماعة وتمتعوا بشراب جيد من أعداد أفضل خلاطينا خصوصاً لكم».

كان الحشد، على كل حال، متردداً عند التلة البيضاء، التي كانت تئز بصوت عال، وظنوا أن الدعوة مجاملة.

كادت لانالي أن تتقدم من الكتلة وترفسها لتوقظها لتبتعد عن بالوعتها، حين قام الرجل ذو البذلة الحريرية والقبعة بأدب «أود أن أستخدم هاتفك. لعله من الواجب أن ندعو عربة إسعاف».

نظرت لانا إلى البذلة الحريرية، والقبعة وإلى العينين الموهنتين القلقتين. لا بد أنها وقعت على شخص مأمون. ذي لمسة رقيقة، تراه طبيباً غنياً؟ محامياً؟ كان بإمكانها أن تحول هذا الإخفاق التام إلى ثروة.

«طبعاً» همست له «انظر أنت لا تود أن تضيع أمسيتك في الاهتمام بهذه الشخصية الراقدة في الشارع. إنه سكير عاطل. يبدو عليك أنك بحاجة إلى بعض المتعة» تمشت حول جبل الرداء الأبيض الذي كان يئز ويشخر بعنف بركاني. كان أغناطيوس في مكان ما في عالم الخيال يحلم بأن ميرنا منيكوف الرهيبة قد أخضعت لمحكمة الذوق والحشمة ووجدت دون المستوى المطلوب. حكم مخيف كان على وشك أن يصدر، شيء ما يضمن أذى جسدياً لشخصها عقاباً لها على إزعاجاتها التي لا تحصى. اقتربت لانا لي من الرجل ومدت يدها داخل ثوبها العمالي الذهبي. وأبرزت له خفية الصورة البويثية داخل كفها «ألق نظرة على هذه، يا حبيبي، ما رأيك بقضاء السهرة معها؟».

رفع الرجل ذو القبعة عينيه عن وجه أغناطيوس الشاحب ونظر إلى المرأة، والكتاب والكرة الأرضية، وقطعة الطبشور. تنحنح مرة ثانية وقال «أنا الشرطي مانكوزو عميل متخف. أنت قيد الاعتقال بتهمة ترويج وامتلاك الصور الفضائحية».

وبعد ذلك تماماً اندفعت السيدات الثلاث الأعضاء في لجنة السيدات المساعدات الميتة، فريدا وبيتي وليز، داخل الحشد المتحلق حول أغناطيوس.



فتح أغناطيوس عينيه ورأى بياضاً يطفو فوقه، أحس بصداع وكانت أذنه تنبض. ثم أخذت تتوضح رؤية عيناه الزرقاوين الصفراوين، وأدرك أنه كان ينظر إلى سقف.

«أخيراً أفقت يا ولد» قال صوت أمه بقربه «انظر فقط إلى ما نحن فيه. الآن تحطمنا بحق».

«أين أنا؟».

«لا تحاول أن تبدو ذكياً معي، يا ولد، لا تفعل، أغناطيوس. أنا أحذرك. لقد سئمت أعني ذلك، كيف سأواجه الناس بعد هذا؟».

أدار أغناطيوس رأسه ونظر حوله. كان راقداً في زنزانة صغيرة مكونة من حاجزين من على الجانبين. رأى ممرضة تمر عند أسفل السرير.

«يا لطيف، أنا في مستشفى. من طبيبي؟ أرجو أنك كنت غير أنانية وأمنت لي خدمة أخصائي. وكاهن. استدعي أحداً. سأرى إذا ما كان مقبولاً». نثر أغناطيوس لعاباً منفعلاً على الملاءة التي غطت ببياض ثلجي قمة معدته. لمس رأسه وشعر برباط ملفوف حول صدغية «أو، يا إلهي لا تخافي من إخباري، يا أمي، أستطيع أن أستنتج من الألم أن الأمر كان قاتلاً».

«اخرس وتطلع إلى هذه» قالت السيدة رايلي بما يشبه الصراخ وقذفت بجريدة على ضماد أغناطيوس.

«يا ممرضة!»

انتزعت السيدة رايلي الجريدة عن وجهه وصفعت بيدها شاربه.

«الآن، اخرس يا مجنون. ألق نظرة على الجريدة» كان صوتها يقرقع «لقد تحطمنا».

تحت العنوان الذي يقول [حادثة وحشية في شارع بوربون] رأى أغناطيوس ثلاث صور إلى جانب بعضها. على اليمين، كانت دارلين بثوب الرقص تحمل الببغاء وتبتسم ابتسامة نجمة ناشئة. وعلى اليسار كانت لانالي تغطي وجهها بيديها وهي تصعد إلى المقعد الخلفي لسيارة دورية شرطة ملأى سلفاً

برؤوس الأعضاء المساعدات مقصوصات الشعور اللواتي كن في حفلة السلام. والشرطي مانكوزو ببذلته الممزقة وقبعته ملوية الأطراف يقف بعزم فاتحاً باب السيارة. وفي الوسط كان الزنجي المدمن يبتسم أمام ما بدا وكأنه بقرة ميتة ممددة في الشارع. دقق أغناطيوس في الصورة الوسطى.

«انظري» أرعد أغناطيوس «أي صنف من الأغبياء توظف هذه الجريدة في طاقم مصوريها؟ ملامحي بالكاد تتميز».

«أقرأ ما كتب تحت الصور يا ولد». أشارت السيدة رايلي بإصبع ضغطت على الجريدة كأنما تطعن الصور برمح. «فقط أقرأها، أغناطيوس، ما تظن الناس يقولون الآن في شارع استانبول؟ هيا اقرأها لي بصوت عال، يا ولد. شجار كبير في الشارع، صور قذرة، سيدات السهرة، كل ذلك هنا اقرأ، يا ولد».

«أفضل ألا أقرأ. محتمل أنها ملأى بالتزييف والتهم الباطلة.

لا بد أن صحافيي الجرائد الصفراء بدون شك قد كتبوا كل أنواع التعريض الكاذب». ومع ذلك، لجأ أغناطيوس إلى معاملة القصة بقراءة مفككة.

«هل تقصدي أن تقولي لي أنهم يدعون أن الباص لم يصدمني؟» سأل غاضباً.

«التعليق الأول كذب. اتصلي بالخدمة العامة. يجب أن نقاضيهم».

«اخرس واقرأ بالكامل».

هاجم طائر إحدى راقصات التعري بائع نقانق يرتدي بذلة العمل. فقبض الشرطي المتخفي أ. مانكوزو على لانا لي بتهمة الغواية وحيازة صور فاضحة والوقوف كموديل لهذه الصور. دجل بورما جونز البواب أ. مانكوزو على خزانة تحت البار حيث اكتشفت المواد الفاضحة. وقال أ. مانكوزو لمندوبي الصحف أنه كان يعمل في هذه القضية منذ فترة. وأنه التقى بواحد من عملاء المرأة. تظن الشرطة أن القبض على المرأة (لي) كشف عصابة موزعي الصور الفاضحة على جميع مدارس المدينة الثانوية. وعثرت الشرطة على قائمة

بأسماء المدارس في البار. قال أ. مانكوزو إن العميل سيجري البحث عنه. وبينما كان أ. مانكوزو يقوم بالاعتقال برزت نسوة ثلاث كلاب، وستيل وبمبر، من بين الجمهور المحتشد أمام الملهى وهجمن عليه. وتم حجزهن أيضاً. ونقل أغناطيوس جاك رايلي، في الثلاثين، إلى المستشفى ليعالج من الصدمة.

«إنه سوء حظنا أنه كان لديهم مصور بلا عمل فأرسلوه ليلتقط لك صورة وأنت راقد في الشارع مثل متبطل سكير». أخذت السيدة رايلي تنشق «كان علي أن أعرف أن شيئاً من هذا سيحدث وأنت تحمل صوراً قذرة وتتجول في الشوارع كمهرجي ثلاثي المرفع».

«كانت هذه الليلة الأكثر كآبة في حياتي». تنهد أغناطيوس «كانت عجلة الحظ تدور مخمورة حقاً ليلة أمس أشك في أنني قادر على أن أهبط إلى أدنى من ذلك» تجشأ. «هل لي أن أسألك ماذا كان ذلك الشرطي المنتقم القميء يفعل في مكان الحادث؟».

«ليلة أمس بعد أن هربت اتصلت بسانتا وطلبت منها أن تتصل بأنجلو في المخفر وتطلب منه أن يذهب ليعرف ماذا كنت تفعل في شارع سانت بيتر. سمعتك تعطي عنواناً لسائق السيارة».

«ما أذكاك».

«ظننت أنك ذاهب للاجتماع بشلة من الشيوعيين. هل أخطأت. أنجلو قال إنك كنت تخالط جماعة مضحكين».

«بكلمات أخرى، أرسلت من يتعقبني» صرخ أغناطيوس «أمي تفعل هذا».

«وهاجمك طائر» بكت السيدة رايلي «هذا حدث لك، أغناطيوس. لم يهاجم أحد من قبل طائر».

«أين سائق الباص ذاك؟ يجب أن يُقاضى فوراً».

«أغمي عليك فقط يا غبي».

«إذن لماذا هذا الضماد؟ لا أشعر بأني معافى. لا بد أني أذيت أحد الأجزاء الحيوية حين سقطت في الشارع».

«خدشت رأسك قليلاً فقط. لم يصبك أذى. أجروا لك صور أشعة».

«هل كان الناس يعبثون بجسدي وأنا مغمى علي؟ كان يمكن أن يكون عندك الذوق السليم لإيقافهم. الله يعلم ماذا كان أهل الطب الداعرين يتلمسون». أدرك أغناطيوس أنه بالإضافة إلى الرأس والأذن، كان هناك انتعاظ يزعجه منذ أن أفاق. كان يطالب بأن يعالج. «هل تسمحين بمغادرة هذا الكشل لحظات بينما أتفحص نفسي لأرى إن كنت لم أعامل بسوء؟ خمسة دقائق تكفي».

«انظر أغناطيوس» نهضت السيدة رايلي من على الكرسي وأمسكت أغناطيوس من ياقة البيجاما المنقطة كلباس مهرج كانوا قد ألبسوه إياها. «لا تكن ذكياً معي وإلا صفعت وجهك. أخبرني أنجلو بكل ما حدث. ولد بمستواك العلمي يتسكع مع ناس مضحكين في ذاك الحي، ويدخل ملهى ليشاهد سيدة تلك الليلة صاحت» السيدة رايلي مجدداً «نحن محظوظون أنهم لم يكتبوا كل شيء في الجريدة. وإلا كنا سنضطر لأن ننتقل خارج المدينة».

«أنت من قدم كياني البريء إلى ذاك الملهى الوكر. في الواقع، كل ذلك بسبب خطأ تلك الفتاة. المخيفة ميرنا. يجب. أن تعاقب على أعمالها السيئة».

«ميرنا؟» انتحبت السيدة رايلي «إنها ليست في المدينة. لقد سمعت الكفاية من قصصك المجنونة من قبل عن كيف جعلتهم يطردونك من بناطيل ليفي. لن تفعل بي ذلك مرة أخرى. أنت مجنون. أغناطيوس. حتى لو كان علي أن أقولها: ولدي فقد عقله».

«يبدو عليك أنك منهكة قليلاً. لم لا تدفعين بأحد جانباً وتزحفين إلى واحد من الأسرة الموجودة هنا وتأخذين غفوة. تعالي بعد حوالي ساعة».

«كنت مستيقظة طيلة الليل. وحين اتصل بي أنجلو وقال إنك في المستشفى. كدت أصاب بنوبة وكدت أقع على أرض المطبخ على رأسي تماماً. كان يمكن أن تنكسر جمجمتي. ثم ركضت إلى غرفتي لأرتدي ملابسي ولويت كاحلي. كدت أصل محطمة وأنا أسوق إلى هنا».

«حطاماً آخر!» لهث أغناطيوس «يجب أن أذهب إلى العمل في مناجم الملح هذه المرة».

«خذ، يا غبي. قال لي أنجلو أن أعطيك هذا».

انحنت السيدة رايلي على الأرض بجانب كرسيها والتقطت منها مجلداً ضخماً من (عزاء الفلسفة) وسددت إحدى زواياه على معدة أغناطيوس.

«أووف» قرقر أغناطيوس.

«وجده أنجلو في الملهى مساء أمس» قالت السيدة رايلي بجرأة «أحدهم سرقه منه في المرحاض».

«آه يا إلهي! كان كل ذلك مدبراً» صرخ أغناطيوس وهو يهز الكتاب الضخم بقبضتيه «فهمت ذلك الآن. أخبرتك منذ زمن أن مانكوزو المنغولي هو شيطان الانتقام. والآن ضرب ضربته الأخيرة. ما كان أشد براءتي حين أعرته هذا الكتاب. كيف كنت مخدوعاً». أغلق عينيه الحمراوين وقال بعاطفة مشوشة للحظة «تحتال علي مومس من الرايخ الثالث مخفية وجهها الفاسق بكتابي أنا، بالأسس الراسخة لرؤيتي للعالم. آه، أمي، لو أنك تعرفين كيف خدعت بقسوة في مؤامرة حاكها أناس دون مستوى البشر. من المفارقة أن كتاب عجلة الحظ نفسه فأل سيء. آه عجلة الحظ أيتها الداعرة المنحطة!».

«اخرس» صاحت السيدة رايلي وقد ظهرت خطوط على وجهها المرشوش بالبودرة من الغضب «أتريد أن يأتي إلى هنا كل أهل المستشفى؟ ما تظن أن ألمس آني ستقول الآن؟ كيف سأواجه الناس أيها الغبي المجنون أغناطيوس؟ الآن تطلب هذه المستشفى عشرين دولاراً قبل أن أخرجك من هنا. لم يأخذ سائق الإسعاف إلى مشفى خيري كما يفعل اللطفاء. كان عليه أن يرميك هنا بمستشفى مأجور. من أين لي العشرون دولاراً؟ يجب أن أدفع قسط البوق الذي اشتريته غداً يجب أن أدفع للرجل عن بناتيه».

«هذا تعد. طبعاً لن تدفعي عشرين دولاراً. هذه سرقة في الشارع العام. الآن أسرعي إلى البيت ودعيني هنا. هنا أكثر أماناً. سأتماثل للشفاء في آخر الأمر. هذا تماماً ما تحتاج إليه نفسي في هذه اللحظة. حين تتاح لك فرصة اجلبي لي بعض أقلام الرصاص ومصنف الأوراق المفرقة. ستجدينها على طاولتي. يجب أن أسجل هذه الصدمة وهي لا تزال حية في ذهني. أعطيك الأذن بدخول غرفتي. الآن أستميحك العذر. يجب أن أرتاح».

«ترتاح؟ وأدفع عشرين دولاراً أخرى عن يوم آخر؟ انهض عن هذا الفراش. لقد دعوت كلود سيأتي إلى هنا ويدفع فاتورتك».

«كلود؟ ومن هذا الكلود».

«رجل أعرفه».

«إلى ماذا صرت؟» شهق أغناطيوس «حسنا افهمي شيئاً واحداً لن يقوم رجل غريب بدفع فاتورة مستشفاي. سأبقى هنا إلى أن يشترى مال شريف حريتي».

«انهض من هذا الفراش» صرخت السيدة رايلي شدت البيجاما. لكن الجسد كان غاطاً في الملاءة مثل نيزك «انهض قبل أن أشوه وجهك».

حين رأى محفظة أمه ترتفع فوق رأسه جلس.

«آه! يا إلهي. أنت ترتدين حذاء البولنغ» وألقى أغناطيوس عيناً حمراء زرقاء صفراء على جانب السرير قرب جوارب أمه القطنية المنسدلة والناسلة. «أنت وحدك تستطيعين أن ترتدي حذاء بولينغ عند سرير طفلك المريض».

لكن أمه لم تستجب للتحدي. كان عندها التصميم والتفوق اللذين جاءا مع غضب حاد. كانت عيناها فولاذيتين، وشفتاها رقيقتين وصلبتين.

كل شيء كان يسير نحو الأسوأ.



نظر المستر كلايد إلى جريدة الصباح وطرد رايلي. مهنة القرد الكبير كبائع قد انتهت لماذا كان هذا السعدان الضخم يرتدي زي العمل وهو خارج وقت العمل؟ قرد واحد مثل رايلي يمكن أن يشوه عشر سنين من محاولة بناء اسم تجاري محترم. باعة الهات دوغ عندهم مشكلة المظهر بدون أن يغمى على أحدهم في الشارع عند بيت دعارة.

على المستر كلايد والحلة وبقبقا. إن حاول رايلي أن يظهر في شركة باعة الفردوس المحدودة ثانية، فسيتلقى حقاً الشوكة في عنقه. لكن هناك الرداء وعدة القرصان. لا بد أن رايلي هرّ بها خارج المرآب بعد ظهر أمس. سيكون

عليه أن يتصل بالقرد الكبير على كل حال، ولو فقط ليقول له ألا يأتي ناحيته. لا يمكنك أن تتوقع استرداد بذة العمل من حيوان مثل رايلي.

ضرب رقم هاتف شارع استانبول عدة مرات ولم يتلق أي جواب. ربما وضعوه بعيداً في مكان ما. ولا بد أن أم القرد الضخم ميتة من السكر على الأرض. لا يعلم غير المسيح ما هو شكلها. يا لها من عائلة!...



أمضى الدكتور تالك أسبوعاً بائساً. بطريقة ما عثر الطلبة على واحد من التهديدات التي كان طالب الدراسات العليا العصابي يطيرها إليه منذ سنوات. لم يدر كيف وقعت في أيديهم ولكن النتائج كانت بشعة سلفاً. كانت الإشاعات حول ملاحظة التهديد تنتشر ببطء. أصبح أضحوكة الجامعة. وفي إحدى حفلات الكوكتيل شرح له أحد زملائه سبب الضحك والهمس اللذين كانا يفسدان صفوفه التي كانت محترمة.

ما ذكرته الملاحظة حول «إساءة قيادة الشباب وإفسادهم» قد أسيء فهمه وأسيء تفسيره. تساءل ما إذا سيكون عليه شرح الأمر للإدارة في نهاية المطاف. كما أن عبارة «الخصيتان المتخلفتان» جعلت الدكتور تالك يشعر بالإذلال. إن نقل المسألة إلى دائرة الضوء يمكن أن يكون أفضل خطة، لكن هذا يعني البحث عن ذلك الطالب السابق. والذي كان من النوع الذي يمكن أن ينكر أية مسؤولية على أية حال. ربما توجب عليه ببساطة أن يصف ما كان عليه السيد رايلي. لقد رأى الدكتور السيد رايلي ثانية بلفاعه السميك مع تلك الفتاة الفوضوية المزعجة بحقيبتها التي تجوب بها هنا وهناك مع السيد رايلي وتوسخ أرجاء الجامعة بمنشوراتها. لحسن الحظ لم تمكث في الكلية فترة طويلة، على الرغم من أن رايلي بدا وكأنه يخطط أن يجعل نفسه راسخاً في الجامعة رسوخ أشجار النخيل ومقاعد الحديقة.

وضعهما الدكتور تالك في صفين منفصلين في أحد الفصول المقيتة، حيث كانا يزعجان محاضراته بضوضاء غريبة وبأسئلة خارج عن الموضوع ومربكة لا أحد غير الله يمكن أن يجيب عليها. هز كتفيه. عليه بالرغم من كل شيء

أن يصل إلى رايلي وينتزع منه تفسيراً واعترافاً. نظرة واحدة إلى السيد رايلي وإلى الطلبة ستوضح أن الملاحظة من خيال عقل مريض. يمكن أن يجعل الإدارة تنظر إلى السيد رايلي. والحل. أخيراً، كان حلاً مادياً حقاً، وهو جلب السيد رايلي بشحمه ولحمه.

رشف الدكتور تالك الفودكا عصير ف - ٨ الذي يتناوله دائماً بعد الإسراف في الشراب الاجتماعي ونظر في الجريدة. لقد حصل الناس في الحي على متعة فظة. رشف كأسه وتذكر الحادثة التي رمى فيها السيد رايلي أوراق الامتحانات فوق رؤوس الطلبة المتظاهرين تحت شرفة مكتب الكلية في المبنى. ستتذكر الإدارة ذلك، أيضاً، تبسم راضياً عن نفسه ثم عاد للنظر في الجريدة. كانت الصور الثلاث تثير المرح. لقد كان العوام والقوادون - من بعيد - يخلقون لديه الشعور بالمرح. قرأ المقالة وشرق بشرابه فأصاب الرذاذ سترته الآن ستزداد الإشاعات سوءاً إذا اكتشفت أن رسالة التهديد قد كتبها بائع نقانق.

كيف انحدر رايلي إلى هذا المستوى. لقد كان غريب الأطوار يأتي بعربته إلى حديقة الجامعة ويحاول أن يبيع الهات دوغ أمام مبنى طلاب الاجتماع مباشرة. يمكن أن يحيل متعمداً الحادثة إلى سيرك ذي دوائر ثلاث. وستكون مهزلة مشينة يكون فيها الدكتور تالك المهرج.

وضع الدكتور تالك الجريدة ونظارتيه أمامه وغطى وجهه بكفيه. يجب عليه أن يتعايش مع تلك الرسالة. وسينكر كل شيء...



نظرت المس آني في جريدة الصباح واحمرّت. كانت تتساءل لم كان منزل آل رايلي هادئاً ذلك الصباح. حسناً لقد كانت تلك القشة الأخيرة. الآن أصبحت الناحية ذات اسم سيء. لم تعد تحتمل أكثر. يجب أن ينتقل هؤلاء الناس من الناحية. ستجعل الجوار يوقعون التماساً.



نظر الشرطي مانكوزو إلى الجريدة ثانية. ثم رفعها إلى صدره وانبعث ضوء الفلاش كان قد جلب معه آلة تصوير براون التي يستعملها في أيام العطل، إلى المخفر وسأل الرقيب أن يصوره مع خلفيات رسمية: مكتب الرقيب، درج المخفر، سيارة الشرطة، شرطية مرور متخصصة في الذين يتجاوزون السرعة في مناطق المدارس.

لما لم يعد هناك سوى صورة واحدة، قرر الشرطي مانكوزو أن يجعلها خاتمة درامية مستعيناً بمن حوله. بينما كانت شرطية المرور تمثل دور لينالي، وتصعد إلى مؤخرة سيارة دورية الشرطة مكشرة وملوحة بقبضة منتقمة. واجه الشرطي مانكوزو آلة التصوير مع جريدته وقطب بقسوة.

«أوكي أنجلو هل هذا كل شيء؟» سألت الشرطية، وهي متلهفة إلى الذهاب نحو مدرسة قريبة قبل أن تنتهي ساعات تحديد في ذلك الصباح.

«شكراً جزيلاً، كلاديز» قال الشرطي مانكوزو «أولادي يرغبون بمزيد من الصور ليراها أصدقاؤهم الصغار».

«طبعاً بالتأكيد» صاحت كلاديز مسرعة في الخروج من باحة المخفر وحقيبة كتفها منتفخة ببطاقات السرعة السوداء. «أظن أن لهم الحق في الافتخار بأبيهم. وأنا سعيدة بمساعدتك يا عزيزي. في أي وقت تشاء أن تأخذ مزيداً من الصور فقط أخبرني».

ألقى الرقيب بآخر مصباح متوهج في سلة مهملات وثبت يده بإحكام فوق كتف الشرطي مانكوزو القائم، وقال:

«قضيت وبمفردك على أكثر عصابات ترويج الصور الفاضحة نشاطاً في المدينة».

وضرب بكفه على طرف كتف الشرطي مانكوزو «مانكوزوا، من دون جميع الناس، يقبض على امرأة لم يستطع حتى أفضل شرطتنا المتخفين بملابس بسيطة أن يخدعها. لقد اكتشفت أن مانكوزو كان يعمل في هذه القضية في وقته الخاص. استطاع مانكوزو أن يتعرف على أحد عملائها. من الذي كان يتجول طيلة الوقت وحده للبحث عن شخصيات مثل تلك النسوة الثلاث في محاولة للقبض عليهن؟ مانكوزو هو الذي يفعل».

توهجت بشرة مانكوزو الزيتونية قليلاً إلا في بعض المناطق التي خدشتها مساعدات حفلة السلام. كانت تلك المناطق ببساطة حمراء.

«مجرد حظ» عرض الشرطي مانكوزو، وهو يتنحنح من بلغم غير مرئي. «أحدهم أرشدني للمكان. ومن ثم طلب مني ذاك البورما جونز أن أبحث في الخزانة تحت البار».

«لقد خططت لحملة بمفردك أنجلو».

أنجلو؟ تحول إلى طيف من الظلال ما بين البرتقالي والبنفسجي.

«لن أستغرب أن تنال ترقية بسبب ذلك» قال الرقيب «لقد كنت شرطياً جوالاً لوقت طويل. ومنذ أيام قليلة كنت أظنك جحشاً.. ما رأيك؟. ماذا تقول عن ذلك مانكوزو؟».

تنحنح الشرطي مانكوزو بعنف.

«هل أستطيع استعادة آلة التصوير؟ سأل متردداً حين أصبحت حنجرته أخيراً نظيفة».



حملت سانتا باناغاليا الجريدة إلى غرفة صورة أمها وقالت «كيف ترين الأمر يا عزيزتي؟ كيف ترين الطريقة التي نجح بها حفيدك؟ يعجبك ذلك يا عزيزتي؟» وأشارت إلى صورة أخرى «كيف ترين ابن ايرين المجنون راقداً على الأرض مثل حوت قتيل؟ أليس هذا محزناً؟ يجب على هذه البنت أن تبعد هذا الولد هذه المرة. أتظنين أن أي رجل يمكن أن يتزوج ايرين وهذا المتبطل الضخم رابض في المنزل؟ طبعاً لا».

أمسكت سانتا بصورة أمها وأعطتها قبلة مبللة «هوني عليك يا عزيزتي. أنا أصلي من أجلك».



نظر كلود روبيشو إلى الجريدة بقلب مثقل وهو يمتطي عربة الترام إلى المستشفى. كيف يشين هذا الولد الضخم امرأة جميلة لطيفة مثل ايرين؟ التي

كانت دائماً شاحبة ومتعبة قلقاً على ابنها. كانت سانتا على حق. ولد ايرين هذا يجب أن يعالج قبل أن يجلب مهانة جديدة لأمه الرائعة.

اقتصر الأمر هذه المرة على عشرين دولاراً، في المرة القادمة يمكن أن تكون أكثر بكثير حتى بمعاش تقاعدي جيد وبعض الأملاك لا يستطيع الشخص أن يعيل ابن زوجة كهذا.

لكن أسوأ شيء هو العار.



كان جورج يلصق المقالة في دفتر قصاصات إنجازه الفتي وكان ذلك واحداً من تذكاراته عن فصله الأخير في المدرسة. ألصق المقالة على صفحة فارغة ما بين رسوماته الحيوية لشريان الوتين عند البطة وبين مشروعه في التربية المدنية عن تاريخ الدستور. كان عليه أن يعطيه لهذا المانكوزو، لقد كان حقاً مشوشاً. تساءل إذا ما كان اسمه في القائمة التي عثرت عليها الشرطة في الخزانة. إن كان ذلك، فإنها ستكون فكرة جيدة بأن يذهب ويزور عمه الذي يقيم في الساحل. لكن لديهم اسمه. في الحقيقة لم يكن لديه من المال ما يمكنه من الذهاب إلى أي مكان. أفضل شيء أن يبقى في البيت لفترة. هذا المانكوزو سيوقع به إن نزل إلى مركز المدينة.

كانت أم جورج تنظر إلى ابنها، وهي تكنس بالمكنسة الكهربائية في الجانب الآخر من غرفة الجلوس بأمل وهو يعمل في دفتر القصاصات المدرسي. لعل الاهتمام بالمدرسة قد عاوده. لم يظهر أنها وأباه قادرين على فعل شيء معه، ما هي فرص فتى بدون دراسة عالية هذه الأيام؟ ماذا يمكنه أن يفعل؟

أوقفت المكنسة الكهربائية واستجابت لجرس الباب. كان جورج يدرس الصور ويتساءل ماذا كان يفعل ذلك البائع في ليل الحبور. لا يمكن أن يكون نوعاً من عملاء الشرطة. على كل حال، فإن جورج لم يقل له من أين أتت تلك الصور. كان هناك شيء مضحك في القصة كلها.

«الشرطة؟» سمع جورج أمه تسأل على الباب «لا بد أنكم أخطأتم الشقة».

هرع جورج إلى المطبخ قبل أن يدرك أنه ما من مكان يذهب إليه. الشقق في المشروع السكني لها باب واحد فقط.



مزقت لانا لي الجريدة قطعاً ثم مزقت القطع قطعاً أصغر. حين جاءت المشرفة إلى الزنزانة لتطلب منها أن تنظفها، قالت إحدى السيدات المساعدات الثلاث اللواتي يشاركنها في الزنزانة، للمشرفة «انقلعي. نحن الذين نعيش في هذا المكان. نحن نحب الورق على الأرض».

«انصرفي» أضافت ليز.

«اختفي من وجهنا» قالت بيتي.

«سأتولى أمر هذه الزنزانة» أجابت المشرفة. «أنتن الأربعة أحدثتن ضجة منذ أن أتيتن ليلة أمس».

«أخرجيني من هذا الجحر الملعون» صرخت لانا لي بوجه المشرفة «لم أعد أحتمل دقيقة أخرى مع هذه الخفافيش الثلاثة».

«اسمعوا!» قالت فريدا لزميلتها في الشقة «الدمية لا تحبنا».

«ناس أمثالكن يفسدن الحي» قالت لانا لفريدا.

«اخرسي» قالت لها ليز.

«لُفُّوها، يا حلوات» قالت بيتي.

«أخرجوني من هنا» صرخت لانا من وراء القضبان.

«أمضيت الليل الملعون كله مع هذه الزواحف، لي حقوقي. لا يمكنكم إبقائي هنا».

ابتسمت المشرفة لها ومضت.

«أنت هناك!» صرخت لانا نحو أسفل الممشى «ارجعي إلى هنا».

«طوّلي بالك يا عزيزة» نصحت فريدا. «كفاك هزاً للقارب. هيا أرينا صورك التي تخفينها في حمالة صدرك».

«نعم» قالت ليز.

«أخرجي تلك اللقطات، يا دمية» أمرت بيتي «مللنا من النظر إلى هذه الحيطان الباردة».

وتنهدت الفتيات الثلاث أمام لانا في وقت واحد.



قلب دوريان غرين إحدى بطاقاته وكتب على ظهرها بأحرف كبيرة شقة مذهلة للإيجار: المراجعة الساعة الواحدة. خرج إلى الرصيف المبلط وسمّر البطاقة على أحد مصراعي الباب اللماع. ستغيب الفتيات وقتاً طويلاً هذه المرة. فالشرطة دائماً قساة حيال الجريمة الثانية. كان من سوء الحظ أن الفتيات لم يكن اجتماعيات مع زملائهن سكان الحي، وإلا لكان أحدهم قد نبههن إلى ذلك الشرطي الرائع. ولم يكن ليرتكبن الخطأ القاتل بالهجوم على أفراد الشرطة.

غير أن الفتيات كن منفرات وعدوانيات. وبدونهن شعر دوريان أنه هو ومبناه غير محميين أبداً. حرص حرصاً خاصاً على إقفال بوابته المصنوعة من الحديد المطاوع للأمان. ومن ثم عاد إلى شقته لينهي مهلة تنظيف الغرفة مما تخلف فيها من أقذار بعد مسيرة الانطلاق. لقد كانت أكثر الحفلات روعة في مهنته، في ذروتها وقع تيمي من على الثريا ولوى كاحله.

التقط دوريان فردة حذاء راعي بقر كسر كعبها وألقى بها في سلة المهملات متسائلاً فيما إذا كان أغناطيوس ج. رايلي المستحيل في حالة جيدة. بعض الناس لا يُطاقون بكل بساطة. لا بد أن أم ملكة الفجر الحلوة كسيرة الفؤاد بسبب الفضيحة المرعبة على صفحات الجرائد.



قصت دارلين صورتها من الجريدة ووضعتها فوق طاولة المطبخ، أي ليلة افتتاح! على الأقل حصلت على شيء من الشهرة منها.

التقطت ثوب هارليت أوهارا من على الصوفا وعلقته في خزانة الثياب فيما كان الببغاء يراقبها ويوقوق قليلاً من مجثمه. لا شك أن جونز قام

بمبادرته حين اكتشف أن ذلك الرجل شرطي فقاده مباشرة إلى الخزانة تحت البار. الآن هي وجونز بلا عمل. أصبح ليل الحبور خارج المهنة. ولانا لي لم تعد متداولة. يا لتلك اللانا. تتصور صوراً فرنسية. تفعل أي شيء من أجل دولار واحد.

نظرت دارلين إلى القرط الذهبي الذي جلبه الببغاء إلى البيت. كانت لانا على حق دائماً كان هذا الرجل المجنون الضخم قبلة الموت (م). عندئذ رن الهاتف وحين أجابت، قال رجل: «اسمعي، لقد حصلت على شهرة عظيمة. الآن أنا أدير ناديا في المبنى خمس مائة في بوريون و...».



فرد جونز الجريدة على البار في حانة ماتي رامبل ونفث عليها بعض الدخان وقال للسيد واتسون «من المؤكد أنك أعطيتني فكرة جيدة عن التخريب والآن أمارس التخريب على نفسي بالمقابل بأن عدت عاطلاً عن العمل!».

«يبدو أن هذا التخريب قد عمل مثل انفجار قنبلة نووية».

«هذا العجيب السمين قنبلة نووية مكفولة مئة بالمئة. هراء. ارم أحدهم به، تجد الجميع يعلقون في الغبار الذري المتساقط ويفجرون مؤخراتهم. ليل الحبور تحول حقاً إلى حديقة حيوانات ليلة أمس أولاً كان الطائر ثم جاء الأم السمينة يجرجر نفسه، ثم ثلاث قطط يبدو أنهن هربن تواً من الملعب. هراء. كل منهم كان يقاتل ويخمش ويصرخ وذاك العجيب السمين راقد على الأرض كأنه ميت. والناس المتقاتلون والمتطاحنون كلهم يدورون حول ذاك القط الضخم المغمى عليه في الشارع، بدا الأمر وكأننا في قتال داخل البار في فيلم عن الغرب. بدا وكأنه صراع عصابات كان هناك حشد في شارع بوريون وكأننا على أبواب لعبة كرة قدم. جرجر الشرطة بنت الحرام (لي). تبين في النهاية أن ليس لها أي أصدقاء في المخفر. ربما يأخذون أيضاً بعض الأيتام الذين ترعاهم. هذه الجريدة ستدفع كثيراً من الأمهات

اللواتي حصلن على الصورة... سيسألنني عن كل ما جرى. من قال إن قطا ملوناً لا يمكن أن تنشر صورته على الصفحة الأولى؟»

سأصبح أشهر عاطل عن العمل في المدينة. قلت للشرطي مانكوزو، الآن وقد أغلق بيت القطط هذا فما رأيك أن تخبر أصدقاؤك في السلك بأني ساعدتك حتى لا يبدؤوا بجرجرة مؤخرتي لكوني عاطلاً عن العمل؟ من يرغب في أن يحشر في أنغولا مع لانا لي؟ لقد كانت سيئة بما فيه الكفاية في الخارج.

«هل عندك أية خطط للحصول على عمل، جونز؟».

نفث جونز سحابة سوداء، نذير عاصفة، وقال، بعد هذا النوع من العمل الذي كنت فيه بأجر أقل من الحد الأدنى. أنا حقاً أستحق استراحة مأجورة. أين يمكن أن أحصل على عمل آخر؟ كثير من الملونين يجرجرون مؤخراتهم في الشوارع. وأن تحصل على عمل لمؤخرتك ليس أسهل شيء في العالم. لست القط الوحيد الذي لديه مشكلة. هذه الشابة دارلين لن تتمكن بسهولة الحصول على عمل هي ونسرها. لقد رأى الناس ماذا حدث أول ما دخلت مؤخرتها المسرح. سيلقون على وجهها الماء إذا قالت إنها تبحث عن عمل. أترى ما أعني؟ تلقى بشخص ما مثل الأم السمينة للتخريب، فيصاب كثير من الأبرياء مثل دارلين بالأذى.

الآنسة (لي) تقول دائماً إن ذلك الفلتة السمين يخرب مصالح الجميع. ربما كانت دارلين ونسرها المكوّر يحتكان ببعضهما الآن ويقولان: «كانت ليلة افتتاح عظيمة..» أنا آسف جداً لأن عملية التخريب انفجرت في وجه دارلين، ولكن عندما رأيت الأم الكبيرة لم أستطع المقاومة. عرفت أنه سيُحدث انفجاراً ما في ليل الحبور.. لقد نسفنا فعلاً!..

«أنت محظوظ أن رجال الشرطة لم يأخذوك أنت أيضاً لأنك تعمل في ذلك البار».

«الشرطي مانكوزو قال إنه يقدّر أني دللته على تلك الحجرة. ويقول/ نحن الأمهات في السلك نحتاج إلى أناس مثلك ليخرجونا/ ويقول/ أناس مثلك

ساعدوني على التقدم/، وأنا قلت/ لا تنسى أن تقول ذلك لأصدقائك في المخفر حتى لا يبدؤوا بضرب مؤخرتي بتهمة التشرد/ فقال/ سأفعل حتماً. الجميع في المخفر سيقدرون ما فعلت يا رجل/ أمهات الشرطة يقدرونني أنا. ربما حصلت على مكافأة ما» سلط جونز بعض الدخان على رأس السيد واتسون الأسمر الضارب إلى الصفرة بنت الحرام (لي) لديها صور لها في تلك الحجيرة. كان الشرطي مانكوزو يحدق في تلك الصور وقد كادت عيناه تفران من محجريهما، وهو يقول /الآن سأتقدم/ وأنا أقول لنفسي/ بعض الناس سيتقدمون، وبعضهم الآخر سيصبحون مشردين ثانية. وبعض الناس لن يعودوا موظفين دون الحد الأدنى للأجور بعد هذه الليلة، بعض الناس سيجرجرون مؤخراتهم في الطرقات في مكان آخر، سأشتري لنفسي مكيف هواء وتلفزيون ملون هراء.. أولاً أنا خبير بالكناسة، والآن أنا مشرد.

«يمكن أن تكون الأمور أسوأ».

«نعم، لك أن تقول هذا يا رجل. لديك تجارة صغيرة، ولديك ابن يدرس في المدرسة ربما يحصل على بويك ومكيف وتلفزيون.. أنا ليس عندي مذياع. راتب ليل الحبور يبقي الناس تحت مستوى مكيف الهواء»، نفث جونز سحابة فلسفية «ولكنك محق بطريقة ما يا داتسون. الأشياء يمكن أن تكون أسوأ. ربما أكون أنا تلك الأم السمينة. ما الذي يمكن أن يحصل لشخص مثله...».



استقر السيد ليفي على الأريكة الصفراء النايلون وفتح جريدته، التي كانت تصله إلى الشاطئ كل صباح بموجب اشتراك أغلى من العادي. كان رائعاً أن تكون الأريكة له وحده، ولكن اختفاء المس تريكسي لم يكن كافياً ليبهج نفسه. لقد أمضى ليلة أرقاً. كانت السيدة ليفي على لوح تمارينها تعالج سمنتها بنشاط صباحي مبكر. كانت صامتة، تفكر في بعض الخطط للمؤسسة وتكتبها على ورقة وضعتها على القسم الأمامي المتموج من اللوح. وضعت القلم ومدت يدها لتختار قطعة حلوى من علبة على الأرض. كانت تلك الحلوى هي سبب أرق السيد ليفي تلك الليلة. فقد ذهب برفقة السيدة

ليفي عبر أحراج الصنوبر ليري السيد رايلي في ماندفيل. ولم يقف الأمر عند كونه لم يجده هناك فحسب وإنما عامله أحد المسؤولين عن المكان بشكل بالغ الوقاحة إذ ظنه شخصاً مضحكاً، كانت السيدة ليفي تبدو مضحكة بشعرها الذهبي المبيض، ونظارتها الشمسية ذات العدسات الزرقاء، والماسكرة الزبرجدية التي رسمت حلقة حول العدسات الزرقاء تشبه الهالة. ظن السيد ليفي أنها بجلستها في السيارة الرياضية أمام البناء الرئيسي في ماندفيل وقد وضعت علبة الحلوى الكبيرة في حضنها، أثارت شكوك المسؤول. ولكنها أخذت الأمر بمنتهى الهدوء. يبدو أن العثور على السيد رايلي لم يكن بالغ الأهمية بالنسبة للسيدة ليفي. وبدأ زوجها يشعر أنها لم تكن حريصة على أن يجد رايلي، وأنها ربما كانت تأمل أن يكسب ايبلمان القضية كي تتمكن من استخدام فقرهم الناجم عن ذلك كدليل حاسم أمام سوزان وساندرا على فشل أبيهما الذريع. كان لتلك المرأة عقل ملتو لا يمكن سير أغواره إلا عندما تستشم رائحة فرصة تتغلب فيها على زوجها، والآن بدأ يتساءل من تراها تناصر، هو أم ايبلمان.

كان قد طلب من غونزاليز أن يلغي حجوزات نشاطاته الربيعة. فقضية ايبلمان هذه بحاجة إلى تسوية. عدّل السيد ليفي جريدته وشعر ثانية أنه، لو كان جهازه يستطيع التحمل، لكان عليه أن يكرس وقته للإشراف على بناطيل ليفي، وما كان لأشياء مثل هذه أن تحصل، ولكانت الحياة مسالمة. ولكن الاسم وحده، بمقطعيه (بناطيل ليفي) كان كفيلاً بإشعاره بمضاعفات الحموضة في صدره. ربما كان عليه أن يغير الاسم. ربما كان عليه أن يغير غونزاليز. بالرغم من أن مدير المكتب كان بالغ الإخلاص. كان يحب عمله برغم العقوق وضآلة الراتب، فكيف تستطيع أن تطرده بكل بساطة. وأنّى له أن يجد عملاً آخر؟ والأهم من ذلك من أين تجد بديلاً له؟ أحد الأسباب القوية للإبقاء على بناطيل ليفي كان إبقاء غونزالير على رأس عمله. حاول السيد ليفي، ولكنه لم يجد أي سبب آخر لإبقاء المكان مفتوحاً. فغونزاليز ربما ينتحر إذا أغلق المعمل. كانت هناك حياة بشرية يجب التفكير فيها. بالإضافة إلى أن أحداً لم يرغب بشراء المكان.

ألم يكن بإمكان ليون ليفي أن يسمي منشأنه «بنطلونات ليفي»؟ ذلك ليس سيئاً جداً. ففي جميع مراحل حياته، خاصة عندما كان طفلاً، كان غاس ليفي يقول «بينطال ليفي» فيقولون له «لا ما بينطال». وعندما كان حوالي العشرين قال لأبيه إن تغيير الاسم ربما يحسن تجارتهم فأجاب والده «الآن لم تعد/ بناطيل ليفي/ تليق بمستواك؟ الطعام الذي تأكله/ بناطيل ليفي/ والسيارة التي تقودها/ بناطيل ليفي/ أنا نفسي/ بناطيل ليفي/ هل هذا هو الامتنان؟ هل هذا هو إخلاص الأطفال؟ بعد ذلك سأضطر إلى تغيير اسمي نفسه. اخرس أيها الولد الفاسد. اذهب والعب بالسيارات والفتيات المتمردات. أنا أعاني من الكساد دون نصائحك. الأفضل أن تسدي هذه النصيحة لشركة هوفر. يجب أن تقول له أن يغير اسمه إلى شليميل. اخرج من مكتبي! اخرس!».

نظر غاس ليفي إلى الصور والمقالة على الصفحة الأولى وأطلق صفرة من بين أسنانه «يا ولد!».

«ما الأمر يا غاس؟ مشكلة؟ هل لديك مشكلة؟ كنت صاحياً طوال الليل. كنت أسمع حمام الدوامة يعال طوال الليل. ستصاب بانهيار. أرجوك أن تراجع طبيب ليني قبل أن تصبح عنيفاً».

«لقد وجدت السيد رايلي».

«إذن أنت سعيد».

«ألست سعيدة؟ انظري. إنه في الصحف».

«حقاً؟ أحضرها إلى هنا. لطالما تساءلت عن حقيقة هذا المثالي. أظن أنه حصل على إحدى جوائز المدينة».

«بالأمس كنت تقولين إنه معتوه».

«إذا كان ذكياً لدرجة أنه استطاع إرسالنا إلى ماندفيل كما لو كنا أضحوكته. فإنه ليس معتوهاً. أي شخص حتى لو كان مثل ذاك المثالي يستطيع أن يضحك منك».

نظرت السيدة ليفي إلى المرأتين، والطائر، والبواب المكشر. «أين هو؟ أنا لا أرى أي مثالي». أشار السيد ليفي إلى البقرة الطريحة في الشارع. «هل هذا هو؟ في الدرك الأسفل؟ هذا مأساوي. مخمور، ومترنح، ويائس، ها هو منسي سكران. سجل اسمه في دفترك قرب اسم المس تريكسي واسمي كونه شخص آخر دمرت حياته».

«عضه طائر من أذنه أو شيء مجنون من هذا القبيل. انظري إلى هذه الباقة من الشخصيات المشبوهة في هذه الصور. قلت لك إن له سجلاً لدى الشرطة. هؤلاء الأشخاص رفاقه.. متعريات وقوادون ومروجو صور داعرة».

«كان في أحد الأيام ملتزماً بقضايا مثالية. انظر إليه الآن. لا تقلق. ستدفع ثمن كل ذلك في أحد الأيام. بعد بضعة أشهر، متى انتهى ايبلمان منك، ستجد نفسك تدور في الشوارع ثانية تدفع عربة مثل أبيك. ستتعلم ما يحصل عندما تتلاعب مع شخص مثل ايبلمان عندما تدير أي عمل كما لو كنت (بلاي بوي) فتى مستهتراً، ستصاب سوزان وساندرا بحالة صدمة عندما تكتشفان أن ليس هناك أي قرش باسمهما. سينكرانك، وتصبح غاس ليفي، الوالد سابقاً».

«أنا ذاهب إلى المدينة الآن لأتحدث مع رايلي هذا. سأسوي مسألة الرسالة المجنونة».

«يا سلام... غاس ليفي التحري. لا تضحكني. ربما أنت كتبت تلك الرسالة في أحد الأيام بعد أن كسبت في السباق وكانت معنوياتك عالية، كنت أعرف أن الأمر سينتهي بهذا الشكل».

«أعتقد أنك تتوقين فعلاً لأن يرفع ايبلمان قضية ضدي. أنت تتمنين دماري، حتى إذا سقطت أنت معي» تثاءبت السيدة ليفي وقالت: «هل أستطيع أن أحارب ما أمضيت حياتك كلها تسعى إليه؟ هكذا فعلاً سيثبت للبنتين أن كل ما كنت أقوله عنك كان صحيحاً. وكلما أمعنت التفكير في قضية ايبلمان، ازدادت قناعتي بأن الأمر كان لا مهرب منه يا غاس. الحمد لله أن أمي تملك بعض المال. كنت دائماً أعرف أني سأرجع إليها في أحد الأيام. ربما ستضطر

إلى التخلي عن سان جوان. لا يمكنك إبقاء سوزان وساندرا على قيد الحياة بمبلغ تافه».

«أوه، اخرسي».

«أنت تطلب مني أن أخرس؟» رفعت السيدة ليفي نفسها ثم انخفضت ثم ارتفعت ثم انخفضت «يفترض مني أن أرقب انهيارك التام وألزم الصمت؟ يجب علي أن أرسم خططاً لنفسي ولبنتيّ. أعني، الحياة تستمر يا غاس. لا أستطيع أن أنتهي في شارع السقوط معك. ليس لك سوى أن تحمد الله لأن والدك قد غادرنا. لو أنه عاش ليرى شركة بناطيل ليفي تخسر بسبب مداعبة سمجة، لدفعت ثمن ذلك. صدقني. ليون ليفي كان سيطردك من البلاد. ذاك الرجل كانت لديه شجاعة وتصميم. ومهما يحدث فإن مؤسسة ليون ليفي ستصمد. حتى إذا اضطررنا أنا وأمي إلى الاستغناء. فإنني سأمضي في موضوع الجوائز. سأكرم وأكافئ الأشخاص الذين يتحلون بالشجاعة والإقدام اللذين رأيتهما في أبيك. ولن أتركك تجرجر اسمه إلى الحضيض معي في رحلتك إلى شارع السقوط. بعد أن تنتهي قضية ايبلمان، ستكون محظوظاً إذا وظفوك ساقياً للماء في واحد من تلك الفرق التي تحبها كثيراً. يا إلهي كم ستشتغل وقتها، وأنت تركض هنا وهناك تحمل السطل والاسفنجة مثل متبطل سكير. ولكن لا تشعر بالشفقة على نفسك. أنت جلبت ذلك لنفسك».

عرف السيد ليفي الآن أن منطق زوجه الغريب جعل تدميره أمراً ضرورياً. كانت ترغب برؤية ايبلمان منتصراً، كانت سترى في الانتصار عدالة خاصة، فمنذ اللحظة التي قرأت زوجه رسالة ايبلمان انطلق عقلها يحلل الموضوع من جميع الزوايا. كل دقيقة أمضتها على دراجة التمارين أو تتأرجح على اللوح كان جهاز المنطق لديها يقنعها بشكل متزايد أن ايبلمان يجب أن يكسب القضية. النصر لن يكون نصر ايبلمان وحده بل نصرها هي أيضاً. كل مؤشر ودليل رفعته أمام البنتين سواء أثناء المحادثة أو في المراسلات كان يشير إلى فشل أبيهما النهائي المرعب. ولم تكن السيدة ليفي لتستطيع تحمل كونها

مخططة. كانت بحاجة إلى القضية ذات الـ ٥٠٠ ألف دولار. حتى أنها لم تكن مهتمة بحديثه مع رايلي. لقد انتقلت قضية ايبلمان من مركب مادي إلى آخر أيديولوجي وروحاني حيث سنت القوى العالمية والكونية أن غاس ليفي يجب أن يخسر، وأن غاس ليفي المهجور والمحروم من اولاده يجب أن يتجول إلى الأبد مع السطل والاسفنجة.

«حسناً، سأذهب في أثر رايلي» قال السيد ليفي أخيراً.

«ما هذا التصميم! أكاد لا أصدق. لا تقلق، لن تستطيع أن تلصق أي شيء بالمثالي الشاب. إنه ماهر جداً، سيلعب عليك ثانية. انتظر وسترى. مطاردة أوزة برية أخرى. ستعود إلى ماندلفيل. هذه المرة سيحتفظون بك هناك، رجل في منتصف العمر يقود سيارة سباق مثل لعبة صغيرة لطالب جامعي».

«سأذهب إلى بيته مباشرة».

طوت السيدة ليفي أوراق مؤسستها وأوقفت لوحها عن العمل قائلة: «إذا كنت ذاهباً إلى المدينة، خذني معك. أنا قلقة على المس تريكسي بعد أن قال غونزاليز أنها عضت يد عضو العصابة. يجب أن أراها. لقد بدأت ثانية تعلن عداءها القديم لبناطيل ليفي».

«أما تزالين ترغبين باللعب بتلك الحقيبة الخرفة؟ ألم تعذبيها بما فيه الكفاية حتى الآن؟».

«لا تريدني في أن أفعل حتى حسنة صغيرة. إن نموذجك غير مذكور في الكتب النفسية. يجب على الأقل أن تذهب إلى طبيب ليني من أجله هو. فبمجرد إدراج حالتك في المجلات النفسية سيدعونك إلى فيينا للكلام. ستجعله رجلاً مشهوراً كما وضعت تلك الفتاة الكسيحة فرويد على الخارطة».

بينما كانت السيدة ليفي تعمي نفسها بطبقات من ظل العينين اللازوردي استعداداً لمهمة الرحمة، كان السيد ليفي يخرج السيارة الرياضية من المرآب الضخم الذي يتسع لثلاث سيارات، والمبني كبيت عربة ريفية ضخمة، وجلس يرسل بصره في الخليج المترقرق الهادئ. رشقات صغيرة من الحرقة كانت تخز

صدره. لا بد لرايلي من الاعتراف. وإلا فإن محامو ايبلمان بأساليبهم الملتوية يستطيعون أن يمحوه من الوجود، وليس بإمكانه أن يعطي زوجه سعادة رؤية ذلك يحدث. إذا اعترف رايلي بكتابة الرسالة، واستطاع هو بطريقة أو بأخرى أن يخرج من هذه القضية كالشعرة من العجين، فإنه سيتغير.

سينذر أن يصبح شخصاً جديداً. حتى أنه قد يعطي الشركة لبعض الإشراف. العقل والمنطق العملي يفرضان ذلك.

فإهمال بناطيل ليفي يشبه إهمال طفل صغير. قد يصبح جانحاً، قليل من الاهتمام والتغذية قد يحولان دون ذلك. وبقدر ما يطول ابتعادك عن بناطيل ليفي يزداد ازعاجها لك. كانت بناطيل ليفي مثل خلل متجانس، أو لعنة متوارثة.

قالت السيدة ليفي وهي تدخل السيارة الصغيرة «كل الذين أعرفهم يملكون سيارات كبيرة جميلة. إلا أنت. كأنك مضطر لحيازة سيارة طفل تكلف أكثر من كاديلاك وتطير شعري في جميع الاتجاهات».

ولإثبات وجهة نظرها طارت خصلة مورنشة متيبسة في النسيم إذ انطلقا على الطريق العام الساحلي. لزم كلاهما الصمت في أثناء الرحلة عبر المستنقعات. كان السيد ليفي يفكر في مستقبله بعصبية. بينما كانت السيدة ليفي تفكر بمستقبلها راضية وترفرف بهدوء برموشها اللازوردية في وجه الريح. وأخيراً وصلا المدينة، ازدادت سرعة السيد ليفي إذ شعر أنه يقترب من رايلي، تسكع وسط ازدحام الحي. الله وحده هو الذي يعرف أية حياة شخصية يعيشها رايلي. تتوالى فيها حادثة مجنونة إثر أخرى.

قالت السيدة ليفي عندما خففا سرعتهما مع حركة المواصلات في المدينة «أعتقد أني حلّلت مشكلتك أخيراً. هذه القيادة المتهورة أعطتني المفتاح. لقد أشرق ضوء جديد. الآن عرفت سبب انحرافك، ولماذا أنت بلا طموح. ولماذا ألقيت بعمل ناجح في البالوعة» توقفت السيدة ليفي لتترك كلامها يمارس أثره «لديك أمنية الموت».

«لآخر مرة هذا اليوم أقول لك اخرسي».

قالت السيدة ليفي بسعادة «الشجار والعداء والتحفظ كل ذلك سيؤدي إلى نهاية سيئة يا غاس».

ولأن اليوم كان يوم السبت. فقد أوقفت بناطيل ليفي هجماتها على مفهوم التجارة الحرة لعطلة نهاية الأسبوع. مر آل ليفي بالمصنع، الذي، سواء كان مغلقاً أو مفتوحاً، فقد كان يبدو من الشارع.

هاجعا في سبات عميق. ارتفع عمود ضعيف من الدخان الذي يطلقه إحراق أوراق الشجر من أحد هوائيات الدخان. تساءل السيد ليفي عن مصدر الدخان. لا بد أن أحد العمال قد ترك إحدى طاولات التفصيل ملصقة بأحد الأفران مساء الجمعة. أو ربما كان هناك شخص ما يحرق أوراق الشجر. لقد حدثت أشياء أكثر غرابة. السيدة ليفي نفسها، أثناء مرحلة السيراميك، صادرت أحد الأفران لتجعل منه أتوناً.

عندما عبرا المصنع، حدقت السيدة لفي فيه وقالت «محزن.. محزن..» استدارا على طول النهر وتوقفا أمام بناء خشبي يبهر البصر بني مقابل رصيف شارع الرغبة. بقايا الفضلات أشارت للعابر أن يتسلق الدرجات الأمامية غير المدهونة نحو مقصد ما داخل البناء.

«لا تتأخر كثيراً» قالت السيدة ليفي بينما كانت تقوم بسلسلة النهوض والجر التي كانت ضرورية لرفع جسم الشخص من السيارة الرياضية. حملت معها علبة الحلوى الدانماركية التي كانت أصلاً بقصد تقديمها لمريض ماندفيل.

«كاد يقضي علي في هذا المشروع. ربما ستشغلها هذه الحلوى ولن أضطر إلى محادثة طويلة» ابتسمت لزوجها «أتمنى لك حظاً جيداً مع المثالي. لا تتركه يضحك منك ثانية».

انطلق السيد ليفي بسرعة في المدينة، وعند إحدى الإشارات الضوئية نظر إلى عنوان رايلي في جريدة الصباح المطوية والمخبأة في بئر ما بين المقعدين المدورين. تبع النهر حتى تشوبيتولاز وانعطف عند شارع القسطنطينية، وراح يتخبط في أخاديد شارع القسطنطينية إلى أن وجد

البيت المصغر. أيمكن أن ذاك الشخص الضخم يعيش في بيت دمية كهذا؟ وكيف يدخل ويخرج من الباب الأمامي؟.

صعد السيد ليفي الدرجات وقرأ شاخصة «السلام بأي ثمن» الملصقة على أحد أعمدة الشرفة وشاخصة «السلام لذوي النيات الحسنة» الملصقة في مقدمة المنزل. هذا هو المكان إذاً. في الداخل كان جرس الهاتف يرن.

«ليسوا في البيت» صاحت امرأة من وراء نافذة في البيت المجاور «الهاتف كان يرن طوال النهار».

فتح المصراعان الأماميان للبيت المجاور وخرجت امرأة تبدو عليها العجلة إلى الشرفة وأسندت مرفقيها الحمراوين على سياج الشرفة.

سأل السيد ليفي: «هل تعرفين أين السيد رايلي؟».

«كل ما أعرفه هو أنه ملأ صحف الصباح. المكان الذي يجب أن يكون فيه هو المصح. أعصابي تلفت لدرجة هائلة. عندما أتيت لأسكن قرب هؤلاء الناس إنما كنت أوقع وثيقة موتي».

«هل يعيش هنا بمفرده؟ هناك امرأة ردت على الهاتف مرة عندما اتصلت».

«لا بد أنها أمه. أعصابها تلفت هي الأخرى. لا بد أنها قد ذهبت لتخرجه من المستشفى أو من المكان الذي أخذوه إليه».

«هل تعرفين السيد رايلي جيداً؟»

«منذ كان صغيراً. كانت أمه فخورة به. جميع الراهبات في المدرسة كن يحببنه كان نادر المثال. وانظر كيف كانت نهايته، مضجعاً في ميزاب الطريق. أعتقد أن الأفضل لهم أن يفكروا بالرحيل من بناتينا. لم أعد أستطيع تحمل المزيد. لأنهم سيناقشون بشكل حقيقي الآن».

«دعيني أسألك سؤالاً. أنت تعرفين السيد رايلي تماماً. هل تقصدين أنه فاقد الشعور بالمسؤولية أو أنه ربما خطير؟».

«ماذا تريد منه؟» تضيقت عينا المس آني المجهدتين. «هل وقع في مشكلة ما؟».

«أنا غاس ليفي، كان يعمل لدي».

«حقاً؟ أغناطيوس المجنون هذا كان فخوراً بعمله في ذلك المكان. كنت أسمعه يخبر أمه عن تقدمه. حقاً لقد تقدم. بعد بضعة أسابيع طرد. إذا كان يشتغل عندك فأنت تعرفه جيداً».

هل كان ذلك الرايلي المسكين فخوراً حقاً ببناطيل ليفي؟ كان دائماً يقول ذلك. وكان ذلك مؤشراً مهماً على جنونه.

«أخبريني، هل كانت له مشاكل مع الشرطة؟ أليس له سجل عند الشرطة؟».

«أمه كان يزورها شرطي، عميل متخف عادي، ولكن لم يأت أحد من أجل أغناطيوس، أمه تحب أن ترشف بعض الشراب، أنا لم أرها في حالة سكر مؤخراً، ولكن لبعض الوقت كانت جيدة حقاً. في أحد الأيام نظرت إلى الحديقة الخلفية فوجدتها عالقة في ملاءة مبللة معلقة على الحبل. اسمع يا سيد، لقد أمضيت عشر سنوات من عمري في جيرة هؤلاء الناس.

الضجة وصوت البانجو والبوق والصراخ والزعيق والتلفزيون. لا بد لعائلة رايلي هذه من الرحيل للعيش في مزرعة في الريف، كل يوم أضطر إلى أخذ ست أو سبع حبات إسبرين» أدخلت المس آني يدها في ياقة ثوبها المنزلي بحثاً عن شريط انزلق من كتفها. «دعني أخبرك شيئاً. يجب أن أكون عادلة. كان أغناطيوس بحالة جيدة إلى أن مات كلبه الضخم. كان كلبه الضخم ينبح تحت نافذتي. ومذ ذاك بدأت أعصابي تتعب. ثم مات الكلب. فظننت أني سأنعم ببعض الهدوء والسلام. ولكن لا. سجن أغناطيوس الكلب في صالون أمه وحشر في مخلبه بعض الزهور وهنا بدأت شجاراته مع أمه. لا أخفيك، أعتقد أن أمه بدأت تشرب مذ ذاك. فقد ذهب أغناطيوس إلى الخوري وطلب منه أن يأتي ليقول شيئاً عن الكلب. كان أغناطيوس يريد جنازة كما تعرف. رفض الخوري طبعاً، وأعتقد أن أغناطيوس ترك الكنيسة بعد ذلك. وهكذا أقام أغناطيوس الضخم الجنازة بنفسه. صبي كبير في المدرسة الثانوية يجب أن يتصرف أفضل من ذلك. أترى ذلك الصليب؟» نظر السيد ليفي يائساً إلى

الصليب المتداعي في الحديقة الأمامية «هناك حدث كل شيء. وقف حوالي عشرين ولداً في الباحة يرقبونه، وكان أغناطيوس يرتدي عباءة ضخمة مثل سوبرمان وقد امتلأ المكان بشموع تحترق. طوال الوقت كانت أمه تصيح به من الباب الأمامي أن يلقي الكلب في صفيحة الزبالة ويدخل إلى البيت. منذ ذلك الوقت بدأت الأمور تسوء هنا. ثم ذهب أغناطيوس إلى الكلية حوالي عشر سنوات. كادت أمه تفلس تماماً. حتى أنها اضطرت لبيع البيانو الذي كان لديهم. ولم أبال أنا بالأمر. لو أنك رأيت الفتاة التي اختارها من الكلية. أقول لنفسي «حسناً ربما تزوج أغناطيوس وترك البيت». ولكني كنت مخطئة. كل ما فعلاه هو أنهما كانا يجلسان في غرفته. بدا وكأنهما يتصايحان بانتظام. الأشياء التي كنت أسمعها من نافذتي /أنزلي هذه التنورة/ و /اخرجي من فراشي/ و /كيف تجرئين؟ أنا أحتفظ بعذريتي/ أشياء مريعة. وبدأت أبتلع الأسبرين أربع وعشرين ساعة في اليوم. ذهبت تلك الفتاة. لا أستطيع أن ألومها. لابد أنها كانت مضحكة وهي تلازمه في كل الأحوال». غيرت المس آني اتجاه حديثها نحو شطر آخر «من بين جميع بيوت المدينة، كيف حدث أن اخترت هذا البيت؟ قل لي».

لم يستطع السيد ليفي أن يجد السبب الذي دفعها إلى اختيار هذا الموقع بالذات لسكنها. إلا أن قصة أغناطيوس رايلي أشعرته بالكآبة، وتمنى لو أنه كان بعيداً عن شارع القسطنطينية.

«والواقع» تابعت المرأة مستعجلة، حرصاً على الجمهور الذي يستمع إلى حكاية معاناتها «مما كتب في الجريدة هو القشة الأخير. انظر إلى الدعاية السيئة التي منيت الجيرة الآن. إذا بدأوا أي شيء الآن فإني سأستدعي الشرطة وأضعه تحت وصاية سلمية. لم أعد أستطيع الاحتمال. أصبحت أعصابي مشدودة إلى الآخر. فحتى عندما يستحم السيد رايلي يبدو وكأن فيضاناً سيجتاح منزلي. أعتقد أن جميع أنابيبي قد انفجرت أنا طاعنة في السن. لقد سئمت أولئك الناس». نظرت المس آني وراء كتف السيد ليفي وقالت «أسعدني الحديث معك أيها السيد. إلى اللقاء».

أسرعت عائدة إلى بيتها وصفقت المصاريع. أربك اختفاؤها المفاجئ السيد ليفي بقدر ما أربكته روايتها لسيرة السيد رايلي. يا لها من جيرة. كانت استراحة ليفي تشكل حاجزاً في وجه معرفة أناس كهؤلاء. ثم رأى السيد ليفي البلايموث القديمة تحاول الوقوف عند المنعطف كاشطة طاسات دواليبها على مرساها قبل أن تتوقف تماماً. في المؤخرة رأى خيال شخص ضخم. نزلت امرأة بشعر كستناوي من مقعد السائق وصاحت «أوكي يا ولد انزل من السيارة».

أجاب الخيال «ليس قبل أن توضحي علاقتك بذلك الشيخ الكثير الهذيان. ظننت بأننا قد نجونا من ذلك الفاشستي العجوز المتفسخ. يبدو أني كنت مخطئاً. ربما أنت التي زرعته هناك أمام د. هـ. هولمز. والآن إذ أفكر في الأمر أرى أنك أنت أيضاً قد زرعت ذلك المانكوزو المونغولي هناك أيضاً تبدأ هذه الحلقة المفرغة. كم كنت بريئاً وغافلاً. لقد كنت، على مدى أسابيع الآن، الساذج في مؤامرة. الأمر كله مكيدة!

«انزل من تلك السيارة».

«أترى؟» قالت المس آني عبر مصراعيها «ها قد بدأا من جديد».

انفتح باب السيارة الخلفي بصرير صدئ وترجل منه حذاء صحراوي اندفع بقوة على عتبة السيارة القديمة. كان رأس الرجل مضمداً وبدا متعباً وشاحباً.

«لن أبقى تحت سقف واحد مع امرأة فاجرة. أنا مصدوم ومجروح. أمي أنا. لا عجب إذا انقلبت علي بهذه الوحشية. وأشك في أنك تستخدمينني كبش فداء لمشاعر الذنب لديك».

يا لها من عائلة. فكر السيد ليفي. ظهرت الأم كأنها نوع من أنواع المومسات. وتساءل لماذا كان الشرطي المتخفي يريدها. «أغلق فمك القذر» كانت المرأة تصرخ «كل هذا الذي تقوله عن شخص لطيف ومحترم مثل كلود».

نخر أغناطيوس «لطيف. عرفت أن الأمر سينتهي بك هكذا عندما بدأت تخالطين أولئك المتفسخين».

في مجمع البيوت قلة هم الناس الذين خرجوا إلى مداخلهم. أي يوم سيكون هذا. خاطر السيد ليفي بالانغماس في مشهد عام مع أولئك الناس المتوحشين. كان الشعور بالحرقة ينتشر ليعم صدره كله.

ركعت المرأة ذات الشعر الكستناوي على ركبتيها وسألت السماء «بماذا أخطأت يا ربي؟ قل لي يا إلهي. لقد كنت امرأة صالحة».

صاح أغناطيوس «أنت تركعين فوق قبر ركس. أخبريني الآن ماذا كنت تفعلين أنت وذاك المكارثي الفاسق؟ ربما كنت تنتمين إلى خلية سياسية سرية أو ما شابه. لا عجب أني كنت أخضع لقصف من كتيبات مطاردة الساحرات تلك. ولا عجب أني قد لوحقت ليلة البارحة. أين تلك الخاطبة باتاغليا. أين هي؟ يجب أن تجلد. الموضوع برمته انقلاب ضدي، مخطط بشع لإبعادي من الطريق. يا إلهي! ذلك الطائر قد دربه جماعة من الفاشستين. أنهم لا يتورعون عن شيء.

قالت السيدة رايلي متحدية «كلود يخطب ودي». «ماذا؟» أرعد أغناطيوس «هل تريدين القول إنك تسمحين لشيخ أن يضع يديه على جسمك كله؟» «كلود رجل لطيف. كل ما فعله هو أن أمسك يدي بضعة مرات».

قطبت العينان الزرقاوان الصفراوان غضباً. وأقفل الكفان الأذنين كي لا يضطر إلى سماع المزيد.

«الله وحده يعرف أية رغبات قذرة يحملها ذلك الرجل. أرجوك لا تقولي لي الحقيقة كلها. سأصاب بانهيار كامل».

«اخرس» صرخت المس آني من وراء مصراعيها «أنتم أيها الناس تعيشون على وقت مسروق في هذا المجمع».

كلود ليس ماكراً ولكنه رجل لطيف. إنه طيب مع أسرته وهذا هو المهم. سانتا تقول إنه يحب الشيوعيين لأنه وحيد. ليس لديه ما يفعله. وإذا طلب الزواج منذ هذه اللحظة لقلت «أوكي يا كلود»، سأفعل يا أغناطيوس. لن أطيل التفكير. من حقي أن يكون لدي من يعاملني بلطف قبل أن أموت. من حقي ألا أقلق حول كل دولار أحصل عليه وكيف. عندما ذهبت بصحبة كلود لنستلم

ثيابك من رئيسة الممرضات وسلمتنا حافظة نقودك وفيها حوالي ثلاثين دولاراً كانت تلك القشة الأخيرة. جنونك كله كان سيئاً بما فيه الكفاية، ولكن إخفاءك ذلك المبلغ عن أمك المسكينة»...

«كنت بحاجة إلى المال لغرض معين».

«أي غرض؟ لتتجول مع نساء وضيعات؟» رفعت السيدة رايلي نفسها بصعوبة من فوق قبر ريكس.

«أنت لست مجنوناً فحسب يا أغناطيوس، بل أنت حقير أيضاً».

«هل تظنين حقاً أن ذلك الكلود المتهتك يريد الزواج؟» أبدى أغناطيوس حباً جياشاً مغيراً الموضوع «سيجرجرك من موتيل نافذ الرائحة إلى آخر. وسينتهي بك الأمر إلى الانتحار».

«سأتزوج إذا أردت ذلك أيها الولد. لن تستطيع منعي. ليس الآن».

«ذلك الرجل راديكالي خطير» قال أغناطيوس بصرامة «لا يعلم سوى الله أية أهوال إيديولوجية وسياسية تجوب عقله. سيذيقك ألوان العذاب أو أسوأ».

«من أنت حتى تملي علي ما أفعل يا اغناطيوس؟» حدقت السيدة رايلي في ابنها الغاضب. كانت تشعر بالازدراء والتعب وعدم الاهتمام بكل ما قد يقوله أغناطيوس. «كلود زبالة. أوكي. لك ذلك. كلود يحذرني طوال الوقت من الشيوعيين. أوكي. ربما هو لا يفهم شيئاً في السياسة. ولكني أنا لا أهتم بالسياسة. أنا حريصة على أن أموت ميتة شبه مشرفة. كلود يستطيع أن يكون لطيفاً مع الإنسان، وهذا أكثر مما تستطيع أن تفعله بكل ما لديك من سياسة وذكاء أكاديمي. لقاء كل شيء جميل فعلته معك، لا ألقى إلا الركلات. أريد أن أعامل بشكل لطيف من قبل شخص ما قبل أن أموت. لقد تعلمت كل شيء يا أغناطيوس، ما عدا كيف تكون إنساناً».

«ليس قدرك أن تعاملي بلطف» صاح أغناطيوس «أنت مازوخية مكشوفة. المعاملة اللطيفة تربكك وتدمرك».

«اذهب إلى الجحيم أغناطيوس. لقد كسرت قلبي مرات لم أعد أستطيع عدها».

«ذاك الرجل لن يدخل هذا البيت طالما أنا هنا. فبعد أن يمل منك ربما ركز اهتمامه المنحرف علي أنا».

«ما هذا أيها المجنون. أغلق فمك السخيف. لقد نلت كفايتي. سأعنى بك. تقول إنك بحاجة إلى استراحة. سأعطيك الراحة المناسبة».

«عندما أفكر في والدي الراحل مقروراً في ضريحه» تمتم أغناطيوس، متظاهراً بمسح بعض الرطوبة عن عينيه.

«السيد رايلي مات منذ عشرين عاماً».

«واحد وعشرون» فكر اغناطيوس بخبث «إذن لقد نسيت زوجك المحبوب».



«المعذرة» قال السيد ليفي بضعف «هل أستطيع أن أكلمك سيد رايلي»

«ماذا؟» سأل أغناطيوس الذي لاحظ لأول مرة وجود الرجل على الشرفة.

«ماذا تريد من أغناطيوس» سألت السيدة رايلي الرجل. قدم السيد ليفي نفسه. «حسناً هذا هو بشحمه ولحمه. آمل أنك لم تصدق القصة المضحكة التي قالها على الهاتف ذاك اليوم. كنت تعبة جداً لم أستطع أن آخذ الهاتف من يده».

«هل نستطيع جميعاً أن ندخل البيت؟» سأل السيد ليفي «أريد أن أحادثه على انفراد».

قالت السيدة رايلي «الأمر سيان بالنسبة إلي». ونظرت إلى مجمع الأبنية فرأت جيرانها يراقبونهم. «الجيرة كلها تعرف كل شيء الآن».

ولكنها فتحت الباب الأمامي ودخل الثلاثة إلى صالة المدخل الصغيرة. وصفت السيدة رايلي الكيس الورقي الذي كانت تحمله والذي يحتوي على شال ابنها وخنجره، وسألت: «ماذا تريد يا سيد ليفي؟ أغناطيوس، عد إلى هنا وتكلم مع هذا الرجل».

«أمي يجب أن أهتم بأمعائي. إنها ثائرة ضد صدمة أربع وعشرين الساعة الماضية».

«اخرج من ذلك الحمام يا ولد وعد إلى هنا. والآن ماذا تريد من المجنون يا سيد ليفي؟»

«سيد رايلي، هل تعرف أي شيء عن هذا؟»

نظر أغناطيوس إلى الرسالتين اللتين أخرجهما السيد ليفي من سترته وقال «بالطبع لا، هذا توقيعك. اترك هذا البيت فوراً. أمي، هذا هو الشخص الشرير الذي طردني بمنتهى الوحشية».

«ألم تكتب هذا؟»

«السيد غونزالز كان مثال الديكتاتورية. لم يكن ليسمح لي بالاقتراب من الآلة الكاتبة. والحقيقة أنه عنفني بضراوة عندما التفتت عيناي بالمصادفة إلى بعض المراسلات التي كان يكتبها بصيغة ركيكة. لو أنه سمح لي بتلميع حذائه الرخيص لكنت ممتناً. أنت تعرف كم هو متكتم حيال تلك البالوعة التي هي شركتكم».

«أعرف. ولكنه يقول إنه لم يكتب هذه الرسالة».

«حقيقة واضحة. كل ما يقوله كذب. إنه يتحدث بلسان بشطلين».

«هذا الرجل يريد أن يقاضينا بمبلغ كبير من المال».

«أغناطيوس فعل هذا»، قاطعت السيدة رايلي الحديث بشيء من الوقاحة، «أي شيء تلف، أغناطيوس هو الذي فعله. إنه يحمل المتاعب معه أينما ذهب. هيا يا أغناطيوس. قل الحقيقة للرجل. هيا يا ولد، قل أن أضربك على رأسك».

«أمي، دعي هذا الرجل يرحل»، صاح أغناطيوس، محاولاً دفع أمه نحو السيد ليفي.

«سيد رايلي، هذا الرجل يريد أن يقاضينا بمبلغ ٥٠٠ ألف دولار. وهذا كفيل بتدميري».

«أليس هذا مريعاً» صاحت السيدة رايلي «أغناطيوس، ماذا فعلت بهذا الرجل المسكين؟»

بينما كان أغناطيوس على وشك مناقشة حيثيات تصرفه في بناطيل ليفي، رن جرس الهاتف.

«آلو؟» قالت السيدة رايلي «أنا والدته. طبعاً أنا صاحية». حدجت أغناطيوس بنظرة غاضبة. «صحيح؟ هل فعل؟ لماذا؟ آه لا» وسددت نظرها نحو ابنها الذي بدأ يقشط يداً بأخرى. «حسناً أيها السيد، ستحصل على أشيائك، كلها ما عدا القرط. لقد أخذه الطائر. أوكي. طبعاً أستطيع أن أتذكر ما تقوله لي. أنا لست سكرانة». صفعت السيدة رايلي سماعة الهاتف وألهبت ابنها بقولها «ذاك كان رجل التنكر. أنت مطرود».

«الحمد لله» تنهد أغناطيوس «أخشى أني لم أعد أستطيع تحمل تلك العربة».

«ماذا قلت له عني يا ولد؟ قلت له إني سكيرة؟»

«طبعاً لا. يا للسخف. أنا لا أناقش وضعك مع الناس. لا بد أنه قد تحدث معك قبل الآن وأنت تحت تأثير المشروب. ربما خرجت في موعد معه، هناك فورة سكر في عدة علب هوت دوغ».

«لا تستطيع حتى أن تدفع عربة هوت دوغ في الشوارع. هل كان ذاك الرجل غاضباً. يقول إنك سببت له مشاكل أكثر من أي بائع كان لديه».

«لقد رفض توجهي العالمي بكل شدة».

«أوه، اخرس قبل أن أصفعك ثانية». صرخت السيدة رايلي. «والآن قل الحقيقة للسيد ليفي».

قال السيد ليفي لنفسه: يا لها من حياة منزلية وضيعة. هذه المرأة تعامل ابنها بطريقة ديكتاتورية.

قال أغناطيوس «أنا أقول الحقيقة».

«دعني أرى هذه الرسالة يا سيد ليفي».

«لا تدعها تراها. إنها تقرأ بشكل مخجل. ستبقى مضطربة أياماً طويلة».

ضربت السيدة رايلي أغناطيوس على جانب رأسه بمحفظتها.

صاح أغناطيوس «ليس ثانية!»

وقال السيد ليفي «لا تضربيه». كان رأس الرجل العجيب مضمداً. خارج حلبة السباق على جائزة كان العنف يثير حساسية السيد ليفي المرضية. هذا الرايلي كان يثير الشفقة فعلاً. أم تخرج مع رجل مسن، وتشرب، وتريد إبعاد ابنها عن الطريق. بالإضافة إلى أنها مدرجة في سجلات الشرطة. ذاك الكلب ربما كان الشيء الوحيد الذي ملكه العجيب فعلاً في حياته. في بعض الأحيان يتوجب عليك أن ترى الشخص في بيئته الحقيقية كي تفهمه. بطريقته الخاصة كان رايلي بالغ الاهتمام ببناطيل ليفي. والآن شعر السيد ليفي بالندم لأنه طرد رايلي. كان رايلي العجيب فخوراً بعمله في الشركة «دعيه وشأنه يا سيدة رايلي. سننهي هذا الموضوع».

«ساعدني يا سيدي» توسل أغناطيوس وهو يتمسك بشكل مسرحي بتلابيب سترة السيد ليفي الرياضية.

«عجلة الحظ وحدها تعرف ما الذي ستفعله بي. أنا أعرف الكثير من نشاطاتها القذرة. يجب التخلص مني. هل فكرت في محادثة تلك المرأة تريكسي؟ إنها تعرف أكثر بكثير مما تظن».

«هذا هو ما تقوله زوجتي. ولكني لم أصدقها أبداً. فالمس تريكسي طاعنة في السن. ولا أعتقد أنها تستطيع أن تكتب قائمة بقالة».

«مسنة؟» سألت السيدة رايلي. «أغناطيوس لقد قلت لي أن تريكسي اسم فتاة دلوعة تشتغل في بناطيل ليفي. قلت لي أنكما تستلطفان بعضكما. والآن أكتشف أنها جدة تكاد لا تستطيع الكتابة يا أغناطيوس!»

كان الأمر أكثر حزناً مما ظن السيد ليفي في البداية. لقد حاول هذا الشخص العجيب المسكين أن يجعل أمه تعتقد أن لديه صديقة. «أرجوك»، همس أغناطيوس للسيد ليفي «تعال إلى غرفتي. يجب أن أريك شيئاً».

«لا تصدق شيئاً مما يقوله أغناطيوس» قالت السيدة رايلي بينما كان ابنها يجر السيد ليفي عبر الباب إلى غرفته العفنة.

«دعيه وشأنه» قال السيد ليفي للسيدة رايلي بحزم. هذه المرأة رايلي تبخل على ابنها بفرصة. إنها تباري زوجه سوءاً. لا عجب أن يكون رايلي محطماً هكذا.

ثم أغلق الباب وراءهما وفجأة بدأ السيد ليفي يشعر بالغثيان. كانت رائحة أوراق الشاي القديمة تملأ غرفة النوم مما ذكره بايرين الشاي الذي كان ليون ليفي يحتفظ به دائماً قرب مرفقه، إبريق الشاي المصدع قليلاً الذي كان قعره دائماً مكسواً بأوراق الشاي المغلية. ذهب إلى النافذة وفتح مصراعها، ولكن عندما نظر إلى الخارج طالعت عيناه عيني المس آني، التي كانت تنظره عيناً بعين من بين مصاريع النافذة. انصرف عن النافذة وراقب رايلي يقلب صفحات مصنف صفحاته سائبة. قال أغناطيوس «ها هي. هذه بعض الملاحظات التي دونتها على عجل بينما كنت أعمل في شركتكم. إنها تبث أني أحببت بناطيل ليفي أكثر من الحياة نفسها، حتى أن جميع ساعات يقظتي كنت أمضيها في التفكير في سبل مساعدة مؤسستكم. وغالباً في الليل ما كانت تأتيني أحلام. أطياف بناطيل ليفي كانت تجوس بعظمة في عقلي النائم.لم أكن أبداً لأكتب رسالة كهذه. لقد أحببت بناطيل ليفي فعلاً. هاك. اقرأ هذا يا سيدي».

أخذ السيد ليفي ملف الأوراق السائبة وحيث أشارت سبابة رايلي السمينة إلى سطر قرأ «اليوم تشرف مكتبنا أخيراً بحضور ولي نعمتنا وسيدنا السيد غ ليفي. والحق يقال، لقد وجدته طبيعياً وغير متكلف». تجاوزت السبابة سطراً أو اثنين «في الوقت المناسب سيعرف مدى إخلاصي لشركته، وتفانيّ. سأكون النموذج الذي قد يجعله مرة أخرى يؤمن ببناطيل ليفي».

أشارت السبابة الدليل إلى المقطع التالي: «ما زالت تريكسي تحتفظ بمشورتها لنفسها، وهي بهذا تثبت أنها أكثر حكمة مما كنت أظن. أعتقد أن هذه المرأة تعرف الكثير، وأن لا مبالاتها ليست سوى ستار تخفي وراءه تحفظها ضد بناطيل ليفي. أنها تصبح أكثر تماسكاً عندما تتحدث عن التقاعد».

قال أغناطيوس «ها هو الدليل الذي تطلبه يا سيدي».

وشد الملف من يد السيد ليفي «استجوب تريكسي المجهدة. الخرف هو مجرد تخف. إنه جزء من دفاعها ضد عملها والشركة. إنها في الحقيقة تكره بناطيل ليفي لأنها لم تحلها على التقاعد. ومن يستطيع أن يلومها؟ في كثير من المرات عندما كان وحدنا، كانت تثرثر ساعات عن خططها لـ/تنال/ من بناطيل ليفي. كان رفضها يظهر على شكل هجمات لاذعة حول بنية مؤسستك».

حاول السيد ليفي أن يقيم الدليل. كان يعرف أن رايلي كان يحب الشركة فعلاً. لقد رأى ذلك في الشركة، والمرأة الساكنة في البيت المجاور قالت له ذلك، كما أنه قد قرأه بنفسه. بينما تريكسي كانت تكره الشركة. وبالرغم من أن زوجه واغناطيوس العجيب ادعيا بأن الخرف الروتيني كان مجرد واجهة، إلا أنه شك في إمكانيتها كتابة رسالة مثل تلك. ولكن الآن كان عليه أن يخرج من غرفة النوم التي تثير لديه إرهاب الاحتجاز قبل أن يمرض فوق جميع الجداول التي تغطي الأرضية. عندما كان السيد رايلي واقفاً بجانبه منوهاً بالمقاطع في الدفتر أصبح المشهد طاغياً لا يقاوم. تحسس قبضة الباب إلا أن رايلي ألقى نفسه على الباب.

وتنهد قائلاً «يجب أن تصدقني. القذرة تريكسي كانت تلمح في طلب ديك رومي أو لحم خنزير. أم أنه كان قطعة شواء؟ كان الأمر شرساً ومحيراً في بعض الأحيان. كانت تقسم أنها ستنتقم بخصوص عدم إحالتها إلى التقاعد في السن المناسب. كانت مملوءة بالعداء».

دفعه السيد ليفي بلطف جانباً وخرج إلى الصالة. حيث المرأة ذات الشعر الكستناوي كانت تنتظر كأنها بواب.

«شكراً سيد رايلي» قال السيد ليفي. كان بحاجة إلى الخروج من ذلك البيت المصغر كسير الفؤاد الذي يثر لديه إرهاب الاحتجاز «إذا احتجتك ثانية سأتصل بك». «ستحتاجه ثانية» نادت السيدة رايلي عندما مر قربها وركض هابطاً الدرجات الأمامية «مهما يكن الأمر فإن أغناطيوس هو الذي فعله».

قالت شيئاً آخر إلا أن زئير سيارة السيد ليفي طغى على صوتها . استقر الدخان الأزرق فوق سيارة البلايموث المهشمة، ولكنه كان قد ذهب.

«أنت الفاعل»، كانت السيدة رايلي تقول لأغناطيوس، وهي تقبض بيديها على ثوب العمل الأبيض. «الآن نحن في مشكلة حقيقية يا ولد . أتعرف ما سيفعلونه بك جراء التزوير؟ يمكن أن يلقوا بك في سجن فيدرالي. ذلك الرجل المسكين يواجه دعوى بـ ٥٠٠ ألف دولار. أنت الفاعل يا أغناطيوس. أنت الآن في متاعب حقيقية».

«أرجوك» قال أغناطيوس بضعف. كانت بشرته الشاحبة تزداد شحوباً مع ظلال رمادية. وسقط مريضاً فعلاً الآن. كان بوابه معدته يقوم بعدة مناورات تجاوزت في أصالتها وعنفها أي شيء فعلته من قبل. «قلت لك إن الأمر سيصبح هكذا عندما خرجت إلى العمل».

اختار السيد ليفي أقصر طريق يعود به إلى رصيف شارع الرغبة. اجتاز شارع نابليون إلى المعبر الفوقي العريض ووصل إلى الشارع السريع، مدفوعاً بشعور بعيد ولكنه نوع معروف من التصميم. إذا كان الاحتقار قد أدى بالمس تريكسي فعلاً إلى كتابة تلك الرسالة فإن السيدة ليفي هي الشخص المسؤول عن قضية إيبلمان. هل باستطاعة المس تريكسي كتابة شيء بذكاء تلك الرسالة؟ كان السيد ليفي يأمل أنها تستطيع. اندفع بسيارته مسرعاً في جيرة المس تريكسي مارا بالبارات ومحلات بيع السمك التي كانت تمد شاخصاتها من كل حدب وصوب. في البناء الشققي لحق أثر النفايات على الدرج المؤدي إلى الباب البني، قرع الباب ففتحت السيدة ليفي قائلة «انظري من الذي عاد. تهديد المثالي. هل حللت قضيتك؟»

«ربما».

«أنت الآن تتحدث مثل غاري كوبر. كلمة واحدة هي كل ما أحصل عليه من جواب. من الشريف غاري ليفي».

نتفت بأصابعها رمشاً يضايقها من رموش عينيها الزبرجدية «حسناً، لنذهب. تريكسي تلتهم الحلوى. أنا أشعر بالغثيان».

دفع السيد ليفي زوجه جانباً واندفع إلى موضع لم يتصوره أبداً. استراحة ليفي لم تهيئه لأماكن داخلية مثل ذاك الذي رآه لتوه في شارع القسطنطينية ولا هذا. كانت شقة المس تريكسي مزينة بالنفايات والتوانه وقطع من المعدن والعلب الكرتونية. وفي مكان ما تحت كل هذا كان هناك بعض المفروشات. إلا أن السطح، وهو المنطقة المرئية، كان مشهداً من الملابس القديمة والعلب والصحف. وكان هناك ممر عبر مركز الجبل، فسحة بين القمامة، جزيرة ضيقة من الأرض النظيفة تؤدي إلى نافذة حيث أجلست المس تريكسي في مقعد تتذوق الحلوى الدانماركية. مشى السيد ليفي نحو الجزيرة ماراً بباروكة سوداء معلقة فوق قفص. وكان الخفان العاليان ملقيين فوق كوم من الجرائد. المظهر الوحيد لإعادة الشباب الذي حافظت عليه المس تريكسي كان الأسنان التي كانت تلتمع بين شفتيها الرقيقتين بينما كانت تقطع الحلوى.

«فجأة أنت صامت تماماً» قالت السيدة ليفي «ما الأمر غاس؟ مهمة أخرى انتهت إلى الفشل؟».

«مس تريكسي» صرخ السيد ليفي في آذانها «هل كتبت رسالة لشركة ايبلمان للبضائع الجافة؟»

«أنت الآن تقشط قعر الصخر» قالت السيدة ليفي «لقد ضللك المثالي ثانية فيما أعقد. لقد استسلمت تماماً لحظ ذاك الرايلي».

«مس تريكسي!»

«ماذا؟» نخرت المس تريكسي «يجب أن أقول أنكم أيها الناس تعرفون كيف تحيلون شخصاً إلى التقاعد».

ناولها السيد ليفي الرسالة. فالتقطت عدسة مكبرة من على الأرض ومحصت في الأحرف. حافة القبعة الأمامية الخضراء ألقت ضوءاً ميتاً على وجهها، وعلى فتات الحلوى الدانماركية التي رسمت إطار شفتيها الرقيقتين. وعندما وضعت العدسة المكبرة صفرت بسعادة «أنتم تواجهون مشكلة الآن».

«ولكن هل كتبت هذا لايبلمان؟ السيد رايلي يقول أنك فعلت».

«من؟»

«السيد رايلي. الرجل الكبير صاحب القبعة الخضراء الذي كان يعمل في بناطيل ليفي» أطلع السيد ليفي المس تريكسي على الصور في صحف الصباح «هذا هو».

وضعت المس تريكسي مكبرتها أمام الجريدة وقالت: «أو يا إلهي. هذا إذن ما حدث له». «مسكينة غلوريا. يبدو مصاباً. هذا هو السيد رايلي، أليس كذلك؟»

«نعم أظن أنك تذكرينه. إنه يقول أنك أنت كتبت الرسالة».

«هكذا قال؟» غلوريا رايلي لا يكذب أبداً. ليس غلوريا. صحيح تماماً. كان غلوريا دائماً صديقتها. حاولت المس تريكسي أن تتذكر. ربما كانت قد كتبت الرسالة. أشياء كثيرة تحدث لم تعد قادرة على تذكرها. «أعتقد أني فعلت. نعم. الآن بعد أن قلت ذلك، أعتقد أني كتبت تلك الرسالة. أنتم أيها الناس تستحقون ذلك أيضاً. لقد دفعتموني إلى الجنون في هذه السنوات الأخيرة. لا تقاعد. لا لحم خنزير. لا شيء. يجب أن أقول أني أتمنى لو تخسروا كل ما كسبتموه».

«هل كتبت ذلك؟» سألت السيدة ليفي. «بعد كل ما فعلته من أجلك، تكتبين شيئاً كهذا؟ أفعى خبيثة ترقد على حجرنا! بإمكانك أن تقبلي بناطيل ليفي قبلة الوداع يا خائنة. ستطردين؟ ستصبحين مطرودة!»

ابتسمت المس تريكسي. هذه المرأة المزعجة بدأت تصبح متحمسة. غلوريا كانت دائماً صديقتها. والآن ستذهب المرأة المزعجة إلى الملجأ. ربما. ولكنها في هذه اللحظة تتقدم باتجاهها، وأظافرها الزبرجدية تأخذ شكل مخالب. بدأت المس تريكسي بالصراخ.

«دعيها وشأنها» قال السيد ليفي لزوجه. «حسناً ألن ترين سوزان وساندرا أن يسمعا عن ذلك. أمهما تعذب سيدة عجوزاً لدرجة أن البنتين تتعرضان لخطر فقدان جميع ستراتهما الصوفية وبناطيلهما».

«هكذا إذن. ضع اللوم علي» قالت السيدة ليفي بوحشية «أنا التي وضعت الورقة على الآلة الكاتبة. وأنا ساعدتها في نقرها».

«ألم تكتبي هذه الرسالة لتنتقمي من بناطيل ليفي لأنك لم تحالي على التقاعد؟»

«أجل، أجل» أجاب المس تريكسي بغموض.

«لا أستطيع أن أفكر أني وضعت ثقتي فيك» بصقت السيدة ليفي على المس ريكسي. «أرجعي إلي هذه الأسنان».

أوقف زوجها قبضتها المتجهة نحو فم المس تريكسي.

«هدوء» زمجرت المس تريكسي، وقد التمعت جميع أنيابها البيضاء. «ألا أستطيع أن أنعم بقليل من السلام حتى في شقتي الخاصة».

قال السيد ليفي لزوجه «لولا /مشروعك/ الطائش الغبي لكانت هذه المرأة قد تقاعدت منذ زمن بعيد. وبعد كل هذه السنوات التي أمضيتها في التكهن بالأشياء، اتضح أنك أنت التي كدت تلقين ببناطيل ليفي في البالوعة».

«هكذا إذن. أنت لا تلومها هي. بل تلوم امرأة ذات مستوى ومثل. إذا قام لص باقتحام بناطيل ليفي لكنت أنا الملامة. أنت بحاجة إلى مساعدة يا غاس، بحاجة ماسة».

«أجل أنا بحاجة إلى مساعدة، ومن قبل طبيب ليني دون كل الناس».

«رائع يا غاس».

«هدوء!»

«ولكن أنت الشخص الذي ستتصل بطبيب ليني» قال السيد ليفي لزوجه «أريدك أن تقنعيه بأن يشهد بأن المس تريكسي خرفة وعاجزة عن تفسير دوافعها وراء كتابة الرسالة».

«هذه مشكلتك أنت» أجابت السيدة ليفي غاضبة «اتصل به بنفسك».

«سوزان وساندراً لن تحبا أن تسمعاً عن غلطة أمهما الصغيرة».

«ابتزاز أيضاً».

«لقد تعلمت بضعة أشياء منك. فقد مضى على زواجنا بعض الوقت» راقب السيد ليفي الغضب والقلق يسرحان ويمرحان على وجه زوجه. لمرة واحدة كانت عاجزة عن الإجابة. «الفتاتان لن تريدا أن تعلما أن أمهما الغالية

كانت حمقاء، والآن خططي لأخذ تريكسي لمراجعة طبيب ليني. فباعترافهما وشهادة أي طبيب، لن يبقى أمام إيبلمان أية فرصة في هذه القضية. كل ما عليك أن تفعليه هو أن تجريها إلى قاعة المحكمة وتتركي القاضي ينظر إليها».

«أنا امرأة جذابة جداً» قالت المس تريكسي بشكل آلي.

«طبعاً أنت كذلك» قال السيد ليفي وهو ينحني قربها «سنحيلك إلى التقاعد مس تريكسي. مع مكافأة. لقد أبرمت صفقة قذرة».

«التقاعد» صفرت المس تريكسي «هذا غير متوقع. الحمد لله».

«ستوقعين تصريحاً بأنك كتبت تلك الرسالة، أليس كذلك؟»

«طبعاً سأفعل» صاحت المس تريكسي. أي صديقة كانت غلوريا. عرفت غلوريا كيف تساعدها على ترك العمل. غلوريا ذكية. الحمد لله أن غلوريا تذكرت هذه الرسالة السحرية «سأقول كل ما تريدونني أن أقوله».

«كل شيء أصبح واضحاً أمامي فجأة» قال صوت السيدة ليفي بحدة من وراء كومة من الصحف. «أنا أخضع للابتزاز بسبب ابنتي الحبيبتين. وأنا أدفع بعيداً عن الطريق بما يمكنك أن تكون أكثر استهتاراً مما كنت. والآن ستذهب بناطيل ليفي فعلاً في البالوعة. وتظن أن اللوم علي».

«أوه الأمر فعلاً كذلك. وبناطيل ليفي ستذهب في البالوعة. ولكن ليس لأن إحدى ألعابك دمرتها». نظر السيد ليفي إلى الرسالتين «قصة إيبلمان هذه جعلتني أفكر في أمور كثيرة. لماذا لا يقدم أحد على شراء بناطيلنا. لأنها منافية للذوق السليم. لأنها تصنع وفق القصات التي كان أبي يستعملها منذ عشرين سنة. وبالقماش نفسه. لأن ذلك المستبد الكبير لم يكن ليغير أي شيء في ذلك المصنع. لأنه دمر أية مبادرة لدي».

«والدك كان رجلاً لامعاً. لن أسمع منك أية كلمة أخرى تنم عن قلة الاحترام له».

«اخرسي. لقد أوحت إلي رسالة تريكسي غريبة الأطوار بفكرة. منذ الآن سنصنع بناطيل برمودا قصيرة فقط. بمتاعب أقل، وأرباح أكثر ومصاريف أقل. أريد خطاً كاملاً جديداً من عينات غسل ولبس من المعامل. وستتحول بناطيل ليفي إلى شورتات ليفي».

«شورتات ليفي. هذا مسل. لا تضحكني. ستفلس خلال سنة واحدة. ستفعل أي شيء لتطمس ذكرى والدك. أنت عاجز عن إدارة عمل. أنت فاشل. شخص مستهتر. اختصاصك سباق الخيل».

«هدوء! يجب أن أقول إنكم أيها الناس مزعجون. إذا كان هذا هو التقاعد فإني أفضل العودة إلى بناطيل ليفي».

هجمت المس تريكسي عليهما بعلبة الحلوى «اخرجا من بيتي وأرسلا إلي الحوالة بالبريد».

«لم أستطع أن أدير بناطيل ليفي. هذا صحيح. ولكني أعتقد أني أستطيع أن أدير شورتات ليفي».

«فجأة أصبحت بالغ الاعتداد بنفسك» قالت السيدة ليفي بصوت اقترب من الهستريا. غاس ليفي يدير شركة؟ غاس ليفي مسيطر؟ ماذا يمكنها أن تقول لسوزان وساندرا؟ ماذا يمكنها أن تقول لغاس ليفي؟ ماذا سيحدث لها؟ «المؤسسة ستذهب في البالوعة أيضاً، فيما أظن».

«بالطبع لا»، ابتسم السيد ليفي داخلياً. أخيراً ها هي زوجه وقد ضاعت منها دفة القيادة، تحاول أن تجد مساراً وسط بحر من الاضطراب، وتسأله عن الاتجاهات.

«سنحدد جائزة. لأي شيء كان يفترض أن تكون مكافأة للخدمات والشجاعة».

«أجل» قالت السيدة ليفي بتواضع.

«هاك. هذا شجاع». التقط الجريدة وأشار إلى الزنجي الذي كان يقف أمام المثالي الطريح أرضاً.

«هذا يحصل على الجائزة الأولى».

«ماذا؟ زنجي بنظارة سوداء؟ إحدى شخصيات شارع بوربون؟ أرجوك يا غاس. ليس هذا! ليون ليفي مات منذ بضعة سنوات فقط، دعه يرقد بسلام».

«هذا عملي جداً، هذا نوع المناورة التي كان ليون الشيخ سيقوم بها بنفسه. معظم عمالنا من الزنوج. هذا مكسب في مجال العلاقات العامة. وربما سأحتاج إلى عمال أكثر وأفضل عما قريب. وهذا سيهيئ الجو الملائم للتوظيف».

«ولكن ليس لهذا». بدت السيدة ليفي وكأنها تتقيأ «الجوائز لأناس ظرفاء».

«أين المثالية التي تدافعين عنها دائماً بكل قوة؟ ظننت أنك مهتمة بالأقليات. أو على الأقل كنت تقولين ذلك. في كل الأحوال كان رايلي يستحق الإنقاذ. لقد دلني على المتهم الحقيقي».

«لا يمكنك أن تمضي بقية حياتك على الحقد».

«من الذي يعيش على الحقد؟ أنا أقوم ببعض الأشياء البناءة أخيراً. ميس تريكسي، أين جهاز الهاتف الخاص بك؟»

«من؟» كانت المس تريكسي تراقب باخرة شحن من مونروفيا تغادر محملة بجرارات زراعية من نوع انترناشينال هارفستر. «ليس لدي هاتف. يوجد واحد في البقالية عند الناصية».

«أوكي، يا سيدة ليفي اذهبي إلى البقال. واتصلي بطبيب ليني. واتصلي بالجريدة لنعرف كيف يمكننا الوصول إلى جونز. ولكن هؤلاء الأشخاص عادة ليس لديهم أجهزة هاتف. حاولي عن طريق الشرطة أيضاً. ربما يعلمون. أعطني الرقم. أنا سأتصل به شخصياً».

وقفت السيدة ليفي تحدق في زوجها. وقد تجمدت رموشها الملونة فلم تأت بحركة.

«إذا كنت ذاهبة إلى المخزن بإمكانك أن تحضري معك خنزير الفصح» قالت المس تريكسي بصوت أجش «أريد أن أرى لحم الخنزير إياه هنا في بيتي! لن أقبل أي كلام مراوغ هذه المرة. إذا أردتم مني اعترافاً فالأفضل أن تبدؤوا بالدفع».

زمجرت في وجه السيدة ليفي مكشرة عن أسنانها كما لو أنها كانت رمزاً لشيء ما، أو بادرة تحد.

قال السيد ليفي لزوجه «أصبح لديك ثلاثة أسباب الآن للذهاب إلى البقال». وناولها ورقة من فئة عشرة دولارات قائلاً: «سأنتظرك هنا».

أخذت السيدة ليفي المال وقالت لزوجها «أظن أنك سعيد الآن. فأنا سأصبح خادمتك. سترفع هذا فوق رأسي كالسيف. إساءة تقدير صغيرة واحدة وأعاني كل هذا».

«إساءة تقدير صغيرة؟ قضية بنصف مليون؟ ما الذي تعانين منه؟ كل ما في الأمر أنك ستذهبين إلى البقال عند الناصية».

استدارت السيدة ليفي وتلمست طريقهما على طول الجزيرة. انصفق الباب، وكأنما رفع هم كبير عن كاهلها، استسلمت المس تريكسي ليوم صبياني. استمع السيد ليفي لشخيرها وراقب سفينة الشحن مونروفيا تغادر الميناء وتنعطف مع التيار نحو الخليج.

أصبح عقله هادئاً لأول مرة منذ عدة أيام، وبدأت بعض الأحداث المتعلقة بالرسالة تعبر مخيلته. فكر بالرسالة إلى إيبلمان، ثم بدأ عقله يتذكر مكاناً آخر سمع فيه لغة مماثلة. كان ذلك في باحة رايلي العجيب منذ ساعة واحدة. «يجب أن تجلد»، «المنغولي مانكوزو» إذن هو الذي كتب الرسالة بعد كل هذا. نظر السيد ليفي برقة إلى الفريق المتهم الضئيل وهي تشخر فوق علبة الحلوى الدانماركية. وفكر أنه من أجل صالح الجميع يجب أن يقال إن المس تريكسي عاجزة ويجب أن تعترف. لقد لفقت التهمة ضدك. ضحك السيد ليفي بصوت عال. لماذا اعترفت المس تريكسي بهذا الإخلاص.

«صمتا!» نطقت المس تريكسي بحدة غاضبة.

ذلك النادر رايلي كان يستحق الإنقاذ في المحصلة الأخيرة. لقد أنقذ نفسه، والمس تريكسي والسيد ليفي أيضاً بطريقته الخاصة النادرة. وكائن من يكون بورما جونز فإنه يستحق جائزة سخية.. أو مكافأة. فإعطاؤه عملاً في شركة شورتات ليفي الجديدة سيكون أفضل وقعاً في مجال العلاقات

العامة. جائزة أو فرصة عمل. وإذا رافقت الدعاية الصحفية افتتاح شورتات ليفي تكون بمثابة وسيلة بارعة لتحقيق الهدف، أليس كذلك؟

راقب السيد ليفي سفينة الشحن تعبر مدخل القناة الصناعية. سرعان ما ستكون السيدة ليفي على متن سفينة أيضاً متجهة إلى سان خوان. تستطيع أن تزور أمها على الشاطئ، وتضحك وتغني وترقص. فالسيدة ليفي لا مكان لها في الحقيقة في خطة شورتات ليفي.

أمضى أغناطيوس اليوم في غرفته في نوم متقطع مهاجماً قفازه المطاطي خلال لحظات صحوه القلقة والمتواترة. طوال بعد الظهر كان الهاتف في الصالة يرن، ومع كل رنين كان قلقه وتوتره يزدادان. اندفع نحو القفاز يفتقه، يطعنه، يتغلب عليه. ومثل جميع المشاهير أصبح لأغناطيوس معجبوه: هم أقارب أمه ذوو الحظ العاثر، والجيران، وأناس لم ترهم السيدة رايلي منذ سنين. اتصلوا جميعاً بالهاتف. مع كل رنين كان أغناطيوس يتصور أنه السيد ليفي يتصل ثانية، ولكنه كان دائماً يسمع أمه تقول للطالب الأسطر التي أصبحت تتكرر بشكل يدعو إلى البكاء «أليس هذا رهيباً»؟. «ماذا سأفعل؟» «لقد دمر اسمنا تماماً» وعندما كانت طاقة أغناطيوس تعجز عن تحمل المزيد كان يصيح من غرفته طالباً الدكتورنات. وإذا صادف أمه في الصالة، لم تكن لتنظر إليه وإنما كانت تراقب البقع الصوفية من النسل الضمادات الكتانية التي يخلفها جسم ابنها على الأرض. ولم يبد أن هناك أي شيء يستطيع أن يقوله لها.

ماذا يفعل السيد ليفي؟ لسوء الحظ كان ايبلمان فيما يبدو شخصاً ضيق التفكير، رجل أصغر من أن يقبل قليلاً من النقد، جزئياً، جزئياً بشرياً مفرط الحساسية. لقد أساء اختيار الشخص الذي يكتب له فقدم النشرة المفصلة من الشتائم والانتقادات الشجاعة والعدائية لجمهور ليس مهيئاً لها. في هذه النقطة لم يستطع جهازه العصبي أن يتابع قضية في محكمة. كان سينهار تماماً أمام القاضي. وتساءل كم يطول الأمر بالسيد ليفي قبل أن ينهال عليه ثانية. أية أحجية خرفة كانت المس تريكسي تثرثر للسيد ليفي بها؟ سيعود السيد ليفي الغاضب والمضطرب مصمماً هذه المرة على احتجازه فوراً. كان انتظار هذه العودة الآن أشبه بانتظار تنفيذ حكم الإعدام. سيطر الصداع الممل. وأصبح للدكتورنات طعم العلقم. كان ايبلمان طبعاً يريد مبلغاً كبيراً من المال. لابد أن مصنع ايبلمان الحساس ذاك قد أهين بشكل كبير. عندما

يكتشف المؤلف الحقيقي ما الذي سيطلبه ايبلمان بدل الـ ٥٠٠ ألف دولار؟ حياة المؤلف؟.

بدا الدكتورنات مثل حمض يقرقر في أمعائه. امتلأ بالغاز، وبوابه معدته المقفل ينكمش عليه كما يشد المرء على فم بالون. تجشؤات كبيرة كانت تصعد من حلقه وتنطلق إلى الأعلى نحو التجويف المليء بالأقذار لثريا زجاجية بلون اللبن. بمجرد أن يطلب إلى أي شخص أن يدخل هذا القرن الوحشي فإن أي شيء يمكن أن يحدث. في كل مكان تكمن مطبات مثل ايبلمان أو صليبيو كرامة البربر التافهون، أو مانكوزو معتل العقل، أو دوريان غرين، أو محررو الصحف، أو راقصات التعري، أو الطيور، التصوير، جنوح الأحداث، الداعرون النازيون. المنتجات الاستهلاكية. وخاصة ميرنا منيكوف. لا بد من التعامل مع الفتاة الوقحة المعطرة. بطريقة ما. في يوم ما. يجب أن تدفع. مهما حدث لا بد أن يلتفت إليها حتى إذا استغرق انتقامه سنوات واضطر إلى تعقبها عقوداً عديدة من مقهى إلى مقهى، من طقس غناء شعبي إلى آخر، من أحد قطارات الإنفاق إلى منصة إطلاق صاروخ إلى حقل قطن إلى مظاهرة. استحضر أغناطيوس لعنة اليزابيثينية موسعة على ميرنا، وانقلب على جانبه مسيئاً استخدام القفاز بجنون مرة ثانية.

كيف تجرؤ والدته على التفكير بالزواج. لا يمكن سوى لشخص بضحالة عقلها أن يكون عديم الإخلاص هكذا. سيقوم ذلك الفاشستي بحملة مضادة إثر أخرى إلى أن يتحول اغناطيوس ج رايلي المتماسك سابقاً إلى شخص أبله بليد مفكك. وسيشهد الشيخ الفاشستي للسيد ليفي شهادة تضمن أن يحتجز ابن زوج المستقبل وسيكون له مطلق الحرية في إرضاء رغباته الضلالية والمستميتة على إيرين رايلي بريئة النية، ولينفذ ممارساته المحافظة على إيرين رايلي بشكل حر. العاهرات لا يغطيهن الضمان الاجتماعي وأنظمة تعويض البطالة. وما من شك في أن روبيشو المتهتك كان ينجذب إليهن هكذا. وليس سوى لعجلة الحظ أن تعرف ما الذي تعلمه على أيديهن.

استمعت السيدة رايلي إلى صوت الصرير والتشجؤ الصادرين عن غرفة ابنها وتساءلت عما إذا كان، فوق كل ذلك، يعاني من نوبة. ولكنها لم تكن تريد النظر إلى أغناطيوس. فكانت كل ما سمعت بابه يفتح تحاول أن تهرب إلى غرفتها لتتفاداه. مبلغ خمس مائة ألف دولار كان مبلغاً لا تستطيع حتى أن تتخيله. ولم تكن قادرة على تصور العقاب الذي يفرض على شخص قام بعمل سيء لدرجة تكلف خمس مائة ألف دولار. وإذا كان هناك أي سبب يدعو السيد ليفي إلى الشك فإنها لم يكن لديها أي سبب لذلك. أغناطيوس قد كتب ما كتب. أليس هذا جميلاً؟ اغناطيوس في السجن. كانت هناك طريقة واحدة لإنقاذه. حملت جهاز الهاتف إلى أبعد نقطة ممكنة في الصالة، ولرابع مرة في ذلك اليوم، طلبت رقم سانتا باتاغليا..

«يا إلهي يا حبيبتي، أنت قلقة فعلاً» قالت سانتا «ماذا حدث الآن».

همست السيدة رايلي «أعتقد أن أغناطيوس واقع في مشكلة أسوأ من مجرد صورة في الجريدة. لا أستطيع الحديث على الهاتف. سانتا، كنت محقة طوال الوقت. أغناطيوس يجب أن يذهب إلى المشفى الخيري».

«أخيراً، لقد بح صوتي وأنا أقول لك ذلك. كلود اتصل منذ برهة. ويقول إن أغناطيوس ثار ثورة عارمة في المستشفى عندما التقيا. ويقول كلود أنه يخاف من أغناطيوس فهو ضخم جداً».

«أليس هذا رهيباً. كان الأمر فظيعاً في المستشفى. قلت لك كيف بدأ أغناطيوس يصرخ. وكل أولئك الممرضات والمرضى. كنت سأموت. كلود ليس غاضباً جداً أليس كذلك؟»

«إنه ليس غاضباً، ولكنه لا يحبذ بقاءك وحيدة في ذلك البيت. وقد طلب مني أننا ربما يجب أن نأتي هو وأنا لنبقى معك».

«لا تفعلا ذلك يا حبيبتي». قالت السيدة رايلي بسرعة. «أي نوع من المشاكل يعاني منه أغناطيوس الآن؟»

«سأخبرك فيما بعد. الآن كل ما أستطيع أن أقوله هو أنني كنت أفكر في موضوع المشفى الخيري طوال اليوم. وأخيراً توصل إلى قرار. الآن هو الوقت

المناسب. إنه ولدي، ولكن علينا أن نعالجه لصالحه» حاولت السيدة رايلي أن تفكر في العبارة التي تستخدم دائماً في دراما المحاكمات التلفزيونية «يجب أن نحصل له على شهادة جنون مؤقت».

«مؤقت!» قالت سنتا هازئة.

«يجب أن نساعد اغناطيوس قبل أن يأتوا ويجرجروه».

«من الذي سيجرجره؟»

«يبدو أنه قد ارتكب غلطة شنيعة عندما كان يعمل عند بناطيل ليفي».

«أوه يا إلهي! لا تقولي إن هناك شيئاً آخر. آيرين! انهي المخابرة واتصلي بالمشفى الخيري مباشرة يا حبيبتي».

«لا، اسمعي. لا أريد أن أكون هنا عندما يأتون. أعني، أن أغناطيوس ضخم. وربما يثير متاعب. أنا لا أتحمل ذلك. أعصابي متعبة جداً الآن».

«ضخم صحيح. سيكون الأمر مثل الإمساك بفيل متوحش. أولئك الناس يجب أن يحضروا معهم شبكة كبيرة». قالت سانتا بحماسة «أيرين، هذا أفضل قرار اتخذته في حياتك. اسمعي. أنا سأتصل بالمشفى الخيري حالاً. تعالي أنت إلى هنا. وسأجعل كلود يأتي إلى هنا أيضاً. سيسعده سماع ذلك... يا سلام ستبدئين بإرسال دعوات العرس بعد حوالي أسبوع. سيكون لديك بعض الأملاك الصغيرة قبل نهاية العام يا حبيبتي. وسيكون لديك تعويض من شركة سكك الحديد».

بدا كل شيء جيداً بالنسبة للسيدة رايلي، ولكنها سألت مترددة «وماذا عن أولئك الشيوعيين؟»

«لا تبالي بهم يا حبيبتي. سنتخلص من الشيوعيين. سيكون كلود مشغولاً جداً بترميم بيتكما. سيمضي وقتاً طويلاً في تحويل غرفة اغناطيوس إلى خلوة».

وأطلقت سانتا دوياً جهورياً من الضحك.

«سيطير صواب المس آني عندما ترى هذا المكان يرمم».

«إذن قولي لتلك المرأة، اخرجي وهزي نفسك قليلاً تجدين بيتك يرمم أيضاً» قهقهت سانتا وقالت «والآن اخرجي عن الخط يا عزيزتي، وتعالي إلى هنا. سأتصل بالمشفى الخيري فوراً. اخرجي من ذلك البيت بسرعة!»

أغلقت سانتا الهاتف في إذن السيدة رايلي.

نظرت السيدة رايلي عبر المصاريع الأمامية. كان الظلام حالكاً الآن، وهذا جيد. لن يرى الجيران كثيراً إذا أخذوا أغناطيوس خلال الليل. ركضت إلى الحمام ووضعت بعض المساحيق على وجهها وعلى صدر ثوبها، ورسمت شكلاً سريالياً لفم تحت أنفها، واندفعت نحو غرفة نومها لتجد معطفاً. وعندما وصلت إلى الباب الأمامي، توقفت. ليس بإمكانها أن تودع أغناطيوس بهذا الشكل. إنه طفلها.

ذهبت إلى باب غرفة نومه وأصغت إلى نوابض السرير تئن صاخبة على نحو تصعيدي، وهي تتقدم نحو خاتمة تليق بـ «في صالة ملك الجبل» لغريغ. قرعت الباب ولكنها لم تسمع جواباً.

نادت بحزن «أغناطيوس».

«ماذا تريدين؟» سألها أخيراً صوت مقطع الأنفاس.

«أنا خارجة يا أغناطيوس. أردت أن أودعك».

لم يجب أغناطيوس.

فتوسلت السيدة رايلي «اغناطيوس، افتح الباب. تعال أعطني قبلة الوداع يا حبيبي».

«لا أشعر أني بوضع جيد. أكاد لا أستطيع الحركة».

«تعال يا بني».

فتح الباب ببطء. وأقحم أغناطيوس وجهه السمين الشاحب في الصالة. اغرورقت عينا أمه عندما رأت الضماد.

«قبلني الآن يا حبيبي أنا آسفة أن الأمر كان لا بد أن ينتهي هكذا».

«ماذا تعني كل هذه الكليشات البكائية؟» سأل أغناطيوس بارتياب «لماذا أصبحت فجأة لطيفة؟ أليس لديك لقاء رجل مسن في مكان ما؟»

«كنت محقاً أغناطيوس. أنت لا تستطيع العمل. كان يجب أن أعرف ذلك. كان يجب أن أجد طريقة أخرى لتسديد ذلك الدين». انزلقت دمعة من عيني السيدة رايلي غسلت درباً صغيراً من البشرة التي نظفت عبر المساحيق. «إذا اتصل السيد ليفي، لا تجب على الهاتف، أنا سأعنى بك».

«أوه يا إلهي» جأر أغناطيوس «الآن أنا حقاً في ورطة، لا يعلم سوى الله ما الذي تخططين له. إلى أين أنت ذاهبة؟»

«ابق في الداخل ولا ترد على الهاتف».

«لماذا؟ ما هذا؟» التمع الخوف في العينين المحمرتين.

«من ذاك الذي كنت تهمسين له على الهاتف؟»

«لن تضطر إلى القلق حيال السيد ليفي يا بني. سأصلح لك كل شيء. فقط تذك أن أمك المسكينة همها الأول هو رفاهك».

«هذا هو ما يخيفني».

«لا تغضب مني أبداً يا حبيبي»، قالت السيدة رايلي وقفزت بحذاء البولينغ الذي لم تخلعه منذ اتصل بها انجيلو هاتفيا في الليلة السابقة، وعانقت اغناطيوس وقبلت شاربه.

أطلقته من عناقها وركضت نحو الباب الأمامي، حيث التفت وصاحت «أنا آسفة لأني اصطدمت بذلك البناء أغناطيوس. أنا أحبك».

انصفق المصراعان وذهبت.

«عودي» أرعد أغناطيوس. اندفع بسرعة إلى مصراع النافذة ولكن سيارة البلايموث القديمة، بأحد إطاريها الأماميين دون رفوف ومعرّى وكأنه سيارة خردة، كانت تلعلع طلباً للحياة «عودي أرجوك يا أمي».

«أوه، اخرس» صاحت المس آني من مكان ما في العتمة.

كانت أمه تخفي عنه شيئاً، خطة خرقاء، مؤامرة ستدمره إلى الأبد. لماذا أصرت أن يبقى في الداخل؟ أنها تعرف أنه لن يذهب إلى أي مكان وهو في حالته الراهنة. وجد رقم سانتا باتاغليا وطلبه. يجب أن يتحدث مع أمه.

وقال عندما أجابت سانتا: «أنا أغناطيوس رايلي. هل أمي قادمة إليك هذه الليلة؟»

أجابت سانتا ببرود «لا، ليست قادمة. أنا لم أتكلم مع أمك طوال اليوم».

أنهى أغناطيوس المخابرة. أمر ما كان يجري. لقد سمع أمه تقول «سانتا» على الهاتف مرتين أو ثلاث مرات خلال اليوم. وتلك المخابرة الهاتفية الأخيرة، ذلك الاتصال الهامس الذي جرى قبيل مغادرة أمه. أمه همست فقط للمومس باتاغليا وذاك كان فقط عندما يتبادلان الأسرار. وفجأة توقع أغناطيوس سبب وداع أمه العاطفي، كونه وداعاً نهائياً. لقد قالت له من قبل إن باتاغليا الخاطبة قد اقترحت له إجازة في الجناح النفسي في المشفى الخيري، كل شيء كان معقولاً في الجناح النفسي لن يكون معرضاً للمحاكمة من قبل إيبلمان وليفي أو أي شخص آخر يحرك القضية. ربما قاضاه كلاهما. إيبلمان بسبب الافتراء الشخصي وليفي بسبب التزوير. من منظار عقل أمه المحدود سيكون الجناح النفسي بديلاً مقبولاً. فأمه، بكل نواياها الطيبة تسمح بأن يربط ابنها بسترة المجانين. وأن يتعرض للإعدام بالكهرباء باسم المعالجة بالصدمة. طبعاً أمه قد لا يخطر كل هذا على بالها. إلا أنه، عند التعامل معها، من الأفضل دائماً الاستعداد لما هو أسوأ. فكذبة زوج باث باتاغليا بحد ذاتها لم تكن مطمئنة أبداً.

في الولايات المتحدة تعتبر بريئاً إلى أن تثبت إدانتك. ربما اعترفت المس تريكسي. لماذا لم يتصل السيد ليفي ثانية؟ لن يلقى بأغناطيوس في عيادة عقلية بينما هو، من الوجهة القانونية، لم يزل بريئاً من ذنب كتابة تلك الرسالة. وأمه، بشكل خاص، قد تلقت زيارة السيد ليفي بالطريقة الأكثر توتراً وبعداً عن المنطق. «سأعتني بك». «سأصلح حالك». أجل، ستصلح حاله تماماً. سيغسل بخرطوم ماء. وسيحاول بعض المحللين النفسانيين معتدلي العقل أن يفهموا تفرد رأيه العالمي. ولدى شعوره بالإحباط سيودعه المحلل النفساني في زنزانة لا تزيد مساحتها عن ثلاثة أقدام مربعة. لا. هذا أمر غير قابل للمناقشة. السجن أرحم. هناك يحددونه جسديا فقط. أما في الجناح العقلي فإنهم يعبثون بنفسك وتوجهك العالمي وعقلك. لن يمكنه أبداً تحمل ذلك. وقد نضحت لهجة أمه بالاعتذار حيال موضوع الحماية الغامضة الذي كانت ستقدمه له. جميع المؤشرات كانت تدل على المشفى الخيري.

أوه، عجلة الحظ،أيتها الخسيسة!

أصبح الآن يتبختر في البيت الصغير مثل بطة حاضنة. جميع الرجال الأقوياء الذين توظفهم المستشفى يركزون عيونهم عليه مباشرة. أغناطيوس رايلي، الحمامة الطينية (قرص فخاري يقذف في الهواء ليتخذ هدفاً للرماة). ربما كانت أمه قد ذهبت إلى إحدى حفلات البولينغ المعربدة. وفي المقابل ربما كانت هناك شاحنة مصفحة تشق طريقها مسرعة نحو القسطنطينية في هذه اللحظة.

الهروب.. الهروب..

نظر أغناطيوس في حافظة نقوده. لم يجد الدولارات الثلاثين، يبدو أن أمه قد صادرتها في المستشفى. نظر إلى الساعة. كانت تقارب الثامنة. ما بين الإغفاء ومهاجمة القفاز انقضت فترة الظهيرة والمساء بسرعة. فتش أغناطيوس غرفته، مبعثراً مجموعات الورق الكبيرة، يدوسها بقدميه، ويجرها من تحت سريره. وكانت حصيلة بحثه بضعة قروش مبعثرة واتجه إلى المكتب حيث وجد بضعة قروش أخرى. كان المجموع ستين سنتاً، مبلغ يحد ويعيق طرق النجاة. يمكنه على الأقل أن يجد مخبأ أميناً لما تبقى من المساء: البراتيانيا. وبعد أن يغلق المسرح يمكنه أن يسير في شارع القسطنطينية ليرى إن كانت أمه قد عادت.

كان هناك نوبة عجولة مهملة في ارتداء الثياب. قميص النوم الصوفي الأحمر طار واستقر على الثريا. وأقحم أصابع قدميه في الحذاء الصحراوي ووثب بقدر ما استطاع من مهارة داخل البنطال التويد (الصوفي الخشن)، الذي لم قفل أزراره عند الوسط إلا بجهد جهيد. القميص، القبعة، المعطف، ارتداها أغناطيوس بلا تمييز وركض إلى الصالة يتمايل من جانب إلى جانب بين الجدران الضيقة. وبمجرد أن مد يده إلى الباب الأمامي سمع ثلاث دقات عالية على المصراعين.

هل عاد السيد ليفي؟ أرسل بوابه معدته مؤشر رعب أجرى اتصالاً مع يديه. حك تورم كفيه وحدق من خلال المصاريع متوقعاً أن يرى عدة متوحشين من ذوي الشر القاسي من المستشفى.

وهناك على الشرفة وقفت ميرنا ترتدي معطفاً مخملياً مضلعاً أخضر زيتونياً بشعاً. وكان شعرها الأسود مجدولاً كذيل الخنزير وقد انعقص تحت إحدى أذنيها ونزل على صدرها .. وكان هناك غيتار معلق على كتفيها.

كاد أغناطيوس يندفع عبر المصراعين محطماً الألواح والأقفال، ليلف ذيل الخنزير الذي يشبه القنب حول حلقها إلى أن تصبح زرقاء. ولكن العقل كسب الجولة.

لم يكن ينظر إلى ميرنا، كان ينظر إلى طريق للنجاة. لقد تمهلت عجلة الحظ. لم تكن فاسدة لدرجة تسمح لها بإنهاء هذه الحلقة المفرغة بخنقه في سترة المجانين، وبأن تقفل عليه قبر اسمنتي تنيره مصابيح النيون. كانت عجلة الحظ تريد التعويض والمصالحة. فاستدعت، بطريقة ما، ميرنا الوقحة من أحد الأنفاق تحت الأرض، من عقالها في مكان ما، من سرير لاذع لأحد الوجوديين الأوراسيين، من يدي أحد البوذيين الزنوج المصروعين، من الوسط المضجر لجلسة علاج جماعي.

«أغناطوس هل أنت داخل مقلب النفايات هذا؟» سألت ميرنا بلهجتها المنبسطة وصوتها الأقرب إلى العدوانية. وضربت على المصاريع مرة ثانية وهي تنظر شزراً من خلال نظارتها ذات الإطار الأسود. لم تكن ميرنا مصابة بعلة في العين، فقد كانت عدسات نظارتها زجاجاً عادياً، وكانت تستعملها لتثبت التزامها وتركيزها على هدف معين. وعكس قرطاها المتدليان أنوار الشارع مثل الزجاج المرنان في التزيينات الصينية... «اسمع، أنا أعرف أن هناك شخصاً في الداخل. سمعتك تدب في الصالة. افتح هذه المصاريع الزرية».

«نعم، نعم، أنا هنا» صاح اغناطيوس. واندفع إلى المصاريع وفتحها «شكراً لعجلة الحظ أنك أتيت».

«يا إلهي. تبدو رهيباً. كأنك تشكو من انهيار عصبي أو ما شابه. لماذا هذا الضماد؟ اغناطيوس، ما الأمر؟ انظر كم ازداد وزنك. لقد قرأت هذه الشعارات المؤسفة المعلقة على الشرفة. لقد وقعت».

«لقد عرفت الجحيم»، انطلق اغناطيوس متهافتاً في الكلام وهو يجر ميرنا من كم معطفها إلى الصالة. «لماذا خرجت من حياتي، أيتها الوقحة؟ تصفيفة شعرك الجديدة رائعة». وشد ذيل خنزيرها وضغطه على شاربه الرطب يقبله بلهفة «رائحة الهباب والفحم في شعرك تثير لدي تداعيات عن غوثام الساحر. يجب أن نغادر البيت فوراً. يجب أن أذهب لأنمو في مانهاتان».

«عرفت أن هناك خللاً ما. ولكن ليس بهذا الشكل. أنت فعلاً بحالة سيئة يا اغناطيوس».

«أسرعي. إلى موتيل. غرائزي الطبيعية تصرخ طالبة الانطلاق. هل تحملين أي مبلغ من المال».

«لا تثيرني»، قالت ميرنا بغضب. اختطفت ذيل الخنزير الكامد من كف اغناطيوس وألقته وراء ظهرها فوق الغيتار حيث استقر مصدرا رنينا. «انظر يا اغناطيوس. أنا منهكة. فأنا على الطريق منذ التاسعة من صباح البارحة. بمجرد أن أرسلت إليك الرسالة عن حزب السلام، قلت لنفسي، اسمعي يا ميرنا. هذا الإنسان بحاجة إلى أكثر من رسالة. إنه بحاجة إلى مساعدتك. إنه يغرق بسرعة. هل أنت ملتزمة لدرجة كافية لإنقاذ حطام تلك العقلية؟ خرجت من مكتب البريد وركبت سيارتي وبدأت القيادة. طوال الليل. مباشرة. أعني، أنني كلما فكرت في برقية حزب السلام الهمجية تلك، كلما ازدادت انزعاجاً».

يبدو أن ميرنا كانت بحاجة ماسة إلى قضايا في مانهاتان. صاح اغناطيوس «لا ألومك. ألم تكن تلك البرقية مريعة؟ فنتازية مشوشة. عشت في أدنى حالات الكآبة عدة أسابيع. بعد كل هذه السنوات التي لزمت فيها جانب أمي، قررت أن تتزوج وتريد إزاحتي من الطريق. يجب أن نغادر. لم أعد أستطيع تحمل هذا البيت دقيقة أخرى».

«ماذا؟ من ذا الذي سيتزوجها؟»

«الحمد لله أنك تفهمين. تستطيعين أن تري إلى أي درجة من الغرابة والاستحالة وصلت الأمور».

«أين هي؟ أود أن ألخص لهذه المرأة ما فعلت بك».

«إنها في مكان ما تتعب دورتها الدموية في هذه اللحظة. لا أريد أن أراها ثانية».

«الحق معك. أيها الطفل المسكين. ماذا كنت تفعل يا اغناطيوس؟ هل كنت تضطجع في غرفتك كما لو كنت مخدراً؟»

«نعم. لعدة أسابيع. لقد كنت مجمداً باللامبالاة العصابية. هل تذكرين الرسالة الخيالية عن التوقيف والحادث؟ لقد كتبتها عندما قابلت أمي ذلك الرجل المسن الفاسق. ذاك كان الوقت الذي بدأت أفقد توازني. ومنذ ذلك الحين وأنا أنحدر باستمرار وكانت قمة انحداري في مضام حزب السلام. هذه الإشارات في الخارج ليست سوى مؤشرات عضوية لعذابي الداخلي. رغبتي النفسية في السلام كانت محاولة تتوق إلى إنهاء العداءات التي كانت قائمة في هذا البيت الصغير. أنا ممتن جداً لتبصرك في تحليل الحياة الخيانية التي كنت أصورها في رسائلي. الحمد لله أنها كانت مؤشرات خطر كتبت برموز استطعت فهمها».

«أستطيع أن أعرف مدى الخمول الذي كنت فيه من وزنك».

«لقد كسبت أرطالاً كثيرة مستلقياً بشك دائم في الفراش، باحثاً عن النهاية والتسامي في الطعام. والآن يجب أن نجري. يجب أن أغادر هذا البيت. أن فيه تداعيات مرعبة».

«قلت لك أن تخرج من هذا المكان منذ زمن طويل. هيا، تعال نجمع أمتعتك». بدأت الحماسة تدب في صوت ميرنا الرتيب. «هذا رائع. كنت أعرف أنك ستضطر إلى الانسلاخ عاجلاً أو آجلاً حفاظاً على صحتك العقلية».

«لو أنني أخذت بنصيحتك قبل هذا، لما اضطررت إلى معاناة كل هذه الأهوال».

عانق اغناطيوس ميرنا وضغطها وهي وغيتارها على الجدار. كان واضحاً بالنسبة إليه أنها بالغة السعادة لأنها وجدت قضية مشروعة، قصة صادقة لا خداع فيها، حركة جديدة. «لقد ضمنت لنفسك مكاناً في الجنة يا فتاتي الوقحة. يجب أن نسرع الآن».

حاول أن يشدها نحو الباب الأمامي، ولكنها قالت «ألا تريد أن تأخذ أية أمتعة؟»

«أوه طبعاً. هناك جميع ملاحظاتي ومذكراتي الوجيزة. يجب ألا ندعها تقع بين يدي أمي. قد تجمع ثروة بسببها. ستكون مفارقة كبيرة». دخلا إلى غرفته. «بالمناسبة يجب أن تعلمي أن أمي تستمتع باهتمامات مريبة لشخص فاشستي».

«أوه، لا».

«نعم، انظري إلى هذا. تجعلك تتصورين كيف كانوا يعذبونني».

وناول ميرنا أحد الكتيبات التي كنت أمه تدفعها من تحت باب غرفته. /هل جارك أمريكي حقيقي؟/ قرأت ميرنا ملاحظة مكتوبة على هامش الغلاف: «اقرئي هذا يا إيرين. إنه جيد. هناك بعض الأسئلة آخره يمكنك أن تسأليها لابنك».

«أوه اغناطيوس» تنهدت ميرنا «كيف كان الأمر؟»

«مؤذ ومريع. في هذه اللحظة أظن أنهم في مكان ما يهجون أحد المعتدلين الذي سمعتهم أمي يتحدثون لصالح الأمم المتحدة في البقالية هذا الصباح. كانت تغمغم حول الحادثة طوال اليوم». تجشأ اغناطيوس «لقد عشت أسابيع من الإرهاب».

«غريب جداً أن أجد أمك قد ذهبت. كانت دائماً تلازم البيت».

علقت ميرنا غيتارها على عمود السرير وتمددت على السرير «هذه الغرفة. كنا نحتفل هنا ونكشف ما في عقلينا ونفسينا، ونؤلف بيانات معادية لتالك. أعتقد أن ذلك الفرويد لم يزل يتسكع في تلك المدرسة».

«أتخيل ذلك» قال شارداً. كان يتمنى أن تترك ميرنا السرير. سرعان ما يتحول عقلها ليكشف أشياء أخرى. في كل الأحوال، كان لا بد لهما من مغادرة البيت. كان داخل الخزانة يبحث عن الحقيبة التي اشترتها له أمه لقضاء يوم كارثة في معسكر للصبيان عندما كان في الحادية عشرة. نبش في أكوام من السراويل المصفرة مثل كلب ينبش عظمة، ملقياً بالسراويل وراءه مثل قوس.

«ربما كان من الأفضل أن تحرك نفسك يا ليلكتي الصغيرة. هناك دفاتر وملاحظات يجب جمعها. بإمكانك أن تنظر تحت السرير».

تقلب ميرنا بعيداً عن الملاءات الرطبة وقالت:

«حاولت أن أصفك لأصدقائي جماعة المعالجة الجماعية. وكيف كنا نعمل معاً في هذه الغرفة، منعزلين عن المجتمع. هذا العقل الغريب الذي ينتمي إلى القرون الوسطى وهو في عزلته».

«لقد أسرتهم حتماً» تمتم اغناطيوس. كان قد وجد الحقيبة وبدأ يملؤها ببعض الجوارب التي وجدها مرمية على الأرض. «سرعان ما سيتمكنون من رؤيتي شخصياً».

«انتظر حتى يسمعوا كل هذه الأصالة تدفق من رأسك».

تثاءب اغناطيوس «ربما تكون أمي قد أسدت إلى خدمة كبيرة بنيتها الزواج ثانية. هذه القيود الأوديبية كانت قد بدأت تربكني». ألقى اليويو في الحقيبة.

«يبدو أنك قد مررت بسلام عبر الجنوب».

«لم يكن لدي دقيقة واحدة لأتوقف فعلاً على الطريق. حوالي ست وثلاثين ساعة من القيادة.. القيادة.. القيادة..».

كانت ميرنا تكوم الدفاتر الكبيرة فوق بعضها بعضاً «لقد توقفت في /عشاء الزنوج/ الليلة الماضية، ولكنهم رفضوا خدمتي. أعتقد أن الغيتار ضللهم».

«لاشك أن الأمر كان كذلك. لقد ظنوا أنك مغنية هيل بيللي حمراء الرقبة. لقد كانت لي تجربة مع أولئك الناس. أنهم محدودون».

«لا أصدق أني فعلاً أنتشلك من هذه الزنزانة، من هذا الجحر».

«أمر لا يصدق، أليس كذلك؟ تخيلي أنني حاربت حكمتك سنين طويلة».

«سنمضي أروع الأوقات في نيويورك، صدقني».

«أتحرق شوقاً لذلك» قال اغناطيوس وهو يضع وشاحه وسيفه بين الأمتعة. «تمثال الحرية، بناء الأمباير ستيت، نشوة ليلة الافتتاح في برودواي

مع نجومي الموسيقيين الكوميديين المفضلين، جلسات الاستراحة في /القرية/ واحتساء الاسبريسو مع العقول المعاصرة المتحدية».

«ها أنت تتمالك نفسك أخيراً يا رايلي. لا أستطيع أن أصدق ما سمعته في هذا الكوخ هذه الليلة. سنعالج مشاكلك. أنت على أبواب مرحلة جديدة كلياً وحيوية. لقد انتهت فترة ضحولك. أستطيع أن أجزم بذلك. أستطيع أن أسمعه. فكر فقط في الفكرة العظيمة التي ستتدفق من ذلك الرأس بعد أن تتخلص أخيراً من جميع الشراك والمحرمات وما يتعلق بها من قيود».

«الله أعلم ماذا سيحدث» قال اغناطيوس بفتور. «يجب أن نغادر. الآن. يجب أن أحذرك من أن أمي قد تعود في أية لحظة. إذا رأيتها ثانية، فإني سأنكفئ بشكل مريع. يجب أن نسرع».

«اغناطيوس أنت تقفز في كل مكان. استرخ. لقد انقضى ما هو أسوأ».

«لا، لم ينقض»، قال اغناطيوس بسرعة «أمي قد تعود مع عصابتها. لو أنك ترينهم. متعالون بيض، بروتستانت أو ما هو أسوأ. دعيني أحضر عودي وبوقي. هل جمعت الدفاتر مع بعضها بعضاً؟»

«هذه المادة التي هنا رائعة». قالت ميرنا مشيرة إلى مجموعة الأوراق التي كنت تتصفحها. «درر في العدمية».

«هذه مجرد نتفة من مجمل».

«ألن تترك لأمك ملاحظة بالغة المرارة، احتجاج مركز مثلاً؟».

«الأمر سيان. ستمضي أسابيع في فهمها». حمل اغناطيوس العود والبوق على أحد ذراعيه والحقيبة بالأخرى. «أرجوك لا تدعي ذلك الملف الذي يحوي أوراقاً سائبة يسقط من يدك. إنه يحوي اليوميات، فانتازيا اجتماعية /سوسيولوجية/ كنت منكباً عليها. إنها جهدي التجاري الأكبر يحوي إمكانيات فيلمية على أيدي والت ديزني أو جورج بال».

«اغناطيوس». توقفت ميرنا عند عتبة الباب، ذراعات مليئان بالمجموعات الورقية، وحركت شفتيها الشاحبتين لمدة دقيقة قبل أن تتحدث، كما لو أنها تصيغ خطاباً. وجالت عيناها المتعبتان اللتان خدرتهما القيادة على الطريق

العامة، جالت في وجه اغناطيوس عبر عدستيها البراقتين. «هذه لحظة ذات معنى كبير. أشعر وكأني أنقذ شخصاً».

«هذا هو ما تفعلين. هذا هو ما تفعلين. والآن يجب أن نهرب. سنتحدث فيما بعد». تجاوزها اغناطيوس وتحرك متثاقلاً نحو السيارة، فتح الباب الخلفي للسيارة الرينو الصغيرة وركب بين الإعلانات وأكوام الكتيبات التي كانت تغطي المقعد. كانت رائحة السيارة كرائحة كشك لبيع الجرائد. «استعجلي. ليس لدينا الوقت لنؤدي لوحة حية هنا أمام البيت».

«هل ستجلس حقاً في المقعد الخلفي؟» سألت ميرنا وهي تلقي حمولتها من الدفاتر عبر الباب الخلفي.

«بالطبع سأفعل» جأر اغناطيوس «طبعاً لن أجلس في فخ الموت ذاك في المقعد الأمامي أثناء السفر على طريق عام. والآن ادخلي هذه العربة الصغيرة وأخرجينا من هنا».

«انتظر. لقد تركت كثيراً من الدفاتر» قالت ميرنا وركضت عائدة إلى البيت، وغيتارها يتأرجح على جنبها. هبطت الدرجات مع كومة أخرى وتوقفت عند الممر الآجري. والتفتت لتنظر إلى البيت. عرف اغناطيوس أنها تحاول /تسجيل/ المشهد: اليزا تعبر الجليد وهي تحمل عبقرياً ضخماً بشكل كبير بين ذراعيها. ومثل هارييت بيتشو ستو، كانت ميرنا ما تزال مصدر إزعاج. وأخيراً، استجابت لصرخات اغناطيوس ونزلت إلى السيارة وألقت بالكومة الثانية من الدفاتر على حجر اغناطيوس. «أعتقد أن هناك المزيد تحت السرير».

«لا تبالي بما تبقى!» صاح اغناطيوس «ادخلي وحركي السيارة. أوه يا إلهي. لا تلصقي الغيتار في وجهي هكذا. لماذا لا تستطيعين أن تحملي حقيبة مثل أية شابة محترمة؟»

«اذهب إلى الجحيم». قالت ميرنا غاضبة. وانزلقت في المقعد الأمامي وأدارت محرك السيارة. «أين تريد أن نمضي الليلة؟»

«نمضي الليلة؟» أرعد اغناطيوس «لن نمضي الليلة في أي مكان. يجب أن ننطلق مباشرة».

«اغناطيوس، أكاد أموت من التعب. أنا في هذه السيارة منذ صباح البارحة».

«حسناً، اعبري بحيرة بونتشارتين على الأقل».

«أوكي. نستطيع أن نأخذ الطريق المعبدة ونتوقف في ماندفيل».

«لا!» ميرنا ستقوده لتلقي به بين ذراعي طبيب نفساني «نستطيع أن نتوقف هناك. الماء ملوث. ويوجد جائحة وبائية».

«صحيح؟ إذن سأسير على الجسر القديم إلى سلايديل».

«نعم، ذاك أسلم. المراكب الكبيرة تندفع بعنف عبر ذاك الطريق المعبد، سنندفع في البحيرة ونغرق».

كانت سيارة الرينو منخفضة كثيراً من الوراء وتسير ببطء. «هذه السيارة صغيرة بالنسبة لحجمي. هل أنت واثقة أنك تعرفين كيف تصلين إلى نيويورك؟ أشك في أن بإمكاني البقاء على قيد الحياة أكثر من يوم أو يومين في هذا الوضع الجنيني».

«اسمع، إلى أين تذهبان أيها الوجوديان؟»

ارتفع صوت المس آني واهناً من وراء مصاريعها. وتحركت سيارة الرينو إلى مركز الطريق.

«أما زالت تلك العاهر العجوز تعيش هناك؟» سألت ميرنا.

«اخرسي واخرجي بنا من هنا».

«هل ستعاملني معاملة الحشرة؟» حملقت ميرنا بغضب بالقبعة الخضراء عبر المرآة. «أحب أن أعرف».

«أوه بوابه معدتي» لهث اغناطيوس «أرجوك لا تثيري مشكلة. سيتداعى عقلي تماماً بعد الهجمات التي تعرضت لها مؤخراً».

«أنا آسفة. للحظة بدا الأمر يشبه أيامنا الماضية عندما كنت أقوم بدور السائق وأنت تنتقدني من المقعد الخلفي».

«آمل ألا يكون الطقس ثلجياً في الشمال. فإن نظام جسمي لن يعمل تحت تلك الظروف. وأرجوك أن تنتبهي لباصات غراي هاوند السياحية على الطريق. فهم سيسحقون دمية كهذه».

«اغناطيوس، فجأة أصبحت اغناطيوس القديم الرهيب. وفي هذه اللحظة أعتقد أنني أرتكب خطأ كبيراً جداً».

«خطأ؟ طبعاً لا». قال اغناطيوس بعذوبة «ولكن انتبهي لسيارة الإسعاف تلك. لا نريد أن نبدأ رحلة حجنا بحادث».

عندما عبرت سيارة الإسعاف، انحنى اغناطيوس ورأى كلمات «المشفى الخيري» مطبوعة على سطح سيارة الإسعاف على سيارة الرينو دقيقة عندما عبرت السيارتان إحداهما الأخرى. شعر اغناطيوس بالإهانة. لقد توقع سيارة شاحنة مصفحة، لقد حقروه بإرسالهم سيارة إسعاف مستهلكة من نوع كاديلاك. كان بكل سهولة سيحطم جميع هذه النوافذ. ثم أصبحت جنيحات الكاديلاك البراقين على بعد بنائين وراءهما وكانت ميرنا تلتف نحو شارع تشارلز.

الآن وقد أنقذته عجلة الحظ من إحدى الدورات إلى أين تراها تدور به؟ الدورة الجديدة ستكون مختلفة تماماً عن كل ما عرفه حتى الآن.

زادت ميرنا سرعتها وأقحمت سيارة الرينو في وسط حركة مواصلات المدينة بمهارة، وكانت تنتقل بين حقول الطريق الضيقة والمستحيلة إلى أن أصبحا بعيدين عن آخر مصباح يلتمع في شارع وعن آخر ضاحية مستنقعية. عندئذ أصبحا في الظلام في وسط المستنقعات المالحة.

نظر اغناطيوس إلى شاخصة الطريق العام التي عكستها أضواؤهما الأمامية يواس ١١. مرا بالشاخصة. أنزل زجاج النافذة انشا أو اثنين واستنشق الهواء المالح الذي يعصف داخلاً ماراً بالسبخات قادماً من الخليج.

وكأنما كان الهواء مطهراً، فتح بوابه. تنفس ثانية، بعمق أكثر هذه المرة. كان الصداع الرتيب ينحسر.

تأمل، ممتناً، مؤخرة رأس ميرنا، وذيل الخنزير الذي تأرجح بريئاً على ركبته. ممتناً يا لها من مفارقة، فكر اغناطيوس. وأخذ ذيل الخنزير بأحد كفيه، وضغطه بدفء على شاربه الرطب.



تحالف الأغبياء

«تعرف العبقري الأصيل لحظة ظهوره في العالم بهذه العلامة: الأغبياء جميعاً يتحالفون ضده».

جوناثان سويفت

كتب المؤلف رواية «تحالف الأغبياء» في أوائل الستينات وحاول نشرها وأخفق فدفعه الإحباط إلى الانتحار. إلا أن إصرار والدته التي لم يهتز إيمانها بعمل ابنها أوصل هذا الكتاب إلى قرائه الجديرين به.

حصلت رواية تحالف الأغبياء على جائزة بوليتزر للقصة عام 1981.

رواية اجتماعية تمثل تشابك العلاقات في المجتمع الغربي، ونسبة الفساد العالمية بين أفراده، ومصيرهم المجهول.




9 789933 509354